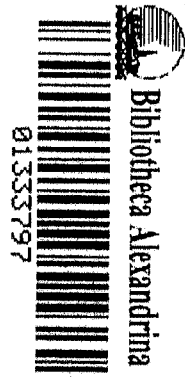


# الخوارج في بلاد المغرب

حتى منتصف القرن الرابع الهجري

تأليف

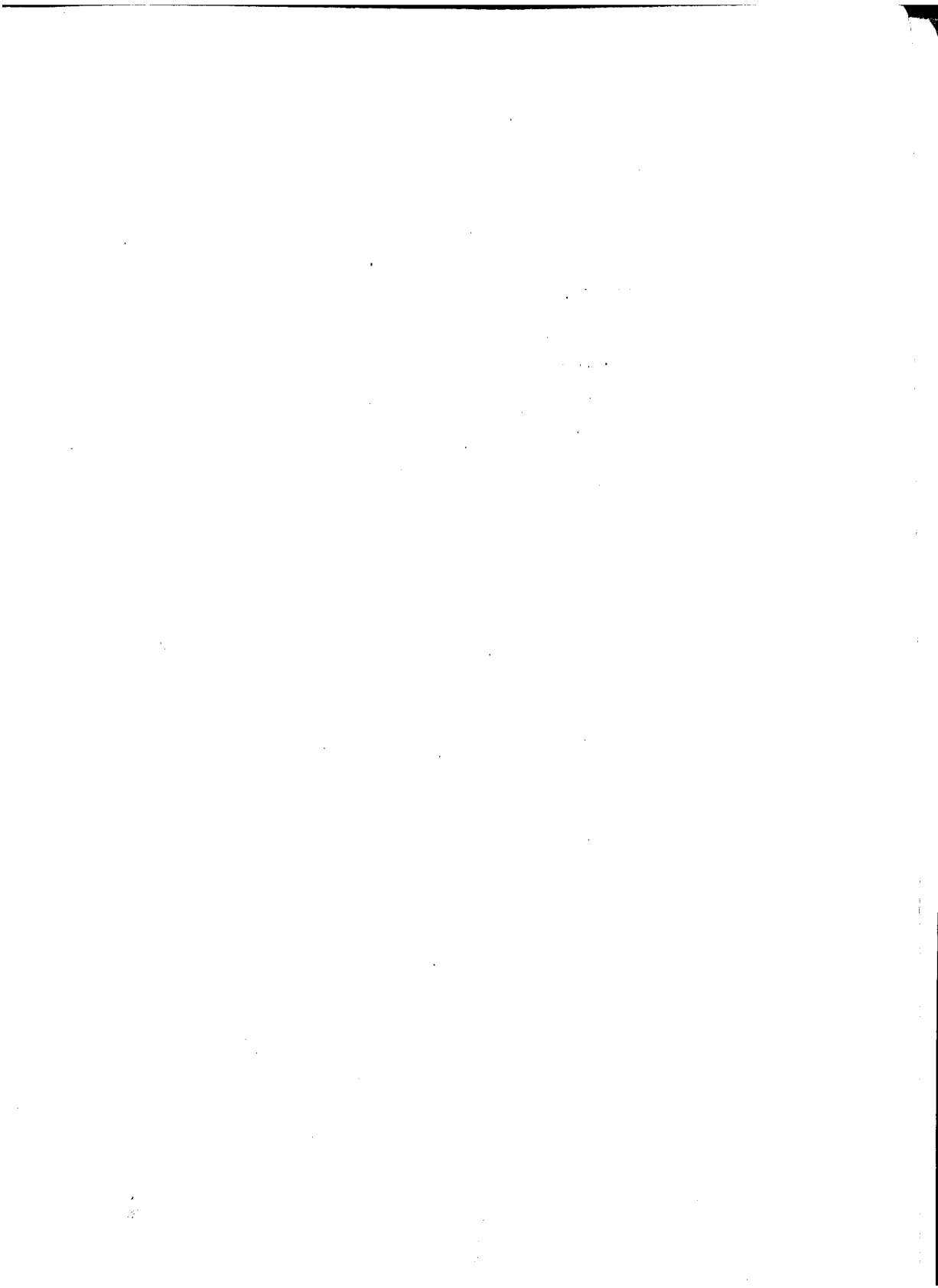
الدكتور محمود اسماعيل عبدالوازيق





11

**الخوارج في بلاد المغرب**  
حتى منتصف القرن الرابع الهجري





١٤٢٧٨

الدكتور محمود اسماعيل عبدالوازيق

أستاذ بكلية الآداب — فاس

الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية
٩٤٤.٠٥
١٨١٧٩.٠١

# الخوارج في بلاد المغرب

حتى منتصف القرن الرابع الهجري

رسالة دكتوراة

نشر وتوزيع



32-34 شارع فكتور هيكو  
الهاتف 30.76.44 / 30.23.75  
ص ب 4038 الدار البيضاء المغرب



الطبعة الثانية 1406 — 1985  
جميع الحقوق محفوظة

# مقدمة

لعب الخوارج دورا بارزا في تاريخ بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، واثروا في احوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما كانت بلاد المغرب اكثر بقاع العالم الاسلامى تقبلا لعقائد الخوارج واكثرها حماسا لنصرتهم . فباعتناق المغاربة مذهب الخوارج ، رفعوا علم الثورة على الامويين والعباسيين ، وانتهى بهم الامر الى اقامة امارتين مستقلتين هما امارة بنى مدرار و امارة بنى رستم .

وبقيامهما شهدت بلاد المغرب عصرا من الاستقلال السياسى والازدهار الاقتصادى والثقافى كان لها عوضا عن فترة القلاقل والاضطرابات السياسية والازمات الاقتصادية التى صحبت عصر الثورة .

ثم قامت الدولة الفاطمية ، وقضت على دول المغرب المستقلة ، نهب الخوارج من جديد ضد الفاطميين وسياستهم القائمة على التعصب للمذهب الشيعى ، وهددوا بازالة النفوذ الفاطمى من بلاد المغرب . حقيقة لم يقدر لثوراتهم النجاح ، الا انها ارغبت الفاطميين على التحول من سياسة العنف والتعصب الى اللين والاعتدال .

تصارى القول — ان تاريخ المغرب الاسلامى حتى منتصف القرن الرابع الهجرى تآثر بحركات الخوارج تآثرا كبيرا . وعلى الرغم من ذلك ، نفتقر الى دراسة متكاملة عن الخوارج فى المغرب واثريهم فى تطوره السياسى ، ودورهم فى تاريخه من بدء الثورة الى تحقيق الاستقلال ، ثم العودة الى الثورة مرة اخرى . لا ننكر انه ظهرت بعض الدراسات الخاصة بثورات الخوارج ، لكنها عولجت فى ثنايا التاريخ العام للمغرب الاسلامى ، او فى ثنايا الحديث عن سياسة عمال الخلافة فى البلاد . كما ظهرت كتب تعرض لدول الخوارج فى المغرب لكنها لم تتناول اكثر من ظروف قيامها فقط . هذا هو ما قرره ثقة الدارسين من أمثال

جوثيه (1) ومورنل (2) وجوليان (3) وبيكيه (4) وجورج مارسيه (5) .  
والواقع أن عديدا من المصاعب تعتور سبيل من يتصدى للتاريخ  
لهذا الموضوع ، ففى بعض الاحيان تندر المادة التاريخية كما هو الحال  
بالنسبة لظهور الخوارج فى المغرب ، وكذلك دولة بنى مدرار بسجلماسة ،  
فعلى الرغم من كثرة ما دون عن تواريخ الخوارج لم يصل الينا منها  
الا القليل النادر (6) .

وما وصلنا من معلومات كان أغلبها من مصادر معادية للخوارج  
داب أصحابها على تشويه سيرهم والطعن فى مبادئهم وأفكارهم ، وليس  
أدل على ذلك من افتعال الاحاديث النبوية واصطناعها لخدمة أغراضهم  
فى تسفيه الخوارج وتحقير شأنهم (7) .

ومن ناحية أخرى فان ما وصلنا من تواريخ الخوارج يقتصر فقط  
على الإباضية منهم دون الصفرية ، وتنطوى على التعصب الشديد  
للمذهب الإباضى وأئمته ، وتتجاهل على الفرق الأخرى من الخوارج ،  
ناهيك عن عدائها المقيت للمذاهب والفرق الإسلامية من غير الخوارج .  
وفضلا عن ذلك تمتلئ بالأساطير والخوارق والكرامات التى لا تستقيم  
مع منطق التاريخ .

ولا مناص للباحث عن دراسة مصادر هذا التاريخ وتقييمها  
والكشف عن ميولها واتجاهاتها قبل الإقدام على استقراء معلوماته منها .  
ولما كان تاريخ الخوارج فى المغرب قاسما مشتركا بين الخلافة  
السنية والشيوعية ، فمن المفيد أن ندرس مصادر هذا التاريخ ونصنفها  
الى مصادر سنية وشيوعية وخارجية .

### أولا : المصادر السنية :

المادة التاريخية المتعلقة بالخوارج فى المصادر السنية متفرقة

- (1) Les siècles obscurs du Maghreb. P. 292.
- (2) Les Berbers. Vol. 2. P. 4.
- (3) Histoire de l'Afrique du Nord. P. 339.
- (4) Histoire de l'Afrique Septentrionale. P. 67.
- (5) مادة بنى رستم بدائرة المعارف الإسلامية ص 93 .
- (6) انظر ابن النديم : الفهرست ص 258 .
- (7) راجع : البلاذرى : أنساب الأشراف ج 11 ص 106 .

ومبعثرة في الحوليات العامة أو التواريخ الإقليمية . وأقدم التصانيف في تاريخ المغرب عبثت بها يد الدهر ، فلم يصلنا منها سوى شذرات متفرقات نقلها المتأخرون . لعل من أهمها كتاب مسالك افريقية وممالكها ، والمؤلفات الخاصة بأخبار تيهرت وسجلماسة وغيرها من المدن المغربية ، تلك التي نسبت الى محمد بن يوسف الوراق ( 291 — 362 هـ ) « الحافظ لأخبار المغرب » كما ذكر ابن حيان (8) . والوراق مؤرخ أندلسي نشأ بالقيروان وتوفى بقرطبة (9) ، وقد فقد تاريخه كله ، وان وجدت فقرات منه عند البكري .

وينسحب نفس القول على ابن القطان ( ت 628 هـ ) صاحب كتاب نظم الجمان ، وان كان بروفنسال قد عثر على جزء منه خاص بنهاية عصر المرابطين وأوليات سني الموحدين ، وكذلك الحال بالنسبة لكتاب « العبر » لابن أبي الفياض (ت 459 هـ) (10) . والى عهد تريب كان تاريخ الرقيق القيرواني ( ت أوائل القرن الخامس الهجري ) في حكم المفقود ، لكن لحسن الحظ قدر لنا الوقوف على جزء منه عثر عليه الأستاذ محمد المنوني المكناسي سنة 1965 م بالخزانة العامة بالرباط ، استفدنا منه ايما فائدة في دراسة ثورات الخوارج في بلاد المغرب .

وهذا الجزء الذي يقع في مائة وخمسين صحيفة حققه الأستاذ المنجي الكعبي التونسي ونشره سنة 1968 م بعنوان تاريخ افريقية والمغرب . ومؤلفه هو أبو اسحق عمر بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني . ولا نعلم كثيرا عن نشأته ، انما نعرف انه تولى رئاسة ديوان الرسائل في البلاط الصنهاجي ، ومن ثم فقد أتيح له الاطلاع على كثير من الوثائق والتوالييف في تاريخ المغرب قل أن توافرت لغيره ، بفضلها كتب تاريخه المشهور ابتداء بالفتح الاسلامي للمغرب حتى أوائل القرن الخامس في عدة مجلدات لا نعلم عنها شيئا قط .

ولا شك في أن الرقيق كان سني المذهب بدليل اشتغاله في بلاط بنى زيري ، لكن اتجاهاته المذهبية — والحق يقال — لم تنعكس على كتاباته بشكل يسترعى النظر . وقد نقل عنه معظم من صنف بعده في

(8) المقتبس في اخبار بلد الاندلس . تحقيق الحجى ص 33 .

(9) بغية المتمس في تاريخ رجال الاندلس ص 131 .

(10) انظر : عبيد الله ابن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب . نشره

بروفنسال . ص 198 .

تاريخ المغرب الاسلامى كابن عذارى والنويرى وابن خلدون وغيرهم وعلى الرغم من ذلك فقد حفل الجزء الذى نشره بتفصيلات كثيرة لم توجد عند من نقلوا عنه ، كذلك التى تتعلق بمعركتى القرن والاصنام ، وثورة ابن عطاء الاسدى على عبد الرحمن بن حبيب ، وامامة الحارث وعبد الجبار الاباضيين ، وحصار عمر بن حفص بطبنة سنة 152 هـ . وقد راعينا اعتمادا على هذه المادة الجديدة ان نكون اول من استناد بها فى التاريخ لثورات الخوارج ببلاد المغرب .

والراجع ان جزء آخر من تاريخ الرقيق وصل الينا عن طريق ابن حماد فى كتابه المعروف بأخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم ، اذ ذكر فاندرهيدن (11) الذى نشره ان ابن حماد نقل النص برمته عن الرقيق . وجدير بالذكر ان هذا النص يتعلق بحركة ابي يزيد مخلد بن كيداد اساسا وليس تاريخا للخلافة الفاطمية فى المغرب كما يوحي العنوان . على كل حال ، فلو صح قول فاندر هيدن نكون قد استفدنا فى دراستنا للخوارج فى المغرب بمعلومات مستقاة من تاريخ الرقيق لم تتوفر للدارسين من قبل .

وثمة مصدر سنى آخر غاية فى الاهمية ، وهو سيرة الائمة الرستميين لابن الصغير المالكي (12) ، والواقع انه ليس لدينا ثمة ما يشير الى اصل ابن الصغير او نشأته ، وكل ما نعرفه انه اقام بتاهرت فى العصر الرستمي الاخير ، كشيخ من شيوخ المالكية ، كان له نشاط بارز فى المساجلات والمحاورات التى شهدتها تاهرت بين مشايخ الطوائف المذهبية المختلفة ، اذ يصور فى كتابه جدله فى المسائل الفقهية والدينية مع رؤساء الاباضية والمعتزلة ، كما نعلم من تاريخه انه كان يعمل تاجرا ويملك « دكانا فى الرهاندنة » ، (13) على ان اهميته كمؤرخ دقيق نابه امر لا يرقى اليه الشك . والراجع انه صنف تواليف اخرى لم تصل الينا ، فأسلوبه ومنهجه كما يتضح فى تاريخه للدولة الرستمية ينم عن طول باع فى ميدان التاريخ . على كل حال وقف المستشرق Motyllnski على كتابه عن سيرة الائمة الرستميين ونشره سنة 1905

(11) انظر : Histoires des Rois Obeïdides. P. 9.

(12) حننه الدكتور سعد زفلول — خطأ — ضمن مؤرخى الاباضية . انظر : تاريخ المغرب المريني ص 27 م .

(13) ابن الصغير : ص 46 .

## تحت عنوان :

Chronique d'Ibn Saghira sur les Imams Rostimides des Tahert. (14)

ويخيل لنا أن تاريخ ابن الصغير أهم مصادرنا عن دولة بنى رستم ، فهو معاصر لاحداث العصر الرستمي الأخير وشاهد عيان لها ، كما استمد معلوماته عن بنى رستم الاوائل من معاصريه من شيوخ الإباضية وغير الإباضية . ولكونه سنيا مالكا فقد كشف لنا عن كثير من أسرار عصره ، مما تغاضى عنه مؤرخو الإباضية ، كما قدم لنا وجهة النظر المتعصب لتلك التي تتعصب للإمامة الرستمية . ومن الانصاف أن نذكر أن ابن الصغير كان موضوعيا في تاريخه ، إذ كثيرا ما أبدى إعجابه بسيرة الراشدين من الأئمة الرستميين ، ولم يثنه خلاله المذهبي عن الإشادة بسياساتهم . ولم يقدر لابن الصغير أن يشهد نهاية دولة بنى رستم مما يرجح أنه مات في التسعينات من القرن الثالث الهجري إذ يقف تاريخه عند امامة أبي حاتم يوسف بن محمد ( ت 294 هـ ) .

أما ابن عذارى وتاريخه المعروف بالبيان المغرب ، فيجمع الدارسون (15) على أهميته كتاريخ عام للمغرب الإسلامي أقرب ما يكون الى التكمال ، على الرغم من تأخره النسبي ، فقد ألفه ابن عذارى سنة 712 هـ . وهو لذلك من أكثر مراجع تاريخ المغرب الإسلامي تفصيلا ، واثراها مادة ، وذلك راجع بطبيعة الحال الى استفادته من تواريخ السابقين كالرقيق وابن عبد البر وابن القطان والوراق وغيرهم ممن أشار اليهم فيما نقل عنهم ، ونحن في غني عن التعريف بابن عذارى وتاريخه على وجه العموم ، فقد تناول ذلك كثير من الدارسين . انما نكتفي بتقييم ما أورده متعلقا بالخوارج في المغرب ، فالملاحظ أنه أفاض في حديثه عن ثورات الخوارج ، لكنه عزف عن التاريخ لدولهم في المغرب واكتفى بإشارات متناثرة عن أمرائهم وسنى حكمهم . ومع ذلك ، فقد أسدى خدمة طيبة بآبائه للتواريخ في دقة تامة ، وذلك أمر أغفلته تماما كل تواريخ الخوارج تقريبا .

Actes du 14 Congrès international des orientalistes Algiers, 1905. Vol. (14)  
3. Part 2.

(15) انظر : بروغنسال : نص جديد ص 195 ، حسين مؤنس : رياض النفوس .  
المقدمة ص 6

Hopkins : Medieval Moslem government in Barbary.. P. xi.

ومعلوماتنا المستقاة عن ابن عذارى بخصوص الخوارج والفاطميين لا تختلف كثيرا عن نظائرها في سائر المصادر العامة التقليدية كابن الأثير وابن خلدون والنويرى ، اذ انها جميعا تنقل أساسا عن الرقيق فيما يرجح .

ولا مشاحة في ان جغرافيا مثل البكرى ( ت 487 هـ ) في كتابه المغرب ، فضلا عن قيمته الكبرى في دراسة البلدان ومواقعها والمسالك اليها .. الخ من المعلومات الجغرافية ، فقد زدنا بمادة تاريخية هامة — ان لم تكن فريدة في بعض الاحيان — عن خوارج المغرب . وحسبنا ان كثيرا مما كتبه الوراق عن صفرية سجلماسة ما كان ليصل اليها لولا البكرى . وتلك المعلومات — على ندرتها — عظيمة القيمة بالنسبة لدولة بنى مدرار ، فلولاها لظل تاريخ تلك الدولة فى طى الابهام . على انه يؤخذ على البكرى افراطه فى ذكر روايات ذات طابع اسطورى ، بالاضافة الى عدم دقة معلوماته الخاصة بتاريخ الرستميين .

ومن الاهمية بمكان ان نشير الى كتاب ابن عبد الحكم « فتوح مصر والمغرب والاندلس » . وعلى الرغم من انه مؤرخ مصرى الف اساسا فى المغازى ، فان كتابه حافل بفيض من المعلومات الخاصة بخوارج المغرب . وابن عبد الحكم المؤرخ فى غنى عن التعريف فهو من خيرة مؤرخى الاسلام دقة وموضوعية ، ومن انضجهم أسلوبا ومنهجيا . وتبدو اهميته بالنسبة لموضوع البحث كمعاصر للاحداث من ناحية ( توفى سنة 257 هـ ) ، وكموثق يهتم باسناد رواياته الى من سمع منهم او اخذ عنهم . ولا غرو فقد أتيح له الاتصال عن كثب بكثير من مشاهير المغاربة الذين كانوا يقدون الى مصر لدراسة مذهب مالك ، واستفاد من معلوماتهم فيما يتعلق بأخبار بلاد المغرب . وحسبنا ما أورده من معلومات — فريدة — حول ثورات الإباضية ، فضلا عن تقديمه صورة واضحة لاحوال بلاد المغرب قبيل ظهور دعوة الخوارج .

أما الجزء الثالث من كتاب أعمال الاعلام لابن الخطيب الذى حققه الدكتور أحمد مختار العبادى ونشره بعنوان « تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط » فيحوى معلومات عن ثورات الخوارج استمدها — فيما يرجح — من ابن عذارى ، كما أمدنا بمعلومات هامة — على ضآلتها — عن بنى مدرار . وحلى الرغم من أخطائه الكثيرة فى أسماء الاعلام والتواريخ ، وبرغم اسرانه فى ذكر روايات أسطورية ، فقد



زودنا بكثير من الاشارات عن بنى مدرار ، لا نجد لها نظيرا عند البكرى او من نقل عنه كابن خلدون والقلقشندي ، مما يرجح اعتماد ابن الخطيب في هذا الصدد على كتابات محمد بن يوسف الوراق مباشرة وعدم نقله عن البكرى كما فعل غيره من المؤرخين المتأخرين .

ويقدم ابن الاثير في تاريخه « الكامل » مادة طيبة مأخوذة عن الطبرى فيما يتعلق بخوارج المشرق . اما ما يخص منها خوارج المغرب فهو منقولة — في تحقيق وتمحيص وتنسيق — عن توالييف المغاربة كالرقيق والورق وغيرهما ، شأنه في ذلك شأن النويرى في الجزاين الثانى والعشرين والسادس والعشرين من موسوعته المعروفة بنهاية الارب .

ولا يفوتنا ان نعرض بايجاز لما ورد من اشارات الى خوارج المغرب عند البلاذرى والمؤرخ الاندلسى المجهول صاحب كتاب « أخبار مجموعة في فتح الاندلس » ، وكذلك عند ابن حيان وابن سعيد وابن بطوطة . فالبلاذرى في انساب الاشراف يفيض بمادة وفيرة ويقدم وجهة نظر مغايرة لرواية ابى مخنف المتحيزة ، التى نقل عنها الطبرى وغيره فيما يتعلق بالخوارج في المشرق . اما كتابه « فتوح البلدان » فلا يخلو من اشارات عابرة عن بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج ، فضلا عن ثورات الخوارج في بلاد المغرب .

اما صاحب الاخبار المجموعة ، فهو مشايخ لبنى امية متحامل على الخوارج ، لكنه اورد تفصيلات فريدة بخصوص ثورات الخوارج الصفرية في بلاد المغرب .

وفي النصوص التى وصلتنا عن ابن حيان — شيخ مؤرخى الاندلس — سواء تلك التى نشرها ملشور انطونيه او نشرها الحجى ببيروت سنة 1965 ، نجد اشارات عابرة لكنها مفيدة في توضيح علاقات بنى مدرار وبنى رستم باموى الاندلس . ونفس الشيء يقال عن كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد .

اما « رحلة » ابن بطوطة فتحتل بمعلومات وفيرة عن علاقات دول الخوارج ببلاد السودان .

## ثانيا : المصادر الشيعية :

كان ستوط دولتى الخوارج ببلاد المغرب مرتبطا بقيام الدولة

الفاطمية ، لذلك عرض مؤرخو الشيعة لأخبار الخوارج — بطريقة عارضة — في ثنايا تاريخهم للدولة الفاطمية في المغرب ومع قلة المعلومات الخاصة بالخوارج عند مؤرخي الشيعة ، وبرغم تحاملهم على الخوارج لما بينهم من عداة مذهبي ، فقد خلفوا معلومات طيبة عن علاقة الخوارج بالفاطميين .

ويعد أبو حنيفة النعمان المعروف بابن حيون المغربي ( ت 363 هـ ) من أهم من تناول هذا الموضوع ، فضلا عن معاصريه الاحداث ، كان على قرب منها أو معين لها في أغلب الاحيان لعمله كقاضى قضاة المعز الفاطمى . ولابن حيون مؤلفات كثيرة عن الفاطميين وعقائدهم وتواريخهم ، اطلعنا على ثلاثة منها هي : أساس التاويل الباطنى وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ولا يفيد كثيرا في دراسة الخوارج ، اما شرح الاخبار فهو مخطوط أيضا بدار الكتب المصرية نشر منه المستشرق الروسى ايفانوفنا مقتطفات جعلها ملاحق كتابه

Ismaili tradition concerning the rise of the Fatimids.

ويلقى من الاضواء عن حياة المهدي في سجلماسة حتى الغزو الشيعى ما يفيد في معرفة احوال دولة بنى مدرار في عهد اميرها اليسع بن مدرار ، فضلا عن اهميته في توضيح سقوط دولة بنى مدرار سنة 297 هـ على يد ابي عبد الله الشيعى .

وأهم ما خلفه ابن حيون كتابه المسمى بالمجلس والمسائرات ، وهو مخطوط من جزاين بمكتبة جامعة القاهرة ، عرض فيه ان حيون لاحاديث المعز في مجالسه مع معاصريه من الحكام وكبار الشخصيات . وقد أتى لابن حيون حضور هذه المجالس ، واستطاع تدوين وتسجيل ما كان يدور فيها . وبرغم تحيزه الظاهر للفاطميين ، ومع أن الكتاب لا يعد تاريخا بقدر ما هو مذكرات خاصة تقريبا ، فقيمه عظيمة فى التاريخ للمدراريين الاواخر وعلاقتهم بالفاطميين ، ونعتقد أنه أهم مصدر في هذا الصدد ، اذ يعرض ابن حيون لاعداد المعز حملته على المغرب الاقصى سنة 347 هـ التى كان من بين اهدافها تأديب الامير الدرارى الشاكر لله الثائر على الحكم الفاطمى ، كما يتناول تفاصيل وقائعها ونتائجها . ومن خلال عرضه لمجالس المعز مع الشاكر لله بعد اسره — تلك التى تصد المعز منها « معرفة أخبار سجلماسة واهلها وسيرته فيهم وما يقال عنه من ثبوله » — أمكن الوقوف على كثير من أخبار تلك

الدولة التي نفتقر الى معلومات عنها . وجدير بالتنويه ان احدا ممن درسوا تاريخ المغرب الاسلامى لم يقدر له من قبل الاستفادة من تلك المادة التاريخية فى التاريخ لدولة بنى مدرار .

وثمة مصدران شيعيان آخران عظيميا الفائدة فى تصوير مجتمع سجلماسة فى اواخر العصر المدرارى — من خلال تناول حياة المهدي فى سجلماسة — وهما : «كتاب استتار الامام» لابراهيم بن احمد النيسابورى ( ت اواخر القرن الرابع الهجرى ) ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية نشر ايفانوفيا اجزاء منه بمجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الاول ( مجلد 4 — ج 2) تحت عنوان مذكرات فى حركة المهدي الفاطمى . وكتاب « سيرة جعفر الحاجب » التى رواها محمد بن محمد اليامنى، وقد نشرها ايفانوفيا ايضا فى نفس العدد من مجلة كلية الآداب . وسيرة جعفر تعد من قبيل المذكرات الخاصة ، اذ كان صاحبها حاجبا للمهدي ومرافقا له فى رحلته الى المغرب ، وسجن معه فى سجلماسة ، ومن هنا تبدو اهمية سيرته كشاهد عيان للاحداث .

اما ابو عبد الله محمد بن على بن حماد ( ت 628 هـ ) ، فكتابه المعروف بأخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم غاية فى الاهمية بخصوص ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد برغم تحامله الشديد على الخوارج والتعصب للفاطميين ، ولا غرو فان حماد شيعى اسماعيلى ، اذ يذكر المهدي مسبوفا بعبارة « سيدنا الخليفة الاول امير المؤمنين » (16) . وقد ذكر فائدر هيدن الذى نشر الكتاب وتقدم له ان ابن حماد نقل مباشرة عن الرثيق نصه عن ثورة ابي يزيد . ومن هنا تبرز قيمة تلك المعلومات برغم نسبتها الى ابن حماد الذى عاش عصرا متأخرا عن الاحداث .

اما اليعقوبى المتوفى سنة 284 هـ فقد صنف فى التاريخ والجغرافيا ، وتاريخه حافل بدراسة الخوارج فى الشرق ، ويلقى بعض الضوء على دوافع نزوحهم الى المغرب . لكن جغرافيته المعروفة بكتاب البلدان اكثر اهمية من تاريخه ، اذ هى العمدة فى دراسة مشاكل الحدود بين دول الخوارج وجيرانهم فى بلاد المغرب ، ومعلوماته عن وضع تلمسان والنزاع عليها بين المدراريين والرستميين والادارسة جد قيمة فى دراسة العلاقات الخارجية لدول الخوارج ، وغير ذلك امدنا اليعقوبى بمعلومات

(16) انظر : اخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم ص 10 .

هامية عن دولتى الخوارج على الرغم من اقتضابها ، ووجه الاهمية أنه عاصر هاتين الدولتين وعان بعض وقائعها عن كذب ، وقدر له الاتصال ببعض افراد البيت الرستمي ، وفي هذا الصدد يقول « . . وحدثنى أبو معبد عبد الرحمن بن محمد بن ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم التاهرتى » (17) . كما عرف بالموضوعية وعدم الانحياز الى جانب الحرس فى التحقق من مصادره ، ولا مبالغة البتة فيما ذكره عن منهجه الذى حدده بقوله : « . . وقد اتصلت أسفارى ودام تغربى ، فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره وبلده وساكنيه ودياناتهم ومفالاتهم .. ثم أثبت كل ما يخبرنى به من أثق بصدقه ، وأستظهر بمسألة قوم بعد قوم حتى سألت خلقا كثيرا من الناس . . »

وفى كتاب المسالك والممالك للجغرافى المعروف ابن حوقل — وهو شيعى المذهب — نجد معلومات طيبة عن تاهرت وسجلهااسة عاصمتى دولتى الخوارج ، أغلب الظن أنه نقل كثيرا منها عن مصادر مغربية غير دقيقة اعتمد عليها أيضا أبو عبيد البكرى بدليل وقوعه فى نفس الأخطاء التى نجدها عند البكرى فيما بعد . ومع ذلك فما أورده ابن حوقل عن الخوارج ، وصلاتهم ببلاد السودان يعد عظيم الاهمية لمعاصرتة الأحداث اذ توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى .

وابن خلدون سواء فى مقدمته أو فى تاريخه يبدى تعاطفا واضحا مع الشيعة الزيدية (الادارسة) والاسماعيلية (الفاطميين) . وما كتبه عن المغرب الاسلامى لا غنى عنه لاي دارس لذلك التاريخ ، فضلا عن استفادة ابن خلدون من مؤرخى المغرب السابقين ، كان لاستغاله بالسياسة وتقلبه فى خدمة الدول المعاصرة له ما اتاح له القدرة على الكشف عن القوى المحركة للتاريخ والاسباب والعلل الكامنة وراء أحداثه . ولا غرو فقد تفرد عن جمهرة مؤرخى الاسلام بفلسفته للتاريخ ، وله نظرية اقرب ما تكون الى نظرية « البيولوجية التطورية » فى تفسير أحداثه وتعليل وقائعه . ولا حاجة بنا للخوض فى تقييم ابن خلدون المؤرخ ، ويعيننا ما أورده عن الخوارج فى المغرب . والذى لا شك فيه ان ابن خلدون أمدا بمعلومات فريدة عن القبائل وانسابها ومذاهبها ومفالاتها أفادت كثيرا فى دراسة انتشار مذهب الخوارج فى بلاد المغرب . وفى

(17) انظر : البلدان ص 358 .

تأريخه لثورات الخوارج ودولتهم وموقفهم من الفاطميين لا يختلف كثيرا عن غيره من المؤرخين الذين تناولوا تاريخ المغرب العام كابن عذارى وابن الاثير والنويرى . لكن ابن خلدون ، فضلا عن عدم دقة تواريخه ، كثيرا ما تختلط معلوماته ، مثل خلطه بين الاباضية والصفيرية في احيان كثيرة حتى ان مؤرخا ما سكرأى نبه الى ضرورة اتخاذ الحذر في تناول كتابات ابن خلدون في هذا الصدد . ويخيل اليانا ان اهتمامه بالتفسير والتحليل أوقعه في مزالق الخطأ ، اذ كثيرا ما نجد تناقضا واضحا حين يتناول موضوعا ما في تأريخه العام وبين ذات الموضوع حين يعرض له اثناء عرضه لتواريخ القبائل ، ومع ذلك فحسبه ان فضلا من فصول البحث لم يخل من كتاباته ، سواء في مقدمته أو تاريخه .

### ثالثا : مصادر الخوارج :

خلف الخوارج الكثير عن عقائدهم وسيرهم وتاريخهم وطبقاتهم ، لكن لم يصلنا منها سوى النذر اليسير ، وقد أورد البرادى في رسالته عن كتب الاباضية عديدا من هذه التصانيف للمشاركة والمغاربة على السواء ، كما أورد ابن النديم في « الفهرست » مزيدا منها ، وذكر انها « مستورة محفوظة » ، فلم نقف لها على أثر ، ومن هذه الكتب ما دونه اليمان بن الرباب ويحيى بن كامل والصيرفى وعبد الله بن زيد وابراهيم ابن اسحق الاباضى والهيثم بن الهيثم والربيع بن حبيب وغيرهم من المشاركة . كذلك نعلم من سير الشماخى أن مؤرخا اباضيا مغربيا شهيرا يدعى ابن سلام عاش حول منتصف القرن الثالث الهجرى وصنف كتابا في السير لم يصلنا بعد ، وقد اعتمد عليه الشماخى فيما يتعلق بثورات الاباضية وطبقات مشايخ المذهب حتى عصر ابن سلام .

ومن المغاربة الاباضية كذلك أبى الربيع سليمان بن يخلف الذى نقل عن أبى زكريا ومعبد بن أفلاح ممن نقل عنهم الوسيانى .

ومن المحقق ان كثيرا من هذه الكتب أبيدت أو أحرقت نظرا لما تعرض له الخوارج في الاشرق والغرب من اضطهاد ، فقد أخبرنا الدرجينى (18) ان مكتبة الائمة الرستميين المعروفة « بالمعصومة » أحرقتا أبو عبد الله الشيعى سنة 297 هـ ، ومن المحقق ان كتب الصفيرية

(18) طبقات الاباضية ج 2 ورثة 125 ظهر .

بسجلماسة لانتت نفس المصير .

وجدير بالذكر ان كافة كتب الصفرية لم نقف لها على اثر ، بينما وصلنا بعض كتب الاباضية ، وتفسير ذلك ان ابا عبد الله الشيعي الذي اقام بسجلماسة اربعين يوما ، اجهز على ما بها تواليف وتصانيف ، بينما لم تطل اقامته بتاهرت ، اذ غادرها على التو لتحرير المهدي من سجنه بسجلماسة ، فشربت بعض كتب الاباضية مع بعض افراد البيت الرستمي الذين هربوا الى وارجلان ، ومعروف انها استعصت على الغزو الشيعي . كذلك سلم جبل نفوسة من عبث الفاطميين بديوان الاباضية الحافل بتصانيف المذهب ، ويخبرنا البرادي (19) ان ديوان نفوسة كان مشتملا على اكداس هائلة من الكتب بلغ ما ورد منها من الشرق فقط نحو ثلاثمائة وثلاثين الف جزء .

وبعد ان فتح المرابطون وارجلان رحل اباضيتها بكتبهم واقاموا بوادي ميزاب - جنوبي الجزائر - حيث لا تزال محفوظة لدى مشايخ المذهب الى الآن ، وقد ذكر ماسكراي ان ثروة جبل نفوسة من كتب الاباضية اكثر وفرة منها في وادي الميزاب . وقد حاول ليف من المستشرقين المهتمين بتاريخ المغرب زيارة مشايخ الاباضية بوادي الميزاب وجبل نفوسة ، والاطلاع على خزائن الكتب هناك ، ومن هؤلاء ماسكراي وموتاييلنسكي ولويسكي وباسيه وغيرهم . ونجحوا بالفعل في الوقوف على قدر ضئيل من تراث الاباضية ، اذ ان مشايخ المذهب يرفضون اظهار ما لديهم من الكتب المتعلقة بأسرار المذهب ولا يتيحون سوى الاطلاع على الكتب المتواترة الخاصة بالعموميات ، كما ذكر برسي سميث (20) وماسكراي (21) .

ومع ذلك فقد حصلنا على بعض تلك التصانيف الخاصة بالعقائد والنوازل والفتاوى ، وكذلك بعض التواريخ والسير وكتب الطبقات .

ومن اهم مصادرها في كتب الفتيا رسالة في احكام الزكاة لابي عبدة مسلم بن ابي كريمة (ت اواخر القرن الثاني الهجري) ، وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية غاية في الاهمية لان صاحبها كان شيخا لاباضية

(19) رسالة في ذكر كتب الاباضية .

(20) The Ibadites. P. 267. The Moslem World. Vol 12, July ; 1922.

(21) انظر : Chronique d'abou Zakaria. P. VII.

البصرة ورئيسا لتنظيم المذهب السياسى بعد جابر بن زيد ، واليه يعزى الفضل فى بث دعاة المذهب الى اطراف الدولة الاسلامية ومن بينها بلاد المغرب . كما كان رؤساء المذهب فى المغرب يلتحقون بحضرته للتعرفه فى المذهب والاعداد لاتمامة الدولة الاباضية . وتكشف لنا الرسالة عن حقيقة تطور افكار الخوارج السياسية فى الشرق اواخر العصر الاموى ، ولجوءهم الى اساليب التنظيم والدعوة كبديل لاسلوب الثورات الهوجاء الذى اثبت فشلا ذريعا . وتمدنا بمعلومات هامة — على ضآلتها — عن صلة التنظيم الام فى البصرة بمشايع المذهب فى المغرب بعد قيام امامة ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح بطرابلس سنة 140 هـ .

ومن كتب العقائد والفقاه ، نشر المستشرق موتايلنسكى (22) نصا للشيخ الاباضى عمرو بن جميع بعنوان « متن عقيدة التوحيد » ، يلتقى بعض الضوء على الفكر السياسى عند الخوارج ، فضلا عن آراء الاباضية فى كثير من المسائل الفقهية . ونفس المعلومات نجدها فى « مقدمة اصول الفقه » للشماخى «ومدونة ابي غانم الصفرى» « وشرح السؤالات » للسوفى ، وهى جميعا مخطوطات بدار الكتب المصرية .

اما عن كتب التاريخ والسير ، فاهمها على الاطلاق « كتاب السيرة واخبار الائمة » لابي زكريا يحيى بن ابي بكر ( ت النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ) . ولا يزال الكتاب مخطوطا بدار الكتب المصرية ، وقد ترجمه ماسكراى الى الفرنسية وقدم له وعلق عليه ونشره تحت عنوان :  
Chronique d'Abou Zakaria

وابو زكريا من اهل وارجلان ، ولا نعلم شيئا عن نشأته ، بينما ندرك انه اعتمد فى تاريخه لثورات الاباضية والرسامين الاوائل على مؤرخ اباضى يدعى ابو الربيع سليمان بن يخلف ، ويبدو انه عاصر العهد الرستمي الاخير او استمد معلوماته عنه من الجيل السابق له ، بينما نقل عنه كل من لحقه من مؤرخى الاباضية ، وصدق فيه قول ابي الربيع (23) الوسيانى « ان ابا زكريا له الفضل فى السبق الى كتابة اخبار اهل الدعوة » . وقد أرخ ابو زكريا اساسا للدولة الرستمية ، لذلك

(22) انظر : Actes du 14 Congrès international des orientalistes. Algiers, 1905. Vol. 3, Part 2.

(23) سير ابي الربيع بن عبد السلام الوسيانى ورقة 1 وجه .

يسرف في تصوير فضل الفرس على الاسلام ، حتى انه انتحل كثيرا من الاحاديث والمأثورات عن الصحابة والتابعين تمجيدا لنسب أئمة بنى رستم . وفي تاريخه لهم اتباع منهجا طيبا ، فمع حرصه على التسلسل الزمني للأحداث خلال عهود الأئمة ، تصور خمسة مراحل للإمامة تعرضت الجماعة الإباضية في كل منها لانشقاق مذهبي . وبعد ذلك يعرض لأخبار الإباضية بعد سقوط دولة بنى رستم ، أي علاقتهم بالفاطميين الذين أطلق عليهم « المسودة » . ومن خلال كتابات أبى زكريا عن إباضية المغرب تقف على معلومات خاصة بالخوارج الصفرية كتلك التي تتعلق بانتشار مذهبهم ببلاد المغرب ، وعلاقة بنى رستم ببني مدرار . الخ وقد أمدنا بتاريخ شبه متكامل لدولة بنى رستم يعاب عليه فيه تعصبه التام للأئمة وتحامله على الحركات المناوئة لهم ، وأغفاله ذكر أحداث كثيرة لأن فيها ما يشين سياسة الأئمة وقد دفعه هذا التعصب أحيانا أخرى الى تزييف الوقائع والأخبار . كما يؤخذ على تاريخ أبى زكريا اسرافه في نيراد روايات خرافية وأسطورية ، وانماضته في نسبة أعمال خارقة ومعجزات الى من ترجم لهم من مشايخ المذهب . وفيما يختص بمعلوماته عن الخوارج والفاطميين ، ففضلا عن الشذرات المتفرقة التي تلقى ضوءا على ثورات الإباضية ، أمدنا بمادة طيبة تفيد في توضيح موقف الإباضية الوهبية من حركة أبى يزيد النكاري ، هذا بالإضافة الى معلومات عن سقوط دولة بنى مدرار الصفرية على الرغم مما تتسم به من طابع روائى .

وغير سيرة أبى زكريا ، وقفنا بدار الكتب المصرية على مخطوطة عن « سير أبى الربيع الوسياني » تلك التي اعتبرها لويسكى (24) في حكم المفقودة ، وعلق على النصوص التي أوردها الشماخى عن أبى الربيع بأنها « غاية في الأهمية » . ونعتقد أن أهمية سير أبى الربيع تكمن في كونه عاش قريبا من الأحداث إذ توفى سنة 418 هـ ، فضلا عن إقامته بوارجلان من أهم معقل الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية . كذلك أثبت أبو الربيع مصادره ، فسمع عن شيخه أبى محمد عبد الله بن محمد العاصمى ، كما أخذ أيضا عن المؤرخ الإباضى معبد بن أفلح وغيرهما ممن



لم نقف على كتبها الاصلية ، فحفظ لنا تبسبا مما دونوه . وجدير بالذكر أن سير أبي الربيع تلقى اضواء باهرة على اخبار الاباضية في العصر الفاطمي ، فضلا عما ورد بها من معلومات عارضة عن العصور السابقة ، بالاضافة الى مسائل واجوبتها في الفقه الاباضى جد مفيدة في معرفة فكر الاباضية وفلسفتهم في الحكم والادارة .

وثمة مؤرخ اباضى شهير هو ابو العباس أحمد بن سعيد الشماخى (ت 928 هـ) الذى ينتمى الى اسرة معروفة بجبل نفوسة اخرجت كثيرين من اعلام الاباضية . وله فضلا عن كتابه « شرح مقدمة اصول الفقه » — وهو مخطوط بدار الكتب المصرية — كتابه المعروف بالسير . وسير الشماخى تعد تاريخا شبه متكامل لاباضية المغرب ، فلكونه عاش في عصر متأخر ، قدر له الاطلاع على تواليف سابقيه كابن سلام وأبى زكريا والربيع بن حبيب والسوفى ومقرين بن محمد البغطورى الذى الف عن سير مشايخ نفوسة سنة 599 هـ . وامتازت سير الشماخى عن غيرها من سير الاباضية بأخذ مؤلفها عن مؤرخين من غير الاباضية كالرقيق وابن الصغير . كما يلحظ الدارس حرص الشماخى على مناقشة وتحليل الروايات المختلفة والمفاضلة بينها واثبات ما يراه صحيحا ومقتنعا . ولا غرو فكثيرا ما خالف سابقيه من مؤرخى الاباضية ، ورجع روايات السنة الامر الذى يجعله اكثر مؤرخى الاباضية حيادا وموضوعية في نظرنا .

أما كتب الطبقات ، فقد وقفنا على اثنين منها ، اولهما لأبى العباس أحمد الدرجينى (ت حوالى منتصف القرن السابع الهجرى) ويسمى « طبقات الاباضية » ، وهو مخطوط في ثلاثة اجزاء بدار الكتب المصرية ، يعرض فيه الدرجينى تراجم لمشايخ المذهب الاباضى جيلا بعد جيل في المشرق والمغرب على السواء . وفيما يتعلق بالمشاركة اعتمد الدرجينى على كتاب الكامل لأبى العباس المبرد ، بينما نقل كثيرا عن أبى زكريا في اخبار المغاربة . ومن ثم فما تضمنه كتابه من معلومات في هذا الصدد مكررة ولا تقدم جديدا . اكثر من ذلك فان الدرجينى ورث نفس مطالب سابقيه ولم يبذل ثمة محاولة لتحقيق معلوماته ، وان كان من الانصاف أن نثبت له امانته في اسناد هذه المعلومات الى من نقلها عنهم . كما وقع في كثير من الاخطاء ، وأغفل كثيرا من مشايخ المذهب ولم يترجم لهم وهذا هو ما حدا بابى القاسم البرادى الى تدارك ذلك الاغفال وتصحيح تلك

## الاطعاء التي فانت على الدرڠيني .

فأبو القاسم البرادى ( ت 697 هـ ) سهى طبقاته لذلك « الجواهر المنتقاء فى اتهام ما أخل به كتاب الطبقات لأبى العباس الدرڠيني » . وهذا الكتاب مخطوط بدار الكتب عالڠ فيه صاحبه كثيرا من الموضوعات وعرض لعدد من عيون المذهب وأعلامه ممن أهملهم الدرڠيني ، كما حلل وناقش كثيرا من روايات سابقه بطريقه نقدية من مؤرخى الإباضية وغير الإباضية على السواء . ومن الملاحظ أن نغل كثيرا عن ابن الصغبر فيما يتعلق بالمعهد الرستمي الأخير . ومع ذلك فكتب الطبقات تزخر بمعلومات هامة عن أثر الخوارڠ فى المجتمع المڠربى . وعلى تلك المصادر الإباضية الأصلية اعتمد جبهة المحدثين من مؤرخى الإباضية فيما كتبوه عن تواريخ الإباضية فى المڠرب . ومن هؤلاء البارونى والورڠلانى وأطفيش والجربى والطاهر الزاوى . على أن كتاباتهم جميعا تنسب إلى جانب التعصب للمذهب الإباضى بطابع الاسفاف والسطحية .

والى جانب تلك المصادر لم ندخر وسعا فى البحث عن المادة التاريخية التى تخدم موضوع الدراسة والتى تمسه من قريب أو بعيد فى المراجع التاريخية وكتب الجغرافيا والرحلات ، وكتب الطبقات والتراجم والتصانيف الأدبية ، وكتب الفرق المختلفة . كما استفدنا بكتب السكة فى تحقيق كثير من الألقاب وتحديد عديد من التواريخ التى كان يشوبها الخلط ويكتنفها الإبهام .

كذلك لم نغلل دراسات المحدثين من العرب والمستشرقين فيما ألفوه من مراجع أو نشره بالموسوعات والدوريات العلمية ، فأطلعنا على كتابات الدكتور حسن محمود وحسين مؤنس ومحمود مكى ، وأحمد مختار العبادى وسعد زغلول عبد الحميد وغيرهم من المتخصصين فى تاريخ المڠرب والاندلس . كما استفدنا كثيرا من دراسات جوتيه وبل وبروفنسال ودوزى وبرنشويج ولويسكى ومارسيه وباسيه وسهيك وغيرهم سواء ما تضمنته كتبهم أو ما نشره بالدوريات والموسوعات

مثل : Actes du congres internationale des orientalistes,

Andalus, Islamic review, Moslem World, Journal

Asiatique, Revue des etudes Islamiques, Studia Islamica.

وغيرها .

وبفضل تلك المادة التاريخية التي توأمت للبحث أمكن دراسة  
الموضوع ولم شتاته في أبواب خمسة وخاتمة .

تناول الباب الاول دعوة الخوارج في بلاد المغرب . وتضمن ظروف  
الخوارج في الشرق الاسلامى التى دفعت بهم الى الهجرة والانتشار في  
بلاد المغرب . وعرض لاحوال بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج وملاعتها  
لدعوتهم . ثم عالجت كيفية انتشار مبادئ الخوارج الصفرية والاباضية  
في بلاد المغرب واقبال البربر على اعتناق هذه المبادئ .

وخصص الباب الثانى لثورات الخوارج في بلاد المغرب ، حيث  
تضمن دراسة لاسباب ثورات الخوارج - صفرية واباضية - ووقائع  
تلك الثورات وتبيان نتائجها وآثارها .

اما الباب الثالث فقد تضمن تاريخا لدول الخوارج في بلاد المغرب ،  
تناولت فيه دولتى بنى مدرار الصفرية وبنى رستم الاباضية من حيث  
ظروف قيامهما وعرض سياستهما الداخلية ، وتحديد علائقهما الخارجية .

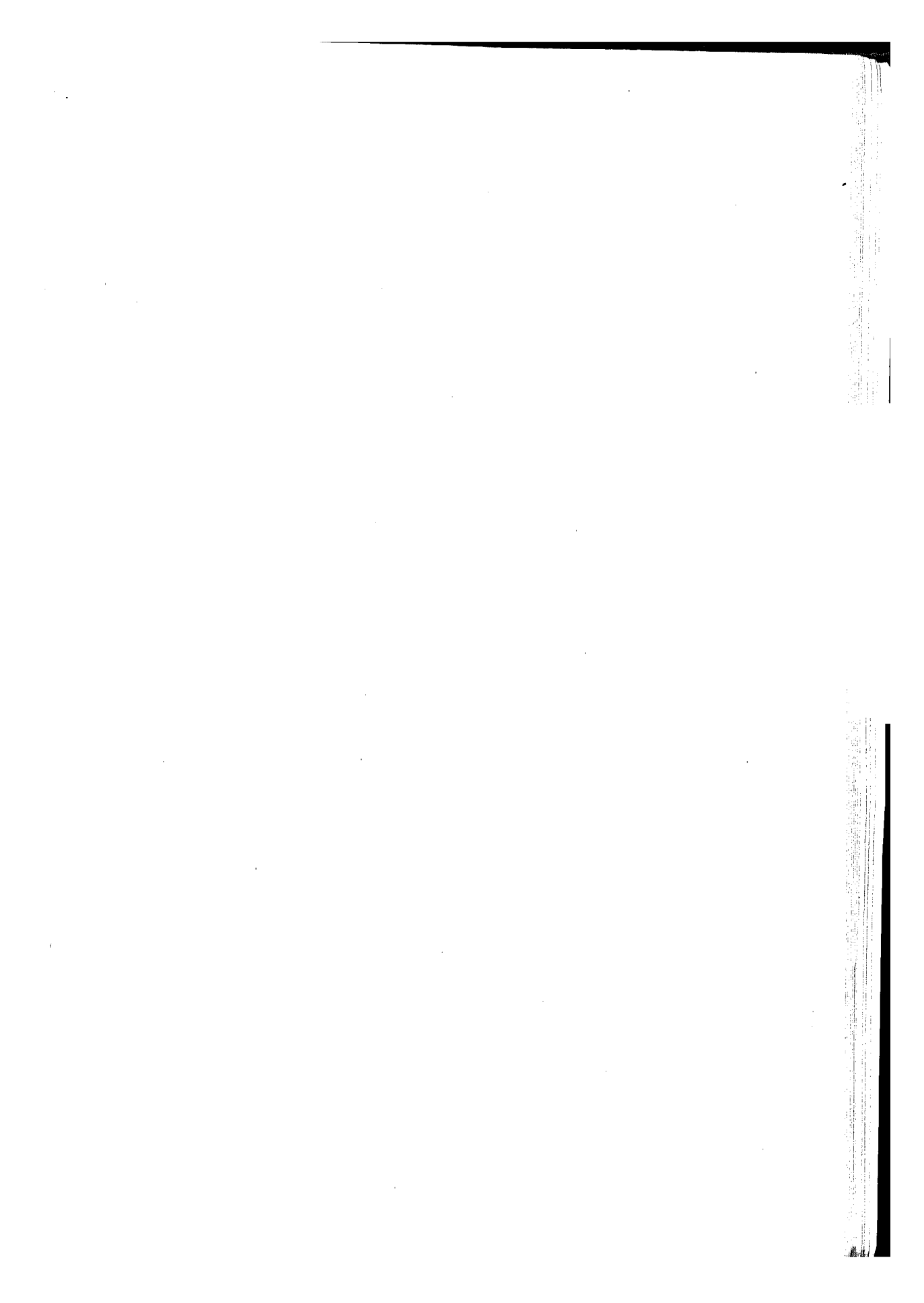
وامرد الباب الرابع لدراسة الخوارج والفاطميين ، حيث عرضت  
فيه لدور الفاطميين في اسقاط دولتى بنى مدرار وبنى رستم ، ثم  
ثورات الصفرية والاباضية على الحكم الفاطمى .

ونظرا لما احدثه الخوارج من آثار اقتصادية واجتماعية وثقافية  
فضلا عن آثارهم السياسية في بلاد المغرب ، ولما كانت تلك الجوانب  
تحتاج لدراسة مستفيضة متعمقة ، فقد اشرنا أن نفرد لها الباب الخامس  
من البحث .

وفي الخاتمة أوجزنا ما انتهينا اليه من نتائج تمخضت عنها هذه  
الدراسة .

ولا يسعنى في هذا المقام الا أن اتقدم بخالص شكرى وعظيم  
الامتنان لاساتذى الدكتور حسن احمد محمود الذى تولى الاشراف على  
هذا البحث وتعهده برعايته وتوجيهه مذ كان فكرة حتى صار حقيقة .  
ويعلم الله - كم تكبدت من عناء ، وكم من جهد بذلت . . واسأله  
التوفيق .

فاس في اغسطس 1976



## الباب الاول

دعوة الخوارج في بلاد المغرب

أولاً :

## أحوال الخوارج في المشرق الإسلامي حتى أوائل القرن الثاني الهجري

ارتبط ظهور مذهب الخوارج وانتشاره في بلاد المغرب بعاملين أساسيين :

**أولهما :** التطور السياسي الذي حدث للخوارج في المشرق الإسلامي في أواخر القرن الأول الهجري بعد فشل ثوراتهم واضطرارهم إلى اتباع أسلوب الدعوة والتنظيم السياسي ، واختيار أطراف العالم الإسلامي ميداناً لنشاطهم بعد أن تعرضوا للمطاردة والاضطهاد .

**وثانيهما :** ملائمة الأحوال السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني لتقبل هذا المذهب وانتشاره .

وليس من شك في أن ما لحق بالخوارج من فشل في المشرق يعزى إلى أسباب عدة ، منها تطرف عقائدهم وتصور فكرهم السياسي الظاهر من الثورات التي قاموا بها طوال العصر الأموي ، ثم يقظة الخلافة ورجالها في مناهضة هذه الثورات ومواجهتها في سرعة وحزم .

فعلى الرغم من كثرة الثورات التي قام بها الخوارج في المشرق

الاسلامى ، وما أبدوه فيها من ضروب الشجاعة (1) ، وبرغم ما أنطوت عليه مبادئهم من دعوة الى العدل والحرية (2) ، فقد عجزوا عن تحقيق اهدافهم ، وأصبحوا هدفا للبطش والاضطهاد . ومن أمثلة تطرفهم ، اجماع كافة فرقتهم على تكفير على وعثمان واصحاب الجمل والحكميين وكل من رضى بالتحكيم (3) ، وانفاتها في الخروج على الامام الجائر وتكفير مرتكبي الكبائر باستثناء النجدات (4) ، وكذلك الاجماع على جواز الامامة لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة (5) .

فانفاتهم على تكفير على وعثمان واصحاب الجمل وضعهم في موقف العداء للجماعة الاسلامية برمتها (6) ، فتعرضوا لسخط كافة الحكومات الاسلامية ، اذ حاربهم على بن ابي طالب وغل شوكتهم في موقعتهى النهروان والنخيلة (7) ، ولم يستمر تحالفهم مع الزبيريين ضد الأمويين طويلا ، فقد انقلب ابن الزبير عليهم حين آانس من نفسه القوة على مواجهة بنى أمية (8) . ولم يتوان الأمويون في تعقب حركاتهم وقمعها بعد حروب طويلة وقف الشيعة في معظمها الى جانب بنى أمية على ما بينهما من عداء متأصل (9) .

وبسبب تكفيرهم مرتكبي الكبائر ، انقسموا على أنفسهم اشد الانقسام في كثير من المسائل الفقهية ، واعتبرت كل فرقة ما عداها مارقة ، وعاملت انصارها معاملة الكفار فى استباحة الدماء واستحلال الاموال والذرائى (10) .

- (1) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج 6 ص 172 ، المبرد : الكامل ج 1 ص 546 ، ج 3 ص 954 ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج 1 ص 256 .
- (2) الرازى : اعتقادات فرق المسلمين ص 42 ، Dozy. Spanish Islam. P. 86.
- (3) الاسفرائينى : التبصير فى الدين ص 146 ، البغدادى : الفرق بين الفرق ص 273 .
- (4) البغدادى : نفس المصدر والصحيفة ، المسمودى : مروج الذهب ج 3 ص 145 ، جعفر بن عبد السلام : ابانة المناهج ورقة 154 مخطوط .
- (5) النوبختى : ترقى الشيعة ص 31 ، الاسفرائينى : المرجع السابق ص 46 ، جعفر ابن عبد السلام : المرجع السابق ورقة 166 .
- (6) الاسفرائينى : نفس المصدر والصحيفة ، Gibb : Mohammed anism. P. 170.
- (7) من على والخوارج انظر : الطبرى ج 5 ص 76 وما بعدها ، الدينورى : الاخبار الطوال ص 210 وما بعدها .
- (8) الطبرى : نفس المصدر ص 563 ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ص 69 .
- (9) ابن خلدون : العبر ج 3 ص 142 .
- (10) الرازى : اعتقادات فرق المسلمين ص 46 .

وكان من المتوقع أن يقبل الموالي على مذهب الخوارج لسماحة رأيهم في الإمامة ، فقد اعتبرت حقا متاحا لكل مسلم بغض النظر عن أصله وجنسه — وهو مبدأ تفرد به الخوارج دون سائر الفرق الإسلامية الأخرى — لكن أعداد الموالي في صفوف الخوارج كانت قليلة ، ولم يقبل بعضهم على مذهبهم إلا في أواخر العصر الأموي (11) . حين أسرف بنو أمية في اضطهاد الموالي واذلالهم . ويعزى هذا الاعراض عن مذهب الخوارج الى افراطه في التطرف (12) وأسراف انصاره في استخدام العنف ، وتشدد زعمائهم في قبول المهاجرة — وهم الأتباع الجدد — وذلك باجراء اختبارات قاسية للتأكد من صدقهم وحسن نواياهم . كما رفض الخوارج مبدأ التقية — باستثناء الصفرية (13) — ولم يعمدوا الى التنظيم والدعوة وما يرتبط بها من وسائل الترغيب وكسب الأنصار ، ولم يفتنوا الى ذلك الا في وقت متأخر .

ولعل افتقار المذهب الى زعامة قريشية أو شخصية مرموقة يلتف حولها الأنصار ويدعون لها دعوة منظمة كان سببا في تفرق كلمتهم وانقسامهم الى طوائف تلتفت حول قيادات محلية أو قبلية لا يجمعها رابط في العمل أو تشملها وحدة في الخطط والأهداف ، فما أن تجتمع جماعة منهم حتى يتواعدوا على اللقاء ، فاذا التفوا اظهروا العصيان (14) . الأمر الذي سهل على الحكام ملاحظتهم واستئصال شأفتهم جماعة في اثر أخرى . ولعل هذا هو ما يعنيه فلهوزن بقوله (15) « أن سياسة الخوارج كانت غير سياسية » .

على أن من أهم أسباب اخفاق حركات الخوارج وفشل ثوراتهم ، تنفى الخلافات داخل جماعتهم وهي خلافات كان الباعث عليها في الغالب

(11) المبرد : الكامل ج 3 ص 1151 ، سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ص 126 . وقد أسرف بعض الدارسين في تقدير الآثار الناجمة عن اعتناق الموالي مذهب الخوارج حتى ذهبوا الى أن عقائد الخوارج تنتمي الى أصول مسيحية ومجوسية . انظر : عمر أبو النصر : الخوارج في الإسلام ص 245 . فالواقع أن عقائد الخوارج تنردت بطابعها العربي الإسلامي الخالص وخلوها من أي اثر لفلسفة اليونان أو الفرس . انظر : أحمد أمين : فضى الإسلام ج 3 صفحة 335 ، 344 .

(12) المبرد : الكامل ج 3 ص 967 .

(13) الرازي : امتدادات فرق المسلمين والمشرئين ص 51 .

(14) الطبري : ج 5 ص 211 ، طه حسين : الفتنة الكبرى ج 2 ص 113 .

(15) تاريخ الدولة العربية ص 372 .



الاختلاف في المبدأ والرأى (16) . فقد تباينت آراؤهم في مسائل جوهرية كمسألة التعدة والاستعراض (17) . وأدى ذلك الى انقسامهم الى فرق الأزارقة والاباضية والصفرية والنجديات وتشعبت هذه الخلافات لتشتت شمل المذهب في أكثر من عشرين فرقة (18) .

ومما زاد من خطورة هذا الانقسام أنه كان يحدث في الأوقات العصيبة ابان حروبهم فكان يحرمهم من جنى ثمار النصر ويؤدى بهم الى الهزائم . ومن أمثلة ذلك خروج عبد ربه الكبير على قطرى بن الفجاءة وهو يقاتل المهلب بن أبى صفرة سنة 77 هـ ( 696 م ) لأن قطرى « تأول فأخطأ » (19) ، فانفصل عنه عبد ربه بمعظم الجيش بعد أن كان النصر وشيكا ، واتيح للمهلب سحقها واحدا بعد الآخر (20) .

وقد انقسم النجدات على انفسهم كما انقسم الأزارقة ، فخالف عطية بن الاسود نجدة بن عامر الحنفى (21) وانفصل عنه وغادر البحرين الى المشرق وازداد الامر سؤا بخروج أبى فديك عبد الله بن ثور على نجدة وقتله ، وتفرق النجدات لذلك الى ثلاث شيع متناحرة ، مما أدى في النهاية الى اضحلالهم وزوال دولتهم في البحرين وحضر موت والطائف واليمن سنة 72 هـ ( 691 م ) .

ولم يسلم الصفرية كذلك من آفة الانقسام ، فقد خالف مصقلة بن مهلهل الضبى شبيب بن يزيد الشيبانى سنة 77 هـ ( 696 م ) وفوت عليه انتصاراته الحافلة على جيوش الحجاج الثقفى لانسحابه بمعظم الجيش احتجاجا على ما أعلنه شبيب من البراءة من سلفه صلاح بن مسرح (23) . وقد استغل خصومهم هذا الانقسام في ملاحقتهم والقضاء عليهم ، فلم

---

(16) نفس المصدر ص 61 ، لبنى ديلايدا : مادة الصفرية — دائرة المعارف الاسلامية ص 229 .

(17) الورجلانى : الدليل لاهل العقول ج 1 ص 15 ، مجهول : قطعة من كتاب فى الادبان والفرق ورقة 97 — مخطوط .

(18) عن هذه الفرق ومعتقداتها انظر : الرازى : اعتقادات فرق المسلمين ص 46 — 51 .

(19) ابن خلدون : العبر ج 3 ص 161 .  
عن تفصيلات أسباب خروج عبد ربه الكبير على قطرى راجع : الطبرى : ج 6 ص 300 — 301 .

(20) الطبرى : ج 6 ص 300 ، ابن قتيبة : المعارف ص 411 ، ابن كثير : البداية والنهاية ج 9 ص 30 .

(21) عن أسباب هذا الخلاف انظر : البلاذرى : انساب الاشراف ج 11 ص 144 .

(22) الطبرى : ج 6 ص 174 ، اليمتوبى : تاريخه ج 3 ص 18 .

(23) الطبرى : نفس المصدر ص 275 .

يدخر الخلفاء والولاة وسعا في مناهضتهم ، واتبعوا في ذلك شتى الوسائل من عنف وخداع واستنفار للجماعة الاسلامية لمواجهة ثوراتهم والترصص باية حركة أو نشاط لهم . كما استخدموا أسلوب اللين والافتناع والمحاجاة ، واتبعوا سياسة الترغيب ، واغراء زعمائهم بالمراكز المرموقة والمناصب الرسمية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . فمعاوية بن أبى سفيان كثيرا ما استنفر أهل الكوفة للمشاركة في قتال الأزارقة (24) كما أن عامليه على الكوفة والبصرة — المغيرة بن شعبة وابن عامر — جندا كتائب من الشيعة من أهل المصريين لقتالهم (25) . وكان هذا العمل من البراعة بمكان ، اذ كفل ضرب الشيعة بالخوارج — وكلاهما عدو لبنى أمية — ليضعف بعضهما بعضا فيسهل بعد ذلك استئصال شأفتها كل على حدة . والى المغيرة بن شعبة خاصة يعزى الفضل في تطبيق تلك السياسة بنجاح فكان يستخدم أسلوب التهديد والترغيب ويلزم القبائل نفسها بالقضاء على أى نشاط للخوارج داخلها (26) ليكنى نفسه مؤنة قتالهم .

واثمرت تلك السياسة في عهد زياد بن أبيه « فكانت القبائل اذا أحست بخارجي فيهم أو ثقوه وأتوا به زيادا ، فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله » (27) كما أمحلت سياسته في الترغيب والترضية ، فكان يستميل من يقبل عليه من زعماء الخوارج ويتخذهم صنائع وعمالا ، ويفدق عليهم الهبات والعطايا (28) . لكنه لم يتورع عن البطش والتكيل بمن يعرض عنه ويتأوىء حكه ، حتى النساء لم يسلمن من أذاه فكان يقتلهن ويمثل بهن (29) .

وقد أسرف ابنه عبيد الله في سياسة العنف هذه وبالغ فيها (30) ، فكان القتل جزاء من يشتهه في ميله لمذهب الخوارج . ويذكر الدينورى (31)

(24) ابن خلدون : ج 3 ص 142 .

(25) ابن الاثير : الكامل ج 3 ص 171 .

(26) ورد في خطاب له في هذا الصدد قوله « . . ايها الناس ، انى لم ازل احب لجماعتكم المعايبة واكف منكم الاذى . وانى والله لقد خشيت ان يكون ذلك أدب سوء لسفهاكم ، وأما العلماء الانتقاء فلا . وأيم الله . لقد خشيت ألا اجد بدا من أن يعصب الحليم التقى بذنب السفيه » الجاهل « فكنا ايها الناس سفهاكم قبل أن يشعل البلاء عوايكم . وقد ذكر لى أن رجلا منكم يريدون أن يظهرأ في المصر بالشتاق والخلاف ، وأيم الله — لا يخرجون في حى بين أحياء العرب في هذا المصر إلا أبتهم ، وجعلتهم نكالا لمن بعدهم . . » راجع الطبرى : ج 5 ص 184 .

(27) المبرد : الكامل ج 3 ص 985 ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج 1 ص 259 .

(28) المبرد : نفس المصدر ص 1006 .

(29) ابن عبد ربه : المرجع السابق ص 259 .

(30) الطبرى : ج 5 صفحة 312 .

(31) الاخبار الطوال صفحة 270 .

انه قتل تسعمائة رجل « بالتهمة والظنة » ، عدا ما لاقاه الآلاف في السجون من صنوف الارهاب والتعذيب (32) واستمرأ عبيد الله هذه السياسة وتفنن فيها ، حتى أنه كان يرغم المسجونين من الخوارج على قتل بعضهم بعضا امعانا في التنكيل والتشفي (33) .

ولما آل الأمر لعبد الله بن الزبير في العراق عول على القضاء على الخوارج واستئصال شأفتهم ، فرماهم بالمهلب بن أبى صفرة الذى كان « يسير في طلبهم من بلد الى بلد ويواقعهم وقعة بوقعة » (34) .

على ان محنة الخوارج الشديدة كانت في عهد عبد الملك بن مروان ، فقد رماهم بالحجاج والمهلب في آن واحد . وتفيض المصادر بأمثلة عن قسوة الحجاج وعسفه ، فكان يأمر بقتلهم جماعات « بالتهمة لا بالخطيئة » (35) .

وكان سيافه يضرب اعناقهم في حضرته وبين يديه (36) ، ثم تصلب أجسادهم بعد التمثيل بها (37) . أما المهلب فقد اعتمد في حروبه مع الخوارج على الخداع والدهاء أكثر من اعتماده على السيف ، وحقق بذلك انتصارات لم يستطع احرازها في ميادين القتال ، فاستطاع أن يحدث تصدعا في جيوشهم عن طريق بث الخلاف والشقاق بين زعمائهم بما كان يثيره من مسائل فقهية يشغل بها الخوارج عن قتاله بقتال بعضهم البعض ، فاذا ما وهنت شوكتهم تمكن من هزيمتهم طائفة في اثر أخرى . وحسبه أنه استطاع بذلك أن يضع حدا لحركات الأزارقة في المشرق الاسلامى (38) .

(32) المبرد : الكامل ج 3 ص 1004 ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ص 63 .

(33) ابن الاثير : الكامل ج 3 ص 203 ، ابن خلدون : المبرج ج 3 ص 144 .

(34) الدينورى : الاخبار الطوال ص 275 وفي هذا الصدد ارتجز أحد الخوارج هذا القول : حتى يتبعنا المهلب ، ليس لنا في الارض منه مهرب ، ولا السبا ابن المذهب ؟ الدينورى : نفس المصدر ص 276 .

(35) ابن العربى : القواصم والمعاصم ورقة 107 مخطوط .

(36) مجهول : الميرون والحدائق في اخبار الحقائق ص 22 .

(37) البلاذرى : انساب الاشراف ج 11 ص 63 .

(38) المبرد : الكامل ج 3 ص 1064 ، سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية ص 121 - 123 . قال قطرى بن الفجاءة في هذا الصدد : « .. أما المهلب فهو من عرفتيه ، ان اخذتم بطرف ثوب ، اخذ بطرفه الاخر ، يده اذا ارسلتوه ، ويرسله اذا امددتوه ، لا يبدؤكم الا أن تبدؤه ، الا ان يرى فرصة ينتهزها ، فهو اللبث المبرز ، والتعلب المراوغ ، والبلاء المقيم » . انظر : المبرد : الكامل ج 3 صفحة 1086 .

وانحسرت موجة العنف ابان خلافة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، فقد نجح عمر بن عبد العزيز في تجميد نشاط الخوارج في عصره بسياسة المجاجاة والحسنى والاقناع (39) . بينما عمد هشام الى أسلوب الاغراء بالاموال والمناصب ، وشراء زعمائهم بالمال ايثارا للعافية (40) . وذلك كان دليلا على فتور همة الخوارج واضمحلال شأنهم حتى أن مروان بن محمد لم يجد صعوبة في القضاء على حركاتهم في بلاد العراق والجزيرة ثم في مدن الحجاز واليمن « فركدت ريح الخوارج من يومئذ الى أن ظهرت الدولة العباسية » (41) .

هكذا وصلت أحوال الخوارج في المشرق الاسلامى في أواخر القرن الاول الهجرى وأوائل القرن الثانى الى مثل هذا الضعف والانحلال ، بحيث لم يعد في وسعهم مواصلة نشاطهم في قلب العالم الاسلامى وكان عليهم أن يغيروا في أسلوبهم بنبذ طريق الثورات السافرة واتباع أسلوب الدعوة والتنظيم السياسى ، والانتقال الى أطراف العالم الاسلامى بعيدا عن حاضرة الخلافة فاتجهوا الى بلاد المغرب .

---

(39) الطبرى : ج 5 ص 409 ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ج 2 ص 260 .  
(40) ابن تخرى بردى : النجوم الزاهرة ج 1 ص 251 .  
(41) ابن خلدون : المعبر ج 3 ص 167 .

## ثانياً :

### بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج

نجم عن سياسة الامويين الاواخر موجة من السخط عمّت كافة الولايات الاسلامية ، وقد استغل الهاشميون والخوارج حالة السخط هذه في تأليب الجماعة الاسلامية ضد الحكم الاموى ، فبينما اتجه الهاشميون بدعوتهم نحو المشرق في فارس وخراسان عمد الخوارج الى بث دعواتهم في بلاد المغرب التي كانت اذ ذاك ميدانا خصبا لتقبل مبادئهم .

فقد عانت بلاد المغرب كغيرها من الولايات الاسلامية من الفتن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمينية حتى ليذهب بعض الدارسين (42) الى اعتبارها دافعا اساسيا لثورات البربر على الحكم الاموى . فالثابت ان غالبية عرب الفتح الذين استقروا بالمغرب كانوا من اليمينية (43) ، وهم الذين آزروا موسى بن نصير خلال ولايته استمرت حتى عام 96 هـ . ولما عزل موسى واستبدله الخليفة سليمان بن عبد الملك بمحمد بن يزيد - وكان قيسيا (44) - كان هم الوالى الجديد وشغله الشاغل تصفية نفوذ آل موسى ، فأخذ يتبعهم ويبطش بهم ويستولى

(42) انظر حسين مؤنس : فجر الاندلس من 144 ،  
Marçais, G : La Berberie Musulmane. P. 141.

(43) ابن عذارى : ج 1 من 39 ، البوعياشى : الريف بعد الفتح الاسلامى من 15 .

(44) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس من 38 .

على أموالهم بتحريض من الخليفة لنتمته على موسى بن نصير (45) . فاودع محمد بن يزيد عبد الله بن موسى السجن وفرض عليه من المغارم ما هو فوق طاقته (46) ، وما فتىء يعذبه حتى مات (47) .

وفي ولاية يزيد بن أبى مسلم ( 101 — 103 هـ ) ( 720 — 723 م ) عاد نفوذ اليمينية من جديد (48) ، وانتقم يزيد بن أبى مسلم من سلفه محمد بن يزيد ، فرمى به فى السجن واشبعه جلدا وتعذيبا انتقاما لما حل باليمينية على يديه من عسف واضطهاد .

وآلت ولاية المغرب الى بشر بن صفوان بعد مقتل يزيد بن أبى مسلم ، وكان بشر من غلاة اليمينية (49) فأمن فى اضطهاد القيسية ، وبلغ به التعصب لعشيرته أنه استخلف على البلاد قبل موته نغاش بن قسروط الكلبى (50) ، فعاث فيها (51) وأسرف فى اذلال القيسية .

وعاودت القيسية الظهور حين ولى هشام بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن القيسى ، فبیت النية على البلطش بعمال بشر بن صفوان (52) ،

(45) نغم الخليفة على موسى لعدم استجابته لطلبه قبل توليه الخلافة بأن ينتظر بها معه من هدايا المغرب حتى يموت الخليفة الوليد بن عبد الملك — الذى كان يلفظ أنفاسه الأخيرة — فقد سلم موسى الهدايا للوليد الذى فارق الحياة بعد ثلاثة أيام . فلما آلت الخلافة الى سليمان ، نكب موسى وأودعه السجن وبعث فى قتل ابنه عبد العزيز بالاندلس وعهد الله بالمغرب .  
راجع : ابن القوطية : المرجع السابق ص 36 ، الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص 294 .

(46) اليمتوبى : تاريخه ج 3 ص 255 .  
(47) ابن عذارى : ج 2 ص 47 ، النويرى : نهاية الارب ج 22 ورقة 13 — مخطوط .  
(48) وثبة رواية للبلادرى وابن عبد الحكم تذهب الى أن عبد الله بن موسى قتل سنة 102 هـ فى ولاية بشر بن صفوان . راجع : فتوح البلدان ص 273 ، فتوح مصر والمغرب ص 290 . وعن مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير انظر : ابن القوطية : ص 37 ، الرقيق : ص 295 .

(48) ابن الأبار : الحلة السراء ص 336 .  
(49) اليمتوبى : ج 3 ص 59 .  
(50) ابن عبد الحكم : ص 216 . وأورد الرقيق بدلا منه العباس بن ناصعة الكلبى . راجع : تاريخ افريقية والمغرب ص 105 .

(51) ابن أبى دينار : المونس صفحة 34 .  
(52) وقد استصرخ أحد زعماء اليمينية هشام بن عبد الملك لانتقامهم من بطش عبيدة بن عبد الرحمن بهذه الابيات :

انساءت بنو مروان نينا وما لنا  
كانهم لم يشهدوا لى وثقة  
وتيناكم حر الثنا بسيوننا  
لمبا تينتم نيل ما قد اردتموا  
تغالبتم منا كان لم يكن لكم  
انظر : الرقيق : ص 105 — 106 .

وأمعن في اقتناء أثر آل موسى بن نصير حتى استأصل شأفتهم (54) . واستمرت محنة اليمينية في المغرب في عهد عبيد الله بن الحبحاب الذي تقلد الولاية سنة 116 هـ ( 735 م ) ، ولاتى أشياعهم على يديه عننا شديدا (55) .

والى جانب انشغال الولاة بالخصومات القبلية ، كانوا يتنافسون في جمع الاموال ارضاء للخلافة من ناحية ، وكسبا للانصار واشباعا لنهمهم من ناحية اخرى . فمكنوا على ارسال الحملات والجيوش تضرب في اطراف المغرب أو تهاجم الجزر البحرية في البحر المتوسط بغية السلب والنهب . فيزيد ابن ابي مسلم غزا صقلية سنة 101 هـ (56) ( 719 م ) في وقت كان الموقت بالمغرب عصيبا . وفي سنة 109 هـ ( 727 م ) غزا بشر ابن صفوان نفس الجزيرة « وأصاب منها سبيا كثيرا » (57) بعد أن « هلك من جيشه خلق كثير » (58) . وغرق الاسطول الذى بعثه عبيدة ابن عبد الرحمن الى صقلية في العام التالى بقيادة المستنير بن الحبحاب (59) . وغزا عبيد الله بن الحبحاب في بلاد السوس وأرض السودان ، لكنه لم يجن من وراء غزواته سوى مغنم الذهب والفضة وسبايا البربر (60) . كما بعث بجنده الى جزيرة سردينية سنة 117 هـ ( 736 م ) « فنهبوا وغنموا وعادوا » (61) ، ثم غزا صقلية وعادت حملته بالاموال والسبايا (62) . و في كل تلك الجيوش كان البربر يشكلون غالبية رجالها ، فكانوا اداة لخدمة اطماع الولاة .

ويجمع كثيرون من المؤرخين (63) على سوء معاملة عمال العصر

- 
- (54) ابن ابرار : صفحة 48 .  
(55) ابن عبد الحكم : ص 293 ، مؤنس : ثورات البربر في المريقية والاندلس ص 165 .  
(56) ابن عبد الحكم : ص 289 ، ابن عذارى : ج 1 ص 49 .  
(57) الرقيق : ص 102 ، السلاوى : ج 1 ص 293 ، الباجى المسعودى : الخلاصة الننية صفحة 13 .  
(58) ابن عبد الحكم : صفحة 191 .  
(59) نفس المصدر والصحية :  
(60) البلاذرى : فتوح البلدان ص 273 ، الرقيق : ص 108 .  
(61) ابن الاثير : ج 5 صفحة 69 .  
(62) الرقيق : ص 109 ، السلاوى : ج 1 ص 95 .  
(63) انظر : مجهول : اخبار مجموعة ص 23 ، الوردجلى ج 1 ص 27 ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ج 2 ص 204 ، مؤنس : ثورات البربر ص 147 ، دبور : المغرب الكبير ج 2 ص 234 ، 235 ،

Marçais : La Berberie Musulmane. P. 43, Hopkins ;  
Medieval Mulim government ; P. 27.

الاموى الاخير للبربر وارهاتهم بالمغارم والجبايات ، واعتبر بعضهم بلاد البربر دار حرب حتى بعد اعتناقهم الاسلام جريا على سياسة الخلافة الاموية فى سائر الامصار الاسلامية (64) . وحاول الخليفة عمر بن عبد العزيز وضع حد لتسلط الولاة واستعادة ثقة البربر فى الحكومة الاسلامية ، فعين على المغرب واليا تقيا هو اسماعيل بن عبيد الله (65) . وامره باستقاط الجزية على من اسلم من البربر وتحرير من استرق من نسائهم ، كما امره « باقرار القرى فى يد غنماها بعد اخذ الخمس » (66) ، لتثول الارض الى اصحابها فيجنون ثمارها ويدفعون عنها خراجها المعلوم (67) . وقد حرص عمر بن عبد العزيز على ان يجمع اسماعيل بن عبيد الله بين اعباء الادارة والحرب الى جانب جمع الخراج والصدقات (68) ليحول دون جور الجباة واستبدادهم .

لكن هذه السياسة انتهت بوفاته ، وعادت الخلافة الاموية الى سيرتها الاولى . فقد استبدل الخليفة يزيد بن عبد الملك اسماعيل بن عبيد الله بيزيد بن ابي مسلم سنة 102 هـ 720 م ، فاستبد بالبربر ، وقضى على الاصلاحات التى انجزها سلفه ، وكان يزيد بن ابي مسلم ينفذ مشيئة الخلافة الاموية التى اعادت فرض الجزية على من اسلم من الموالى (69) ليتسنى لها الحصول على مزيد من الاموال والتنصل من دفع مزيد من الاعطيات للجند المسلمين من الموالى ومهما كان الامر فقد اشتط يزيد فى معاملة البربر ، ونسب اليه انه اهدر كبرياءهم بوشم حرسه من البربر فكان يشم الرجل فى يده اليمنى باسمه وفى اليسرى بكلمة « حرسى » ، وادى ذلك الى شعور البربر بالمهانة ، فانفوا منه وانكروه (70) .

وجرى عبيدة بن عبد الرحمن على سياسة العسف هذه حتى

- 
- (64) عن هذا الموضوع انظر : فلهوزن : تاريخ الدولة العربية من 275 وما بعدها .  
(65) اخبار مجموعة ص 23 ، البلاذرى : فتوح البلدان ص 273 .  
(66) اخبار مجموعة صفحة 23 .  
(67) فلهوزن : المرجع السابق صفحة 280 .  
(68) ابن عبد الحكم : صفحة 287 .  
(69) الطبرى : ج 6 ص 617 ، ابن تعزى بردى : ج 1 ص 245 ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية صفحة 235 .  
(70) البلاذرى : فتوح البلدان ص 273 ، ابن عبد الحكم : ص 289 ، الرقيق : ص 99 ، مؤنس : ثورات البربر ص 163 .



« جمع من الاماء والجوارى والعبيد والخصيان والدواب والذهب » (71) الشيء الكثير . وتفاقت الاحوال وازدادت سوءا ابان ولاية عبيد الله بن الحبحاب الذى أسرف في سياسته فجند الجيوش لسلب البربر وسبيهم في اقصى المغرب (72) ، ونشر الهلع والرعب في تلك الاصقاع . وعين ابنه اسماعيل عاملا على طنجة وجعل معه عمر بن عبد الله المرادى ، فأساءا السيرة واعتبرا البربر فيئا — اسلموا أم لم يسلموا — وعاملوهم معاملة الرقيق (73) . وهكذا تسبب الولاة الامويون في المغرب في اثاره مشاعر الحقد والكرهية عند البربر على الولاة والخلفاء على السواء مما اوجد مناخا ملائما لانتشار مذهب الخوارج .

ويحاول بعض الدارسين الدفاع عن الخلافة الاموية وتبرئتها من تبعات ما حدث في المغرب من مساوىء ، بالقاء اللوم على الولاة وحدهم . فيذكر دبور (74) أن « سليمان بن عبد الملك أنكز على موسى بن نصير سلوكه في المغرب وأنه كان حائقا عليه لمبالغته في السبى وعدم عدله في البربر » . ويمضى الدكتور السيد عبد العزيز سالم (75) في نفس الاتجاه فيقول « . . وكان سليمان بن عبد الملك يستهجن سياسة عبد الله بن موسى القائمة على العنف والتسلط في معاملة البربر . . » ويستشهد بعبارة أوردها الرقيق (76) مدلا بها على نزاهة الخليفة وعدله اذ اوصى واليه الجديد على المغرب بقوله « يا محمد بن يزيد ، اتق الله وحده لا شريك له ، وقم فيما وليتك بالحق والعدل » . ويظهر نفس هذا الاتجاه عند الدكتور مؤنس (77) اذ يقول « . . وليس الى الشك سبيل في أن خلفاء بنى أمية لم يكونوا ليرضوا عن سياسة يزيد بن أبى مسلم

(71) ابن عبد الحكم : ص 292 .

(72) الرقيق : ص 108 البلاذرى : فتوح البلدان ص 223 .

(73) نفس المصدر ص 109 ، ابن الاثير : ج 5 ص 69 ، ابن عذارى : ج 1 ص 52 ، ابن خلدون : ج 4 ص 189 ،

Mercier : Histoire de l'Afrique

septentrionale. vol. I.P. 71, Provençal : Histoire de l'Espagne

Musulmane vol. I.P. 29, Hopkins : Medieval Moslem government.

P. 28.

(74) المغرب الكبير ج 2 صفحة 165 .

(75) المغرب الكبير صفحة 288 .

(76) تاريخ افريقية والمغرب ص 63 ، النويرى : ج 22 ورقة 13 .

(77) فجر الاندلس ص 145 ، ثورات البربر ص 151 ، 152 .

وبشر بن صفوان في افريقية ، اذ أنهم لم يكونوا يعلمون شيئا عن الوسائل التي كانا يلجان اليها في عسف البربر والاستبداد بهم . ومن دلائل ذلك ان يزيد بن عبد الملك لم يغضب حين علم بقتل البربر يزيد ابن ابي مسلم « (78) .

ونعتقد ان المحدثين قد تأثروا في هذا الصدد برواية لصاحب كتاب اخبار مجموعة في فتح الاندلس تقول « . . وقد يقول من يطعن على الائمة أنهم انما خرجوا ضيقا من سير عمالهم ، وان الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية . . وهو قول اهل البغض للائمة ( يقصد الخوارج ) » ومن المعروف ان هذا المؤرخ المجهول يعد الوحيد بين المؤرخين القدامى الذي تصدى للدفاع عن بنى امية . ولا غرابة في ذلك اذا علمنا انه كان اندلسيا يعيش في كنف الدولة الاموية بالاندلس ، وبديهى ان يتعصب لبنى امية ضد اعدائهم .

اما ما ذكره دبوز عن حنق سليمان بن عبد الملك على موسى بن نصير لعدم عدله في البربر ، فنقول يؤخذ بحذر . فمن الثابت ان حنقه هذا يرجع لاسباب شخصية اوردناها سلفا . ونفس الشيء يقال في تفسير حنق سليمان بن عبد الملك على عبد الله بن موسى ، وليس الحال كما ذكر الدكتور سالم استهجانا لتسلط عبد الله على البربر . فما أورده من دليل في هذا الصدد لا يؤيد ما ساقه ، اذ ان نصيحة الخليفة لواليه الجديد باتباع « الحق والعدل » امر تقليدى اصطلح عليه في تعيين الولاة والعمال .

وتؤكد الوثائق هذا التفسير ، فقد اسرف الوالى الجديد في اضطهاد اليهنية وتعقب آل موسى بن نصير واتباعهم ومصادرة اموالهم وسبى ذراريهم مرضاة للخليفة (79) .

ولا نشك في ان ولاة المغرب كانوا يمثلون مشيئة الخلافة وينفذون سياستها ، وان الخلفاء درجوا على اختيار عمال يأنثرون بأمرهم ، والا فما تفسير سنن الاصلاح والعدل التي شهدتها المغرب ابان ولاية اسماعيل ابن عبيد الله ؟ لقد حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عرف

---

(78) وقد ذكر الدكتور مؤنس في هذا الصدد قولا آخر هاك نصه : « اعتاد الخلفاء من عمال افريقية كثرة الهدايا والالطاف والاموال ، ولم يستطيعوا الامتناع عن الالاح على العمال في طلبها . . » راجع ثورات البربر ص 144 ، 145 .

(79) ابن عذارى : ج 1 صفحة 47 .

بالورع والتقى على اختيار عماله من العدول الانتقاء ، وكان اسماعيل أحدهم . والظلم الذى حاق بالبربر على يد يزيد بن ابي مسلم انما تم تحت سمع الخلافة وبصرها ، فالخليفة يزيد بن عبد الملك عرف بالطمع والجشع وحب المال « الذى جمع له عماله منه ما لم يجمع لاحد من قبل » (80) . ولا غرو فقد كان ممثنا لسياسة عامله فى المغرب الذى اشبع له اطماعه فقال فيه عبارته الشهيرة « ما مثلى ومثل الحجاج وابن ابي مسلم بعده الا كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارا » (81) . وتسليم الخليفة بما حدث من قتله سنة 102 هـ ( 721 م ) واختيار محمد بن يزيد بدلا منه لا يؤيد وجهة نظر الدكتور مؤنس ، فقد كان عليه أن يسلم بالامر الواقع ريثما تهدأ الخواطر من جراء الآثار السيئة لحكم يزيد فى نفوس البربر ، ثم رماهم بعد شهور ببشر بن صفوان الذى انتقم من قتلة يزيد . وبعد موت يزيد بن عبد الملك تولى اخوه هشام الخلافة فأقر بشرًا على المغرب لانه « بعث اليه بأموال عظام وهدايا فاخرة » (82) . ولا يخامرنا شك فى أن اشتطاط ابن الحبحاب فى سياسته المالية بالمغرب كان مرضاة للخليفة ، فقد كان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فى طلبها الى عمال افريقية . ويذكر ابن عذارى (83) أنه لما أفضى الامر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير . ويخبرنا ابن خلدون (84) أن الخلفاء كانوا يطالبون الولاة بالوصائف البربريات والاردية العسلية، الالوان وانواع طرف المغرب ، فكانوا يتغالون فى جمع ذلك وانتحاله حتى « كانت الصرمة من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد منها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه » .

ولدينا من الروايات ما تؤكد أن الخليفة رفض السماح لوغد من البربر جاء اليه يشكو جور ابن الحبحاب وعسفه ، وعاد بعد أن تيقن رجاله من تواطؤ الخليفة مع عماله (85) ، وأن الخليفة بسبب جشعه

(80) ملهوزن : تاريخ الدولة العربية ص 337 . عن صاحب كتاب الصلة الاسباني الذى اكمل تاريخ ايزيدور .

(81) السلاوى : ج 1 صفحة 91 .

(82) اليمتوسبى : تاريخه ج 3 صفحة 59 .

(83) البيان المغرب ج 1 صفحة 53 .

(84) المبرج ج 6 صفحة 119 .

(85) الطبرى : ج 4 صفحة 264 .

للحصول على الاموال « هو الذى يكره العمال على امتصاص دم الرعايا »  
على حد قول فلهوزن (86) . ولعل ما حدث فيما بعد من رفض عبد الرحمن  
ابن حبيب الازعان لمشيئة المنصور قائلا عبارته المتواترة « ان افريقية  
اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السبى منها والمال » (87) ما يشير الى  
ما كان سائدا في العصر الاموى الاخير من طمع الخلفاء في اموال البربر  
وسبائهم ، ويؤكد مسؤولية الخلافة الاموية عما كان يقوم به عمالها في  
بلاد المغرب .

كان الظلم الاجتماعى الذى استشرى في بلاد المغرب اذن من صنع  
الخلافة وعمالها ، وهو امر ساعد البربر الذين كانوا قد اسلموا وصلح  
اسلامهم على اعتناق مبادئ الخوارج التى تحض على الثورة على  
الجائرين من الحكام (88) .

لقد بدأ انتشار الاسلام بين البربر منذ وطأت اقدام العرب بلاد  
المغرب ، وكان لعقبة بن نافع دور بارز في هذا الصدد (89) ، فقد بنى  
مدينة القيروان سنة 55 هـ ( 675 م ) فدخل كثير من البربر في الاسلام  
وثبت الاسلام بها (90) وواصل ابو المهاجر سياسة عقبة في نشر الاسلام  
وتعريب البربر ، وحسبه اكتساب كسيلة وقومه الى الاسلام واتخاذ  
حليفا (91) ، كما صالح عجم افريقية وادخلهم حظيرة الاسلام  
والعروبة (92) .

والى حسان بن النعمان يعزى الفضل في المؤاخاة بين البربر والعرب،  
فقد جند من البربر اجنادا وعهد الى ثلاثة عشر فقيها من كبار التابعين  
بتعليمهم القرآن واصول الاسلام واللغة العربية ، وخدم هؤلاء في الجيش  
العربى جنبا الى جنب مع العرب المسلمين . ومنذ ذلك الحين اطردت  
حركة بناء المساجد في سائر ارجاء المغرب (93) ، واصبحت بمثابة مراكز

- 
- (86) تاريخ الدولة العربية صفحة 331 .  
(87) ابن الاثير : ج 5 صفحة 117 .  
(88) البغدادي : الفرق بين الفرق ص 273 ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية  
في افريقية صفحة 231 .  
(89) ابن الاثير : ج 3 صفحة 234 .  
(90) نفس المصدر صفحة 235 .  
(91) ابن مغازي : ج 1 صفحة 28 .  
(92) المالكي : رياض النور ج 1 صفحة 21 .  
(93) مبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ص 224 ، المالكي :  
ص 36 ، الدباغ ج 1 ص 61 .

ثابتة لنشر الاسلام والحضارة العربية بين البربر (94) . أما موسى بن نصير فقد بث الاسلام في بلاد المصامدة (95) وفقه البربر في تلك الانحاء في قواعد الدين وأصول الشريعة (96) . كما أشرك البربر المسلمين في فتح الأندلس وجعل لأحدهم قيادة الجيش وهو طارق بن زياد (97) ، وفي ذلك دلالة على رسوخ الاسلام عند البربر وقيامهم بحمل رسالته الى أوروبا في أواخر القرن الاول الهجرى (98) .

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز تعاضمت حركة اسلام البربر وتعريبهم ، اذ بعث الى المغرب واليه اسماعيل بن عبيد الله ، وجعل برفقته عشرة من كبار الفقهاء لتبصير المغاربة بأصول الاسلام وفروعه وتعليمهم اللغة العربية (99) واستجاب البربر لتعاليم الفقهاء وأقبلوا على الاسلام حتى « غلب على المغرب » (100) « ولم يبق يومئذ من البربر أحد الا أسلم » (101) ، باستثناء جماعات طفيفة العدد متناثرة من المسيحيين الذين ظلوا على دينهم (102) .

وهكذا جرى اسلام البربر وتعريبهم « في سرعة وعمق

- 
- (94) نفس المصدر السابق ص 223 ، ابن عذارى ج 1 ص 27 .  
(95) ابن عذارى : ج 1 صفحة 43 .  
(96) ابن عبد الحكم : صفحة 204 .  
(97) مجهول : أخبار مجموعة صفحة 6 .  
(98) انظر : حسن ابراهيم : انتشار الاسلام في القارة الامريكية ص 89 - 90 ،  
Brunschvig : La Tunisie dans le haut moyen age.  
P. 7, Drague : Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, P. 17.  
حيث يعتقد أولئك المؤرخون أن اسلام البربر كان سطحيا حتى ذلك الحين .  
(99) المالكي : ج 1 ص 67 ، الدباغ : معالم الايمان ج 1 ص 142 ، حسن محمود :  
الاسلام والثقافة العربية في افريقية ص 99 .  
(100) البلاذرى : فتوح البلدان ص 273 ، ابن كثير : البداية والنهاية ج 9 ص 185 ،  
النويرى : ج 22 ورقة 14 .  
(101) ابن عبد الحكم : ص 87 ، الرقيق : ص 297 ، الدباغ : ج 1 ص 154 .  
ابن خلدون : ج 4 ص 188 ، السلاوى : ج 1 ص 90 .  
(102) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص 31 ،  
Marçais : La Berberie musulmane, P. 36.  
وقد زعم بعض المستشرقين أن عمر بن عبد العزيز خير مسيحي المغرب بين الدخول  
في الاسلام أو الرحيل عن البلاد ، فأثر بعضهم اعتناق الاسلام بينما رحل البعض  
الآخر الى أوروبا . انظر :  
Bonte : l'islamisme et le christianisme en Afrique, P. 72.  
وقد أنكر البعض الآخر هذا التجنى « معمر لم يكره النصرى على اعتناق الاسلام  
مهديا اياهم بالطرد والقتل ، وذلك لانه كان مسلما حقا متبسكا بما ورد في الشريعة  
الاسلامية في معاملة أهل الذمة ، وليس من المعتول أن يتجاهل أو يخرج عن هذه  
الشريعة » . انظر : فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص 289 ،  
Mercier : Histoire de Constantine, P. 86.

وشمول « (103) على عكس دعاوى بعض المستشرقين (104) الذين ذهبوا الى ان حركة التعريب لم تساير انتشار الاسلام في المغرب ، وان البربر لم يتعلموا العربية الا في وقت متأخر .

ووجد البربر المسلمون تناقضا صارخا بين تعاليم الاسلام ومبادئه بما تنطوى عليه من عدل ومساواة وبين سياسة الأمويين الاواخر الجائرة ، فاقبلوا على اعتناق مذهب الخوارج وهو في جوهره مذهب « ثورى ديمقراطى اشتراكى » على حد تعبير ميور (105) .

وليس الى الشك سبيل في ان مبادئ الخوارج بما تنطوى عليه من تمسك بالشريعة في جانبها العقائدى (106) ، وثورية في قوامها السياسى وبساطة ووضوح في جوانبها الفكرية ، وجدت مناخا ملائما في ظروف المغرب الاسلامى وطبيعة سكانه .

فاذا كانت الديمقراطية هى محور مذهب الخوارج وقوامه على اعتبار ان الامامة حق متاح لكل مسلم (107) ، فبديهى ان يلتقى ذلك المذهب تقبولا لدى البربر الذين طال حرمانهم من المساواة مع العنصر العربى الحاكم . ومن الطبيعى ان تتولد لديهم نزعة ثومية مغربية تتطلع لازاحة نفوذ الاقلية العربية عن مكان الصدارة والحكم في اطار شرعى يكفله الدين ، ولما كان مذهب الخوارج يقول بالثورة على الجائرين من الحكام (108) فقد وجد البربر في اعتناقه مبررا لانتفاضهم على الحكم العربى .

وبمعنى آخر ، اكتسبت نزعة الاستقلال عند البربر — بفضل مذهب الخوارج — طابعا ثوريا دينيا (109) ، فالتقى البربر مع الخوارج في موقفهم من عدو مشترك ممثل في السلطة الاموية .

Brunschvig : Op. Cit. P. 7.

(103)

(104) انظر

Marçais, W : Comment L'Afrique du Nord à été arabisée. P. 3, Hudas : Essai sur l'écriture Maghrebine, P. 86, Marçais, G : La Berberie Musulmane, P. 41. The caliphate, its rise, decline and Fall : P. 407.

(105)

Smith : The Ibadites. P. 279.

(106) انظر : أبو زكريا : السيرة ورتة 8 مخطوط .

(107) الاسفرائينى : التبصر في الدين ص 46 .

(108) البغدادي : الفرق بين الفرق ص 273 .

(109) حسن محمود : الاسلام والفتنة العربية ص 164 .

Vonderheyden : La Berberie Orientale. P. 4.

وفضلاً عن ذلك فان وضوح فكر الخوارج والتزامه بظاهر الدين وعدم ميله للفلسفة والتأويل (110) جعله يتلاءم مع عقلية البربر (111) .  
 وبعبارة أخرى كان فكر الخوارج متنسقا مع طبيعة البربر المعروفين «بإقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله» (112) .  
 ومن مظاهر هذا الاتساق أيضا أن صفات الصلابة والقوة ممثلة في قول الخوارج بالاستعراض ورفض التثنية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (113) يقابلها عند البربر شدة المراس وقوة البأس والميل الغريزي للتطرف (114) .

وهكذا كانت مبادئ الخوارج متوائمة مع طباع البربر الفطرية وتمثلية مع أهدافهم السياسية ونزعتهم القومية . وهو ما عبر عنه السلاوى (115) في ايجاز رائع بقوله : « . . وحسن موقعها (يعنى مبادئ الخوارج) لديهم بسبب ما كانوا يعانون منه من وطأة الخلافة القرشية ، وجور بعض عمالها ، فلقنهم أهل البدع أن الخلافة لا يشترط فيها القرشية بل ولا العربية . . . ودرسوا اليهم مع ذلك بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم ، وأروهم ما هم عليه من التصلب في دينهم ، فظهر للبربر ببداية الرأي أن تعمقهم ذلك انما هو من آثار الخشية لله والخوف منه ، وأن ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعا . . »

تصارى القول — ساعدت أحوال بلاد المغرب في أواخر القرن الاول الهجرى وأوائل القرن الثانى على نزوح الخوارج المضطهدين في المشرق الى بلاد المغرب (116) لنشر دعوتهم بين البربر وتحقيق ما فشلوا فيه من قبل من أهداف .

- (110) انظر : الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص 40 وما بعدها ، أحمد أمين :  
 ضحى الاسلام ج 3 ص 335 .  
 (111) مساعد الاندلسى : طبقات الامم ص 12 ، ابن زيدان : اتحاب اعلام الناس ج 1  
 صفحة 72 - 73 ، Dozy : Op.cit. P. 131.  
 (112) ابن خلدون : ج 6 ص 105 ، Smith : Op. Cit. P. 279  
 ولذلك طلق عليهم دوزى « كلافنة الاسلام » ودى بوا «بيوريتان الاسلام»  
 Spanish Islam. P. 130, Le Djebel Nefousa. P. 137.  
 (113) انظر : الاسفرائينى : التبصير في الدين ص 142 وما بعدها .  
 (114) مساعد الاندلسى : طبقات الامم ص 12 ، Cam. Med. hist. Vol. 2 P. 376, Draguge : Op. Cit. P. 23.  
 (115) الاستسما ج 1 صفحة 123 .  
 (116) ابن خلدون : المعبر ج 5 ص 11 ، Le Tourneau : La revolte,  
 d'Abou-Yazid. P. 105 Mercier : Histoire de L'etablissement  
 des Arabes dans l'Afrique septentrionale. P. 70.

## انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب

كان فشل الخوارج في المشرق في تحقيق أهدافهم سببه أن حركاتهم كانت تفتقر إلى التنظيم السياسي (117) ، وتعتمد إلى القيام بثورات هوجاء دون تنظيم أو اعداد سابق (118) مما سهل على الخلافة الاموية وولاتها مهمة مناهضتها واستئصال شأفتها أولا بأول . وبانتهاء القرن الأول الهجرى اختلفت فرقتنا الازارقة والنجدات وهما من أهم فرق الخوارج . وكان من الطبيعي أن تلجأ فرقتنا الصفرية والاباضية إلى أسلوب مغاير

(117) ما يقال من الاتفاق السرى بين ثلاثة من الخوارج لاغتيال على ومعاوية وعمرو بن العاص لا يبنى صحة ما ذهبنا اليه . فهو تأمر انتقمى لا يخدم أهدافا بعيدة للخوارج . وأسلوب التأمر السرى ليس تيارا أصيلا في فكر الخوارج السياسى بل انه « لا يتفق مع عادات الخوارج » على حد قول بعض الدارسين .  
راجع : فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص 98 ،

Hitti : History of the Arabs. P. 182.

(118) تخالف ما ذهبت اليه الدكتورة سهير القلماوى في تفسيرها اختلاف الخوارج على نافع بن الازرق وظهور فرق الازارقة والنجدات والصفرية والاباضية بأنه خطة محكمة من الخوارج للهجوم على الدولة الاموية التى كانت تجتاز اذ ذاك أزمة خطيرة فيتجه فريق منهم إلى الشمال وآخر إلى الجنوب لتكوين خط هجوم شرعى يمتد من الجزيرة شمالا إلى اليمامة والبحرين جنوبا ، بينما يتوغل فريق ثالث في فارس لاتخاذها ملجأ ساعة الشدة . انظر : أدب الخوارج في العصر الاموى ص 35 . والواقع أن المصادر لا تشير إلى شيء من هذا البتة ، والذي يلهم من الروايات أن ما حدث كان محض خلاف فقهي انتهى إلى انشقاق مذهبي وسياسى في جماعة الخوارج . ولم يحدث توطئة تعاون مشترك بين هذه الفرق في حراعها مع الدولة الاموية .

من ظهور فرق الخوارج راجع ، الاسفرائينى : التبصير في الدين ص 49 وما بعدها ، ابن عبد ربه : المعقد الفريد ج 2 ص 191 وما بعدها ، البياسى : الاعلام بالحروب الواتعة في صدر الاسلام ج 2 ص 169 - مخطوط .



توامه تنظيم الدعوة السرية وبث الدعاة في أطراف العالم الاسلامى  
لنشر تعاليم المذهب ، فاذا ما ازداد الانصار عددا وانسوا من انفسهم  
تدرة على الثورة بادروا بالخروج .

كانت بلاد المغرب أهم اتاليم الاطراف التى اتجهت اليها جهود  
دعاة الخوارج العراقيين (119) فمتى تم ذلك ؟ وأى فرق المذهب قدر  
لها أن تنتشر في البلاد ؟

لا نستطيع أن نحدد فى وضوح تاريخ بدء دعوة الخوارج بالمغرب  
بسبب تضارب الروايات واختلاطها ، فابن حوقل (120) يرجع بداية  
الدعوة الى معركة النهروان سنة 38 هـ ( 658 م ) فيذكر أن « عبد الله بن  
وهب الراسبى وعبد الله بن اباض لجأ الى جبل نفوسة منذ وقت  
انصرافهم عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب بمن سلم معهم من أهل  
النهروان . . واتاموا هذا الجبل دار هجرة » لكن المعروف أن الراسبى  
قتل فى النهروان (121) ، كما أن ابن اباض لم يرد له ذكر بين من نجوا  
من القتل فى المعركة (122) ، الامر الذى يشكك فى صحة هذه الرواية .  
ليس ببعيد أن يكون بعض من فروا بعد معركة النهروان قد اعتصموا  
بجبل نفوسة ، لكنهم لم يتركوا هناك أثرا يذكر . لكن الظهور الحقيقى  
لمذهب الخوارج فى بلاد المغرب يعود الى أواخر القرن الاول ، وأوائل  
القرن الثانى الهجريين (123) .

أما عن فرق الخوارج التى انتشرت ببلاد المغرب ، فانه  
قد اختلط أمر تحديدها على بعض المحدثين الذين أرخوا للخوارج فى  
المغرب ، اذ زعم بعضهم (124) أن البلاد شهدت انتشار فرق الخوارج  
جميعها ، وتشكك البعض (125) الآخر فى وجود فرقتى الإباضية والصفرية

(119) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 110 .

(120) المسالك والممالك ص 68 .

(121) المسعودى : مروج الذهب ج 2 ص 417 .

(122) نفس المصدر والصحيفة ، ابن خلدون : العبر ج 3 ص 142 .

(123) ابن خلدون : ج 6 ص 110 ، السلاوى : ج 1 ص 123 ، عنان : دولة الاسلام

فى الاندلس ج 1 ص 116 .

(124) انظر :

Basset : Recherches sur la religion des Berberes. P. 331,

الطاهر الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ص 118 .

Dozy : Op. Cit. P. 131.

(125) انظر :

ومؤنس : فجر الاندلس ص 148 ، ثورات البربر ص 154 - 155 .

على أساس « أن مبادئ الفرقتين ليست مما يجذب البربر ، فهما أكثر فرق الخوارج ميلا للمسالمة والتسامح مع المخالفين » ، علما بأن الصفرية من أكثر فرق الخوارج تطرفا ، لا ننكر أنهم اتخذوا موقفا وسطا بين الازارقة المسرفين في التطرف والاباضية المعتدلين (126) لكن ثوراتهم اتسمت بالقسوة والعنف سواء في المشرق أو المغرب ، فلم يكونوا أقل حدة من الازارقة في هذه الناحية (127) .

ونعتقد أن من اشترت اليهم من المؤرخين المحدثين انما تأثروا بقول صاحب كتاب أخبار مجموعة (128) ، « فما بال التحكيم فشا فيهم ورفع المصاحف وحلق الرؤوس اقتداء بالازارقة وأهل النهروان » . لكن الذى نؤكد أن الازارقة قضى عليهم نهائيا بعد قتل قائديهما قطرى بن الفجاءة وعبيدة بن هلال سنة 77 هـ ( 696 م ) على يد المهلب بن أبى صفرة واختلفوا نهائيا بعدئذ من مسرح السياسة (129) أما النجدات ، فقد فتك عمر بن عبيد الله بن معمر قائد عبد الملك بن مروان بزعيمهم أبى فديك سنة 72 هـ ( 691 م ) وقتل معه ستة آلاف من أصحابه بالبحرين ، فتضاعل شأنهم بعد ذلك (130) .

معنى هذا أن فرقتين فقط من فرق الخوارج الكبرى ظهرتنا ظهورا واضحا في أحداث بلاد المغرب وهما فرقة الصفرية ، وفرقة الاباضية ، فما تاريخ ظهور الفرقتين ؟ ؟

ينتسب الخوارج الصفرية الى عبد الله بن الصفار (131) ، وان كانت كتب الفرق (132) ترجع بهذا النسب الى شخص يقال له زياد بن

---

(126) الشهرستاني : الملل والنحل ص 121 - 123 ، ذكر جوليان انه اذا كان الازارقة يمثلون اليسار المتطرف في مذهب الخوارج والاباضية اليمين ، فان الصفرية يمثلون اليسار . بينما يقبه جوتيه الاباضية باليونانيين والصفرية بالبولشفيك . انظر : Histoire de l'Afrique du Nord. P. 329. Les Siecles obscurs. P. 269.

Gautier : Loc. Cit. (127)

عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ج 2 ص 288 .

(128) صفحة 32 .

(129) الطبرى : ج 6 ص 308 ، ابن خلدون : ج 3 ص 161 ، الاسفرائينى : ص 51 ، البغدادي : ص 87 ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ص 109 .

(130) ابن الاثير : ج 4 ص 140 ، البغدادي : ص 90 .

(131) البلاذرى : أنساب الاشراف ج 11 ص 83 .

(132) انظر : الرازى : ص 51 ، الاسفرائينى : ص 52 ، البغدادي ص 90 ، الشهرستاني : ص 123 .

الاصفر . وايا ما كان الامر فلا محل لتصديق روايات اخرى ترجع تسميتهم لصفرة وجوههم من كثرة العبادة (133) ، او لانهم اخرجوا من الدين صفرا (134) فكثرة العبادة من صفات الخوارج عموما وليست حكرا على الصفرية ، كما أن التفسير الثانى من نسج نقيه اباضى معاد للصفرية . ولا صحة للقول الذى ينسبهم الى المهلب بن ابي صفرة (135) اعدى اعداء الخوارج . ولا يمكن أن نقبل الروايات التى تنسبهم الى عبد الله بن وهب الراسبى وحرثوص بن زهير او ابي بلال مرادس (136) ، فلم يكن الخوارج قد افترقوا بعد الى فرقهم المعروفة ، بل اطلق عليهم اذ ذلك « المحكمة الاولى » (137) انما ظهر الصفرية حين خالف عبد الله بن الصفار ناقعا بن الازرق حول مسألة التعدة سنة 65 هـ ( 684 م ) وهو خلاف فتوى بالدرجة الاولى (138) اتخذوا فيه موقفا وسطا بين الازارقة المنطرفين والاباضية المعتدلين ، « فلم يكفروا التعدة عن القتال اذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد » (139) .

والواقع ان عقائد الصفرية تمثل تطورا عمليا ملحوظا فى فكر الخوارج وعقائدهم ، اذ تجنح الى التخفيف من غلواء التطرف الذى افضى بحركاتهم الى الفشل من قبل فهم لم يستطوا الرحم ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم كالأزارقة ، كما نادوا بجواز التقية فى القول دون العمل (140) ، واجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية (141) . وقد كفل لهم ذلك معايشة الجماعة الاسلامية بدلا من اشهار عدائهم لها ، الامر الذى اتاح لهم القدرة على الدعوة السرية المنظمة ، وحقق لمذهبهم الانتشار . لكنهم كانوا اكثر تطرفا من الاباضية فى موقفهم من مرتكبى الكبائر ومن ثم من مسألة « الكفر والايمان » ، فبينما رأى الاباضية انهم موحدون قال الصفرية بتكفيرهم . (142) وفى ذلك تفسير لنزعة القسوة والعنف التى

(133) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج 1 ص 216 .

(134) السوفى : شرح السؤالات ورقة 114 . مخطوط .

(135) ابن تغرى بردى : ج 1 ص 289 .

(136) البهرى : الكامل ج 3 ص 1006 .

(137) البندادى : صفحة 91 .

(138) لى ديلانيدا : مادة الصفرية - دائرة المعارف الاسلامية ص 229 .

(139) الشهرستانى : صفحة 123 .

(140) الرازى : صفحة 51 .

(141) المرجع السابق صفحة 122 .

(142) نفس المصدر ص 121 .

الازمت سياسة الصفرية في معاملة اعدائهم .

وعلى كل حال - استفاد الصفرية من اخطاء الازارقة والنجدات ومن كان قبلهم من المحكمة الاولى ، فترثوا قبل دخولهم معترك الحياة السياسية ، فلم نسمع عن حركات لهم قبل ثورة صالح بن مسرح ضد الامويين سنة 76 هـ (143) (695 م) . كما امتازت ثوراتهم بالتركيز على منطقة الموصل والجزيرة وديار بكر ، واتخذوها مقرا تتجمع فيه قواتهم لتتجه في اعداد كبيرة نحو البصرة والكوفة ، وقد سقطت الكوفة نفسها في ايديهم مرتين الاولى ابان ثورة شبيب سنة 77 هـ (144) (696 م) والثانية اثناء ثورة بسطام بن يشكر المعروف بشوذب سنة 100 هـ (145) (718 م) ، الامر الذي يؤكد ان حركاتهم كانت تهدف الى اقامة دولة للخوارج

ان التطور الجديد في فكر الخوارج الصفرية بتجويز مبدأ التقية ، والاتجاه العملى في حركاتهم بالشرق (146) يؤكد جنوحهم الى اسلوب الدعوة السرية المنظمة في المغرب . لا ننكر ان هذه الناحية اكثر وضوحا عند الاباضية بسبب وفرة المادة التاريخية المتعلقة بهم ، لكن تاريخ الصفرية لا يخلو من اشارات تؤكد الاتجاه الذى اشترت اليه ، هذا الاتجاه الذى يتجلى في جهود دعائهم في نشر مذهبهم ببلاد المغرب .

تذكر المصادر الاباضية (147) ان « اول من جاء بطلب مذهب الاباضية ونحن بقيروان افريقية سلمة بن سعيد قال ، قدم علينا من ارض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس على بعير ، سلمة يدعو الى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية » .

معنى هذا ان القيروان كانت مركز الدعوة في المغرب (148) ، لكننا لا نعرف

- 
- (143) الطبرى : ج 6 صفحة 215 .  
(144) عن حركة شبيب بن يزيد الشيباني انظر : الطبرى : ج 6 ص 223 وما بعدها .  
(145) عن حركة شوذب راجع : الطبرى : ج 6 ص 556 وما بعدها .  
(146) هذه الحركات هي : ثورة بهلول بن بشر الشيباني بالموصل سنة 119 . انظر : ابن الاثير : ج 5 ص 77 وما بعدها .  
ثورة الصحارى بن شبيب سنة 119 هـ . انظر : الطبرى ج 7 ص 137 وما بعدها  
ثورة الضحاك بن قيس الشيباني : انظر : ابن قتيبة : المعارف ص 412 .  
ثورة الخبيرى الصفرى سنة 128 هـ . انظر الطبرى : ج 7 ص 347 .  
ثورة شيبان بن عبد العزيز سنة 129 هـ . وهى آخر ثورات الصفرية في العصر الاموى  
انظر : الطبرى : ج 7 ص 349 .  
(147) ابو زكريا : السيرة ورقة 2 . مخطوط ، الدرجيني : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 6 مخطوط .

على وجه الدقة متى حضر عكرمة - رأس دعاة الصفرية - الى افريقية .  
والراجع انه وصلها خلال السنوات الخمس الاولى من القرن الثانى  
الهجرى (149) .

كان عكرمة هذا من اصل مغربى (150) ، وكان من موالى ابن  
عباس الفقيه ذائع الصيت وقد اتاح له ذلك مخالطة كبار الفقهاء والمحدثين  
كأبى هريرة والسيدة عائشة ، فسمع منهم وأخذ عنهم حتى أضحى من  
الأعلام الثقاتة فى الفقه والحديث (151) ثم أخذ بالمذهب الصفرى وصار  
من محول فقهائه . ومن الغريب الانجد له ذكرا فى حركات الصفرية نسي  
شمال العراق ، وقد يفهم من ذلك انه مال الى تعاليم الصفرية فى وقت  
متأخر . وقد عهد اليه بنشر المذهب فى بلاد المغرب بعد اتجاه الخوارج  
الصفرية الى اتباع أسلوب التنظيم والدعوة .

ولا يستفاد من النص السابق أن الصفرية والاباضية التاما فى نظام  
واحد أو أن دعائهما تلازما فى نشر تعاليمهما ، فلم نقف على ما يشير الى  
مثل هذا العمل المشترك فى الجهود التى قاموا بها بين البربر . بل ان كلا  
من الجماعتين اختطت لنفسها طريقا خاصا ، ولم تتورعا عن التنافس  
والصراع الذى انتهى باقتتالهما فى بعض الاحيان . كما أن دعاة الفرقة  
الاباضية اتجهوا الى الاقاليم الشرقية من بلاد المغرب بينما اتجهت الدعوة  
الصفرية الى قبائل المغرب الاقصى (152) .

على كل حال نزل عكرمة بالقيروان حيث أمكنه الاتصال برؤساء  
القبائل من أمثال ميسرة المطغرى - زعيم مطغرة - الذى تلقى العلم على  
يديه مختفيا ، فقد اشتغل بالسقاية فى سوق القيروان حتى لا يكتشف أمره .  
وعلى الرغم من كونه سيدا لعصبية لها خطرها لم يتورع عن الاشتغال  
بتلك المهنة امعانا فى التستر والحيلة . وقد تسنى له بذلك أخذ تعاليم  
المذهب عن عكرمة ، ثم عاد فنشرها بين قومه من بربر مطغرة (153) .

(148) ابن خلدون : ج 7 ص 11 ،  
Marcals : La Berberie Musulmane, P. 48.

(149) العيني : عقد الجمان ج 11 قسم 3 ورقة 46 - مخطوط .  
(150) نفس المصدر والصحيفة  
Fournel ; Les Berbers. Vol I. P. 352.

(151) البرد : الكامل ج 3 ص 949 ، العيني : المرجع السابق ورقة 464 ، دبور :  
المغرب الكبير ج 2 ص 279 ،  
Fournel : Op. Cit. P. 352.

(152) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 11 .

(153) نفس المصدر ج 6 ص 118 .

كما اتصل أبو القاسم سمكو بن واسول شيخ مكناسة بعكرمة في القيروان (154) كذلك وليس بالمشرق كما اعتقد البعض (155) . ولازمه حتى موته في سنة 105 هـ (723م) أو سنة 107 هـ (725م) حسبما يرجح (156) ، وتبحر في أصول المذهب وفروعه حتى وصف بأنه من « مشاهير حملة العلم » (157) ، وبأنه « مقدم الصفيرية » (158) بعد وفاة عكرمة . واستطاع أبو القاسم نشر المذهب بين ثومه من مكناسة ، ثم اتجه نحو المناطق الصحراوية الجنوبية لبث الدعوة فيها ، وعمد — شأنه شأن ميسرة — الى اتباع أسلوب التستر والتخفى ، فرجل الى واحة تافيلت — وهى ملتقى القبائل الرعوية جنوبى المغرب الاقصى — وتظاهر بتربية قطعان الماشية وعكف على بث تعاليم المذهب بين الرعاة حتى تحولت خيمته الى مجمع للخوارج الصفيرية فى تلك النواحي (159) .

ولم يقتصر انتشار المذهب الصفرى على بربر مطفرة ومكناسة ، ذلك أن بربر برغواطة اعتنقوا هذا المذهب فى وقت مبكر على يد طريف ابن شمعون الذى لقي عكرمة بالقيروان كذلك (160) . واذا كانوا قد تخلوا عنه بعد ذلك واتبعوا تعاليم صالح بن طريف (161) ، فلا يمكن اغفال دورهم البارز فى ثورة الصفيرية الكبرى بالمغرب الاقصى التى تزعمها مسيرة المطفرى سنة 121 هـ (739 م) .

- (154) ابن خلدون : ج 6 ص 105 ، ابن زيدان : اتحاف اعلام الناس ج 1 ص 76 .  
(155) مجهول : نبد تاريخية ص 60 ، التلقشندى : صبح الاعشى ج 5 ص 165 .  
(156) العيني : عقد الجمان ج 11 قسم 3 ورقة 464 .  
(157) ابن خلدون : المعبر ج 6 ص 105 .  
(158) الشطيبى : الجمان فى اخبار الزمان ورقة 203 — مخطوط .  
(159) البكرى : المغرب ص 149 ، ابن خلدون : ج 6 ص 130 ،  
Journal : Op. Cit. Vol. I. P. 352.

- (160) ابن خلدون : ج 6 ص 107 .  
(161) تسكن برغواطة اقليم تامسنا بالمغرب الاقصى واهم مدنه سلا وآزمور وآفلى وآسلى ، وكان زعيمها طريف بن شمعون من تواد ميسرة ، وقد اختلف فى نسبه فيها اذا كان مصوبيا او يهوديا او يبنيا وعلى كل حال — فقد خلفه بعد موته ابنه صالح الذى تزندق وشرع ديانة جديدة ، وأظهر قرانا جديدا وتسمى « بصالح المؤمنين » ولم يقدر لتعاليمه الانتشار فى حياته ، فقد غادر البلاد الى المشرق ، وادعى انه المهدي المنتظر وكان قد أعد ابنه الياس للقيام بأمر دعوته بعد أن لقنه أسرارها وبعثه بأصولها . وقد نشبت الدعوة فى عهد الياس ، وحاول الادارسة القضاء عليها الا أنها ظلت قائمة حتى عصر الموحدين . راجع : ابن عذارى : ج 1 ص 61 ، ابن خلدون : ج 6 ص 207 ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج 3 ص 118 ، البوعياشى : الريف بعد الفتح الاسلامى ص 15 ، سعد زفلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ص 417 ،  
Mercier : Histoire de l'Afrique Septentrionale. Vol. I. P. 238.

والراجح أن ميسرة كان على صلة وطيدة بطريف بن شمعون « القائم بدعوة الصفرية » (162) في برغواطة قبل تقلده زعامة الحركة (163) ، فلما قام بثورته آزروه ووقفوا الى جانبه، لكنهم ما لبثوا أن انسحبوا من الحركة الصفرية حين نحى ميسرة عن زعامتها ، فانحازوا الى دعوة صالح بن طريف .

وانتشر المذهب الصفري أيضا في زناتة « فقد ضرب بنو يفرن فيه بسهم وانتحلوه » (164) ، كما أثبتت بعض بطونها في المغرب الأدنى على اعتناقه وساهمت في حركات الصفرية بعد ذلك بصورة محدودة .

ولم يقتصر انتشاره على البربر وحدهم بل تعداهم الى العناصر الأخرى ، فبعض العرب المقيمين بافريقية دانوا بالمذهب الصفري وقد تسرب هؤلاء الى المغرب بصحبة الجيوش القادمة من المشرق ، حتى ذاع عن بعض الولاة اعتنائهم هذا المذهب أو على الأقل تعاطفهم مع معتنقيه (165) فقد اتهم يزيد بن أبي مسلم بأنه من الخوارج الصفرية (166) ، وان كان لم يستطع الجهر بذلك خوفا وتقية حتى قيل بأنه « يعلم الحق ويكتمه » (167) .

كما انتشر المذهب الصفري بين جماعات الأمازيغ ، وهم أصلا من البربر الذين اختلطوا بالروم ودخلوا في خدمتهم واعتنقوا ديانتهم أو من الأجانب المستوطنين الذين طال وجودهم في بلاد المغرب حتى أصبحوا أمازيغية (168) . وهؤلاء كان لهم نمط خاص في حياتهم باعتبارهم أكثر تحضرا من سكان البلاد الأصليين وكانت لهم لهجتهم الخاصة التي لا يعرفها غيرهم (169) . وقد أقبلوا على اعتناق الإسلام رغبة منهم في الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية المرموقة ، لكن الولاة الأمويين الأواخر عاملوهم معاملة

(162) ابن خلدون : ج 6 صفحة 107 .

(163) عبيد الله بن صالح : نص جديد ص 224 ،  
Marçais, G : La Berberie Musulmane. P. 48.

(164) ابن خلدون : ج 7 ص 11 ،  
Masqueray : Chronique d'Abou Zakaria. P. Lxxiii

(165) ابن الأثير : الكامل ج 5 ص 70 ،  
Le Tourneau : Op. Cit. P. 439.

(166) المبرد : الكامل ج 3 ص 949 .

(167) نفس المصدر صفحة 968 .

(168) حسن محبود : انتشار الإسلام ج 1 ص 167 .

(169) البكري : المغرب صفحة 6 .

البربر ، فلما انتشر المذهب الصفري بين بربر المغرب الاقصى لم يحجم الافارقة عن اعتناقه ، فقد تلقاه زعيمهم عبد الاعلى بن جريج عن عكرمة بالقيروان ثم نشره بين تومه (170) . وحسبنا دليلا على ذلك اشتراك الافارقة في ثورة مسيرة سنة 121 هـ ( 739 م ) وتقليده عبد الاعلى واليا من قبله على طنجة بعد فتحها (171) .

وامتدت تعاليم الصفرية كذلك عن طريق ابي القاسم سمكو بن واسول الى جماعات السودان القاطنين جنوبى الصحراء . فمن المعروف ان توافل التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان كانت تمر عبر واحة تافيلت حيث اقام ابو القاسم واخذ يعمل على نشر المذهب الصفري . وكانت جماعات منهم تقطن هذه الواحة وتعمل في التجارة عبر الصحراء . وقد رحب هؤلاء بمبادئ الخوارج لما تنطوى عليه من مساواة دون اعتبار للعنصر او اللون . ووجد ابو القاسم سمكو فيهم اتباعا مخلصين فالتفوا حوله واعتنقوا مذهبه . واخذت جموعهم تزد وتتسمر في اقليم تافيلت بصفة دائمة بعد اعتناقهم المذهب الصفري ، وليس ادل على ذلك انه ما ان شرع الصفرية في اقامة دولتهم بسجلماسة سنة 140 هـ (757 م) حتى اختاروا اول ائمتهم من السودان وهو عيسى بن يزيد الاسود (172) .

وهكذا تغلغل المذهب الصفري في سائر ارجاء المغرب الاقصى وبعض نواحي افريقية والمغرب الادنى بين البربر والعرب والافارقة والسودان على السواء . ولعل هذا الانتشار السريع وشموله كافة الاجناس والعناصر الموجودة ببلاد المغرب وتسربه حتى جنوبى افريقية هو الذى حدا بابن خلدون (173) الى القول بان « الصفرية قد فشلت مقاتلتها في سائر القبائل بافريقية » « وصار لهم فيها عدد كثير وشوكة قوية » على حد قول النويرى (174) .

أما المذهب الاباضى فينسب الى عبد الله بن اباض المرسى

(170) السلاوى : ج 1 صفحة 97 .

(171) ابن عبد الحكم ص 293 ، ابن عذارى : ج 1 ص 52 .

(172) البكرى : المغرب ص 149 ،

Journal : Op. Cit. Vol. 2. P. 22.

(173) المبرج ج 4 ص 189 .

(174) نهاية الارب ج 22 ورقة 150 .



التميمي (175) ، وان كان بعض مؤرخي الإباضية ينكرون ذلك (176) .  
ويجمع المؤرخون (177) على أن المذهب الإباضي ظهر — شأنه شأن  
الصفيرية والنجدات والأزارقة — سنة 64 هـ (683 م) عندما خالف عبد الله  
ابن أباض نافع بن الأزرق في تفكيره القعدة عن القتال واتخذ بذلك  
موقفا معتدلا .

والواقع أن الاعتدال هو السمة الواضحة لعقائد الإباضية ، إذ  
أنهم يحرمون دماء المسلمين وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم (178) . كما  
أنهم اعتبروا دور مخالفيهم دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار  
بغى (179) . واجازوا مناكحتهم وموارثتهم وغنيمة أموالهم من السلاح  
والكراع عند الحرب ، وحرموا قتلهم وسبيهم في السر غيلة الا بعد نصب  
القتال واقامة الحجة (180) . وقالوا في مرتكبي الكبائر أنهم موحدون ،  
وان كدروا كفر النعمة لا كفر الملة . وتوقفوا في أطفال المشركين وجوزوا  
تعذيبهم على سبيل الانتقام . ولعل طابع الاعتدال في عقائد الإباضية هذه  
هو ما جعلهم أقرب فرق الخوارج الى اهل السنة (181) .

والملاحظ ان الإباضية — كالصفيرية — بدأوا حركاتهم السياسية في  
وقت متأخر . فقد خرج عبد الله بن أباض على مروان بن محمد (182)  
آخر خلفاء بني أمية ، فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بقبالة  
وهزمه وقتله (183) معنى هذا أن ابن أباض لم يقدم على الثورة على أثر  
انفصاله عن نافع بن الأزرق سنة 64 هـ (683 م) انما أثر التريث حيث  
وجد في عصر مروان بن محمد الحافل بالاضطرابات فرصة مواتية للخروج .  
لكن فشلته وقتله دفع أتباعه الى اتباع أسلوب العمل في الكتمان ونشر

- 
- (175) ابن تقيية : المعارف ص 622 ، ابن رسته : الاملاق النخبة ص 217 ، مجهول :  
قطعة من كتاب في الاديان والفرق ورقة 97 — مخطوط .  
(176) انظر : أبو زكريا ورقة 8 ، 11 ،  
(177) الطبري : ج 6 ص 320 ، البغدادي : ص 105 .  
(178) السوفي : شرح السؤالات ورقة 57 — مخطوط ، أبو غانم الصغرى : مدونه ،  
ورقة 43 — مخطوط .  
(179) البغدادي : صفحة 106 .  
(180) الاسفرائيني : التبصير في الدين ص 28 .  
(181) الشهرستاني : الملل والنحل ص 122 .  
(182) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص 51 .  
(183) نفس المصدر والصحيفة ، الشهرستاني : ص 121 .

الدعوة في الاطراف ، في خراسان (184) وجنوبى الجزيرة العربية (185) والمغرب .

وكانت البصرة مركزا للدعوة ، ومنها كان الدعاة — الذين عرفوا بحملة العلم — يتوجهون الى الأمصار بعد تلقيهم أصول الدعوة على ايدى فقهاء المذهب وشيوخه . والمعروف ان انصار المذهب بالبصرة كانوا يمارسون مهامهم في طى السرية والكتمان ، فكانت مجالسهم في سراديب تحت الارض . وامعانا في التخفى « كان يجلس امام باب السرداب رجل يعمل القفاف وعلى فمه سلسلة يحركها اذا ما رأى شخصا مقبلا لينبهه من الداخلى الى التزام الصمت ريثما يمر من يشنبهه في امره » (186) . وغالبا ما كانت هذه المجالس تتقام في بيوت النسوة العجائز منعاً للشبهة (187) ، بل ان روادها كانوا يتكفرون في ملابس النساء (188) .  
وتطلق المصادر الاباضية على هذه المجالس اسم « الحلقة » (189) .

(184) من دعاة الاباضية في خراسان محبوب بن الرحيل وبشر بن النير وهاشم بن عيلان . واذا كان الغموض يكتنف محسّر هؤلاء الدعاة ، فالذى لا شك فيه ان جهودهم في نشر الدعوة بخراسان باءت بالفشل . انظر : اقليش : بعض تواريخ اهل وادى ميزاب ص 115 .

(185) كذلك لا نعلم شيئا عن جهود دعاة الاباضية . وكانوا اربعة — ( اقليش : الامكان ص 110 ) في \*همان ( Masqueray : Op. Cit. P. XLII ) لكن احدهم ويدعى ابا حمزة المختار بن عوف — وكان يدعو لامامة ابي عبد الله بن يحيى الكندى المعروف بطالب الحق — نجح في مهنته ( المسعودى . ج 3 ص 257 ) . وكان نائب الصلة بجماعة الاباضية في البصرة الذين امدوه بالمشورة والنصائح السى جانب الاموال والسلاح ( مجهول : كشف الغبة ورقة 307 مخطوط ) وانتشرت الدعوة لطالب الحق في عمان ، وخطوب بأمير المؤمنين ، ثم دخل صنعاء ودانت له اعمالها ( ابن تعزى بردى : ج 1 ص 309 ) .

كما تمكن ابو حمزة من دخول المدينة المنورة سنة 130 هـ بعد هرب واليها الاموى الى الشام ( الطبرى : ج 7 ص 394 ) ، وبطش بمن خالته من اهلها ( ابن الاثير : ج 5 ص 140 ) ، وخطب على منبر جامعها لطالب الحق ( انظر نص الخطاب في كتاب المعتمد الفريد لابن عبد ربه ص 144 — 147 ) . وظل بها ثلاثة شهور غادرها بعدها الى بلاد الشام لكن مروان بن محمد بعث تائده محمد بن عطية السعدى على رأس جيش للقائه ، وتمكن محمد بن عطية من هزيمة ابي حمزة وقتله في معركة وادى القرى سنة 130 هـ ( ابن الاثير : ج 5 ص 146 ) . وواصل الجيش الاموى زحفه الى المدينة ، ومنها توجه الى اليمن حيث هزم طالب الحق وقتل الكثيرين من رجاله بناحية الطائف ، وفر بقية الخوارج الى خضرموت حيث تحصنوا بها .  
( انظر : المسعودى : ج 3 ص 258 ، سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية ص 129 ) .

(186) ابو زكريا : ورقة 5 ، الشهاى : السير ص 124 .  
(187) الشهاى : نفس المصدر ص 108 ، 109 .  
(188) الدرجينى : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 107 — مخطوط .  
(189) من حلقات الاباضية في مصور متأخرة راجع : البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 106 — 112 — مخطوط .

وفيها يتلقى الاتباع الاصول والفروع والسير (190) والتوحيد والشريعة وآراء الفرق الى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات (191) . هذا فضلا عن تبصيرهم بقنون الحكم ، وأساليب السياسة ، واعدادهم لتقلد المناصب والاضطلاع بأعبائها في مرحلة الظهور (192) . وبعد ذلك يرحلون الى الامصار يدعمون للمذهب ثم يشرعون في « المجاهرة بالعمل » (193) اذا ما توافر لهم « ما يوجب به التولية عليهم من العدة والعدد من الرجال » (194) .

ويرجع الفضل في تنظيم اسلوب الدعوة الاباضية الى جابر بن زيد الذي حظى بمنزلة عالية عند الاباضية حتى اعتبره بعضهم (195) أول الائمة . لكن الاجل لم يمتد به ليشهد نجاح جهوده ، فقد توفي سنة 96 هـ (196) ( 725 م ) وخلفه احد تلاميذته ويدعى ابا عبيدة مسلم بن ابي كريمة (197) الذي قيل انه ظل يتلقى العلم اربعين عاما وبعدها نصب نفسه لتعليمه (198) . ومن هنا كانت شهرته الواسعة بتعمقه في العلوم على اختلافها (199) . فكان ندا لاعلام المعتزلة كواصل بن عطاء ، وكان يحاورهم ويجادلهم (200) . وقد سجن زمن الحجاج ، وأفرج عنه بعد موته ليتصدى لتنظيم جماعة الاباضية في البصرة خلفا لجابر بن زيد . وساعده في ذلك كبار اعوانه من امثال ابي نوح ، وأبي مودود حاجب والربيع بن حبيب (201) وفي عهده ارتفع شأن الدعوة واشتد ساعدها ، فقد تسنى له جمع الكثير من الاموال وتمكن من شراء الاسلحة ليستعين

- 
- (190) الدرجيني : المرجع السابق ورقة 3 .  
 (191) البرادى : المرجع السابق ورقة 106 ،  
 Masqueray : Op. Cit. P. IxL.  
 (192) ابو زكريا : ورقة 6 ، الشماخى : السير ص 124 .  
 (193) مجهول : كشف الغمة ورقة 307 - مخطوط .  
 (194) ابو زكريا : السيرة ورقة 5 .  
 (195) الورجلانى : ج 2 ص 72 ، دبوز : ج 2 ص 138 ، 408 ، على يحيى معمر :  
 الاباضية صفحة 21 .  
 (196) اخطأ البرادى حين ذكر انه توفي سنة 193 هـ . راجع : الجواهر المنتقاة ورقة 79 .  
 Masqueray : Op. Cit. P. 8  
 (197) الدرجيني : ج 1 ورقة 102 ،  
 (198) اطنيش : الامكان ص 113 .  
 (199) الشماخى : السير صفحة 83 .  
 (200) الدرجيني : ج 1 ورقة 105 .  
 (201) نفس المصدر ورقة 107 .

بها دعواته في الولايات على « اقامة دين الله » (202) .

وليس من شك في أن بلاد المغرب ظفرت من ابي عبيدة باهتمام كبير (203) ، اذ كانت ميدانا خصبا لنشر المذهب ، فبعث بداعيته سلمة ابن سعيد في بداية القرن الثاني الهجري لنشر الدعوة الاباضية بين المغاربة . وتجمع مصادر الاباضية (204) على حماس سلمة الشديد في نشر المذهب حتى أنه « كان يتمنى ظهوره يوما واحدا ويموت في آخره » . ويبدو أنه اتخذ من بلاد المغرب الادنى ميدانا لنشاطه حيث استطاع أن يكسب انصارا في اقليم طرابلس وجبل نفوسة (205) . ولم يمتد به الاجل طويلا فحل محله ابو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الذي تتلمذ على ابي عبيدة بالبصرة (206) ، واشتهر « بشدة الشكيمة وقوة العريكة » (207) . وفي أيامه تم انتشار المذهب بين بربر نفوسة في مستهل القرن الثاني الهجري (208) . ومنذ ذلك الحين أصبح جبل نفوسة « دار هجرة » للمذهب الاباضي في بلاد المغرب (209) .

وكان رسوخ تقدم المذهب الاباضي في جبل نفوسة سببا في انتشاره

(202) الشماخي : السير ص 115 . وقد أورد الشماخي مثالا على ذلك نصه انه « لما خرج الامام عبد الله بن يحيى وابو حمزة ، جعب لهما أموالا كثيرة يعينهما بها . وكتب على كل مؤسر من المسلمين قدر ما يرى ، فما امتنع عليه أحد . ودعا ابا طاهر - وكان شيخا ناضلا - وقال له : عليك بالنساء وأوساط الناس ، فاننا نكسرهن ان نكتب عليهن ما لا يحملون . فانطلق ابو طاهر فبين انطلق معه من المسلمين ، فلم يأتوا امرأة ولا رجلا الا وجدوه مسارعا فبها سالوه . . فلم يمس الليل حتى جمع ابو طاهر عشرة آلاف درهم . فأخبروا حاجبا ، فسر بذلك فقال : ان في الناس لبقية بعد . فاشترى بذلك الاموال سلاحا لوجهه ، ووجه ما بقى » . انظر : السير صفحة 114 .

(203) بالغت المصادر الاباضية في ايراد كثير من الاحاديث المصطنعة والاموال الماثورة عن كبار الصحابة في فضائل البربر ، وما سيتم على ايديهم من العودة بالاسلام الى اصوله الصحيحة . وعلى الرغم مما يكتنف هذه الروايات من طابع أسطوري فلها دلالاتها على موثاقاة ظروف بلاد المغرب لنشر دعوة الخوارج . انظر : ابو زكريا ورقة 2 وما بعدها ، الدرجيني : ج 1 ورقة 7 وما بعدها .

(204) ابو زكريا : ورقة 2 ، الشماخي : السير ص 98 ، السوي : شرح الاسئلة ورقة 147 .

(205) الدرجيني : ج 1 ورقة 6 .

(206) الوسياني : سير ابي الربيع ورقة 80 - مخطوط ،

Lewcki : Etudes, Ibadites. P. 39.

(207) الشماخي : السير صفحة 144 .

(208) الوسياني : ورقة 79 ، الدرجيني : ج 2 ورقة 140 ، ابن مقديش : نزعة الانتظار ص 40 ، السلاوي : ج 1 ص 123 ،

(209) ابن حوقل : المسالك والممالك صفحة 68 .

بين القبائل الاخرى مثل هواراة ولماية وزناتة وسدارته وزواغة ولواتة (210) أما مطاطة ، فلم تعتق المذهب الا في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم (211) .

على كل حال — فان انتشار المذهب الاباضى على هذا النحو بين كثير من قبائل المغربيين الادنى والاوسط كان في حاجة الى مزيد من التبصير بتعاليم المذهب واصوله الفثية ، وحسب سلمة بن سعيد وابن مغيطر انهما كسبا الانتصار وبثا الدعوة بين القبائل . ولذلك تم اختيار ممثلين عن الجهات التى انتشر فيها المذهب للتوجه الى البصرة لمزيد من الدرس ، فاختر عاصم السدراتى من غرب الاوراس ، وأبو داود القبلى النفاوى من نفزاوه جنوبى افريقية ، واسماعيل بن درار من غدامس جنوبى طرابلس وانضم اليهم عبد الرحمن بن رستم من القيروان (212) . وتوجه هؤلاء الذين عرفوا « بحملة العلم » الى البصرة حيث ظلوا في صحبة ابي عبيدة مسلم خمس سنوات (213) يتلقون العلم على يديه ويعدون العدة للظهور ويتعلمون اصول الحكم وفنونه .

وجدير بالذكر ان ابا عبيدة اشار عليهم بأحد أتباعه من العرب ويدعى ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى (214) ليتولى « امامة الظهور » اذا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . كما أعد اسماعيل بن درار الغدامسى لتولى القضاء ، فعلمه اصول الفقه والافتاء (215) . وأوصاهم بمداومة الاتصال به واستفتائه فيما يعين لهم من مسائل وأخباره بنشاطهم أولا بأول (216) .

وعاد « حملة العلم » الى المغرب ، وواصلوا جهودهم في تثبيت دعائم المذهب ولما اشدت ساعدتهم عقدوا العزم على اعلان امامة الظهور

(210) ابن خلدون : ج 6 ص 120 ، 121 ، Biquet : Histoire de l'Afrique septentrionale, P. 41.

(211) الجربى : مؤنس الاحبة صفحة 46 .

(212) ابو زكريا : ورقة 5 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 9 ، الشماخى : السير ص 124 ، اطفيش بعض تواريخ اهل وادى ميزاب ص 188 .

(213) نسس المصادر والصحفات ، اطفيش : كتاب الامكان ص 112 ، دبوز : ج 3 ص 194 . واذا ما علمنا ان البيعة عادت الى المغرب سنة 140 هـ . فيكون رحيلهم الى البصرة حدث سنة 135 هـ . انظر : Lewcki : Etudes, P. 27.

(214) قيل انه كان من تواد الجند العربى بطرابلس انظر : حسن حسنى عبد الوهاب ورقات من الحضارة العربية ج 1 ص 425 .

(215) ابو زكريا : ورقة 5 ، الشماخى : السير ص 124 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 10 .

(216) ابن ابي كريمة : رسالة في احكام الزكاة ورقة 114 — مخطوط .

سنة 140 هـ ( 757 م ) .

هكذا أصبحت بلاد المغرب معقلا لنشاط الخوارج بعد انتشار المذهب الصفري بين بربر المغرب الأقصى وبعض نواحي المغرب الأوسط ، والإباضي في المغربين الأدنى والأوسط (217) . وبدا الخوارج حقبلة

(217) من المفيد أن نعرض لنظرية شائعة في تفسير انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب ، تربط بين هذا المذهب وبين نجلة الدونانية المسيحية . وهذه النظرية منسوبة الى المؤرخ جوتيه ، ونقلها عنه سائر مؤرخي المغرب الفرنسيين وباديء ذي بدء نقرر أن جوتيه لم يكن أول من قال بهذه الفكرة ، انما سبقه إليها أميل ماسكراي في مقدمته لكتاب السيرة لابي زكريا الذي صدر بالجزائر سنة 1878 م . وهو القائل بسان « الخارجية كالدونانية تعدد انفسا دينيا وليست زندقة » وأن « مذهب الخوارج يشترك مع الدونانية في التعبير عن روح الاستقلال عند البربر » واليه يعزى الفضل في الربط بين مذهب الخوارج في المغرب بشقيه الإباضي المعتدل والصفري المتطرف وبين الدونانية المعتدلة والسركونسليونية المتطرفة كذلك انظر : (Masqueray : Op. Cit. P. Ixviii, Lxxii).

وعلى هذه الخطوط نسج جوتيه نظريته تلك التي ضمنها كتابه عن المغرب في العصور الوسطى الذي صدر بباريس سنة 1927 . واهم ملامح هذه النظرية ما يلي :  
1 - اشتراك الخوارج والدونانيين في عديد من الصفات كالملاعبة والالتزام الصارم بأصول العقيدة والتطرف والزهد والتسليم بالقضاء والتقدير والاستشهاد في سبيل المذهب .

2 - ينطلق فكر كل من المذهبين من معين واحد هو نزعة التدين الشديدة للطرية عند البربر .

3 - أن البربر اعتنقوا مذهب الخوارج - كما ذكر ابن خلدون - كسلاح يناوون به الحكام ، وهو نفس ما حدث بالنسبة لاعتنائهم المذهب الدوناني .

4 - ومن ثم ، فالعامل الديني في كلتي الحركتين أمر ثانوي بالقياس الى المعزى السياسي والاجتماعي الذي يتمثل في تحقيق الديموقراطية كهدف سياسي والعدالة كمطلب اجتماعي .

5 - وينتهي جوتيه - كما انتهى ماسكراي - الى أن مذهب الخوارج عند البربر امتداد للدونانية « بعد أن خلعت لبوسها المسيحي لتتشع بثياب اسلامية » ( راجع : (Gautier : Le Siecles obscurs. P. P. 626, 63, 64.

وانبرى جبهة مؤرخي المغرب الفرنسيين للدفاع عن هذه النظرية وتصدوا لدعمها . فبروننسال يركز في دعمه على توافق جوهر عقائد الخوارج والدونانيين مع طوائف البربر وصفائهم الفطرية (انظر . Histoire de l'Espagne Musulmane Vol. I. P. 42. وانظر .) وجورج مارسيه يؤكد أن اعتناق البربر للمذهبين وسيلة لا غاية ، فكلاهما « اسد البربر بالحائز الخلقى لتبرير ثورتهم على الحكام ، وكما هزت الدونانية وحدة الكنيسة الامريكية ، كانت الخارجية عند البربر نوعا من الهرطقة القومية التي شكلت خطرا على مستقبل الاسلام في بلاد المغرب » .

راجع . La Berberie Musulmane et l'Orient. P. 140. وفي نفس الاتجاه يعضى مرسيه فيقول « ان عبارة لا حكم الا لله لها عند الخوارج - وكذلك الدونانيين - دلالة على اعلان الحرب السياسية » .

انظر : Histoire de Constantine. P. 86  
أما باسيه فيركز على المعزى الاجتماعي للحركتين اذ انهما « ما تابتا لمجرد خلاف في الرأي حول تفسير للعقيدة ، بل لاشعال حرب اجتماعية تحت رايات دينية

(Recherches sur la religion des Berberes. P. 331.

## جديدة في تاريخ البلاد حيث عمت الثورات كافة ربوعها ، وهو ما سنفصله في الباب الثانى .

= ويشاركه جوليان نفس الرأى فيقول « .. وكما كانت الدوناتية وسيلة لوضع حد لانتهازية الكاثوليكس ، وتحالف الحكام الرومان مع كبار الملاك ورجال الدين ، كان مذهب الخوارج في المغرب سلاح البربر في نضال هذه القوى ومظهرا من مظاهر مقت الاجانب ، وتعبيرا عن السخط والحقد على السلطة القائمة » .

Histoire de L'Afrique du Nord. P. 328.

انظر :

ومن المفيد أن نعريف في ايجاز بحركة الدوناتية في بلاد المغرب ، وتتلخص في أن دونات Donat استغف نوميديا رفض الاعتراف باختيار سيسيليان Cicilianus اسقفا لقرطاجنة سنة 311 م . وكان يبعث رفضه أن التساوسة الذين اختاروه لهذا المنصب كانوا من المشكوك في ولائهم للمعيدة بعد اقدمهم على تسليم الكتب الدينية والاراني المقدسة الى السلطة الامبراطورية على اثر اغتيال الامبراطور ديكلويتيان Diocletien انظر : Gautier : Op. Cit. P. 261 . وقد آزرّت الكنيسة والسلطات الرومانية سيسيليان ، بينما ناصر البربر - وخاصة الطبقات الفقيرة منهم - دونات ضد اعدائه

(Bonet : L'Islamisme et le christianisme. P. 59).

ثم حدث انشقاق داخل الحزب الدوناتى ، فظل دونات على راس المعتدلين بينما تزعم سيركونسلون جناح المتطرفين ونحا بالحركة منحى اجتماعيا فقام بالاغاره على املاء الاغنياء والاستيلاء عليها تحقيقا لبدأ العدالة والمساواة . انظر : مبارك الميلى : تاريخ الجزائر ج 1 ص 254 ، (Bonet : Op. Cit. P. 60) وقد تعرض هؤلاء وأولئك للاضطهاد الشديد طوال القرن الرابع الميلادى ، الامر الذى جعلهم يقدمون على التعاون مع الواندال لغزو افريقية وتحريرهم من الكنيسة الارثوذكسية والسلطات الرومانية (بونيل : الممالك الاسلامية ص 77 (Bonet : loc. cit) ومع تسليمنا بوجاهة نظرية جوتيه الى حد كبير ، نعتقد أنها تنطوى على شىء من المبالغة حين يزعم صاحبها أن مذهب الخوارج امتداد للدوناتية .

وحسبنا أن البربر الذين ناصروا الدوناتية لم يمتد بهم الاجل - بداهة - للالتفاف حول دعاءة الخوارج ، وما حدث لا يعدو أن يكون محض تشابه في ظروف بلاد المغرب السياسية والاجتماعية والدينية التى ظهرت ابانها حركتان متباعدتان لا تمت أى منهما للآخرى بصلة . فاذا كانت الدوناتية ذات طابع مغربى صرف بمعنى أنها نشأت في بلاد المغرب ، ونسجت من واقع ظروفه ، فان مذهب الخوارج ظهر في الشرق الاسلامى ثم وفد الى بلاد المغرب كسائر المذاهب الاسلامية الاخرى الامر الذى ينفى وجود رباط فكرى مشترك كان فيه مذهب الخوارج متأثرا بعقائد الدوناتية . ومن ناحية اخرى ، فان ما ساقه جوتيه من حجج وقرائن يدل بها على هذه الصلة كصفات الاقدام والزهد والصلابة . الخ انها هى صفات مميزة للبربر عموما في كل المصور وليست حكرا على معتقلى المذهبين فحسب .

وكذلك التقابل بين جناحى المعتدلين وجناحى المتطرفين في كل من المذهبين نجد له مثيلا في سائر المذاهب الدينية والسياسية .

ومع ذلك تظل للمقارنة بين الدوناتية والخرافية في المغرب دلالتها على أن الحركات الدينية أو المذهبية ليست مجرد خلاصات عقائدية فحسب انها تنطوى على دوائع اجتماعية يلعب العامل الاقتصادى فيها دورا فعلا ومؤثرا .





الباب الثاني

---

تورات الخوارج في بلاد المغرب  
في عصر الولاة

انتهينا الى ان مذهب الخوارج بشقيه الصفري والاباضي انتشر انتشارا واسعا في بلاد المغرب حتى صار للخوارج « عدد كثير وشوكية قوية » (1) . وقد سبق ان اوضحنا ما اوصى به رؤساء المذهب في الشرق دعائهم في الغرب « بالظهور » بعد اتمام الدعوة ان استطاعوا الى ذلك سبيلا . ومرحلة الظهور هذه تعنى « الثورة على ائمة الجور » (2) حسبما تعنيه مبادئ الخوارج وتحض عليه ، وان اعتبرت تمردا « وتطاولا » (3) في نظر الخلافة وعمالها في بلاد المغرب .

والواقع ان ظروف المغرب كانت مواتية لاندلاع ثورات الخوارج سنة 121 هـ ( 739 م ) بعد تفاقم مشاكل البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية ابان ولاية عبيد الله بن الحبحاب . فعلى الرغم مما عرف به من دربة ودراية بفسون الحكم والسياسة (4) كانت سياسته في بلاد المغرب « سببا لانتفاض البلاد ووقوع الفتن العظيمة » كما ذكر ابن عذارى (5) . ففى عهده احتدت الخصومات القبلية بين القيسية واليمينية ، ولما كان قيسيا ، فقد لاقى العرب اليمينية على يديه عنقا واضطهادا شديدا (6) . وولى على طنجة وما والاها عمر بن عبد الله المرادى ، « فأساء السيرة وتعدى في الصدقات والقسم ، واراد أن يخمس البربر ، وزعم أنهم فىء المسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله » (7) كما عهد الى

- 
- (1) الرقيق : ص 109 ،  
 Provençal : Op. Cit. P. 41  
 (2) البغدادي : ص 273 ،  
 Provençal : Loc. Cit.  
 (3) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 111 ،  
 Julien : Op. Cit. P. 329.  
 (4) ذكر الرقيق عن عبد الله بن ابي حسان اليحصبي من ابيه قال « رايت عبيد الله بن الحبحاب يوما ينظر في دفتر العطاء ، ويهلى رسالة ، ويامر بحاجات في ناحية اخرى ، ويامر في خلال ذلك بالحكم بين رجلين متنازعين » .  
 انظر : تاريخ افرقية والمغرب ص 107 .  
 (5) البيان المغرب ج 1 صفحة 52 .  
 (6) ابن عبد الحكم : صفحة 293 .  
 (7) الرقيق : صفحة 109 .

ابنه اسماعيل بولاية السوس الاقصى ، فاستبد بالبربر هناك ، وكثر عبثه بنسائهم ، وجوره على أموالهم (8) . ولا شك أن ابن الحبحاب كان راضيا عن سيرة عماله ، فقد كان عليه أن يفى بوعوده للخليفة هشام بن عبد الملك بإرسال المزيد من الاموال والسبايا (9) مما يجلبه هؤلاء العمال . ولعل حرصه على ذلك يفسر عهده الى حبيب بن ابي عبيدة بقيادة حملة ضخمة جابت بلاد المغرب حتى اقتصاها . واصابت من السبى والذهب امرا عظيما ، وبثت الرعب والفرع في تلك الانحاء (10) .

وقد اتخذ ابن الحبحاب من البربر اداة لخدمة اطماعه خارج بلاد المغرب فرمى بهم في الحملات التي انفذها الى سردينية وصقلية (11) ، الامر الذي زاد في كراهيتهم للحكم العربى وتصميمهم على الثورة . وقد ساعد على ذلك غياب معظم الجيش العربى الافريقى خارج البلاد فى الحملة التي قادها حبيب بن ابي عبيدة على صقلية سنة 121 هـ ( 739 م ) (12) ، وانشغال الخلافة الاموية اذ ذاك بمشاكل الحكم (13) ، وبعد بلاد المغرب الاقصى عن مقر الولاية بالقيروان . لذلك كانت الظروف مواتية تماما لبربر المغرب الاقصى الذين اعتنقوا المذهب الصفرى لاعلان الثورة « والظهور » وهو ما عبر عنه ابن خلدون (14) بقوله « .. ان الخارجية حين رسخت في البربر عروق من غرائسها تطاول البربر الى الفتك بأمر العرب » .

(8) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 240 .

(9) ابن عذارى : ج 1 ص 53 .

(10) الرقيق : صفحة 108 .

(11) نفس المصدر ص 109 ، ابن الاثير : ج 5 ص 69 .

(12) الرقيق : صفحة 109 .

(13) الحميدى : جذوة المتبسى صفحة 8 .

(14) العبر : ج 6 صفحة 111 .

## ثورات الخوارج الصفرية

انتهينا الى أن المذهب الصفري انتشر بين قبائل المغرب الأقصى كمطفرة ومكناسة وزناتة وبرغواطة وعنصرى الافارقة والسودان . كما امتد نفوذه الى بعض جهات المغربين الأدنى والوسط - وان كانت السيادة فيها للمذهب الاباضى عن طريق القبائل البدوية دائمة الترحال مثل هواة وزناتة . ونظرا لمواتاة ظروف الخوارج فى المغرب الأقصى لقيام الثورة ، ولغلبة المذهب الصفري وسيادته بين قبائله ، كان الخوارج الصفرية سابقين الى تخطى مرحلة الدعوة الى « مرحلة الظهور » وعلان الثورة (15) بينما شغل الاباضية اذ ذاك باتمام نشر المذهب وتفقيهه معتقيه وارسال بعوثهم الى البصرة للاعداد لمرحلة الثورة . وعلى ذلك فلا محل لتصديق الرواية المتواترة (16) القائلة بانضواء خوارج المغرب اباضية وصفرية تحت لواء ميسرة المطفرى فى ثورة عام 121 هـ ، فتلك بلا شك كانت ثورة صفرية خالصة .

والروايات تختلف حول اصل ميسرة قائد الثورة ، فتذهب

- 
- (15) ينرد ابن خلدون برواية تنص على اغتيال الخوارج ليزيد بن ابى مسلم سنة 103 هـ والواقع انه قتل نتيجة للخصومات بين القيسية والبهنية وليس على يد الخوارج . فلم يكونوا قد قاموا بعد بثورتهم على ولاة القيروان .  
انظر : المبرج 6 صفحة 108 .
- (16) انظر : أخبار مجموعة صفحة 28 .

بعضها (17) الى انه من اصل عربى وتنسبه الى قبيلة الازد ، بينما تؤكد الأخرى (18) — وهى الأرجح — انتماءه الى قبيلة مطفرة من البربر . كما اختلفت أيضا حول كنيته ، فقيل ميسرة الحقير (19) أو الخفير (20) وقيل الفخير (21) ، ويخيل لنا أن ذلك من نسج خصومه تحقيرا لشانه ، أو لما عرف عن اشتغاله بالسقاية فى سوق القيروان (22) . والذى لا شك فيه أن ميسرة كان سيد قومه وشيخ قبيلته ، فابن خلدون (23) — العالم بأنسب البربر — يدعوهُ « رئيس مطفرة » والسلاوى (24) يصفه بأنه « مقدم الصفرية » . وما اشتغاله بالسقاية الا بقصد التستر والتمويه على الخصوم حينما كان يتلقى أصول المذهب الصفرى على عركة مولى ابن عباس فى القيروان ، ولما تتيحه مهنة السقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثاره لشكوك الخصوم .

وقد سبق التعريف بدور ميسرة فى نشر المذهب الصفرى بين قبيلته مطفرة ، ويبدو أن دعاة المذهب فى المغرب أجمعوا على زعامته بعد موت عكرمة مولى ابن عباس ، فتخبرنا المراجع أن مكناسة آزرته واشتركت فى ثورته (25) ، كما انضوى الامارقة بزعامة عبد الاعلى بن جريح تحت لوائه (26) ، وكذلك فعلت برغواطة وزعيمها طريف (27) ، وقد اتخذ ميسرة من ابنه صالح ناصحا ومشيئا (28) . وهكذا تسنى له توحيد القبائل الصفرية فى كافة ربوع المغرب الاقصى تحت زعامته (29) .

ويخبرنا الطبرى (30) أن ميسرة تزعم وفدا من البربر رحل به الى الشام ليشكو للخليفة هشام بن عبد الملك جور عماله ، وان جوهر

- 
- (17) ابن تمزى بردى : ج 1 ص 289 ، الطاهر الزاوى : تاريخ الفتح العربى لى ليبيا صفحة 125 .
- (18) ابن عبد الحكم : ص 293 ، الرقيق : ص 109 .
- (19) ابن عذارى : ج 1 صفحة 52 .
- (20) دبور : المغرب الكبير .
- (21) ابن عبد الحكم : صفحة 293 .
- (22) ابن اتوطية : صفحة 40 .
- (23) العبر ج 6 صفحة 150 .
- (24) الاستقما ج 1 صفحة 97 .
- (25) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 130 ،
- (26) ابن عبد الحكم ص 293 ، ابن عذارى ج 1 ص 52 .
- (27) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 207 ،
- (28) ابن الخطيب اعمال الإعلام ج 3 ص 181 .
- (29) ابن الأثير : ج 5 ص 70 ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ص 14 .
- (30) تاريخ الرسل والملوك ج 4 ص 224 ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص 331 .

الشكوى يكمن في حرمانهم من غنائم الحروب التي خاضوها في حملات ابن الحبحاب رغم حسن بلائهم ، وحيف عماله بهم بنهب أموالهم وسبى بناتهم . ونعتقد ان الهدف الحقيقي هو الوقوف على مسؤولية الخلافة عن سياسة عمالها في المغرب واخذ الحجة عليها تبريرا لقيامهم بالثورة حسبها ينص عليه مبدأ الخوارج في « الثورة على أئمة الجور » (31) وهو ما ذكره الطبري بأن الجماعة أرادت ان تعرف « اعن رأى أمير المؤمنين هذا ام لا . » على كل حال ، حيل بين الوفد وبين لقاء الخليفة ، وأدرك ميسرة وجماعته ان الخلافة متواطئة مع عمالها فيما يحدث بالمغرب من ظلم وجور ، وعقدوا العزم على الثورة .

بويغ ميسرة بالامامة على اثر عودته (32) وزحف بجموع الصفرية الى طنجة ففتحتها وقتل عاملها عمر بن عبيد الله المرادي (33) ، وعين عبد الأعلى بن جريج الافريقي واليا عليها (34) . واتجه بعد ذلك الى السوس فدانث له بعد ان قتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب (35) . وتمت له السيطرة على المغرب الاقصى واقتطاعه عن نفوذ القيروان بعد وقائع صغيرة بلغت من الكثرة ما جعل المؤرخون يعزفون عن سردها . وقد وصفها ابن عذارى (36) بأنها « وقائع يطول ذكرها » . ومما سهل من مهمته ان القبائل الموالية له كفته مؤونة افتتاحت سائر اجزاء البلاد « فهب كل قوم من البربر على من يليهم ، فقتلوا وطردها » (37) ، بينما اتجه بنفسه الى مقر الولاية في افريقية (38) .

وقد بادر ابن الحبحاب بمواجهة خطر الصفرية ، فبعث بما لديه من

(31) البغدادي : صفحة 273 .

(32) ابن عبد الحكم : ص 293 ، اخبار مجموعة ص 28 .  
ورد عند بعض المؤرخين ان البيعة تمت بعد قيام الثورة ، فابن الاثير ذكر ان ميسرة بويغ بالامامة بعد الاستيلاء على طنجة وقد اخذ عنه الانصارى روايته ، أما الدكتور مؤنس فذكر أنه بويغ بعد انتصاره على جيش خالد النهري . انظر : الكامل ج 5 ص 70 ، المنهل العذب ص 59 ، ثورات البربر في افريقية والاندلس ص 169 .

(33) الرقيق صفحة 109 .

(34) ابن عذارى : ج 2 صفحة 52 .

(35) نفس المصدر والصحيفة .

(36) البيان المغرب ج 1 صفحة 52 .

(37) اخبار مجموعة صفحة 29 .

(38) نفس المصدر والصحيفة .

جند بقيادة خالد بن ابي حبيب الفهري (39) ليحول دون وصول ميسرة الى القيروان . كما اسرع في استدعاء حبيب بن ابي عبيدة وجيشه الذي كان قد انفضه الى صقلية (40) وامره بالتوجه في اثر خالد بن ابي حبيب . وعبر خالد بجيشه وادي شلف — وهو نهر بمقربة تاهرت — والتقى بميسرة على مقربة من طنجة . اما جيش صقلية الذي وصل على الاثر فقد رابط عند مجاز النهر (41) .

واقْتتل خالد وميسرة قتالا شديدا ، انصرف بعده ميسرة الى طنجة (42) ، والراجع انه هزم في تلك المعركة ، والا فما الداعي لانسحابه ولجؤه الى الدفاع بعد الهجوم (43) ؟ لعل ذلك كان سببا في تنحيته عن القيادة واختيار الصفرية خالد بن حميد الزناتي ليحل محله (44) .

على كل حال — لجأ خالد الزناتي الى الحيلة ، فقسم جيشه قسمين واجه أحدهما جيش خالد الفهري بينما قام الآخر بحركة التفاف من خلفه ليعوق اتصاله بجيش حبيب بن ابي عبيدة المرابط عند مجاز وادي شلف (45) ، وليحول بين جيش خالد الفهري وبين الهرب . وبذلك وقع جيش الفهري في « كمين البربر » كما ذكر ابن الاثير (46) وكانت النتيجة ان قضى عليه برمته قضاء مبرما (47) . وقتل في المعركة « حماة العرب وفرسانها وكماتها وابطالها » فسميت من ثم « معركة الاشراف » (48) .

(39) ابن عبد الحكم : ص 293 ، ابن عذارى : ج 1 ص 54 . اما ابن الاثير فيسببه خالد ابن حبيب الفهري . انظر : الكابل ج 5 ص 69 . وعند السلاوي خالد بن حميد الفهري انظر : الاستقصا ج 1 ص 97 .

(40) الرقيق : صفحة 109 .

(41) ابن عذارى : ج 1 ص 54 ، ابن الاثير : ج 5 ص 69 .

(42) نفس المصدرين والصفحتين .

(43) يخالف بذلك ابن عبد الحكم الذي ذكر ان ميسرة انتصر في هذه المعركة ثم اقصى عن القيادة التي تولاهما عبد الملك بن قطن المحاربي . ومما ينهض على خطأ تلك الرواية من اساسها ان عبد الملك بن قطن كان من ولاية الاندلس وليس من ثوار الخوارج انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص 294 ، ابن عذارى : ج 1 ص 55 .

(44) ابن عذارى : ج 1 ص 54 ، ابن الاثير ج 5 ص 69 .

(45) الرقيق : ص 110 ، ابن عذارى : ج 1 ص 54 .

(46) الكابل ج 5 صفحة 69 .

(47) الرقيق ص 111 ، ابن عبد الحكم : ص 294 ، ابن عذارى : ج 1 ص 54 ، ابن الاثير : ج 5 ص 69 .

(48) نفس المصادر والصفحات ، النويري : ج 22 ورقة 15 .

أما حبيب بن أبي عبيدة فقد لاذ بتلمسان حيث علم بتواطؤ واليهما موسى بن أبي خالد مع الصفرية ، فعاقبه بقطع أطرافه (49) .

وأسفرت هزيمة الاشراف عن تمرد العرب بالقيروان على واليهما عبيد الله بن الحبحاب وتنحيته عن الولاية (50) . وصادف ذلك هوى في نفس الخليفة هشام بن عبد الملك فبعث في استدعائه ، فقتل اليه في جمادى الاولى من عام 123 هـ ( 741 م ) ( 51) .

وقد غضب الخليفة (52) لما حل بالعرب في موقعة الاشراف ، فبعث جيشا ضخما بقيادة كلثوم بن عياض القشيري (53) الى المغرب وجعله على ولاية افريقية (54) . كما عهد الى بلج بن بشر بالامر من بعده ، فان قتل تولاه ثعلبة بن سلامة العاملي (55) . وبلغ جيش كلثوم ثلاثين ألفا من أهل الشام ومصر — عشرة آلاف من بنى أمية وعشرون ألفا من بيوتات (56) العرب — فضلا عن انضم اليه من المتطوعة وجند افريقية وعدتهم اربعين ألفا (57) . وامده بالأداء والمرشدين من أمثال مغيث مولى الوليد بن عبد الملك وهرون القرني لخبرتهما بمسالك المغرب وطبائع البربر (58) . كما أتاح له سلطات واسعة وحرية في العمل بما يتناسب وجسامة ما عهد اليه من مهمة استرداد نفوذ الخلافة « فأباح له الإباحات ووضع له الاطوياء » (59) .

(49) ابن عبد الحكم : صفحة 294 .

(50) ابن عذارى : ج 1 صفحة 55 .

(51) الرقيق : ص 11 ، ابن عبد الحكم : ص 294 .

(52) عبر الخليفة عن فضبه بقوله : « .. والله لاغضبن لهم غضبة عربية ، ولابعثن لهم جيشا اوله عندهم وآخره عندي . ثم لا تركت حصن بربرى الا جعلت الى جانبه خيمة قيسى او يمنى » انظر : الرقيق : ص 111 .

(53) اخبار مجموعة ص 30 ، ابن القوطية : ص 41 ، ويسميه ابن عبد الحكم كلثوم بن عياض القيسى ، وكذلك ابن القوطية . أما فلهوزن فيرى انه كلثوم بن عياض القسرى انظر : فتوح مصر والمغرب ص 294 ، تاريخ افتتاح الاندلس ص 40 ، تاريخ الدولة العربية صفحة 332 .

(54) يخطئ سكوت حين يذكر ان بلج بن بشر هو الذى عهد اليه بالولاية : انظر : History : of the Moorish Empire in Europe. Vol. I. P. 313 .

(55) اخبار مجموعة ص 30 ، ابن القوطية ص 41 .

(56) ابن القوطية : صفحة 41 .

(57) اخبار مجموعة ص 31 ، السلوى : ج 1 ص 98 ، القسرى : ج 4 ص 19 ، Scott : Op. Cit. P. 313 .

(58) اخبار مجموعة صفحة 31 .

(59) نفس المصدر والمصينة .



وبالرغم من ذلك كله ، كانت عوامل الضعف في جيش كلثوم تنذر بالفشل والهزيمة ، فقد افترق الى النظام والالفة بين عناصره من قيسية ويمنية وملتطوعة واموية (60) . وكانت تبادته للقيسية (61) ، كما كان قائده طاعنا في السن قليل الهيئة ، في حين كان بلج بن بشر مقدم الخيل صلفا (62) ، فثارت الخصومات القبلية وتصدع الجيش العربي قبل التقائه بالثوار من البربر الصفرية . واحتدم الصراع بين كلثوم وحبيب ابن ابي عبيدة شيخ اليمنية بالمغرب ، ولم يتصالحا الا على مضض حين توجهها لقتال الصفرية (63) بقيادة خالد بن حميد الزناتي (64) عند وادي نهر سبو (65) في موضع يقال له بقدورة (66) .

فلم يلبث الخلاف ان دب بينهما حول أسلوب القتال ، اذ اعرض كلثوم عن مشورة حبيب بن ابي عبيدة بمقاتلة الصفرية « الرجالة بالرجالة والخيل بالخيل » (67) . كما أهمل بلج بن بشر نصيحة هرون القرني ومغيث باحتماء الرجالة وراء الخنادق والكراديس في الوقت الذي يلتف فيه الخيالة خلف صفوف الصفرية لمهاجمة قراهم وذرايرهم ، واصر على النزال وجها لوجه استهانة بهم لقللة ما لديهم من

(60) الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص 14 .

(61) اخبار مجموعة صفحة 36 .

(62) الرقيق ص 112 ، ابن عذاري : ج 1 ص 56 ، ابن الاثير : ج 5 ص 70 .

(63) اشتط كلثوم وبلج - وهما من القيسية - في معاملة عرب المغرب من اليمنية وزعيمهم اذ ذاك حبيب بن ابي عبيدة . فقد انف كلثوم النزول بالقيروان ونزل في بلدة سببية على مقربة منها . وأمر أهل القيروان باخلاء منازلهم لجنده . فاستجاروا بحبيب بن ابي عبيدة وكان بتلمسان . فبعث الى كلثوم يامره بالرحيل عن البلاد . فاعتذر له كلثوم عن مسلكه وتوجه اليه بتلمسان ليشتركوا جبيما في قتال الصفرية . وهناك ثارت الخلافات من جديد لصلف بلج واستعلائه في معاملة حبيب . وكادت الحرب ان تنشب بين الطرفين . وقد ذكر ابن خلدون انهما اقتتلا بالفعل ثم اصطالحا على مضض .

انظر : الرقيق : ص 112 ، ابن عبد الحكم : ص 295 ، ابن خلدون ج 4 ص 189 .  
(64) اخطلت الروايات حول قائد الصفرية آنذاك فابن القوطية ذكر ان القيادة كانت لميسرة وخالد بن حبيد معا ، وصاحب اخبار مجموعة ذهب الى انها كانت لميسرة وحده ، وكذلك ابن عبد الحكم . لكننا نرجح رواية الرقيق لان ميسرة كان قد نحي من الزعامة كما سبق ان اشرنا .

انظر : ابن القوطية : ص 41 ، اخبار مجموعة ص 32 ، ابن عبد الحكم : ص 296 الرقيق : ص 114 ، ابن عذاري : ج 1 ص 57 .

(65) ابن عذاري : ج 1 صفحة 57 .

(66) اخبار مجموعة ص 32 . وقد وردت عن ابن القوطية « نقدره » . انظر : تاريخ افتتاح الاندلس صفحة 41 .

(67) ابن عبد الحكم : ص 295 ، ابن الاثير : ج 5 ص 70 .

سلاح (68) هذا في الوقت الذي بلغ فيه حماس الصفرية ذروته ، فبرزوا ،  
عراة متجردين ليس عليهم الا السراويلات (69) واقتدوا بخوارج المشرق  
فحلثوا رؤوسهم وتعالى أصواتهم بالتحكيم اذكاء للحماس (70) .

وامر كلثوم بلجا باقتحام صفوف الصفرية بخيله ايمانا بقدرتها على  
احراز النصر . لكن خاب ظنه حين رماها الصفرية « بالاوزاف » (71)  
وهى الجلود اليابسة فيها الحجارة (72) . كذلك عمد الصفرية الى « الرمك  
الصعبة فعلقوا في أذنانها القرب والانطاع اليابسة ، ثم وجهوها نحو عسكر  
كلثوم » ، فكانت خيله تنفر وتلوذ بالفرار (73) وهكذا ثل الصفرية تفوق  
العرب بما لديهم من خيل وأحبطوا آمالهم في احراز النصر (74) . وعبثا  
حاول كلثوم اقناع حبيب بن ابي عبيدة بتولى القيادة استنفاذا للموقف ، فقد  
ابى حبيب لتيقنه من حلول الهزيمة بالعرب (75) . وحاول بلج بن بشر أن  
يكسر صفوف البربر بخيله مرة أخرى ، ونجح بالفعل ، لكن الصفرية تمكنوا  
من الالتفات حوله وعزله عن الجيش العربى ثم فتكوا بغالب خيله  
ومرسانه (76) . واختلط الجيشان في معركة رجالة (77) كان الصفرية فيها  
اكثر عددا (78) واشد مراسا واستيسالا وحلت الهزيمة بالجيش العربى  
بعد قتل كلثوم وحبيب بن ابي عبيدة (79) . اما بلج فقد تمكن من الفرار

- 
- (68) اخبار مجموعة صفحة 32 .  
(69) ابن عبد الحكم : صفحة 295 .  
(70) اخبار مجموعة : صفحة 32 .  
(71) ابن عبد الحكم : صفحة 295 .  
(72) اخبار مجموعة صفحة 33 .  
(73) نفس المصدر والصحيفة . وقد ذكر كوندية أن الخيول العربية لم تستطع الصمود  
لحرارة الشمس .  
انظر : History of the dominion of the Arabs in Spain. Vol. I. P. 120.  
(74) ابن عذارى : ج 1 ص 57  
(75) ابن عبد الحكم : ص 296 .  
(76) ابن عذارى : ج 1 صفحة 57 .  
(77) نفس المصدر والصحيفة .  
(78) اخبار مجموعة صفحة 32 .  
(79) الحميدى : جذوة المتببس ص 199 .  
وقد أخطأ المترى حين زعم أن كلثوما لم يقتل في المعركة انما اصيب بجراح ولاذ بالهرب  
الى بلدة سببية ترب الغيوان . انظر : نفع الطيب ج 4 ص 19 .  
Scott : Op. Cit. P. 313.

نحو طنجة على رأس عشرة آلاف من جنده (80) . وعادت فلول الجيش المهزوم الى افريقية في نحو عشرة آلاف كذلك . وهكذا أسفرت معركة بقدورة سنة 123 هـ (81) ( 741 م ) عن انتصار الصفرية (82) على جيش كلثوم الذى آل مصيره الى « ثلث مقتول وثلث منهزم وثلث مأسور » على حد قول صاحب الاخبار المجموعة (83) .

تمت للصفرية بعد بقدورة السيطرة على بلاد المغرب الأقصى . وكان من الطبيعى أن يمتد نشاطهم الى المغربين الاوسط والادنى . ولما كان هدفهم الاستيلاء على القيروان مقر الولاية ، غدت بلاد افريقية واقليم الزاب بوجه خاص ميدانا لنشاطهم .

وتزعم هذه المرحلة عكاشة بن أيوب النفاوى وعبد الواحد بن يزيد الهوارى (84) . وهذا يعنى أن قبيلتي نفزة وهوارة بالمغربين الادنى والوسط لعبتا دورا أساسيا في هذا الصدد مستعينتان بزنانة . لقد تخلت زنانة — التى كانت قد انتزعت زعامة الثورة من مطرفة — عن صدارتها لنشاط الصفرية في المغرب الاوسط ، ولم تسهم بطونها الضاربة بالمغرب الأقصى برئاسة خالد بن حميد في الثورة بافريقية بعد أن تمت له السيطرة على المغرب الأقصى . انها لعبت قبائلها بالمغرب الاوسط دورا قليل الاهمية في هذا الصدد الى جانب قبيلتي نفرة وهوارة ذات النفوذ والغلبة في افريقية . ومهما كان الامر فمقد تولى قيادة ثورات الخوارج الصفرية ابتداء بميسرة شخصيات من البربر بترا وبرانسا ، فهوارة من بطون البرانس (85) .

---

(80) حيل بين بلج وبين دخول طنجة فاعتصم بسبينة وتحصن بها . وفتحت جيوش الصفرية في الظفر به ، فشددوا عليه الحصار وأحرقوا الزروع حول المدينة ليبوت وجيشه جوما . فكتب بلج الى والى الاندلس لانذا به ، فقبل بعد أن اشترط عليه تقديم الرهائن ، ومفادرة الاندلس بعد انقضاء عام يتقاتل خلاله الى جانبه في قمع ثورات البربر بالاندلس .

انظر : اخبار مجموعة ص 35 ، ابن خلدون : ج 4 ص 189 ، الحبيدى : ص 180 ابن عذارى : ج 1 ص 58 ، المقرئ : فتح الطيب ج 4 ص 19 ، Scott : Op. Cit. P. 313.

(81) أخطأ الطبرى حين ذكر أن المعركة وقعت سنة 121 هـ . انظر : تاريخ الرسل والملوك ج 7 صفحة 191 .

(82) ابن القوطية ص 41 ، ابن الاثير : ج 5 ص 71 ، النويرى : ج 22 ورقة 15 .

(83) مجهول : اخبار مجموعة ص 34 .

(84) ابن عبد الحكم : ص 294 ، ابن الاثير : ج 5 ص 70 . وقد شد ابن خلدون عن جبهة المؤرخين حين اعتبر عبد الواحد الهوارى اباضيا . انظر : العبر ج 6 ص 124 .

(85) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 139 ، السلاوى : ج 1 ص 101 .

بينما تنتمي زناتة الى البتر (86) وفي تعاونهما معا رغم ما كان بين البتر والبرانس من عدااء وصراع ما يدل على تغلب العامل المذهبي على النزعات العصبية والخلافات القبلية التقليدية ، وما يدل أيضا على التعاون والترابط بين حركات الصفرية في بلاد المغرب .

ففى الوقت الذى زحف فيه كلثوم بجيوشه لمواجهة صفرية المغرب الاقصى . قام عكاشة وعبد الواحد بالاستيلاء على قابس بعد ضربها بالمجانيق (87) . كما استمد عكاشة العون من صفرية زناتة بالمغرب الاوسط ، ونجح بفضلهم فى حصار سوق سبرت واقصاء عامل كلثوم عنها (88) . وكان من المتوقع أن يلتقى صفرية هوارة بقيادة عكاشة و صفرية زناتة تحت زعامة اخيه لمحاصرة القيروان ، لكن المحاولة اخطت حين تمكن صفوان بن مالك عامل طرابلس من تبديد الجيش الزناتى والحيلولة دون انضمامه الى صفرية هوارة (89) . وشجع ذلك مسلمة بن سودة الذى اسند اليه كلثوم بن عياض قيادة جيش القيروان على الخروج لقتال عكاشة، لكنه هزم وعاد من حيث أتى (90) . فثار عليه جنده وعقدوا اللواء لسعيد بن بجرة الغسانى الذى آثر الاعتصام بالقيروان (91) ولم يغادروها الا لمهاجمة قابس بالاتفاق مع عامل طرابلس . وموت عكاشة الفرصة عليهما ، فترك قابس وبهم وجهه شطر القيروان بعد خروج سعيد بن بجرة منها ، لكنه منى بالهزيمة على يد أمير صلاتها عبد الرحمن بن عقبة الغفارى (92)، وقتل كثيرون من رجاله وتفرق من بقى منهم (93)، فهرب بنفسه لانذا بالصحراء سنة 124 هـ (94) (742 م) .

وفى الوقت الذى حاول فيه عكاشة وعبد الواحد تنظيم الصفرية فى اقليم الزاب والاستعانة بصفرية زناتة بزعامة أبى قررة (95) ، وصل حنظلة

- 
- (86) ابن عبد الحكم : ص 294 .  
(87) نفس المصدر : ص 294 .  
(88) نفس المصدر والمصحفة .  
(89) نفس المصدر والمصحفة .  
(90) ابن الاثير : ج 5 صفحة 70 .  
(91) ابن عبد الحكم : صفحة 295 .  
(92) نفس المصدر : صفحة 298 .  
(93) الرقيق : ص 114 ، النويرى : ج 22 ورقة 15 .  
(94) ابن الاثير : ج 5 صفحة 70 .  
(95) الرقيق : ص 115 ، ابن عبد الحكم ص 298 . وقد آلت اليه زعامة صفرية المغربيين الاوسط والامصى بعد خالد الزناتى .  
انظر : ابن خلدون ج 7 صفحة 12 .

ابن صفوان الى القيروان على رأس ثلاثين ألف مقاتل من قبل الخليفة هشام ابن عبد الملك (96) سنة 124 هـ ( 742 م ) وجدير بالذكر أن هشام ابدى اهتماما فائقا بهذه الحملة لاحساسه بتحرج مركز الخلافة في المغرب وخشيته من اقتطاع الصفرية افريقية بعد نجاحهم في سلخ المغرب الاقصى عن نفوذها، فأشرف بنفسه على تدبير الخطط ، ولم يتوان عن ارسال الامداد (97) .

حاول حنظلة افساد جهود عكاشة وعبد الواحد في لم شمل الصفرية ، فبعث برسالة الى صفرية المغرب الاقصى والوسط يحضهم على التزام الطاعة ويثنى عزمهم عن مؤازرة عكاشة وعبد الواحد (98) . كما باغت عكاشة في اقليم الزاب ، وتمكن قائده عبد الرحمن بن عقبة من هزيمته . وحاول عبد الرحمن معاودة الكرة ، لكن عكاشة ظفر به وقتله في نفس العام (99) . وكذلك كان مصير عامله على طرابلس معاوية بن صفوان الذى بعث اليه يحرضه على البطش بصفرية نفزة (100) ، فتمكنوا من أسره وقتله .

ثم توجه عكاشة الى القيروان عن طريق مجانية ، واستقر على بعد ستة أميال منها في مكان يعرف بالقرن (101) . كما نجح عبد الواحد الهوارى في تعبئة صفرية تلمسان بقيادة أبى قررة ، وانضم اليه كذلك بعض قبائل الصفرية في المغرب الاقصى (102) ، وزحف بجيشه البالغ ثلاثمائة ألف مقاتل الى القيروان وعسكر في مكان يقال له الاصنام (103) ، بعد انتصاره على جيش انفذه حنظلة ليحول دون وصوله اليها (104) . وهكذا فشلت جهود حنظلة في تفتيت قوى الصفرية (105) ، واضحت القيروان

---

(96) من مظاهر الاهتمام نصيحته لحنظلة بأن يشرع في ضبط أمور افريقية قبل محاولة استرداد بلاد المغرب الاقصى التى اقتطعها الصفرية .  
انظر : أخبار مجموعة صفحة 36 .

- (97) أخبار مجموعة ص 36 .  
(98) انظر ملحق رقم 2 .  
(99) ابن عبد الحكم : ص 291 ، ابن عذارى : ج 1 ص 62 .  
(100) ابن عبد الحكم : ص 300 .  
(101) أخبار مجموعة ص 36 .  
(102) ابن عبد الحكم : ص 299 ، ابن عذارى : ج 1 ص 62 ؛  
(103) الرقيق : ص 118 . وتقع على بعد ثلاثة أميال من القيروان ، ابن الاثير ج 5 ص 71 .  
(104) الرقيق : صفحة 118 .  
(105) يذكر الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن انشقاقا وقع بين القائدين الصفرين عكاشة وعبد الواحد بسبب الخلاف حول الرئاسة ، لكننا نرجح أن يكون ما حدث من قبيل احكام الخطط للاطباق على القيروان بمحاصرتها من جهتين في وقت واحد . انظر : تاريخ المغرب العربى ص 273 ، ابن الاثير : الكامل ج 5 ص 70 .

## في متناول أيديهم .

ولجأ حنظلة بعد ذلك الى حفر خندق حول القيروان ، عساه ان يحول دون سقوطها ، كما عمل على تشييط همة عكاشة ، فكتب اليه « يرغبه ويمنيه » دون (106) جدوى فلم ينتظر حتى يستشير الخليفة في الامر (107)، انما عول على مواجهة الخطر الصفرى توا ، فبذل الاموال والعطايا (108)، وعبأ جيشه واحسن تنظيمه (109) ، ونجح في استمالة اهل القيروان على اختلاف طبقاتهم وعناصرهم (110) . وتمكن من هزيمة عكاشة (111) . ويذكر ابن الاثير (112) انه كان نصرا خاطفا احرزه حنظلة قبل ان ينهض عبد الواحد لدخول القيروان . لكن الرقيق (113) يؤكد ان القتال ظل سجالا حتى حلت الهزيمة بالصفرية « وقتل منهم خلق كثير » واسر عكاشة وقتل سنة 125 هـ (114) (743 م ) .

ثم بادر حنظلة بلقاء عبد الواحد ، وانتصر الصفرية في البداية ، لكنهم هزموا بعد ذلك ، وقتل عبد الواحد ونكل بجيشه ، وفرت فلوله الى جلولاء (115) . وابتهج حنظلة بانتصاره في معركة القرن والاصنام ، وطير خبره الى الخليفة مزهوا (116) . والحق ان هاتين المعركتين كانتا نصرا عظيما للخلافة الاموية (117) ، وردا لاعتبارها بعد هزيمتى الاشراف وبقدورة . وحال هذا النصر بين افريقية وبين السقوط في يد الصفرية ،

- 
- (106) ابن عبد الحكم : صفحة 299 .  
(107) الرقيق : ص 116 ، ابن مغازى : ج 1 ص 73 .  
(108) ابن مغازى : نفس المصدر والمصحية .  
(109) ذكر الرقيق انه عبأ خمسة آلاف دارع وخمسة آلاف نابل ، وجعل على الطلائع شعيب ابن عثمان ، وعلى الساقة عمرو بن حاتم ، وعلى الميمنة عبد الرحمن بن مالك الشيباني . انظر : تاريخ افريقية والمغرب ص 119 .  
(110) استمال حنظلة فقهاء المالكية الذين تاموا بدور التعبئة الروحية والمعنوية للجيش الى جانب اشتراكهم في القتال . انظر : الرقيق : ص 120 ، المالكي : ج 1 ص 13 و 144 \* كما تام نساء القيروان بدور كبير في حرض الرجال على الاستبسال فضلا عن اشتراك بعضهم في القتال كذلك . انظر : الرقيق : ص 120 ، ابن الاثير ج 5 ص 71\*  
(111) الرقيق : صفحة 117 .  
(112) الكامل ج 5 ص 71 ، Biquet : Op. Cit. P. 36  
(113) تاريخ افريقية والمغرب ص 117 \*  
(114) نفس المصدر ص 122 ، ابن عبد الحكم : ص 299 ، ابن مغازى : ج 1 ص 63 \*  
(115) ابن عبد الحكم : ص 299 ، ابن مغازى : ج 1 ص 63 .  
(116) اخبار مجبومة ص 36 ، الباجي المسعودى : ص 15 \*  
(117) يتضح ذلك من قول الليث بن سعد « ما من غزوة كنت احب ان اشهدا بعد غزوة بدر احب الى من غزوتى القرن والاصنام » . انظر : الرقيق : ص 122 ، ابن الاثير : ج 5 صفحة 71 .

وأكد نفوذ الخلافة في المغرب الأوسط .

لكن النفوذ الاموى في بلاد المغرب ما لبث أن تداعى بضعف الخلافة الاموية على اثر وفاة هشام بن عبد الملك سنة 125 هـ ( 743 م ) . ولعل من أبرز الاحداث دلالة على ضعف هيبة الخلافة بالمغرب تغلب عبد الرحمن ابن حبيب بن أبى عبيدة (118) على افريقية سنة 127 هـ ( 745 م ) ، وارغامه حنظلة بن صفوان على مغادرتها ، وتسليم الخليفة مروان ابن محمد مضطرا بشرعية ولايته (119) .

والحق أن عبد الرحمن بن حبيب استطاع عن طريق الحيلة (120) والعنف معا قمع حركات الصفرية التي قامت في عهده ، ففضى على ثورة عروة بن الوليد الصدفى بتونس (121) ، كما بدد الائتلاف الصفرى الذى قام بين عبد الله بن سكرديد وثابت بن وريدون الصنهاجى فى باجة (122) . لكن امر الصفرية لم ينقطع من المغرب كما ذهب ابن خلدون (123) ومن اخذ عنه (124) ، بل ازدادت ثورتهم شدة بعد موت عبد الرحمن بن حبيب . ووجدوا فى اشتغال الخلافة العباسية بمشاكلها (125) ، وفى الصراع حول الامارة بين آل بيت عبد الرحمن بن حبيب فرصة مواتية لاستئناف حركاتهم .

ومرة أخرى تزعمت نفزاوة هذه الحركات ، فقد استطاع عاصم بن جميل زعيم ورفجومة (126) — وهى من بطون نفزاوة — (127) أن يوحد سائر بطون القبيلة ، فانضم اليه رؤساء البطون وأيدوه ، ومنهم عبد الملك

---

(118) اشترك عبد الرحمن بن حبيب مع والده فى موقعة بقدرورة ، ونزح الى الاندلس ، مع بلج بن بشر . وهناك وقع فى صراع مع بلج وثعلبة بن سلامة ، فلم يطب له المقام خصوصا فى وجود أبى الخطار الحسام بن ضرار عامل حنظلة على الاندلس فغادرها الى تونس ، ودعى لنفسه بالثقت حوله اليهنية . ثم دخل القيروان بعد انسحاب حنظلة منها سنة 127 هـ . وظل على ولائه الاسمى لبنى أمية حتى قامت الدولة العباسية سنة 132 هـ ، فأعلن تبعيته للينصور . ثم خلع طامعته واستقل بالامر وظل يمارس نفوذا فعليا فى افريقية بمعزل عن الخلافة حتى اغتيل سنة 137 هـ على يد أخيه الياس .

(119) ابن خلدون : ج 4 ص 190 .

(120) ابن عذارى : ج 1 ص 65 .

(121) ابن خلدون : المرجع السابق ص 190 .

(122) الرقيق : ص 126 ، ابن خلدون ج 6 ص 111 .

(123) العبر : ج 4 صفحة 190 .

(124) انظر : السلاوى : ج 1 ص 105 .

(125) ابن وردان : تاريخ الاغلبية ورقة 2 — مخطوط .

(126) ابن خلدون : ج 6 ص 115 . تزعم المصادر السنية أنه كان كاهنا مدميا للنبوّة .

انظر : ابن الاثير : ج 5 ص 117 .

(127) الرقيق : ص 140 ، ابن عذارى : ج 1 ص 80 .

ابن ابي الجعد ويزيد بن سكوم (128) .

وبلغت نفاوة الصفرية درجة من القوة جعلت عبد الوارث بن حبيب يلجأ اليها لمناصرته ضد ابن اخيه حبيب بن عبد الرحمن (129) . ووجد عاصم ابن جميل في ذلك الفرصة المواتية ، فرحب به ووقف معه في وجه خصومه ، ولم يعبا بتهديدات حبيب عند ما طلب اليه تسليم عمه والتخلي عن مناصرته . والحق به انهزيمة عند ما عمد الى محاربته (130) .

ويبدو ان عبد الوارث بن حبيب في صراعه مع ابن اخيه اظهر الولاء لابي جعفر المنصور (131) . ولصلته بعاصم بن جميل ، اعتقد اهل القيروان ان عاصما ايضا من انصار الخلافة العباسية .

وليس ببعيد ان يكون عاصم بدوره قد اظهر الولاء لبني العباس ليكسب اهل القيروان ، والا لما اقدم اهل القيروان على استدعائه بعد ان اخذوا عليه العهود والمواثيق والدعاء للمنصور « (132) . وبذلك جذب اعدادا غفيرة منهم ، فانضموا الى جيشه (133) .

اما حبيب بن عبد الرحمن فقد توجه للاقتاة الصفرية بعد ان استخلف على القيروان تاضيبها (134) ، لكن عاصما تمكن هزيمته ففر الى قابس ، واتخذ عاصم طريقته نحو القيروان . وخرجت جماعة القيروانيين بزعامه القاضي ابي كريب للحيلولة دون دخوله المدينة ، لكن زملاءهم في جيشه اثنوهم عن عزمهم ودعوهم الى طاعته (135) ، فاستجابوا لهم وتركوا تاضيبهم في جماعة قليلة من الفقهاء اجهز عليهم الصفرية (136) بظاهر القيروان سنة 139 هـ (137) ( 756 م ) ودخل الصفرية المدينة واستولوا

- 
- (128) ذهب ابن خلدون والسلاوي الى انها كانا من زعماء الاباضية ، لكن كتب الاباضية خلو من اي اشارة تؤكد ذلك ، بل تصورهما على انها من اعداء ابي الخطاب عبد الاملى بن السمع الاباضى . انظر : المبرج ج 6 ص 115 ، الاستقصا ج 1 ص 109 .
- (129) الرتيق : ص 140 ، ابن عذارى : ج 1 ص 80 ، ابن الاثير ج 5 ص 117 . ابن خلدون ج 4 صفحة 191 .
- (130) الرتيق : نفس المصدر والصحيحة ، ابن عذارى : نفس المصدر والصحيحة .
- (131) ابن الاثير : ج 5 ص 117 .
- (132) نفس المصدر والصحيحة .
- (133) الرتيق : ص 140 ، ابن عذارى : ج 1 ص 80 .
- (134) المالكي : ج 1 صفحة 110 .
- (135) الرتيق : صفحة 140 .
- (136) نفس المصدر والصحيحة ، ابن عذارى : ج 1 ص 81 ، الدباغ : معالم الايمان ج 1 صفحة 171 .
- (137) المالكي : ج 1 ص 107 و 110 .



عليها (138) .

ثم استخلف عاصم على القيروان عبد الملك بن ابي الجعد ليتفرغ  
لملاحقة حبيب بن عبد الرحمن ، وتمكن من هزيمته عند قابس ، ففر الى  
الاوراس لائذا بأهله (139) فاقتنى عاصم اثره ، والتحم معه في معركة  
هزم فيها الصفرية ولقى حاتم حثفه (140) .

وحاول حبيب بن عبد الرحمن استرداد القيروان فزحف اليها بأنصاره ،  
لكنه هزم وقتله عبد الملك بن ابي الجعد سنة 140 هـ (141) ( 757 م ) .  
وبذلك قضى الصفرية على الفهريين في المغرب واضحت لهم السيطرة  
الكاملة « على القيروان وسائر افريقية » (142) .

ويبدو ان الصفرية بعد أن اقتطعوا المغرب الاقصى والاوسط ودانت  
لهم افريقية والقيروان ، أصبحوا خطرا على بلاد المغرب الادنى التي كانت  
الغلبة فيها للمذهب الاباضي ، ولعل ذلك يفسر ما حدث من صراع بين  
الاباضية والصفرية ، وقيام ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمع المعافري  
بالاستيلاء على القيروان واقضاء الصفرية عنها . وتبدو وجهة هذا القول  
إذا ما أدركنا حقيقة أهداف الاباضية في انشاء دولة لهم ببلاد المغرب بعد  
نجاح دعوتهم بين بربر المغرب الادنى . وقد سبق القول بأنهم شرعوا فى  
ذلك على اثر عودة دعواتهم من البصرة سنة 140 هـ (757م) بعد اجماعهم الرأى  
مع فقهاء المذهب ومشايخه على ابتداء « امامة الظهور » . ولما كان نجاح  
الصفرية يشكل حجر عثرة أمام مشروعاتهم فى قيام دولة اباضية ، أصبح  
الاحتكاك بين القوتين الخارجيتين أمرا مؤكدا .

---

(138) تبلغ المصادر السنية فى وصف فظائع الصفرية بالقيروان فتذكر انهم « استطوا  
المحارم وارتكبوا الكبائر ، وسبوا النساء والصبيان » « وربطوا دوابهم فى المسجد  
الجامع » والواقع أن ذلك محض افتراء . انظر : الرقيق : ص 140 ، ابن عذارى :  
ج 1 ص 81 ، ابن الاثير : ج 5 ص 117 وتضيف هذه المصادر أن شيوخ القيروان  
ونقهاها استصرخوا الخلافة العباسية لتخليصهم من عسف الصفرية وما اصاب البلاد  
على ايديهم « من ظلم فاش وأمر قبيح » انظر : المالكي : ج 1 ص 102 ، ابو العرب  
تميم : طبقات علماء افريقية ص 30 .

(139) ابن خلدون : ج 4 ص 191 .

(140) الرقيق : ص 141 ، ابن عذارى : ج 1 ص 81 .

(141) نفس المصدرين والصحتين ، ابن الاثير ، ج 5 ص 117 ، السلاوى ، ج 1 ص 110

(142) ابن خلدون : ج 6 صفحة 112 .

وعلى ذلك فلا محل لتصديق ما تقدمه المصادر السنية والإباضية (143) على السواء من تعليقات غير ممتعة لتبرير خروج أبى الخطاب وحروبه مع الصفرية فى القيروان ، اذ تذكر أن ابا الخطاب ما خرج « الا غضبا لله ولدينه » (144) استجابة لدعوة اهل القيروان لتخليصهم من عسف الصفرية. تصارى القول — أن ابا الخطاب بعد أن بايعه أنصاره بالامامة توجه بجيشه نحو قابس محاصرها حتى سقطت ، فترك عليها عاملا من قبله وارتحل لمقاتلة الصفرية بالقيروان (145) ، وبث عبد الملك بن أبى الجعد فصائل من جيشه لتحول دون وصول الإباضية ، لكنها منيت بالهزيمة . فخرج بنفسه على رأس الصفرية والتقى بأبى الخطاب خارج القيروان ، فهزم جيشه وقتل فى المعركة (146) . ودخل أبو الخطاب المدينة سنة 141 هـ (758 م ) وولى عليها عبد الرحمن بن رستم (147) ، ثم غادرها على وجه السرعة لمواجهة جيوش الخلافة التى أنفذها المنصور ، وعين عبد الرحمن ابن رستم عماله على سائر اقاليم افريقية التى خلصوها من الصفرية (148) . ويخيل لنا أن انهزام الصفرية فى افريقية أدى الى ارتفاع نجمهم مرة أخرى فى بلاد المغرب الاوسط ، حيث نجح أبو قرّة الصفرى فى تكوين

- (143) تجمع هذه المصادر على استبعاد الصفرية بعرب القيروان وسومهم سوء العذاب ، وعلى استدعاء القيروانيين أبى الخطاب لتحريرهم من ظلم الصفرية ، وتذكر فى ذلك روايات شتى منها :
- أ — أن رجلا إباضيا دخل القيروان وشاهد بنفسه بعض الصفرية يعتدون قسرا على امرأة فى المسجد الجامع ، فاعلم ابا الخطاب بالامر ، فخرج لينتقم منهم لاستباحتهم حرمة المسجد . انظر : الرقيق : ص 141 — 142 ، ابن الاثير : ج 5 ص 118 ، النويرى ج 22 ورقة 16 .
- ب — أن ابا الخطاب تامل الصفرية على اثر رسالة من احدى القيروانيات تعلمه فيها أنها أخفت وليدها فى حفرة تحت سرير خشية أن يسدها الصفرية . انظر ، أبو زكريا : ورقة 7 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 12 .
- ج — أن احدى نساء القيروان خرجت من المدينة منادية « أغثونى معاشر المسلمين » وفى رواية أخرى « أغثنى يا ابا الخطاب » ، فمد الله فى صوتها وسماه أبو الخطاب فأجابها « لبيك يا اختاه » . انظر : أبو زكريا : ورقة 7 .
- وهذه الروايات جميعا تهيل الى المبالغة والطابع الاسطورى مما يشكك فى صحتها . كذلك فمن المستبعد أن يكون خروج أبى الخطاب سببه دافع اقتصادى كما ذهب الدكتور سعد زغلول عبد الحميد اعتمادا على قول للشماخى بأن عام 140 هـ الذى خرج فيه أبو الخطاب كان عام جدب . انظر : الشماخى : السير ص 127 ، سعد زغلول : المغرب العربى صفحة 310 .
- (144) الشماخى : السير صفحة 127 .
- (145) أبو زكريا : السيرة ورقة 8 ، الشماخى : السير ص 128 .
- (146) نفس المصدر والصفحات ، ابن الاثير ج 5 ص 118 .
- (147) ابن عذارى : ج 1 ص 82 ، السبلاوى : ج 1 ص 111 .
- (148) أبو زكريا : ورقة 9 ،
- Lewcki : Etudes Ibadites. P. 113.

امارة مستقلة بنواحي تلمسان ، كما تمكن أبو القاسم سمكو بن واسول من ارساء دعائم دولة بنى مدرار في سجلماسة على اثر هزيمة الصفيرية في القيروان سنة 140 هـ .

انتقل اذن مركز الثقل في نشاط الصفيرية من افريقية الى المغرب الاوسط بعد تكوين ابو قررة الصفري امارته الصفيرية في تلمسان . والواقع ان الغموض يكتنف أصل أبي قررة ، فمن المؤرخين من يرجع بنسبه الى قبيلة مغيلة ، ومنهم من ينسبهم الى بنى يفرن من زناتة (149) . ويرجع الخلاف الى العرف الشائع عند البربر من انخراط القبائل تحت زعامة اكثرها قوة ونفوذا . حقيقة ان بنى يفرن « كانوا اشد قوة واكثر جمعا » ، لكن مغيلة كانت « اشهر بالخارجية من بنى يفرن » (150) . ولما كانت القبيلتان متجاورتين (151) ، فقد حدث اللبس حول أصل ابي قررة . ومهما كان الامر ، فان ابا قررة تزعم صفيرية المغربين الاوسط والاقصى بعد خالد بن حميد الزناتى (152) . واشتترك في حصار القيروان الى جانب عبد الواحد الهوارى سنة 124 هـ ، ثم عاد ادراجه الى تلمسان على اثر هزيمة الاصنام . وبضيف الرقيق (153) ان عبد الرحمن بن حبيب هزمه هزيمة ساحقة سنة 135 هـ ( 752 م ) فتت في عضده ، فلم يسهم في حركات صفيرية نفزاوة ضد حبيب بن عبد الرحمن ، وتركها لتلقى سوء المصير على يد ابي الخطاب الاباضى سنة 140 هـ . ولعل ذلك يفسر مبايعته بالامامة في وقت متأخر سنة 148 هـ ( 765 م ) — كما يذكر ابن خلدون (154) — بعد ان انضوى صفيرية المغرب الادنى تحت زعامته فضلا عن صفيرية الاجزاء الساحلية والغربية من المغرب الاوسط (155) .

(149) ذكر ابن خلدون في تاريخه انه « من مغيلة ، وهو الاصح في شأنه » انظر : العبر ج 6 ص 112 . لكنه في موضع آخر يقول « وقد قيل ان ابا قررة من مطماطة وهذا عندي صحيح ، ولذلك اُخبرت ذكر اخباره الى اخبار بنى يفرن من زناتة » . انظر : العبر ج 6 ص 125 . ونفس الخلط نجده عند السلاوى حيث ذكره على انه « ابا قررة بن دوناس اليفرنى » ومرة اخرى يدعوه « ابا قررة المغيلى » . انظر : الاستقما ج 1 صفحة 116 .

(150) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 12 .

(151) نفس المصدر والصحيفة .

(152) نفس المصدر والصحيفة .

(153) تاريخ افريقية والمغرب ص 130 .

(154) العبر ج 6 ص 112 ؛ ج 7 ص 12 .

(155) نبذ تاريخية — جمع بروفنسال ص 49 ، محمد الشطبي : الجبان ورقة 203 .

وفي تلك الاثناء كان محمد بن الاشعث الخزاعي (156) يوطد نفوذ الخلافة العباسية في افريقية (157) ، فاستطاع اقصاص الإباضية عن القيروان ، والحق بهم عدة هزائم دانت بعدها بلاد المغرب وافريقية لسلطانه « واطفاً نار الفتنة فيها » (158) . وبديهي ان يتجه بعد ذلك الى محاولة استرجاع المغربين الاوسط والاقصى ، لذلك عول على انفاذ قائده الاغلب بن سالم التميمي على رأس جيش لمحاربة ابي قررة والصفرية في تلمسان سنة 148 هـ (159) ( 765 م ) . وبخيل الينا ان اضطراب الجند العربي وثورتهم على ابن الاشعث (160) حالت دون قيام هذا الجيش بما أزمع القيام به ، اذ لا تطالعنا المراجع (161) باخبار عن الصراع مع ابي قررة الا ابان ولاية الاغلب بن سالم في نفس العام . فقد « بعث اليه المنصور عهده بولاية القيروان .. ثم اضطربت عليه الامور لخروج ابي قررة عليه واشتغاله بحربه » .

على كل حال — وجد ابو قررة في ثورات الجند الخلفي في افريقية فوصة موالية لاعداد قواته للقيام بالثورة واسقاط الحكم العباسي في القيروان (162) وادرك الاغلب خطورة الموقف فعول على الخروج اليه قبل ان تدهمه جيوش الصفرية في مقر الولاية (163) والتقى الخصمان في اقليم الزاب ، فأثر ابو قررة الانسحاب ، وقرر الاغلب اقتفاء اثره وضرب معقل قوته في تلمسان (164) وربما تجاوزت مطامحه تلمسان ذاتها ، فرنى ببصره الى تحرير بلاد المغرب الاقصى كلها حتى طنجة (165) . وكان ذلك سببا في ثورة جنده عليه وانصرافهم عنه ، تلك الثورة التي انتهت بقتله سنة 150 هـ (156) ( 767 م ) .  
وقبع ابو قررة في تلمسان (167) يعد العدة لجولة اخرى .

(156) اخلا ابن وردان حين ذكر ان الاشعث بن عقبة الخزاعي هو الذي اضطلع بهذه المهمة وليس ابنه الذي اجمت عليه المصادر . انظر : تاريخ الاغالبية ص 1 مخطوط .

(157) البلاذري : فتوح البلدان ص 275 .

(158) ابن خلدون : العبر : ج 6 ص 115 .

(159) ابن خلدون : ج 4 ص 192 ، ج 7 ص 12 .

(160) انظر : جغرافية المأمون ص 184 .

(161) ابن الاثير : الحلة السبراء ج 1 ص 69 ، ابن الاثير : ج 5 ص 217 .

(162) ابن الاثير : نفس المصدر والصحيفة .

(163) ابن عذارى : ج 1 ص 86 .

(164) ابن خلدون : ج 6 ص 112 .

(165) ابن الاثير : ج 5 ص 217 .

(166) الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص 18 .

(167) السلوي : ج 1 صفحة 116 .

وفي هذا الوقت كان عمر بن حفص والى القيروان قد رحل الى اقليم الزاب (168) وحصن طنبنة باقامة سور حولها (169) ليحول دون هجوم الصفرية على القيروان وليتخذ منها قاعدة للانطلاق الى معقلهم في تلمسان . ويبدو أن عمر بن حفص كانت الخلافة قد عهدت اليه بتصفية نشاط الخوارج في المغرب اباضية وصفرية (170) . ولعل ذلك كان سببا في ائتلاف الصفرية والاباضية لأول مرة في بلاد المغرب . فاجتمعوا على محاصرته بطنبنة (171) . فمن الاباضية اشتركت جيوش ابي حاتم المزوزي وعبد الرحمن بن رستم والمسور بن هانيء في الحصار (172) ، كما أسهم رؤساء الصفرية كذلك ، فكان جيش ابي قرة أربعين الفا (173) ، ووصل عبد الملك بن سكرديد على رأس الفين من صنهاجة (174) فضلا عن صفرية مديونة بزعامه جرير بن مسعود (175) . وضرب الجميع الحصار حول طنبنة وبها عمر بن حفص في خمسة عشر الف من العرب سنة 153 هـ (176) ( 770 م ) .

وتجمع المصادر على أن عمر ابن حفص اغرى ابا قرة بالمال لينسحب هو وأتباعه عن الصفرية . لكنها تختلف في ذكر التفاصيل ، فبعضها (177) يرجح أنه رفض الرشوة وقبلها أخوه الذي ارتحل بالعسكر ، فاضطر أبو قرة للانسحاب ، في حين يقرر البعض (178) الآخر أن عمرا استمال ابا قرة وليس أخاه . بينما نجد رواية ثالثة مؤداها (179) أن ابا قرة قبل الرشوة

- (168) ابن عذارى : ج 1 ص 88 .  
(169) ابن الاثير : ج 5 ص 221 ، السلاوى : ج 1 ص 117 .  
(170) ذكر ابن الاثير أن انتقال عمر بن حفص الى الزاب وتحصينه طنبنة كان نفعا لمشورة المنصور . الكامل ج 5 ص 221 .  
(171) الرقيق : صفحة 143 .  
(172) ذكر ابن الاثير والنويرى أن عاصم السدراتى الاباضى اشترك في حصار طنبنة على رأس ستة آلاف من الاباضية . انظر : الكامل ج 5 ص 221 ، نهاية الارب ج 22 ورقة 21 . وهو قول مردود لان عاصبا مات مسموما سنة 140 هـ بان حروب ابي الخطاب مع ورجومة . انظر : ابو زكريا : ورقة 8 ، الشماخى : السير ص 128 .  
(173) ابن عذارى : ج 1 ص 88 ،  
(174) ابن الاثير : ج 5 صفحة 221 .  
(175) مديونة احدى بطون بنى فنان من ضريسة البترية ، ومواطنها في نواحي تلمسان . ابن خلدون : ج 6 صفحة 125 .  
ولا محل لتصديق رواية ابن خلدون القائلة بتشجيع ورجومة الصفرية لعمر بن حفص وقتالها الى جانبه . انظر : المعبر ج 6 ص 115 .  
(176) ابن عذارى : ج 1 صفحة 88 .  
(177) ابن عذارى : ج 1 ص 89 ، ابن الاثير : ج 5 ص 222 ، النويرى : ج 22 ورقة 21 .  
(178) الرقيق : ص 143 ، ابن خلدون : ج 6 ص 112 .  
(179) ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة ، السلاوى : ج 1 ص 117 .

هو وابنه وارتحل بقومه من الصفرية . وأمام هذا الاختلاف نشكك في الرواية من أساسها . والراجح أن يكون انسحاب الصفرية نتيجة اختلاف مع الإباضية ، إذ أن تعاونهما في بلاد المغرب ليس مألوفاً ، والمعروف أن الفرقتين الخارجيتين كانتا على خصومة وعداء كثيراً ما وصل الى درجة الصراع والتناحر ، وهذا يفسر قيام أبي حاتم بمحاصرة القيروان (180) من دون الصفرية (181) . بينما عاود أبو قررة قتال الحامية التي تركها عمر بن حفص بطبنة (182) بعد أن غادرها ليحول دون وقوع القيروان في يد الإباضية . وفي عودة أبي قررة لمحاربة اتباع عمر بن حفص ما ينفى ما قيل عن قبوله الرشوة .

على كل حال — تسبب الخلاف بين الصفرية والإباضية في فشل حصار طبنة ، ونجح عمر بن حفص في هزيمة عبد الرحمن بن رستم الإباضي ، كما تمكن قائده المهنا بن المخارق بن غفار الطائي من هزيمة أبي قررة وردع الصفرية (183) . وعاد أبو قررة الى مقره في تلمسان .

ولم تقم للصفرية قائمة بعد ذلك ، فضعف شأنهم ، حتى قضى عليهم يزيد بن حاتم الذي قدم الى المغرب سنة 155 هـ ( 622 م ) على رأس جيش كثيف أوغل به في نواحي المغربين الأوسط والأدنى (184) . كما كان الصراع بين الأدارسة والرستمييين حول تلمسان وما حولها من عوامل اختفاء الصفرية من المغرب الأوسط وتحول الكثيرين منهم في تلك الجهات الى الولاء للأدارسة واتباعهم من آل سليمان ، بينما هاجر جزء كبير ممن بقوا على مذهبهم الى سجلماسة التي أضحت ملاذا للصفرية في بلاد المغرب .

أما عن صفرية إفريقية والمغرب الأدنى فقد بطش بهم يزيد بن حاتم أيضاً ، فقمعت حركة ورفجومة سنة 157 هـ ( 774 م ) على يد ابنه

- 
- (180) ابن خلدون : ج 4 صفحة 193 .  
(181) اختلط الأمر على الطبري فذكر أن أبا قررة اشترك في حصار عمر بن حفص في القيروان ذلك أن حصار القيروان الذي ضربه أبو حاتم المزوزي حدث سنة 154 هـ وليس سنة 153 هـ . وقد وقع في هذا الخطأ كثيرون ممن نقلوا عن الطبري . انظر : تاريخ الرسل والملوك ج 8 ص 42 ، السلاوي : ج 1 ص 118 ، العيني : عقد الجمان ج 13 ورقة 16 .  
ويؤكد معظم المؤرخين أن الذين حاصروا عمر بن حفص في القيروان كانوا جميعاً من الإباضية . انظر الرتيق : ص 143 ، ابن عذارى : ج 1 ص 89 ، 90 ، ابن خلدون ج 6 ص 119 ، ابن الأثير : ج 5 ص 222 ، النويري : ج 22 ورقة 21 .  
(182) الرتيق : ص 143 ، ابن خلدون : ج 4 ص 193 ، النويري : ج 22 ورقة 21 .  
(183) الرتيق : صفحة 143 .  
(184) نفس المصدر : صفحة 159 .

المهلب وقائده العلاء بن سعيد (185) . كما فشلت ثورة الصفيرية في بلاد الزاب التي تزعمها أيوب الهواري سنة 164 هـ ( 780 م ) بعد أن رماهم يزيد بن حاتم بالمخارق بن غفار الطائي (186) ومن بعده العلاء بن سعيد ، والى العلاء يعزى الفضل في قمع الثورة وقتل قائدها والتنكيل بالصفيرية أينما وجدوا في افريقية (187) ، حتى أن بربر ورفجومة رأس صفيرية افريقية انقرض امرهم وصاروا أوزاعا في القبائل (188) .

هكذا قدر ليزيد بن حاتم أن يبدد شمل الخوارج الصفيرية في افريقية والمغرب الاوسط ، وتمكن الادارسة من تأسيس دولتهم في المغرب الاقصى على حساب نفوذ الصفيرية ، وظلت دولة بنى مدرار بسجلماسة مؤثلا لصفيرية بلاد المغرب ومركزا لتجمعهم ، فقد حققت هدفهم في قيام دولة صفيرية خالصة في بلاد المغرب .

---

(185) نفس المصدر ص 161 ، ابن خلدون : ج 6 ص 115 ، السلاوي : ج 1 ص 118 .  
(186) ابن خلدون : ج 4 صفحة 193 .  
(187) الرقيق : ص 162 ، ابن الاثير : ج 5 ص 223 .  
(188) ابن خلدون : ج 6 ص 115 .

## ثورات الخوارج الإباضية

سبق القول بأن المذهب الإباضي غلب على بلاد المغرب الأدنى فانتشر بين قبائله وخاصة نفوسة وهوارة . ويبدو أن الخوارج الإباضية لم يكونوا قد تهيئوا بعد لمرحلة الظهور حتى بداية العقد الرابع من القرن الثاني الهجري أى حتى قيام ثورة أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 140 هـ ( 757 م ) ، بينما سبق الخوارج الصفرية بزعامة ميسرة المطغرى الى الظهور سنة 121 هـ ( 739 م ) فى المغرب الأقصى . ولعل السبب فى تأخر ثورات الإباضية يكمن فى قرب مواطنهم من القيروان مقر الإمارة ومركز الجند العربى . يضاف الى ذلك قربها النسبى من عاصمة الخلافة الاموية وولاتها فى مصر مما يجعل مهمة الخلافة وولاتها فى مصر والمغرب فى قمع الحركات المعادية امرا أكثر سهولة من قمع ثورات الصفرية فى المغرب الأقصى .

ويبدو أن نجاح حركات الصفرية فى المغرب الأقصى أغرى أباضية المغرب الأدنى بالتعجيل بالقيام بثورات مماثلة قبل أن يتهيئوا لها أو تتوافر الظروف المناسبة التى تساعد على انجاحها . وجدير بالذكر أن المصادر الإباضية تسقط من اعتبارها كل نشاط للإباضية فى المغرب سابق على حركة أبى الخطاب عبد الأعلى سنة 140 هـ ( 757 م ) فتعتبره أول الأئمة ، وتؤرخ لثورته باعتبارها بداية « لمرحلة الظهور » ( 189 ) . وإذا كانت ثورة

( 189 ) الورجلانى : الدليل لاهل العقول ج 3 ص 34 .



أبى الخطاب — حقيقة — تعد أول ثورة إباضية ذات طابع شامل وشكل منظم ، فقد سبقتها حركات أخرى لم تتمخض عن شيء سوى اضعاف الحركة الإباضية قبل أن يشتد عودها ، وتأجيل ظهور الإباضية على المسرح السياسى فى بلاد المغرب .

كانت هذه الثورات ثلاثا ، قامت أولها سنة 126 هـ ( 744 م ) بزعمارة عبد الله بن مسعود التجيبى الذى ترأس بربر هوارة فى منطقة طرابلس متحديا حكم عبد الرحمن بن حبيب ، وأخذت هذه الحركة دون عناء بعد أن قبض أخو عبد الرحمن وعامله على طرابلس على التجيبى « وضرب عنقه » (190) .

ثم اجتمعت هوارة على اثنين من زعمائها هما عبد الجبار بن قيس المرادى والحارث بن تليد الخضرى (191) . وزحف الحارث وعبد الجبار الى طرابلس وضربا عليها الحصار حتى استسلم عاملها (192) ، وأخذا بثأر التجيبى واقتصا من قاتله (193) . وأنفذ عبد الرحمن بن حبيب ثلاثة جيوش لاسترداد طرابلس هزمها الإباضية جميعا (194) ، فلجأ الى الحيلة واستمال أحد شيوخ هوارة وبعثه «ليستألف الناس ويقطع عن عبد الجبار هوارة » (195) دون جدوى . فعقد العزم على الخروج بنفسه وقاد جيشا لاسترداد طرابلس وصل به حتى قابس ، ثم عاد أدراجه الى القيروان لما علم بتآمر أهلها على خلعهم (196) . لكن حادثا مفاجئا أفضى الى مقتل الحارث وعبد الجبار سنة 131 هـ ( 749 م ) كفى عبد الرحمن بن حبيب مؤونة قتالهما .

- 
- (190) ابن عبد الحكم : ص 301 ، أبوراس : مؤنس الاحبة ص 43 .  
(191) تختلف المصادر حول كيفية اشتراكهما فى قيادة الثورة ، يذكر البرادى أنهما « كانا مشتركين فى الملك » أما الشماخى فيرى أن أحدهما كان أبابا والآخر وزيره ، ويلهم من رواية لابن عبد الحكم — وهى الأرجح — أن عبد الجبار كان أمام الصلاة والحارث أمام الحرب ، انظر : البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 87 ، الشماخى : السير ص 125 ، ابن عبد الحكم : ص 302 .  
(192) ابن عبد الحكم : صفحة 301 .  
(193) نفس المصدر والمصحفة .  
(194) عن تفاصيل هذا الموضوع راجع : ابن عبد الحكم : ص 301 ، 302 ، الرقيق : ص 128 ، البرادى : الجواهر ورقة 87 ، Masqueray : P. 23 .  
(195) ابن عبد الحكم : صفحة 301 .  
(196) الرقيق : صفحة 128 .

وتختلف المصادر (198) حول دوافع هذا الحادث . والراجح أنهما اختلفا حول مسائل فقهية أو تنازما حول الحكم (199) ، فاحتكما الى السيف فقتل كل منهما صاحبه . ومهما كان الأمر فقد تمخض الأمر عن حدوث الشقاق (200) بين جماعة الإباضية بالمغرب على غرار ما كان يحدث بين الخوارج المشاركة . ولم تجد نفعا نصائح فقهاء المذهب بالبصرة بالكف عن ذكر هذه المسألة ، فظلت تشغل إباضية المغرب حتى تولى أبو الخطاب الإمامة سنة 140 هـ (201) (757 م) .

أما ثالث تلك الثورات فكانت من نصيب قبيلة نفوسة ، إذ بادر زعيمها اسماعيل بن زياد النفوسى بعد أن « عظم شأنه وكبر بيعه » (202) بالاستيلاء على قابس سنة 132 هـ (751 م) (203) . فخرج اليه عبد الرحمن بن حبيب وأنفذ ثلاثه من الخيالة ليسبر غوره، لكن عامله على طرابلس التحم بنفوسة الإباضية وقتل زعيمها وأسر كثيرا من رجالها (204) . واصطحب عبد الرحمن بن حبيب أسرى الإباضية الى طرابلس وذبحهم وامتنح الناس بهم « فكان يؤتى بالأسير من البربر فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله » (205) كما عهد الى عامله بطرابلس بتوزيع المغنم التي غنمها من الإباضية على جنده (206) ، وأعاد بناء سور المدينة (207) لتحصينها من خطر الإباضية،

(198) ذكر بعض المؤرخين أنهما اختلفا فانتتلا ، فقتل كل منهما الآخر ووضع سيده في جسد صاحبه ( ابن عبد الحكم : ص 302 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 87 ) وذكر آخرون أن عبد الرحمن بن حبيب حاربها فقتلها ( الرقيق ص 129 ، ابن الاثير ج 5 ص 116 ) . بينما نجد في رواية ثالثة أن عبد الرحمن بن حبيب اغتالها خفية ، وأوصى العتلة بوضع سيف كل منهما في جسد الآخر إثارة للخلاف بين الإباضية . انظر : الدرجينى : ج 1 ورقة 12 ، على يحيى معمر : الإباضية في موكب التاريخ ص 46 ، 47 .

(199) الشماخى : السير ص 125 ، Masqueray : Op. Cit. P. 23 .

(200) اختلف الإباضية في تحديد أيهما اخطأ في حق صاحبه ، ولم يلبك الخلاف أن تشعب الى مسائل فقهية وفلسفية جوهرها « هل يدفع الشك اليقين أم اليقين يدفع الشك لا » فقال البعض ها على ولايتها حتى يتبين أمرها ، بينما رأى البعض الآخر عدم البت في القضية ، فتحول الخلاف الفقهى الى انشقاق سياسى . . عن مزيد من التفصيلات راجع : البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 87 ، الشماخى : السير ص 125 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 11 ظهر .

(201) أبو زكريا ، السيرة ورقة 6 .

(202) ابن عبد الحكم : صفحة 302 .

(203) اطلدش : الامكان صفحة 53 .

(204) ابن عبد الحكم : ملحة 302 .

(205) الرقيق : ملحة 128 .

(206) ابن عبد الحكم صفحة 302 .

(207) الرقيق : ص 129 ، ابن الاثير : ج 5 ص 116 .

ثم قتل عائدا الى القيروان في نفس العام .

ولا يخامرنا شك في أن جهود ابن حبيب وعماله على طرابلس في جمع حركات الإباضية قد فتت في عضدهم .

ويخيل لنا أن هذا هو ما دفع زعماء الإباضية في المغرب الأدنى للرحيل الى البصرة للاسترشاد بمشايع المذهب في الاعداد للثورة المنظمة الشاملة . وقد عادوا الى المغرب بعد أن مكثوا خمس سنوات بصحبة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وجماعة شيوخ المذهب وقد تذرعوا بالاساليب والوسائل الكفيلة بانجاح حركتهم . وحسبنا أن أبا عبيدة أشار عليهم باختيار أحد رجال المذهب من عرب المشاركة لزعامتهم لما له من دراية بأحوال المغرب ولحصافته ودربته بأصول السياسة وفنون الحكم (208) . ويبدو انه أوصى أفراد الوفد المغربي بتعبئة قبائل الإباضية جميعا للاشتراك في الثورة ، فاشتراط ضرورة حشد القوى المادية والبشرية للقيام بالثورة (209) كما تخصص بعض أفراد الوفد في مسائل الفقه والشريعة لمواجهة ما يعن لهم من مسائل تتعلق بالثورة ومعاملة الخصوم وإدارة الاقاليم التي يتسنى لهم انتزاعها من الحكام العرب (210) وأخيرا أوصاهم بموافاته بتطورات حركاتهم وضرورة مشاورته فيما يعن لهم من أمور (211) .

وما أن عاد الوفد الى بلاد المغرب سنة 140 هـ ( 757 م ) ، حتى بادر أعضاؤه بالاتصال بالقبائل وتهيئتها للقيام بالثورة ، ويذكر أبو زكريا (212) أن أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري — وهو الذي أشار أبو عبيدة بتقلده زعامة الحركة — أبدى نشاطا ملحوظا « في الكتمان » فاتصل بمشايع القبائل للتشاور في اعلان « امامه الظهور » . وقد كللت مساعيه بالنجاح ، فانضم اليه جمهرة الإباضية ، وكسب الكثير

---

(208) الشماخي : السير ص 125 . يخرج ماسكراى من اختيار عربى لزعامة الحركة بان العامل الدينى حل محل عامل العصبية في اعطاء الحركة طابعها ، انظر : Chronique d'Abou Zakaria. P. 29.

(209) الشماخي نفس المصدر صفحة 124 .

(210) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة : رسالة في احكام الزكاة ورقة 114 — مخطوط .

(211) انظر : ملحق (1) .

(212) السيرة وأخبار الائمة ورقة 6 .

(213) اليعقوبى : تاريخه ص 118 ، البلاذرى : فتوح البلدان ص 275 .

من الاتباع (213) ، وأجمع رؤساء المذهب على مبايعته بالامامة (214) .  
وانضوت قبائل نفوسة وهوارة وزناتة وغيرها تحت لوائه (215) .  
واستطاع أبو الخطاب مدهمة طرابلس على حين غفلة (216) ، وارغم  
عاملها عمرو بن عثمان القرشي (217) على مغادرتها واستولى على بيت  
مالها (218) ، وأمن أهلها (219) .

وباستيلاء الإباضية على طرابلس اشتد ساعدهم ، فاتخذوها قاعدة  
للمذهب ، وبعثوا الى أبي عبيدة مسلم بالبصرة يعلموه « بظهور الامامة » .  
فاغتبط لذلك ونصحهم بالتضامن واقتفاء أثر السلف الصالح (220) . وجنح  
أبو الخطاب الى التوسع ، فاستولى على جزيرة جربة وجبل دمر سنة  
140 هـ (221) ( 757 م ) ، كما ضم قابس في نفس العام (222) ، ودانت  
بلاد المغرب الأدنى بطاعته ، فرنى ببصره صوب افريقية .

ثم كان استيلاء الصفرية على القيروان وخروج أبي الخطاب وصراعه  
مع الصفرية وهزيمتهم عند رقادة (223) ، ودخول المدينة بعد مقتل  
عبد الملك بن أبي الجعد مقدم الصفرية ، ونجاح عامله عليها — عبد الرحمن  
ابن رستم — في بث نفوذ الإباضية في سائر جهات افريقية (224) ، بعد

---

(214) تذكر المصادر الإباضية أن رؤساء المذهب كانوا يجتمعون في مكان يقال له صياد  
— غربى طرابلس — بحجة اقتسام أرض اختلف التوم عليها ، أو للتأليف بين رجل  
اختلف مع زوجته ، مداراة لوالى طرابلس . انظر : أبو زكريا : ورقة 6 ، الدرجيني :  
ج 1 ورقة 11 . وتصور هذه المصادر أبا الخطاب على أنه فوجيء بعرض الامامة  
عليه ، لكنه كان في الواقع على علم بأنه سيتنلدها منذ غادر البصرة مع الوفد  
المغربى وقتا لمشورة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة .  
انظر : أبو زكريا : ورقة 6 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 11 .

(215) أبو زكريا : ورقة 7 .  
(216) تصور المصادر الإباضية سقوط طرابلس تصويرا روائيا أشبه ما يكون بسقوط  
طرودة ، فذكرت أن الجيش الإباضى اختبأ داخل جواليق يجعلها الجمال التى  
دخلت المدينة على أنها قافلة تجارية فلما توسطت المدينة ، خرج الرجال شاهرين  
أسلحتهم صائحين « لا حكم الا لله ولا طاعة الا لابي الخطاب » .

انظر : أبو زكريا : ورقة 7 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 12 .  
(217) الرتيق : ص 142 ، ابن عذارى : ج 1 ص 74 .

(218) أبو زكريا : ورقة 7 .  
(219) نفس المصدر والصحيحة ، الدرجيني : ج 1 ورقة 14 .

(220) انظر : ملحق (1) .  
(221) أبو راس : مؤنس الاحبة صفحة 45 .

(222) أبو زكريا : ورقة 8 ، الشماخى : السير ص 128 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 13 .  
(223) البكرى : المغرب صفحة 28 .

(224) أبو زكريا : ورقة 9 .

مغادرة أبي الخطاب القيروان لمواجهة جيوش الخلافة التي بعثها المنصور لاستنقاذ افريقية (225) .

وقد انفذ المنصور محمد ابن الاشعث الخزاعي على رأس جيش زاد عدده عن خمسين الف مقاتل الى بلاد المغرب سنة 142 هـ ( 759 م ) . ومهما اختلف المؤرخون (226) حول دوافع ارسال هذا الجيش الضخم ، فلا شك أن مهمته الاساسية كانت استرداد نفوذ الخلافة وهيبتها في بلاد المغرب (227) بعد أن أضحت تنسمة بين الصفرية والاباضية من الخوارج . ويبدو أن ابن الاشعث هاله أمر الاباضية الذين سيطروا على المغرب الأدنى و افريقية ، فأثر البقاء بمصر ، وأنفذ طلائعه بقيادة أبي الاحوص عمرو ابن الاحوص العجلي (228) الى المغرب .

وهذا هو ما حدا بأبي الخطاب عبد الاعلى الى مغادرة القيروان على وجه السرعة للقاء أبي الاحوص ، فالتقى به في مغمداس (229) بناحية سرت (230) وهزمه واحتوى عسكره ، فعاد أبو الاحوص الى مصر مدحورا (231) .

ويخيل لنا أن هذه الهزيمة فتت في عضد ابن الاشعث ، فبعث المنصور اليه يستصرخه التعجيل بالتوجه الى المغرب بنفسه (232) ،

---

(225) ابن عذارى : ج 1 ص 82 ، ابن خلدون : ج 4 ص 191 ، الانصارى : المنهل العذب صفحة 65 .

(226) ذكر مؤرخو السنة أن المنصور انفذ الحملة استجابة لطلب نهاء القيروان لتخليصهم من عسف الصفرية .

راجع : المالكي : ج 1 ص 98 ، 102 ، أبو العرب تميم : ص 30 . بينما ذهب مؤرخو الاباضية الى أن ارسال الحملة كان نتيجة الحاح أحد رجال أبي الخطاب - ويدعى جميل السدراتي - بعد أن خرج عليه ورحل الى بغداد .

راجع : أبو زكريا : ورقة 9 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 15 ، الشماخي : ص 131 .

(227) البلاذري : فتوح البلدان ص 275 .

(228) زعم ابن تغرى بردى أن أبا الاحوص انفذ الى المغرب من قبل والى مصر حميد بن تحطبة ، وأضاف أن حميدا خرج بنفسه للقاء أبي الخطاب بعد هزيمة أبي الاحوص فهزمه وقتله ثم عاد الى مصر .

انظر : النجوم الزاهرة ج 1 ص 349 . والثابت أن ابن الاشعث هو الذى قام بالمهمة

أبان ولاية حميد بن تحطبة لمصر .

انظر : ابن عذارى : ج 1 ص 82 .

(229) البكري : ص 7 ، ابن عذارى ، ج 1 ص 82 .

(230) البكري : نفس المصدر والصحيفة ، السلاوى : ج 1 ص 114 .

(231) ذكرت المصادر الاباضية أن أبا الخطاب كان قد هزم جيشا آخر لابن الاشعث بقيادة العوام بن مبد العزيز البجلي قبل انتصاره على أبي الاحوص . انظر الشماخي : السير صفحة 130 .

(232) ابن مذارى : ج 1 ص 83 ، ابن الاثير : ج 5 ص 118 .

وعول ابن الاشعث على الاستعداد الكامل قبل مغادرته مصر ، فحشد في جيشه من القواد العظام ثمانية وعشرين قائدا (233) من بينهم الاغلب ابن سالم التميمي والمحارب بن هلال الفارسي والمخارق بن غفار الطائى (234) .

واستعد أبو الخطاب للقاء ابن الاشعث ، فربط بأرض سرت في سبعين الف (235) من الاباضية . لكن خلافا وقع في معسكره تمخض عن انسحاب اباضية لاعتقادهم بتحيزه الى هواراة (236) . وبادر ابن الاشعث بالنزول بجيشه على موارد الماء بمكان يقال له تاورغا (237) ، ومنع عسكر ابي الخطاب من ارتياده (238) . فلما نشب القتال دارت الدائرة على الاباضية ، فقتل أبو الخطاب مع آلاف من رجاله (239) ، ونجى منهم نفر قليل لاذوا بالحصون والتلأغ في الجبال (240) . وعول ابن الاشعث على استئصال شأمة الاباضية ، فأرسل قائده اسماعيل بن عكرمة الخزاعي الى زويلة وودان فقتل من بها من الاباضية (241) . كما لقي اباضية طرابلس عنقا شديدا من عامله

(233) ابن عذارى : نفس المصدر والصحيفة .

(234) النويرى : ج 22 ورقة 19 .

(235) أبو زكريا : ورقة 10 . وبيالغ ابن عذارى حين يذكر أن جيش ابي الخطاب بلغ مائتى ألف مقاتل ، انظر : البيان المغرب : ج 1 ص 82 .

(236) ابن عذارى : ج 1 ص 83 ، ابن الاثير : ج 5 ص 118 ، النويرى : ج 22 ، ورقة 19 . وتذكر المصادر الاباضية أن العامة في جيش ابي الخطاب تخلوا عنه حين تظاهر ابن الاشعث بالانسحاب الى الشرق رغم تحذير ابي الخطاب وتجاهل تماما ذكر انسحاب اباضية زناتة . والحق ما ذهبت اليه المصادر السننية في تفسير الانشقاق داخل معسكر الاباضية . يؤكد ذلك ما ورد بالمصادر الاباضية ذاتها من اشتراك نفوسة وهواراة وجريشة في معركة تاورغا الى جانب ابي الخطاب دون أن يرد بينها ذكر لزنانة .

انظر : أبو زكريا : ورقة 10 ، الدرجيني : ج 2 ورقة 15 ، الشماخي السير صفحة 131 ، 132 .

(237) تقع بأرض سرت على مسيرة ثمانية أيام من طرابلس . الدرجيني : ج 2 ورقة 16 .

(238) أبو زكريا : ورقة 10 .

(239) تقدر المصادر الاباضية عدد القتلى بما يتراوح بين اثني الف وأربعة عشر الف . أما المصادر السننية فتصرف في تقديرها الذي يصل الى أربعين الف . راجع : أبو زكريا : ورقة 10 ، الشماخي : السير ص 132 ، النويرى : ج 22 ورقة 19 .

(240) أبو زكريا : ورقة 10 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 16 ، Lewcki : Etudes Ibadites. P. 113.

(241) ابن عذارى : ج 1 ص 84 ، النويرى : ج 22 ورقة 19 .

المخارق بن غفار ، فقد أسرف في تقتيلهم وسبى ذراريهم (242) . ولم يسلم  
اباضية زناتة من بطش ابن الأشعث على الرغم من خروجهم على أبي  
الخطاب وعدم اشتراكهم في معركة تاورغا ، فقتل زعيمهم أبو هريرة  
الزناتى في ستة عشر ألف من أصحابه (243) وعلى الرغم من هزيمة أحد  
جيوشه أمام اباضية زهانة (244) ، فقد ألقى الرعب في قلوب اباضية  
المغرب الأدنى ، فهابوه ودانوا له بالطاعة (245) .

وهكذا وضعت معركة تاورغا سنة 144 هـ (761 م) نهاية لامامة  
الظهور التى استمرت أربعة أعوام سيطر الاباضية ابانها على افريقية  
والمغرب الأدنى ، فلم يبق الاباضية بعدها على الظهور واضطروا الى  
العمل في تستر وكتمان وهو ما يعرف في اصطلاحهم « بامامة الدفاع » .

تولى امامة الدفاع بعد مقتل أبي الخطاب يعقوب بن حبيب  
المعروف بأبي حاتم المزوزى (246) سنة 145 هـ (762 م) . ويختلف  
المؤرخون حول أصله ، فيذكر بعضهم (247) أنه من هواره ، وقيل من  
سدراته (248) ، و فيقول ثالث أنه من مغيلة (249) ونحن نرجح الرواية  
الاولى لان هواره من أشد قبائل الاباضية قوة واكثرها عددا ومشاركة في  
ثورات الاباضية . أما سدراتة فكان دورها ضئيلا في الحركة الاباضية  
بالمغرب ، بينما كانت مغيلة تدين بالمذهب الصفرى ، ومضاربا بنواحي  
تلمسان أى انها بعيدة عن مسرح نشاط الاباضية في المغرب الأدنى  
وافريقية (250) .

على كل حال — بويح أبو حاتم بالامامة سنة 145 هـ (251) (762 م) ،  
وظل مستترا طيلة أربع سنوات قضاه في جمع شمل جماعات الاباضية

- 
- (242) الشماخى : السير ص 134 ، النويرى : ج 22 ورقة 19 .  
(243) ابن الاثير : ج 5 ص 118 ، ابن عذارى : ج 1 ص 83 .  
(244) الشماخى : السير صفحة 134 .  
(245) ابن الاثير : ج 5 صفحة 118 .  
(246) أخطأ الدرجينى في نسبة ابي حاتم بيعقوب بن لبيب ، وكذلك البرادى الذى نقل  
عنه . راجع : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 17 ، الجواهر المنتقاة ورقة 88 .  
(247) الدرجينى : ج 1 ورقة 17 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 88 .  
(248) البلاذرى : فتوح البلدان ص 75 .  
(249) ابن خلدون : ج 6 ص 125 ، برونفسال : نبذ تاريخية ص 49 .  
(250) والصواب ان يكون من «بليلة» وهى بطن من بطون هواره راجع : أبو زكريا :  
ورقة 12 .  
(251) نقل الشماخى عن الدرجينى خطأه في جعل تاريخ مبايعة ابي حاتم بالامامة سنة 154 هـ  
بدلا من سنة 145 هـ . انظر : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 17 ، السير ص 133 .

التي تفرقت على اثر حروب ابن الاشعث . وكان خلالها يرسل الصدقات الى عبد الرحمن بن رستم (252) الذي كان يعد العدة لقيام دولة بني رستم الاباضية في المغرب الاوسط .

ويبدو انه في سنة 150 هـ (253) (767 م) آانس من نفسه قوة « فأراد الخروج على جند طرابلس وعامل أبي جعفر » (254) .

ويبدو أن عامل طرابلس تنبه لذلك فخرج اليه على رأس جنده وطلب من الاباضية الاذعان لطاعته والدعوة للخليفة العباسي (255) ، فرفضوا ، فامتنلوا ، وانتصر الاباضية ودخلوا طرابلس . ونعتقد ان الاباضية امعنوا في البطش بأهل طرابلس من العرب — على غير عادتهم — تشفيا وانتقاما لما حل بهم من قبل (256) . وظل أبو حاتم مقيما بطرابلس حتى وصل عمر بن حفص الى افريقية سنة 151 هـ (768 م) .

حاول عمر بن حفص استرداد طرابلس واقصاء الاباضية عنها ، فأنفذ ثلاثة جيوش لهذا الغرض هزمها الاباضية جميعا (257) . كان اولها بقيادة الجنيد بن بشار الازدي ، فدهمه أبو حاتم بقباس وضرب عليه الحصار ، فبعث الجنيد يطلب العون من عمر بن حفص ، فأنفذ اليه خالد ابن يزيد المهلبى على رأس أربعمئة فارس عدا الرجالة ، لكن أبا حاتم هزمه أيضا وحال دون دخوله المدينة . فعززه عمر بجيش ثالث بقيادة سليمان بن عباد المهلبى ، طارده الاباضية فعاد من حيث أتى . وكان عمر قد غادر القيروان اذ ذاك الى طبنة في اقليم الزاب ، فلم يتوان أبو حاتم عن اقتفاء أثر سليمان بن عباد (258) وضرب الحصار على القيروان

(252) أبو زكريا : ورقة 11 .

(253) بروفنسال : نبذ تاريخية ص 49 ، محمد الشليبي : الجبان ورقة 303 مخطوط .

(254) أبو زكريا : ورقة 11 .

(255) الدرجيني : ج 1 ورقة 17 ، الشماخي : السير ص 134 .

(256) يفهم ذلك من رواية لابي زكريا يقول فيها أن أبا حاتم لام أصحابه على تعديهم وأمرهم برد ما أخذوه من أسلاب ، وهددهم بالتخلي عن الامامة ما لم يجيبوه . انظر : السيرة ورقة 12 .

(257) النويرى : ج 22 ورقة 21 .

(258) من الملاحظ أن المصادر جميعا تضطرب وتختلط حين تسرد هذه الاحداث ، وقد أثبتنا ما نعتقد انه الصواب على هدى تلك الروايات المختلفة . انظر : أبو زكريا ورقة 12 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 17 ، الشماخي : السير ص 134 ، ابن مذارى ج 1 ص 88 ، ابن الاثير : ج 5 ص 221 ، ابن خلدون : ج 4 ص 193 ،



سنة 153 هـ (259) (770 م) .

ثم غادر أبو حاتم القيروان ليسهم في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة 153 هـ (770 م) ، ذلك الحصار الذي اشترك فيه الإباضية مع الصفرية جنبا الى جنب لأول مرة . وقد اشترك أيضا عبد الرحمن ابن رستم ومعه خمسة عشر الف فارس (260) ، والمسور بن هانيء الزناتى في عشرة آلاف فارس (261) ، فضلا عن جموع الصفرية بقيادة أبى ثرة . لكن الحصار لم يستمر طويلا ، فقد حدث نزاع بين الإباضية والصفرية أسفر عن فشله . وآثر أبو حاتم العودة لحصار القيروان ، بينما انسحب عبد الرحمن بن رستم برجاله الى تهودة . وهناك لحق به عمر بن حفص وانزل به هزيمة عاد بعدها الى تاهرت مدحورا (262) . أما المسور الزناتى فالراجح أنه لحق بأبى حاتم وانضم اليه في حصار القيروان (263) .

شدد أبو حاتم الحصار ، وضيق على أهل القيروان بجيشه البالغ مائة وخمسين ألفا (264) ، فاشتد الكرب بالمحاصرين ونفذ ما لديهم من المؤن والأتوات (265) ، واضطر كثيرون منهم الى الخروج من المدينة والانضمام الى الإباضية (266) .

ترك عمر بن حفص طبنة على وجه السرعة لفك الحصار عن القيروان ، وخرج الإباضية بأجمعهم ليجهزوا عليه قبل قدومه ، لكنه أخذ

---

(259) تخطى المصادر الإباضية حين تزعم أن أبا حاتم حاصر ابن الأشعث في القيروان وأرغمه هو وجنوده على الزحيل الى المشرق . فمن المعروف أن ابن الأشعث غادر القيروان سنة 148 هـ بعد ثورة الجند الخلافي عليه . وجدير بالذكر أن هذه المصادر تتجاهل ولاية عمر بن حفص إفريقية منسقطها ، ولا تورد شيئا من ثم عن الصراع بينه وبين الإباضية . راجع : أبو زكريا : ورقة 12 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 18 .

(260) ابن خلدون : ج 4 ص 193 ، النويرى : ج 22 ورقة 21 .

(261) ابن الأثير : ج 5 صفحة 221 .

(262) ابن خلدون : ج 6 ص 112 ذكر الرقيق أن ابن رستم فقد في المعركة ثلاثمائة من رجاله بينما ذكر ابن عذارى أن عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف . راجع : تاريخ إفريقية والمغرب ص 143 ، البيان المغرب ج 1 ص 19 .

(263) يفهم ذلك من قول ابن الأثير بأن أبا حاتم « كثر جمعه » بعد أن غادر طبنة . راجع الكامل ج 5 صفحة 222 .

(264) ابن عذارى : ج 1 ص 89 وتبالغ بعض الروايات فتذكر أن جيش أبى حاتم بلغ خمسة وثمانين ألف فارس وثلاثمائة وخمسين ألف رجل . راجع : الطبرى : ج 8 ص 42 ، البرادى : الجواهر ورقة 88 ، العيني : عقد الجمان ج 13 ورقة 16 .

(265) ابن الأثير : ج 5 صفحة 222 .

(266) الرقيق : ص 144 ، النويرى : ج 22 ورقة 21 .

طريقاً مغايراً ، فسلك طريق تونس بدلاً من الأربس (267) . وبأدر بشحن القيروان بالمؤن والاقوات والميرة والرجال وأدوات الحصار (268) . وحفر خندقاً على باب أبي الربيع جعل عسكره من خلفه مؤثراً سياسة الدفاع (269) .

وقد عادت هذه السياسة على ابن حفص بأوخم العواقب ، فلم يتوان الإباضية عن قتاله ، واضطر للخروج لفك الحصار — الذى فرضه على نفسه — فهزم وارتد الى خندق أبى الربيع معتصماً به (270) . وتبعه أبو حاتم حتى جاوز مشارف الخندق ، كما وزع رجاله على سائر أبواب المدينة فمنع المحاصرين داخلها من الخروج ، وظلوا كذلك حتى نفذت اقواتهم (271) . وزاد الامر سوءاً ، اختلاف قواد عمر بن حفص عليه وتنازعهم عن القيام بمحاولة يائسة لفك الحصار (272) وحين وصله خبر قدوم يزيد بن حاتم لنجدته ، استتكت الانتظار وآثر الموت ، فظل يقاتل الإباضية حتى قتل (273) فى منتصف ذى الحجة من سنة 154 هـ ( 771 م ) .

عقد أبو حاتم صلحاً (274) مع جميل بن صخر — الذى تزعم الجند بعد مقتل أخيه لأمه عمر بن حفص (275) — ثم دخل القيروان « فأحرق أبوابها وثلم سورها » (276) واستخلف عليها عاملاً من قبله . واتجه الى طرابلس حين علم بمقدم يزيد بن حاتم على رأس جيش من الشرق لكنه اضطر للعودة الى تونس لقيام ثورات الجند العربى على عماله فى الزاب ،

(267) ابن خلدون : ج 4 ص 193 ، والأربس احدى مدن افريقية تقع غربى القيروان بسيرة ثلاثة أيام . السلاوى : ج 1 ص 118 .

(268) الرقيق : ص 144 ، ابن عذارى : ج 1 ص 89 .

(269) النويسرى : ج 22 ورقة 21 .

(270) الرقيق : ص 144 ، النويسرى ج 22 ورقة 21 .

(271) الرقيق : ص 145 ، ابن عذارى : ج 1 ص 90 .

(272) الرقيق : نفس المصدر والصحيحة ، النويسرى : ج 22 ورقة 21 .

(273) الرقيق : نفس المصدر ص 146 ، ابن عذارى : ج 1 ص 90 . وثمة رواية لابن وردان تصور هرب عمر بن حفص الى جبل الأوراس وقتله غدراً أثناء نومه . راجع : تاريخ الاغالبية ورقة 5 — مخطوط .

(274) يبدو أن أبا حاتم كان يريد عقد الصلح على وجه السرعة ليتفرغ للقاء جيش يزيد بن حاتم ، ومن ثم اتسم الصلح بالتساهل المفرط مع غريمه ، فقد نص فيه على ألا يكره أحد من الجند على بيع سلاحه ودوابه وعلى أن كل دم أصابه الجند من البربر فهو هدر . انظر : الرقيق ص 146 ، النويسرى : ج 22 ورقة 22 .

(275) ابن الأثير : ج 5 ص 222 ، ابن خلدون : ج 4 ص 193 .

(276) الرقيق : ص 147 ، ابن خلدون : ج 4 ص 193 .

فنجح في تفريق بعضهم (277) ، وعهد الى بعض قواده ببهمة القضاء على البعض الآخر (278) ومضى الى طرابلس لمواجهة يزيد بن حاتم (279) والواقع ان ابا حاتم كان في موقف لا يحسد عليه ، ففضلا عن ضخامة حملة يزيد بن حاتم وحسن استعدادها (280) دب الخلاف داخل معسكره ، فانحازت قبيلة مليلة الهوارية الى يزيد (281) ، وكذلك بعض رجال نفوسة الذين استرشد بهم في الوقوف على عورات البلاد (282) .

على كل حال — تمكن ابو حاتم بادىء الامر من هزيمة طلائع جيش يزيد التي قادها سالم بن سواده التميمي (283) عند مفمداس (284) وقتل منها اعدادا غفيرة (285) . لكن لحسن بلاء يزيد وقيادته الجيش بنفسه (286) ، اضطر ابو حاتم الى الاعتصام بجبل نفوسة في موضع حصين خلف خندق حفرة الاباضية على وجه السرعة (287) غير ان يزيدا افسد خطته ، فتمكن من اجتياز الخندق ، والتحت جيوشه بالاباضية فهزموهم « وقتل ابو حاتم ومن معه من اهل البصائر » (288) في المعركة .

(277) بدد ابو حاتم شمل جبل بن صخر وجنده عند تونس ، كما ارغم لمخارق بن غفار الطائي على مغادرة القيروان . انظر : الرقيق ص 148 .

(278) بعث ابو حاتم جرير بن مسعود المديوني في اثر عمر بن عثمان النهري الى ارض كتامة ، لكن جريرا هزم وقتل . انظر : الشماخي : ص 135 .

(279) الرقيق ص 159 ، ابن عذارى : ج 1 ص 91 ، ابن الاثير : ج 5 ص 222 ، النويري : ج 22 ورقة 22 .

(280) تجعب المصادر على ضخامة الصلابة فتقدر مددها بما يتراوح بين تسعين الف ومائة وعشرين الف ، نصلهم من الفرسان . انظر : اليعقوبي : تاريخه ص 120 ، البلاذري : فتوح البلدان ص 275 ، الرقيق : ص 159 ، وابن الاثير : ج 5 ص 222 ، ابن عذارى : ج 1 ص 94 ، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 195 ، العيني : ج 13 ورقة 16 ، الشماخي : السير ص 136 .

(281) ابو زكريا : ورقة 12 ، الشماخي : ص 136 .

(282) ابو زكريا : ورقة 13 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 18 .

(283) النويري : ج 22 ورقة 22 .

(284) مكان حصين بجبل نفوسة في نواحي طرابلس . راجع : الرقيق ص 159 ، ابن الاثير : ج 5 ص 222 .

(285) الرقيق : ص 160 ، النويري : ج 22 ورقة 22 . يعتقد الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ان ابا حاتم هزم في تلك المعركة على الرغم من اجماع المؤرخين اباضية وغير اباضية على انتصاره فيها . انظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص 329 ، ابن الاثير : ج 5 ص 222 ، النويري : ج 22 ورقة 22 ، ابو زكريا ورقة 12 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 18 ، الشماخي : السير ص 139 .

(286) الرقيق : صفحة 160 .

(287) نفس المصدر والمصحفة ، ابن الاثير : ج 5 ص 223 ، النويري : ج 22 ورقة 22 .

(288) ابو زكريا : ورقة 13 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 18 ، النويري : ج 22 ورقة 22 .

كما قتل جمهور عظيم من الاباضية (289) ، بلغ ثلاثين الفا (290) .  
 واستبدت بيزيد شهوة الثار لعمه عمر بن حفص (291) « فطلب الاباضية  
 في كل سهل وجبل » (292) وبطش بهم . ثم استعمل احد عماله على  
 طرابلس ونهض الى القيروان سنة 155 هـ (293) ( 772 م ) .

والحق — أن تلك الضربة الماحقة التي الحقها يزيد بن حاتم بالاباضية  
 تعد نهاية لنشاط الخوارج الاباضية في صورته الشاملة المنظمة حقيقة أن  
 حركاتهم لم تحبط بصورة نهائية في عهد يزيد ، لكنها كانت تفتقر الى التنظيم  
 والشمول ، ومن ثم لم يجد أمراء آل المهلب في افريقية عناء في قمعها  
 وردعها . فتورة هوارة بزعامة ابي يحيى بن قرياس سنة 156 هـ ( 773 م )  
 بنواحي طرابلس انتهت بكارثة لاباضية هوارة على يد عبد الله بن السمط  
 الكندي الذي قتل ابا يحيى وعامة أصحابه (294) . وحسبنا أننا لم نسمع  
 عن أى نشاط للاباضية طوال حكم يزيد بن حاتم الذى امتد حتى عام  
 170 هـ ( 786 م ) ، ولذلك حق لابن عذارى (295) أن يقول « تهدنت  
 افريقية ليزيد بن حاتم » . واذا كان يزيد بن حاتم قد قضى على ثورات الاباضية  
 في شكلها الشامل المنظم ، فإن خليفته داود بن حاتم تمكن من « حصد  
 شوكتهم » (296) ، ففى عهده ثارت قبيلة نفزة الاباضية بجبال باجة بزعامة  
 صالح بن نصير (297) ، ونجح في هزيمة قوات داود ، لكن سليمان بن  
 الصمة احد رجال داود تمكن من هزيمته (298) . كما حارب سليمان نفرة  
 في معركة أخرى بشقنبارية (299) لم يقم لها قائمة من بعدها (300) . كما  
 أحبطت ثورة اباضية هوارة سنة 180 هـ ( 796 م ) بزعامة عياض بن

- 
- (289) اليعقوبى : تاريخه ص 12 .  
 (290) ابن خلدون : العبر ج 4 ص 193 ، وبيالغ النويرى فيذكر أن القتل من معسكر يزيد  
 كانوا ثلاثة فقط والصحيح ما رواه الرقيق من أن عددهم بلغ « ثلاثة رهط » انظر : النويرى  
 نهاية الارب ج 22 ، الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص 160 .  
 (291) الرقيق : صفحة 159 .  
 (192) نفس المصدر والصحيحة ، ابن عذارى : ج 1 ص 194 ، ابن الاثير ج 5 ص 223 .  
 (293) نفس المصادر والصفحات .  
 (294) ابن عذارى : ج 1 ص 94 ، ابن الاثير : ج 5 ص 4 .  
 (295) البيان المغرب ج 1 صفحة 94 .  
 (296) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 113 ، السلاوى : ج 1 ص 120 .  
 (297) ابن خلدون : العبر ج 6 ص 115 ، النويرى : ج 22 ورقة 23 .  
 (298) الرقيق : ص 169 ، النويرى : ج 22 ورقة 23 .  
 (299) احدى كور الاريس بافريقية . راجع الرقيق ص 169 .  
 (300) الرقيق : ص 169 ، ابن عذارى : ج 1 ص 99 ، ابن خلدون : ج 6 ص 113 ،  
 النويرى : ج 22 ورقة 23 .

وهب الهواري (301) . اما اباضية نفوسة فقد استكانوا وغلبوا على امرهم بعد فشل حركة ابي حاتم . وقبل ذلك كان اباضية زناتة قد بطش بهم ابن الاشعث سنة 144 هـ ( 760 م ) .

وهكذا تصدعت حركات الاباضية في المغرب الادنى وافريقية ، بينما نجح عبد الرحمن بن رستم بمؤازرة اباضية المغرب الاوسط في تأسيس دولة بتاهرت سنة 161 هـ ( 1977 م ) ، تلك الدولة التي امتد نفوذها فيما بعد لتضم اباضية المغرب جميعا بعد ان دانوا بالولاء والتبعية لائمها ، واقامت دليلا عمليا على نجاح ثورات الاباضية في تحقيق مراميها في تكوين دولة اباضية بالمغرب .

---

(301) ابن الاثير : ج 5 ص 46 ، ابن خلدون : المعبر ج 4 ص 195 ، ابن تيمزي بردي : ج 2 صفحة 90 .

## ثالثا :

### نتائج ثورات الخوارج في بلاد المغرب

نخلص من هذا العرض لثورات الخوارج — صفرية وإباضية — في بلاد المغرب بعدة نتائج منها أن هذه الثورات كانت تتأثر — ان ضعفا وان توة — بموقف الخلافة في الشرق أموية وعباسية ، واهتمامها بشؤون بلاد المغرب أو انصرافها عنها . وحسبنا أن اندلاع ثورات الخوارج في المغرب واكب اضطراب الخلافة الأموية وانشغالها بالخصومات القبلية والصراعات حول السلطة بين أفراد البيت الأموي (302) . وازدادت هذه الثورات تأججا وغلبت على بلاد المغرب جميعا بعد موت هشام بن عبد الملك سنة 125 هـ (303) (743 م) الذي كان يولى بلاد المغرب عناية خاصة ، « فوثع الاضطراب بافريقية » (304) وطرق الخلل .. لخفوت صوت الخلافة بالمشرق (305) . ويكفى أن عبد الرحمن بن حبيب اغتصب حكم افريقية له ولآله من بعده ، ففى غيبة الخلافة وعمالها آنذاك بلغت ثورات الخوارج أوجها حتى غدت القيروان ذاتها ميدانا للصراع بين الإباضية والصفورية ، وهو ما يعبر عنه ابن خلدون بقوله (306) « .. وأعضل

(302) الحميدى : جذوة المقتبس ص 8 ، الضبى ، بغية الملتبس ص 14 .

(303) اخبار مجموعة ص 36 .

(304) الحميدى : المرجع السابق ص 8 .

(305) الباجى المسعودى : الخلاصة النقية ص 15 .

(306) العبر : ج 6 صفحة 11 .

امر الخارجية ورؤسها » . ولم يكن ذلك الا « لانشغال بنى أمية عن  
تأصية الثغور » (307) .

ومن الطبيعي أن تتفاقم ثورات الخوارج ويزداد خطرهما بقيام الدولة  
العباسية التي اهتمت في عهد السفاح بأمور المشرق أكثر من اهتمامها بأمور  
المغرب (308) ، فانتقال العاصمة من دمشق الى بغداد وسع الهوة بين  
بلاد المغرب ومقر الخلافة (309) ، ومن ثم خرج عن طاعته « ما بين تاهرت  
وطبنة الى بلاد السودان وجميع مملكة الاندلس (310) .

وقد تغير الموقف تماما في خلافة المنصور ، فكانت سياسته قائمة  
على أساس الاحتفاظ بالمغرب وعدم التفريط فيه (311) ، فاختار ولاته  
من خاصته الاكفاء « من ذوى الرأى الاصيل والخطر الجليل » (312) ،  
كابن الاشعث وعمر بن حفص ويزيد بن حاتم ، كما انفق المال بسخاء في  
اعداد حملاته على المغرب مع ما عرف عنه من بخل وشح (313) . وتغلب  
على مشكلة طول المسافة وبعد الشقة بين بغداد والمغرب بأن عهد الى  
ولاته بمصر بمسؤوليات اعداد الجيوش وقيادتها (314) . واقتفى الرشيد  
نفس السياسة من الاهتمام بأمور المغرب (315) . فقد حرص على اختيار  
ولاته من ذوى « الخداع والدهاء والغدر » (316) . كما كان على صلة  
دائمة بهؤلاء الولاة ، وكثيرا ما ساهم في رسم سياساتهم ووضع خططهم في  
محاربة الخوارج (317) . فاستطاع أن يحتفظ بافريقية بعد أن كادت تسقط  
في أيديهم (318) .

هذا وقد تأثرت ثورات الخوارج بشخصية الولاة وسياساتهم وما

- 
- (307) المقرئ : نفع الطيب ج 1 صفحة 222 .  
(308) عن الطابع الشرقي للخلافة العباسية واهمال السفاح لشؤون المغرب انظر : محمود  
اسماعيل : الاغالبية ، سياستهم الخارجية ص 1 ، 2 .  
(309) عن الطريق البرية بين بغداد وبلاد المغرب انظر : قدامة بن جعفر : الخراج  
صفحة 220 - 225 .  
(310) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص 258 .  
(311) ابن الاثير : ج 5 ص 221 .  
(312) الرقيق : ص 151 ، ابن عذارى : ج 1 ص 98 .  
(313) البلاذرى : فتوح البلدان ص 275 ، ابن تفرى بردى : ج 2 ص 20 .  
(314) ابن تفرى بردى : ج 2 ص 23 .  
(315) ابن الاثير : ج 5 ص 221 .  
(316) ابن طباطبا : الفخرى في الاداب السلطانية ص 127 .  
(317) ابن الايار : الحلة السراء ج 2 ، ص 358 .  
(318) ابن الاثير ج 5 ص 221 ، Mercier : Histoire de l'Afrique. P. 142.  
Muir : The Caliphate. P. 461.

هم عليه من قوة أو ضعف ، وما لسياساتهم من آثار في جمع شمل الجند أو بعثرته . فقد أدى نشوب الصراع القبلى بسين القيسية واليمينية (319) الى ما حل بجيش كلثوم بن عياض القشيري من كارثة على يد الصفرية في موقعة بقدورة سنة 123 هـ ( 740 م ) . وأثبتت تلك الموقعة أن الخوارج كانوا يفيدون من انقسام الجند العربي ، وهى حقيقة يؤكدها سقوط القيروان واستيلاء الصفرية عليها ثم الإباضية بسبب الخلافات بين افراد الاسرة الفهرية (320) .

وكانت ثورات الخوارج تزداد تأججا ونجاحا حين كان الولاة يشغلون عنها بانقاذ حملاتهم خارج المغرب فكان الخوارج يجدون في غياب الجند العربي فرصة مواتية لتعبئة الجهود وعلان الثورة . وحسبنا أن أولى ثورات الخوارج التي تزعمها ميسرة قامت في الوقت الذي كانت فيه جيوش ابن الحبحاب تغزو في صقلية (321) . كما اندلعت هذه الثورات بصورة شاملة حيث « استشرى داء البربر وأعضل أمر الخارجية » (322) في وقت انشغال جيوش ابن حبيب بغزو سردينية وصقلية (323) . وقد استطاع ابن الأشعث بفضل كفايته العسكرية (324) ان يضعف الخوارج وأن « يضبط افريقية » (325) ويحصن القيروان وطرابلس وطبنة (326) ، لكن لم يقدر له النجاح في القضاء نهائيا على ثوراتهم بسبب ثورة الجند العربي عليه وطرده من الولاية (328) . وكان القتل من نصيب الاغلب بن سالم لعقده العزم على استئصال شافة الخوارج ومهاجمتهم في معانهم بتلمسان والمغرب الاقصى ، فقد ثار عليه جنده وقتلوه سنة 148 هـ (329) ( 765 م ) واعطوا بذلك الفرصة لاستفحال خطر ابى قررة الصفري .

كما ارتبطت هزائم الخوارج بكفاءة الولاة واستقرار احوال الجند الخلافي ، ولا يخفى ما بلغه عمر بن حفص من شجاعة ودهاء وحسن

- (319) ابن عبد الحكم : صفحة 295 .  
(320) ابن خلدون : المبرج ج 3 ص 190 .  
(321) الرقيق : صفحة 109 .  
(322) ابن خلدون : ج 6 صفحة 111 .  
(323) ابن الاثير : ج 5 صفحة 116 .  
(324) الطبرى : ج 7 صفحة 459 ،  
(325) ابن الاثير : ج 5 صفحة 118 .  
(326) البكري : ص 7 ، السلاوى : ج 1 ص 115 .  
(327) ابن عذارى : ج 1 ص 88 ، السلاوى : ج 1 ص 115 .  
(328) ابن الاثير : ج 5 ص 119 ، السلاوى : ج 1 ص 115 .

Biquet : Op. Cit. P. 42



بصرة ، ولعل في رحيله عن القيروان وتحصينه طبنة ما ينم عن ادراك واع لمكن الخطر في نشاط الخوارج وافلاته من حصار خوارج المغرب اباضية وصفيرية اضاف الكثير الى قدراته الفذة وفي نهايته البطولية وموته وهو يقاتل الخوارج وحيدا ما جعل المؤرخين يطلقون عليه — بحق — لقب « هزار مرد » (330) . كما استطاع يزيد بن حاتم ان يتصدى لثورات الخوارج ، وبفضل كفايته ومقدرته « سكن الناس في افريقية » (331) . واثمر هذا الهدوء في عهد خلفه روح بن حاتم (332) . ثم قدم هرثمة بن اعين الى افريقية سنة 179 هـ ( 795 م ) ليقتضى على ما بقى للخوارج من رمق ، واعاد الحياة الآمنة الى بلاد المغرب (333) .

من ناحية أخرى — استفاد الخوارج من اخطاء عمال الخلافة بالمغرب ، وكانوا يتخيرون الوقت للخروج اعتمادا على تلك الاخطاء . فقد خرج ميسرة في الوقت الذي كان فيه جيش ابن الحبحاب في صقلية ، كما امتدت ثورات الخوارج وانتشرت ابان الازمات التي اصابت الخلافة في الشرق او اثناء الفتن القبلية بين الجند العربى قيسية ويمنية كالخصومة التي وقعت بين حبيب بن ابي عبيدة اليمنى وبين كلثوم بن عياض القيسى ، او الصراع بين الجند العربى في افريقية وبين العناصر الفارسية والخراسانية في عهد ابن الاشعث والاعلم بن سالم . يضاف الى ذلك الصراع حول الولاية بين عبد الرحمن بن حبيب وبين حنظلة بن صفوان ، ثم الصراع الدموى داخل أسرة بنى حبيب ، فسنحت للخوارج الفرصة لتحقيق انتصاراتهم التي اشرفنا اليها .

كما تميزت حركات الخوارج في المغرب بالشمول وسعة الانتشار . وذلك بفضل الثورة الاولى التي قادها ميسرة المطغرى سنة 121 هـ ( 739 م ) ، فقد كانت نموذجا اقتفاه ثوار المغرب الاوسط والادنى من الصفيرية والاباضية على السواء (334) . وجدير بالذكر ان هذا الطابع المنظم لحركات الخوارج ساعد على انتشارها في سائر ربوع المغرب في

(329) ابن خلدون : ج 6 ص 112 ، السلاوى : ج 1 ص 116 ، Muir : Op. Cit. P. 481.

(330) وتعنى بالفارسية « الف رجل » كتابة على شجاعته النادرة .

(331) ابن الاثير : ج 5 ص 4 .

(332) نفس المصدر ص 38 ، ابن خلدون : ج 5 ص 194 ، Biquet : Op. Cit. P. 44 ،

(333) ابن عذارى : ج 1 ص 89 ، السلاوى : ج 1 ص 121 .

(334) حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص 14 .

وقت واحد ، فما ان تظهر الثورة في ناحية حتى يمتد اثرها الى ما عداها من اقاليم المغرب فتجتاح البلاد من مشرقها الى مغربها (335) .

كما اشتهر الخوارج في حروبهم بالشجاعة والاستبسال شأنهم في ذلك شأن الخوارج في الشرق « فكانوا يخلقون الرعوس وترتفع اصواتهم بالتحكيم » (336) اذكاء للحماس الذي عوضهم عن نقص السلاح .

لقد كان العرب يعتمدون في خططهم على الفرسان بينما كانت جيوش الخوارج في الغالب من الرجالة ، ومع ذلك ابتكر الخوارج من الوسائل ما كانوا يرهبون بها خيل العرب وفرسانهم ، فبوقفون تقدمهم برميها « بالاوزاف (337) وهي الجلود اليابسة فيها الحجارة » (338) . كما كانوا يعتمدون الى « الرمك الصعبة فيعلقون في اذنانها القرب والانطاع اليابسة ويوجهونها نحو الخيل فتنفرد » (339) .

والى جانب الحماس والشجاعة تميزت ثوراتهم في كثير من الاحيان بالتنظيم المحكم الدقيق . وحسبنا ان انتصارات ميسرة جاءت نتيجة اعداد وتخطيط ، فكانت جيوشه تهاجم معاقل العرب في وقت واحد (340) ، كما نجح خلفه خالد بن حميد الزناتي في تطويق الجيش العربي رغم ضخامته وابقاعه في « كمين البربر » (341) ، وحصار القيروان من ناحيتين من قبل عكاشة النفزاوى وعبد الواحد الهوارى في محاولة للاطباق عليها (342) كان نتيجة تدبير محكم بين القائدين الصفرين ، ولم يحل دون نجاحهما الا فطنة حنظلة بن صفوان لخطتها وافسادها . ومن أسباب نجاح عاصم بن جميل في الاستيلاء على القيروان براعته في ايهاهم أهلها بأنه يوالى الخليفة المنصور (343) . وكان انسحاب ابو قرة الصفرى امام جيوش الاغلب ابن سالم تخطيطا ذكيا لجره الى اقاصى المغرب في بلاد كان سكانها من

(335) مجهول : اخبار مجموعة ص 29 ، ابن عذارى ج 1 ص 88 .

(336) اخبار مجموعة صفحة 32 .

(337) ابن عبد الحكم صفحة 295 .

(338) اخبار مجموعة صفحة 33 .

(339) نفس المصدر والصحيفة .

(340) اخبار مجموعة ، صفحة 29 .

(341) ابن الاثير : ج 5 صفحة 69 .

(342) نفس المصدر : صفحة 70 .

(343) نفس المصدر : صفحة 117 .

الخوارج الصفرية حتى يضمن القضاء عليها جميعا (344) . وتفيض المصادر الإباضية بالكثير عن خطط الإباضية في اعداد الجيوش ومباغثة الخصوم اعتمادا على وسائل التمويه والخداع . ومن أمثلة ذلك سياسة أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح في اعداد جيوشه خارج طرابلس ثم دخوله المدينة وجنوده « مستترين في جواليق يحملها الجمال » والاستيلاء عليها في غفلة من أهلها (345) على غرار ما هو مشهور عن حرب طروادة. الا ان أبا الخطاب ذاته كان ضحية حيلة دبرها ابن الأشعث تمكن بواسطتها من هزيمة الإباضية ، على الرغم مما تسوقه المصادر الإباضية من حجج تدلل بها على فطنة القائد الإباضى لحيلة ابن الأشعث (346) .

وفضلا عن ذلك فقد اتسمت حركات الخوارج في المغرب بالاصرار المستميت على البقاء رغم ما حل بهم من نكبات وخاصة في عهدى المنصور والرشيد ، وحسبنا في هذا الصدد مذابح ابن الأشعث في الإباضية ، وما لاقاه الإباضية والصفرية على السواء في المجازر التى قام بها يزيد بن حاتم وعماله .

حقيقة ان هذه الضربات أوهنت حركات الخوارج وفتت في عضدها ، لكنها لم تقض عليها قضاء تاما ، فكان الخوارج عقب تلك المحن يدايون على اعادة التنظيم ولم الشمل سرا بزعماء من سموه « بامام الدفاع » (347) ، فإذا ما أنسوا من أنفسهم قوة عاودوا الخروج وأعلنوا الثورة على الولاة ، وهذا يفسر استمرار هذه الثورات قرابة نصف قرن ، فلم تخب نارها حتى حققت أهدافها وقامت للخوارج دول ببلاد المغرب ذات طابع استقلالى قومى .

ويتضح هذا الطابع القومى بشكل ظاهر في قيادة ثورات الخوارج فباستثناء أبى الخطاب المعافرى — الذى كان من أصل عربى — تصدرت ثورات الخوارج قيادات من البربر بئرا وبرانس ، فميسرة من مطفرة ، وخالد بن حميد الزناتى من زناتة ، وعكاشة بن أيوب من نفزاوة ، وعبد الواحد

(344) ابن خلدون : ج 6 صفحة 112 .

(345) أبو زكريا : ورقة 7 .

(346) نسس المصدر ورقة 10 ، الشماخى : السير ص 132 .

(347) الشماخى : صفحة 133 .

الهورارى من هوارى ، وعاصم بن جميل من ورفجومة ، وابو قرّة من مغيلة وكلهم من زعماء الصفرية . أما زعماء الاباضية ، فقد كان عبد الله بن مسعود النجيبى من هوارى ، وكذلك كان الحارث وعبد الجبار ، ومن نفوسة تولى اسماعيل بن زياد ، وكان ابو حاتم الملووزى من هوارى . ولا شك أن تصدر هذه الزعامات لثورات الخوارج فى بلاد المغرب تعبير حى عن شخصية المغرب الاسلامى المستقلة وتجسيد لدوره الاسلامى بعد اعتناق البربر مبادئ الخوارج .

هذا ، ولم تسلم حركات الخوارج من نقائص وسلبيات ، ولعل أهمها انه لم يكن هناك ثمة تعاون بين فرقتى الصفرية والاباضية ، وهى آفة موروثية عن خوارج المشرق . ولا نعتقد انها كانت فى المغرب من إجراء التجمعات القبلية التى اعتمد عليها كل فريق ، ذلك ان المذهبين الاباضى والصفرى انتشرا بين البربر واعتنقت بعض بطون القبيلة الواحدة المذهب الصفرى فى حين اعتنق بعضها الآخر المذهب الاباضى كما هو الحال بالنسبة لزنانة وهوارى . انما كان عدم التعاون مرده الى الخلاف الجوهرى بين عقائد كلتى الفرقتين وهو خلاف يحول دون التقائهما فلم يكن قدوم داعيتى الفرقتين الى المغرب على ظهر بعير واحد . يعنى تعاوننا مشتركا أو توحيدا للجهود كما توهم البعض — وخاصة ابن خلدون — ممن خلطوا بين نشاط الاباضية والصفرية فى المغرب ، بل اتخذت الفرقتان اتجاها مغايرا ، فبينما اتجه الاباضية الى الأقاليم الشرقية من بلاد المغرب ، يمم الصفرية وجههم شطر الاجزاء الوسطى والقصوى منه . واذا كانت بطون زنانة المنتشرة فى سائر جهات المغرب قسمة بين الفرقتين ، فلم يقدّر لها أن تكون همزة الوصل بينهما ، بل لا نبالغ اذا قلنا أن اباضية زنانة كانوا معول هدم فى حركات الاباضية ، وحسبنا دورهم المخرب فى ثورة أبى الخطاب المعافرى (348) . وليس من شك فى أن ما حدث من صراع بين الاباضية والصفرية على القيروان سنة 140 هـ ( 757 م ) كان من أهم أسباب اضعافهما ووقوعهما لثمة سائفة لجيوش ابن الأشعث فرقة بعد أخرى . وما يروى عن تعاون بينهما فى حصار عمر بن حفص بطبنة سنة 153 هـ ( 770 م ) أمر مشكوك فى صحته .

ومن عيوب خوارج المغرب أيضا ما حدث من خلافات وانشقاقات

(348) ابن عذارى : ج 1 منصة 83 .

داخل كل من الفرقتين ، ويخيل اليها انها كانت من ميراث المشاحنات القبلية التقليدية التي عرفها تاريخ المغرب فمثلا نعتقد ان الخلاف على ميسرة واقصائه عن زعامة الصفرية وتولية خالد بن حميد الزناتي بدلا منه ، كان محاولة من زناتة لتزعم الحركة ، واقصاء مطغرة عن مركز الصدارة كان بسبب تلك النزعة الزناتية (349) . ومن المؤكد ان برغواطة اعتزلت النشاط الصفري واتخذت عقائدها طابع التطرف من جراء ما حل بحليفها ميسرة المطغرى من اهمال ونكران (350) . وكذلك كان شأن الاباضية ، دب بينهم الخلاف والشقاق ، وقد سبقت الاشارة الى دور زناتة في تصدع حركة ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمع وتخليها عنه في وقت عصيب لاسباب قبلية كامنة في التنافس بينها وبين هوارة . كما تخلى بعض رجال نفوسة (351) ومليلة (352) عن ابي حاتم المزوزى وانضموا الى يزيد بن حاتم ، فادى ذلك الى هزيمة الاباضية سنة 154 هـ ( 770 م ) .

ويعاب على خوارج المغرب كذلك سطحية الفهم لمبادئ المذهب ، واسرافهم في تطبيق تعاليمه . لقد حضت مبادئ الخوارج على الثورة على ائمة الجور (353) ، لكن خوارج المغرب اعلنوا الثورة في كثير من الاحيان على الحكام العرب بغض النظر عن تعديهم وظلمهم او عدلهم ونزاهتهم ، فلا شك ان بلاد المغرب حكمها ولاة مستثمرون دابوا على الاصلاح من امثال عمر بن حفص ويزيد بن حاتم ، لكن ثورات الخوارج استهدفت الحكم العربى عموما ، فلم يسلم هؤلاء الولاة من خطر الخوارج . كما اسرف الصفرية بوجه خاص في استخدام العنف والقسوة فكانوا يقتلون الاطفال ويسبون النساء انطلاقا من تطرف المذهب الصفري في معاملة الخصوم .

وأمة ثورات الخوارج عموما في المغرب عدم اتصالها وتنسيقها مع حركاتهم في الشرق ، ولو احكم مثل هذا الاتصال لكانت نتائجها اكثر نجاحا ، ولما قدر للخلافة ان تصفى نشاط خوارج الشرق بمثل السهولة التى

(349) اليمتوبى : البلدان : صفحة 359 .

(350) عبيد الله بن صالح : نص جديد ص 224 ،

Marçais : La Berberie Musulmane. P. 48.

(351) ابو زكريا : ورقة 13 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 18 .

(352) ابو زكريا : ورقة 12 ، الشماخي : السير ص 136 .

(353) البغدادي : الفرق بين الفرق 273 .

تمت بها (354) .

ومع ذلك كانت لثورات الخوارج آثار واضحة في تاريخ المغرب ، ذلك أن هذه الثورات احتوت سائر قبائل البربر بترا وبرانيس ، ولم تكن حكرا على قبيلة زناتة كما يذهب جوتيه الذى نظر الى ثورات الخوارج على انها ثورات زناتة دون سواها ، الامر الذى جعلنا نقف عند رايه هذا محاولين أن نناقشه متبينين ما فيه من خطأ أو اسراف .

يقول جوتيه « ما هي مراكز الثورات ؟ وما هي القبيلة التى رفعت العلم الذى تركه كسيلة والكاهنة منكسا ، لقد اختلف المؤرخون العرب كعادتهم حول هذا الامر وان أجمع معظمهم في اقتضاب على ذلك الشيء الواضح للعيان ، على زناتة . لقد قامت الثورة بادية الامر في طنجة ، وما لبثت أن وصلت الاندلس على التو . . ثم انتشرت على طول الطريق من طنجة الى القيروان . . انتهت الثورة الاولى بمعركة الاشراف على وادى شلف ، والثانية على وادى سبو والثالثة في القرن على مشارف القيروان ، أما الرابعة فقد وقعت في الشرق بنواحي طرابلس . . وهذا يعنى أن الاحداث البارزة في الفترة ما بين عامى 743 ، 752 م ( 125 ، 135 هـ ) تركزت حول طرابلس وتونس وتلمسان . أما تلك التى وقعت في عامى 757 ، 758 م ( 140 ، 141 هـ ) فكانت القيروان ميدانها حين وقعت فريسة لورفجومة الصفرية . وقد تمثل رد الفعل العربى في حملة ابن الاشعث الذى هزم الخوارج في سرت واسترد القيروان لكنه أخفق في اقضاء الخوارج عن تلمسان التى كانت مركزا لحركة أبى قره اليفرنى سنة 765 م ( 148 هـ ) .

ثم استرد الخوارج طرابلس مرة أخرى ، ونصبوا الحصار حول القيروان . ويجمع المؤرخون على حصارهم طنجة سنة 770 م ( 153 هـ ) ثم القيروان حيث صرع عمر بن حفص سنة 771 م ( 154 هـ ) اثناء الحصار .

---

(354) من أهم حركات الاباضية في الشرق والمعاصرة لثوراتهم في المغرب حركة أبى حبة وطالب الحق بالبين وحضر موت ، وقد تم القضاء عليها سنة 134 هـ وكذلك حركة الجندى بعمان التى تمعت في نفس العام . انظر ابن الاثير ج 5 ص 145 ، 169 . أما حركات الصفرية فأشهرها ثورة شيبان الحرورى بالموصل التى اخذت سنة 130 هـ ابن الاثير : ج 5 ص 132 . وحركة شيبان بن عبد العزيز سنة 134 هـ ، وقد قتل على يد الجندى الاباضى حين لجأ اليه هربا من العباسيين : انظر ابن الاثير : ج 5 ص 169 وحركة ملبد بن حملة الصفري سنة 137 هـ ، وقد قتل في عهد المنصور سنة 138 هـ . راجع : ابن الاثير : ج 5 ص 180 ، 181 .

وتمثل رد الفعل العربى فى حملة يزيد بن حاتم وجهوده غربى القيروان فى الاريس وطبنة والزاب . وبعد ذلك حلت فترة سلام امتدت بين عامى 771 ، 778 م ( 154 ، 170 هـ ) . وعلى ذلك فان ثورات الخوارج قد شغلت النصف الاخير من القرن الثامن الميلادى ..

**فما هو اذن الميدان الذى دارت فيه تلك الاحداث التاريخية ؟ لقد دارت فى طنجة ووادى سبو وتلمسان ووادى شلف وهدنة وجنوب تونس وطرابلس ، وكلها تقع فى سلسلة السهول والهضاب العالية التى تقطنها زناتة .. لقد كانت روح زناتة اذن هى الدافع وراء هذه الاحداث . وليكن معلوما ان هذا الزلزال العظيم الذى اجتاح بلاد المغرب كان يحركه — ضمن عوامل اخرى — عامل مغربى خالص ظهر على الاقل فى الثورات الاولى التى قامت فى طنجة . ويجب الا يغيب عن البال ان حركات الخوارج انطوت على عناصر تنتمى الى عالم الليفانت ( يقصد الفرس والخراسانيين والعرب ) .. وعلى الرغم من اسهام بعض القبائل كصنهاجة وكتامة فى ثورات الخوارج ، فمما لا شك فيه ان الزعامة فى هذه الحركات كانت دائما لزناتة .. وعلى ذلك نسلم بداهة بان ثورات الخوارج فى المغرب ما هى الا ثورة زناتة ، وان الدور الذى لعبته فى هذا الصدد هو اولى ادوارها على مسرح التاريخ المغربى » (355) .**

ويخيل لنا ان مكن الخطأ فى رأى جوتيه هو نظرتة الى المناطق التى شهدت المعارك الكبرى بين الخوارج والعرب على انها مواطن قبيلة زناتة دون ان يفطن الى امرين : اولهما ، ان مواطن القبائل البدوية لم تكن ثابتة ثبوتا قاطعا ، فهى دائمة الترحال والانتقال بقطعانها وراء المراعى ومواطن الكلا . وثانيهما ، ان قبيلة زناتة كانت منتشرة فى بلاد المغرب من ادناها الى اقصاها مختلطة بغيرها من القبائل ، فمواطنها كما يقول ابن خلدون (356) « فى سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب ، فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى ، ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل اوراس ، والاكثر منهم بالمغرب الاوسط ، ومنهم بالمغرب الاقصى اهم اخرى » . فالمعارك الكبرى اذن لم تقع فى مواطن زناتة وحدها انما فى « سائر مواطن البربر » .

(355) راجع : Gautier : Les Siecles obscurs du Maghreb. P.P. 264 - 269.

(356) العبر : ج 7 صفحة 2 .

ثم أن جوتيه بنى رأيه على أساس أن المؤرخين العرب القدامى ذكروا أن زناتة وحدها تزعمت ثورات الخوارج وساعدت على قيامها . والحقيقة أننا لم نجد مؤرخا واحدا يشير الى مثل هذا الامر البتة . بل نجد عندهم من الاشارات ما يدل على عكس ذلك ، فابن خلدون (351) مثلا يقول عن ثورات الخوارج في عهد عبد الرحمن بن حبيب « . . فاستشرى داء البربر ، واعضل امر الخارجية ورؤسها . فانفضوا من أطراف البقاع ، وتواثبوا على الامر بكل ما كان داعين الى بدعتهم ، وتولى كبر ذلك يومئذ صنهاجة » .

ويكفى ان نشير الى ثورات الخوارج لثنتين هذا الاسراف في القول . فأولى الثورات في بلاد المغرب سنة 121 هـ ( 739 م ) قامت بزعماء مطغرة أول الامر ، ثم تصدت زناتة بعد ذلك لقيادتها حين أقصى ميسرة وحل خالد ابن حميد الزناتى محله في زعامة الثورة . واذا كانت زناتة قد برزت في هذه الحركة فذلك لا يعنى أنها كانت وقفا عليها ، بل ساهمت فيها قبائل المغرب الاقصى برمتها ، وهذا يفسر قول ابن الاثير (358) بأنها « شملت المسلمين والكفار » .

واذا كانت زناتة قد تزعمت هذه الثورة في مرحلتها الاخيرة فان صوتها قد خفت بعد ذلك ، ثم عادت الى الظهور في حركة ابي قررة الصفرى . اما الثورة الصفرية الثانية التى تزعمها عكاشة بن ايوب النفاوى وعبد الواحد الهوارى سنة 124 هـ ( 742 م ) فقد لعبت هوارى ونفزة (359) دور الصدارة فيها ، واشتركت فيها زناتة كحليف لعبد الواحد الهوارى (360). أما ثالث ثورات الصفرية التى مكنت الصفرية من القيروان سنة 139 هـ ( 756 م ) ، فقد قامت على اكتاف قبيلة نفزة بصفة عامة ورفجومة بصفة خاصة (361) ولم نسمع عن صوت لزناتة في ثورات الصفرية في اقليم الزاب ، فقد كانت مقصورة على قبيلتى نفزة وهوارى (362) .

ولم يكن لزناتة دور يذكر في ثورات الإباضية ، فقد كانت الزعامة

(357) العبر ج 6 صفحة 111 .

(358) الكامل ج 5 صفحة 70 .

(359) ابن عبد الحكم : ص 294 ، ابن الاثير : ج 5 ص 70 .

(360) ابن عبد الحكم : نفس المصدر والقيمة .

(361) الرقيق : ص 140 ، ابن عذارى : ج 1 ص 80 .

(362) ابن خلدون : ج 2 ص 193 .



فيها لهوارة (363) . فحركة عبد الله بن مسعود التجبى سنة 126 هـ ( 744 م ) وثورة الحارث وعبد الجبار التى استمرت حتى عام 131 هـ ( 749 م ) كانتا حركا على اباضية هوارة فى أحواز طرابلس (364) . بينما تزعمت نفوسة الحركة التالية بزعامة اسماعيل بن زياد النفوسى سنة 132 هـ ( 750 م ) ( 365) . ولا نجد لزنانة ذكرا الا فى حركة أبى الخطاب المعافرى سنة 140 هـ ( 757 م ) وهى حركة كانت هوارة مركز ثقلها بينما لعبت زنانة فيها دورا غير مشرف (366) . وثورة الاباضية العظمى التى تام بها أبو حاتم الملووزى كانت ثورة هوارة أيضا ، وكان أبو حاتم نفسه من مليلة وهى بطن من بطونها (367) ، وظلت هوارة وحدها قائدة للحركات الاباضية التى قامت فى سنتى 156 هـ (368) ( 773 م ) و 180 هـ ( 796 م ) ( 369) فى المغرب الادنى الى جانب ثورة نفزة بباجة التى تمعها داود بن حاتم (370) .

تصارى القول — أن زنانة أسهمت فى ثورات الخوارج الصفرية مع غيرها من القبائل ، وكانت القيادة فى هذه الثورات متداولة بين مطفرة وزنانة ونفزة وهوارة ومغيلة على التوالى . بينما يعتبر اسهامها فى حركات الاباضية ضئيلا للغاية ، فقد تصدرت هوارة دون منازع هذه الحركات من البداية حتى النهاية .

ومهما يكن من أمر فقد أسفرت ثورات الخوارج عن قيام دولتين ببلاد المغرب احدهما للصفرية سنة 140 هـ ( 757 م ) ومركزها سجلماسة والاخرى للاباضية وعاصمتها تاهرت سنة 161 هـ ( 778 م ) ، وكذلك كان قيام دولة الاغالبية فى افريقية سنة 184 هـ ( 800 م ) بمثابة رد الفعل العربى لقيام دول من البربر ، فقد حرص الرشيد على ضمان استمرار نفوذ الخلافة فى افريقية حتى ولو كان هذا النفوذ اسميا ، ومن ثم فقد أقر قيام الامارة الاغالبية لتحول دون زوال هذا النفوذ ولتتقف حاجزا أمام خطر الدولة الادريسية العلوية والدولتين الخارجيتين المدراية والرستمية .

- 
- (363) نفس المصدر ج 6 ص 144 .
  - (364) ابن عبد الحكم : ص 301 ، 302 .
  - (365) نفس المصدر ص 302 .
  - (366) ابن عذارى : ج 1 ص 83 .
  - (367) أبو زكريا : ورقة 12 .
  - (368) ابن عذارى : ج 1 ص 94 .
  - (369) ابن الاثير : ج 5 ص 46 .
  - (370) ابن خلدون : ج 6 ص 110 ، النوبرى : ج 22 ورقة 23 .

\_\_\_\_\_



\_\_\_\_\_

الباب الثالث

---

دول القوارج في بلاد المغرب

كلت ثورات الخوارج الصفرية بالنجاح في المغرب الاقصى على يد ميسرة وخليفته خالد بن حميد الزناتي ، كما نجح الخوارج الاباضية فسي بسط نفوذهم على المغرب الادنى بعد قيام « امامة الظهور » على يد ابي الخطاب المعافى سنة 139 هـ ( 756 م ) . غير ان نشاط الخوارج لازمه الفشل حين رنوا بأبصارهم صوب افريقية لسببين رئيسيين ، اولهما : التنافس بين الصفرية والاباضية على امتلاك القيروان واندلاع الحرب بينهما سنة 140 هـ ( 757 م ) ، الامر الذى أضعفهما معا ، فوقعوا لقمة سائفة لجيوش ابن الاشعث سنة 141 هـ ( 758 م ) . وتسبب هذا التنافس أيضا في فشلهم في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة 153 هـ ( 770 م ) ، وانسفر اختلافهم عن تنكيل يزيد بن حاتم بهم جماعة في اثر اخرى سنة 155 هـ ( 772 م ) .

وثانيهما : صحوه الخلافة العباسية وحرصها على دعم نفوذها في افريقية بانفاذ الحملات المتتابعة التي عهد بقيادتها الى قواد اكفاء من أمثال ابن الاشعث والاغلب بن سالم وعمر بن حفص ويزيد بن حاتم .

ولذلك استحال استمرار نشاط الخوارج في افريقية وخاصة بعد قيام حكم آل المهلب الاتوياء في القيروان وعدم توانيهم عن ملاحقة حركاتهم ومناهضتها . عندئذ اتخذت حركات الخوارج طابعا عمليا ( I ) ، فعزفوا عن مناطق النفوذ العربى نهائيا واتجهوا الى المناطق الصحراوية النائية بالمغربين الاقصى والاوسط حيث عول الصفرية على اقامة دولة في جنوبى المغرب الاقصى معقل الخوارج الصفرية كانت سجالاسة عاصمة لها . بينما أثر الاباضية اقامة دولتهم بالمغرب الاوسط حيث تضرب كثير من القبائل التي تدين بالمذهب الاباضى مثل زناتة ولماية وهوارة ولواتة وسدراتة

---

(1) Marçais, G : La Berberie Musulmane. P. 141.

وغيرها (2) . واتخذوا من مدينة تاهرت عاصمة لها .

والواقع ان ظهور دولتي الخوارج يمثل نقلة هامة في تاريخ الخوارج وتاريخ المغرب على السواء . فقد توجست دعوتهم في بلاد المغرب بتحقيق اهدافها في اقامة دولة خارجية (3) بعد ان فشلوا في تحقيق ذلك بالشرق واتاح ذلك لهم ان ينعموا بالاستقرار السياسي بعد حروب استمرت ما يقرب من نصف قرن من الزمان . ومن ناحية اخرى فان قيام دولتي الخوارج كان بمثابة تعبير عن روح القومية والاستقلال عند المغاربة . فضلا عن الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها بلاد المغرب وهو ما سندرسه فيما بعد مفصلا .

---

(2) النفوسى : صفحة 4 .

(3) ابوزكريا : ورقة 13 .

## أولا :

### دولة بني مدرار الصفيرية

#### أ - قيام دولة بني مدرار

كان الخوارج الصفيرية سباقين الى انشاء دولتهم في سجلماسة سنة 140 هـ ( 757 م ) ، كما كانت لهم الاسبقية من قبل في المبادرة بالثورة سنة 121 هـ ( 739 م ) . غير أن المؤرخين الغربيين (4) درجوا على التقليل من شأن هذه الدولة فاعتبروها مجرد دويلة لا يعتد بدورها في تاريخ بلاد المغرب . ويخيل الينا أن الباعث على ذلك يكمن في أمرين أساسيين ، أولهما : أن دولة بني مدرار كانت دولة داخلية صحراوية لم تسهم بدور مباشر في التيارات السياسية العالمية — كدولة الاغلبة المعاصرة لها على سبيل المثال — واقتصر نشاطها على المشاركة في حركة التجارة عبر الصحراء شمالا وجنوبا .

وثانيهما: ندرة المعلومات عن هذه الدولة بدرجة جعلت المؤرخين يحجبون عن التاريخ لها ، فظل تاريخها يلفه الغموض والابهام (5) .

وعلى كل حال — استطاع الخوارج الصفيرية في سنة 140 هـ ( 757 م ) أن يستنفذوا من اضطراب الاحوال في افريقية وقيموها دولتهم

---

(4) انظر : Gautier : Op. Cit. P. 292, Biquet : Op. Cit. P. 47

(5) انظر المقدمة .

في سجلماسة على وادي ملوية (6) ، فعمال الخلافة في المغرب شغلوا  
أنداك عن الأقاليم الغربية والجنوبية بتدعيم نفوذها في المغرب الأدنى  
وأفريقية (7) ، فوجد الصفرية في ذلك فرصة مواتية لتأسيس دولتهم في  
مأمن من نقمة الخلافة وعمالها .

وينم اختيارهم إقليم تافيللت بأقصى الصحراء الكبرى عن حكمة  
وذكاء ، ذلك أن هذا الإقليم النائي من بلاد المغرب يمثل نهاية العمران  
من ناحية الجنوب والغرب (8) والطريق إليه غاية في الوعورة إذ يمتد خلال  
متاهات من القفار والرمال ، ولذلك فهو في حماية طبيعية أتاحت لبربر  
مكناسة أن يتخذوا من قصبته سجلماسة (9) عاصمة لهم .

ومكناسة هي العصبية التي ارتكزت عليها دولة بنى مدرار (10)  
وليست زناتة أو نفوسة (11) ، ومواطنها على وادي ملوية (12) — حيث  
تقع سجلماسة في أعلاه — هذا الوادي يصب في البحر المتوسط ، وكذلك  
تقطن بعض بطونها في نواحي تازا وتسول بالمغرب الأقصى (13) . وبربر  
مكناسة من البتر وبتونهم كثيرة منها « صولات وبوحات وبنو ورفلاس  
وقبصارا وورقطننة وورصطف » (14) وكلهم من سكان الصحراء (15) .

وأسهمت عناصر أخرى غير مكناسة في قيام الدولة ، ولعل من  
أبرزها بربر صنهاجة وزويلة وزناتة وزنوج السودان وأهل الرياض  
الاندلسيين ، ويفهم هذا من قول اليعقوبي (16) بأن عناصر شتى استقرت

(6) البكري صفحة 149 ،  
Mercier : Histoire de l'Afrique Septentrionale. Vol. I. P. 243.

(7) ابن عذارى : ج 1 صفحة 73 ، Bel : Op. Cit. P. 95.

(8) البكري : ص 148 ، الاستبصار ص 200 ، القطندي : ج 5 ص 163 .

(9) الاصطخرى : المسالك والممالك ص 34 ،

Marcais, G : La Berberie Musulmane. P. 143.

كولين : مادة سجلماسة — دائرة المعارف الإسلامية ص 298 .

(10) ابن خلدون : ج 6 ص 129 ، Gautier : Op. Cit. P. 292. Bel : Op. Cit. P. 167.

(11) انظر : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج 3 ص 137 ، عبد الرحمن بن زيدان : اتحاد  
أعلام الناس ج 1 ص 62 ، مؤنس : نورات البربر ص 187 .

(12) وهو نهر زيز كما يسميه اليعقوبي . انظر : البلدان ص 359 ، كولين : المرجع  
السابق صفحة 298 .

(13) ابن خلدون : ج 6 ص 129 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 351.

(14) ابن خلدون : نفس المصدر والمصحفة .

(15) نفس المصدر والمصحفة .

(16) البلدان : صفحة 359 .

في سجلماسة ، فقبائل صنهاجة اللثام من مسوفة وملتونة كانت تضرب في أحواز سجلماسة على طول المفازة بينها وبين غانة السودانية (17) ويبدو أنهم كانوا من الكثرة بالمدينة حتى أن البكري وصف سكانها بأنهم « كانوا يلتزمون النقب » (18) . ونعلم أن عنصر السودان أسهم في قيام دولة بنى مدرار ، فكانت جماعات منهم تقيم باقليم تافيلت بعد اعتناقهم المذهب الصفري على يد أبى القاسم سمكو بن واسول (19) . وحسبنا أن أول من تولى الامامة في الدولة كان سودانيا يدعى عيسى بن يزيد الاسود .

وكان اشتغال بربر زويلة — ومواطنهم جنوبي سجلماسة — بالوساطة التجارية ومرافقه القوافل عبر المفاوز ما بين سجلماسة وبلاد السودان سببا في اعتناقهم المذهب الصفري ومشاركتهم صفرية تافيلت في انشاء دولة بنى مدرار (20) .

وعلى الرغم من استبعاد الرواية القائلة بتأسيس ربح الأندلس مدينة سجلماسة وأن أول أئمة الدولة كان منهم (21) ، فلا شك في أنهم قاموا بدور واضح في تدعيم الدولة بعد نزول أعداد غفيرة منهم بسجلماسة واعتناقهم المذهب الصفري (22) ، وخاصة فيما يتعلق بالنواحي المهنية والعمرانية .

على أن الفضل يعزى الى مكناسة في جمع شمل هذه العناصر جميعا في نظام سياسى واحد بعد أن كانت تضرب في اقليم تافيلت دونما صلة أو رباط يجمعها (23) ، فتمكن زعيمها أبو القاسم سمكو بن واسول من تجميعها حول المذهب الصفري وضمها في كيان واحد . ويعزى دور مكناسة القيادي هذا الى أسبقيتها في اعتناق المذهب الصفري ، فقد وصلها فى وقت مبكر إذ تلقاه المكناسيون « عن أئمتهم ورؤسهم من المغرب » (24) فكان زعيمهم أبو القاسم سمكو على صلة بعكرمة منذ وصوله الى القيروان ، وهو من أشهر دعاة الصفرية في بلاد المغرب على الإطلاق . وبعد نشره

---

(17) مجهول : الاستبصار ص 201 ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص 231 .

(18) المغرب صفحة 148 .

(19) نفسه : صفحة 149 .

(20) الاصطخرى : ص 34 ، الاستبصار ص 201 ، المدسى : احسن التقاسيم ص 231 .

(21) ابن خلدون : ج 4 صفحة 126 .

(22) أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية ص 80 .

(23) النفوسى : الازهار الرياضية ج 2 ص 93 .

(24) ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، Gautier : Op. Cit. P. 292 .



المذهب بين قومه من مكناسة ، عكف على بثه بين سكان اقليم تافيلت ، وهذا يخالف قول صاحب الازهار الرياضية (25) بأن المذهب الصفرى انتقل الى مكناسة عن طريق اهل تافيلت في وقت متأخر اثناء شروعهم في اقامة دولة بنى مدرار . اذ الثابت ان بربر مكناسة وزعيمهم ابي القاسم سمو اشتركوا في ثورة ميسرة المطفرى سنة 121 هـ (26) ( 739 م ) .

ولم نقف على دور لابي القاسم في ثورات الصفرية بعد ميسرة ، ويبدو ان سيطرة زناتة على الحركة ، وتولى من هم اقل منه مكانة وسابقة في المذهب زعامتها ، جعله يعزف عن المشاركة فيها ، او لعله زهد في اسلوب الثورة وآثر الانقطاع لنشر المذهب في الاصقاع الجنوبية تهيدا لانشاء دولة للصفرية هناك ، فتوجه الى تافيلت حيث تضرب جماعات من السودان وبعض بطون صنهاجة وهم غالبية سكانها (27) . وجدير بالذكر ان هذه الجماعات « كانوا اهل بادية وحواضر وحرانات » (28) ، فكانوا يعملون بالرعى والزراعة (29) الى جانب التجارة (30) كما عرفوا بالتدين وحب العلم والرغبة في طلبه الى جانب شدة البأس والنجدة وقوة العريكة ، « فهم اهل علم وسلاح » (31) . لذلك وجد فيهم ابو القاسم سمو - الملقب بمدرار (32) - ضالته المنشودة ، فكانوا اعونا له على انشاء الدولة التي نسبت اليه .

نزل ابو القاسم ارض تافيلت سنة 138 هـ (33) ( 755 م ) واشتغل

- (25) النفوسى : صفحة 93 .  
(26) ابن خلدون ج 6 ص 130 ، Gautier : Op. Cit. P. 292 .  
(27) اليمتوبى : البلدان صفحة 359 .  
(28) اسماعيل حامد ( جامع ) : نبذة في تاريخ الصحراء القصى ص 7 .  
(29) نفسه : صفحة 3 .  
(30) مجهول : الاستبصار : صفحة 200 .  
(31) اسماعيل حامد : المرجع السابق ص 7 .  
(32) نرجح ان مدرارا كان لقب ابي القاسم كما يذهب ابن الخطيب ، وليس اسم جده كما اعتقد ابن عذارى ، او اسمه هو حسبها ذكر صاحب كتاب الاستبصار ونجد في رواية اخرى لابن الخطيب خلطا بين شخص ابي القاسم سمو وبين عيسى بن يزيد ، فينسب دور ابي القاسم الى عيسى ولا يورد للاول ذكرا . اما البكرى فينسب الفضل في قيام الدولة المدرارية الى جهود ابي القاسم لكنه يشير الى لقبه . وجدير بالذكر ان رواية البكرى عن دولة بنى مدرار اصح الروايات واكثرها صدقا ، وقد أخذ بها كبار الدارسين مثل مورنل ومرسييه . انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 ص 138 ، 140 ، ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، الاستبصار ص 201 ، البكرى : ص 149 ،  
Mercier : Histoire de l'Afrique : P. 243 .  
Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 352 .

(33) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 ص 138 .

بالرعى وأخذ يتصل بغيره من الرعاة الذين كانوا ينتجعون بقطعانهم موضع سجلماسة ، ويعلمهم أصول المذهب الصفري (34) ، وأصبحت خيمة أبى القاسم بمثابة مجمع يلتقى به أنصاره (35) . ولما اشتد ساعده وكثر أتباعه نصبوا خيامهم الى جواره (36) ويذهب بعض المؤرخين (37) الى أن أبا القاسم شرع فى اعلان قيام دولته سنة 140 هـ ( 757 م ) لما بلغ عدد أنصاره أربعين رجلا ، « فعندئذ بايع بالامامة عيسى بن يزيد الاسود وحمل تومنه من مكناسة على طاعته » .

على كل حال — كانت مبايعة عيسى بن يزيد الاسود بالامامة (38) وهو من موالى العرب (39) — وانصياح صفرية مكناسة لبيعتته بعد أن حملهم أبو القاسم على الاعتراف بامامته (40) ، تطبيقا عمليا لرأى الخوارج فى الامامة . ولما كان عيسى بن يزيد الاسود لا يرتقى الى منزلة أبى القاسم سمو من حيث السابقة فى المذهب أو الافضلية فى العلم ، فان اختياره

---

(34) لا اعتبار لما يقال عن أن أبا القاسم كان أباضيا ( الازهار الرياضية ج 2 ص 93 ) أو أنه كان أباضيا صفريا كما ذهب ابن خلدون ( العبر ج 6 ص 130 ) . فنحن نعلم أن أبا القاسم كان من دعاة عكرمة مولى ابن عباس و « مقدم الصفرية » انظر : بروفنسال : نبذ تاريخية ص 48 ، الشطبيى : الجمان ورقة 203 .

(35) ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 352.

(36) البكرى : ص 149 ، ابن خلدون : ج 6 ص 130 .

(37) نفس المصدرين والصفحتين ، ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، الاستبصار ص 201 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 352.

(38) النفوسى : صفحة 93 .

(39) ابن خلدون : ج 6 صفحة 130 .

(40) ينفى هذا ما ذهب اليه بل من التفاض بربر مكناسة حول عيسى بن يزيد ومبايعته طائعين مختارين . La religion Musulmane. P. 176. والواقع أن النضل يعزى الى أبى القاسم سمو فى تقديم عيسى بن يزيد ، ولعل ذلك كان سببا فيما درجت عليه بعض الروايات من الخلط بينهما ، إذ تذهب الى أن الذى تولى الامامة شخصا اسود يدعى مدرارا . وتزعم أنه كان حدادا قدم من الاندلس بعد موقعة الربيض . انظر : البكرى : ص 149 ، الاستبصار ص 201 ،

Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 523.

ومن المعروف أن أهل الربيض رحلوا عن قرطبة سنة 198 هـ بينما قامت دولة مدرار سنة 140 هـ . انظر : ابن خلدون ج 4 ص 126 ،

Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 523.

ومع ما تنطوى عليه تلك الرواية من أخطاء فلا شك فى أهمية مغزاها لما تبرزه من نزوح أعداد كبيرة من الاندلسيين بعد حادث الربيض الشهير الى سجلماسة ، واستيطانهم بها — على غرار ما فعلوه بفاس — واسهامهم فى عمارتها واشتغالهم بالحرف والصناعات كالحداة وأعمال البناء وغيرها . انظر : ابن خلدون : ج 3 صفحة 126 ، Condé : Op. Cit. P. 262. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى صفحة 405 .

للإمامة يدل على ثقل وزن عنصر السودان ورجحانه على سائر العناصر الصفرية باقليم تافيلت . ومما يؤكد ذلك أن غالبية بربر مكناسة لم يكونوا قد انتقلوا بعد من مواطنهم الأولى ليستقروا في اقليم تافيلت ، فلم يحدث هذا إلا بعد اختطاط سجل مكناسة ، يؤيد ذلك قول ابن خلدون (42) « . . وبعد أن اختطوا سجل مكناسة سنة 140 هـ دخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في دينهم » .

أجمع الصفرية اذن على مبايعة عيسى بن يزيد بالإمامة (43) سنة 140 هـ ( 757 م ) . وفي نفس السنة شرعوا في اختطاط سجل مكناسة (44) لتكون حاضرة للدولة (45) . وقد أصبحت سجل مكناسة مركزا للإمامة (46) ومقرا للمذهب الصفري .

وقد حرص الصفرية على انشاء هذه العاصمة في مكان حصين ، فأنشأوها في « موسطة الصحراء » (47) جنوبي تلمسان بعشرة مراحل ، وفي موضع التقاء فرعى نهر ملوية (48) . وأسس الصفرية حصنا في وسط المدينة أسموه العسكر ، كما أسسوا المسجد الجامع ودار الامارة (49) . ثم أقبل الناس على بناء دورهم حول الحصن (50) ، فانتسح العمران حتى جاوزت المدينة فرعى نهر ملوية (51) . وقد أسهم في بنائها معماريو الاندلس

(41) العبر ج 6 ص 130 ، النفوسى : ص 93 .

(42) العبر ج 6 ص 130 ، النفوسى : ص 93 .

(43) لم يرد بالمصادر ذكر تقلد أمراء بنى مدرار الخلافة أو الإمامة باعتبارهم رؤساء روجيين وسياسيين كما يفهم من لقب الامام أو الخليفة . ونعتقد أن سبب ذلك يكمن في أن تواريخ الصفرية لم تصل إلينا ، وكل ما وصلنا عنهم يستمد من المصادر المعادية لهم . عن ألقاب الإمامة والخلافة . انظر : حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص 60 .

(44) الثابت أن مدينة سجل مكناسة استحدثتها بنو مدرار ولم يكن لها وجود من قبل على عكس ما قيل من أن الاسكندر ذو القرنين أسسها لتكون موطنًا للعجزة والمرضى من جنوده ، فذلك رواية أسطورية ، وما ذكره الحسن الوزان من أن أحد قواد الرومان أسسها باسم Sigillm mese عقب إحدى انتصاراته . انظر : كولين : مادة سجل مكناسة

— دائرة المعارف الإسلامية — ص 298 .

(45) المقدسى : صفحة 219 .

(46) كان يتبع سجل مكناسة عدد من الحصون والمنازل والقرى كدرعة وتداقوتست وأثر أيبلا وحصون النحاسين وهلال وغيرها . انظر : اليعقوبى : البلدان ص 359 ، المقدسى : صفحة 219 .

(47) المراكشى : المعجب : صفحة 357 .

Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 351.

(48) ابن خلدون : ج 6 ص 129 ،

(49) المقدسى : صفحة 231 .

(50) الاستبصار : صفحة 201 .

(51) الإدريسي : صفحة 60 .

فضلا عن اليهود الذين استقروا بها لاستغلال التبر (52) . كما أسس سورها سنة 208 هـ ( 823 م ) في عهد اليعس بن أبى القاسم ، وبه من الأبواب اثنتى عشر بابا (53) . « منها الباب القبلى والباب الغربى وباب غدير الجزارين وباب زنانة » (54) . ويصف ابن حوقل (55) — الذك زارها فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى — أبنيها بأنها « شاهقة كأبنية الكوفة » . لأنها بنيت بالصخر فبقيت قائمة عدة قرون حتى وصفها ابن مقديش (56) بأنها « مسنة » .

ولما كانت سجلماسة محصورة بين فرعى نهر ملوية ، فقد توفرت لها المياه . لهذا عمل عيسى بن يزيد على تنظيم الانادة منها ، فشق القنوات « وصرف الى كل ناحية قدرها من مائة » واستكثر من غرس النخيل (57) . وهذا يعنى ان تأسيس سجلماسة ارتبط به تحول فى حياة السكان من الرعى والبداءة الى الزراعة والاستقرار (58) ، ولا غرو فقد غدت سجلماسة مدينة النخيل والاعناب والفاكهة (59) . وقد أفاض الجغرافيون (60) والرحالة فى وصف غروسها التى غطت مساحة قدرها أربعين ميلا . والى جانب الفاكهة تنوعت المحاصيل « حسب زروع مصر فى الفلاحة » (61) مما حدا بالادريسي (62) الى ان يصف المدينة بأنها « كثيرة الخضر والنبات » . وبفضل هذه المنتجات المتعددة قدر لها ان تلعب دورا تجاريا هاما فى بلاد المغرب (63) والسودان حتى أضحى سكانها « سراة مياسير يباينون سائر أهل المغرب بالمخبر والمنظر » (64) .

ولا شك فى ان هذا الازدهار الاقتصادى الذى واكب انشاء سجلماسة

- 
- (52) الاستبصار صفحة 202 .  
(53) نفس المصدر : صفحة 201 .  
(54) المقدسى : صفحة 231 .  
(55) المسالك والممالك . صفحة 65 .  
(56) نزهة الانظار صفحة 11 .  
(57) ابن الخطيب : امال الاعلام ج 3 ص 139 .  
(58) الاستبصار : صفحة 201 . Juliene : Op. Cit. P. 339 .  
(59) البكرى : صفحة 148 .  
(60) انظر : البكرى ص 148 ، ابن حوقل : ص 65 ، التلشندي : ج 5 ص 164 .  
(61) ابن حوقل : ص 65 ، سعيد بن مقديش : ص 10 .  
(62) سنة المغرب : صفحة 60 .  
(63) نفس المصدر والصحيحة .  
(64) ابن حوقل : ص 65 ، التلشندي : ج 5 ص 164 .

ساعد على تدعيم دولة بنى مدرار ، فقد غدت قبلة للخوارج الصفرية في بلاد المغرب بأسره . وتصدها جموع الصفرية من كل صوب لائذين هربا من انتقام ولاية بنى العباس من آل المهلب . وكان لذلك أثره في تقوية الكيان السياسى لدولة كانت تعاني من نقص في السكان (65) . كما أدت هذه الهجرات بدورها الى نتائج سياسية غاية في الاهمية في التطور السياسى لدولة بنى مدرار ، اذ هجرت بقية بطون مكناسة مواطنها الاصلية ، واستقرت بالمدينة الجديدة ، وغدت أكثر العصبيات وأقواها ، واهلها ذلك للزعامة السياسية والتطلع لمنصب الامامة .

ثم انتقلت الامامة بالفعل الى ابي القاسم سمكو ، حين سخط صفرية مكناسة على الامام عيسى بن يزيد ونحوه ، وولوا زعيمهم ابا القاسم سمكو مكانه . وما يسوقه المؤرخون من أسباب في هذا الصدد تتسم بالابهام وتفتقر الى التحديد ، اذ ذكر بعضهم (66) «أنهم نعموا عليه كثيرا في أحواله»

وثمة رأى ثالث ساقته البكرى (68) . حيث قال أن «أبا الخطاب قال يوما لأصحابه في مجلس عيسى ، السودان كلهم سراق حتى هذا ، وأشار على عيسى . فأخذه وشدوه وثاقا الى شجرة في رأس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض» . كما يذهب ابن الخطيب (69) الى أن الصفرية — بعد قتل عيسى بن يزيد — «ولو على أنفسهم ابا الخطاب الصفرى» . ويرجح الدكتور سعد زغلول عبدا لحميد (70) أن يكون أبو حاتم الاباضى أو عبد الرحمن بن رستم هو الذى أمر صفرية سجلماسة بعزل امامهم وقتله .

ولحق — أن البكرى ومن أخذ عنه قد جانبهم التوفيق . وليس أدل على ذلك من أن مقتل عيسى بن يزيد حدث سنة 155 هـ ( 772 م ) ( 71 ) أى بعد أن ظل اماما لمدة خمسة عشر عاما ( 72 ) ، بينما قتل ابو الخطاب المعافرى سنة 144 هـ ( 761 م ) في معركة تاورغا . كما أن المصادر الاباضية — على وفرتها — لم تشر الى مثل هذا الامر ، فلم يكن من المألوف تدخل

- 
- (65) البكرى : ص 149 ، ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، مجهول : الاستبصار ص 201 .  
(66) ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، الاستبصار : ص 112 .  
(67) ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، ابن الاثير : ج 6 ص 3 .  
(68) المغرب صفحة 149 .  
(69) اعمال الاعلام ج 3 صفحة 139 .  
(70) تاريخ المغرب العربى صفحة 401 .  
(71) ابن الاثير : ج 6 ص 3 ، التلقشندى : ج 5 ص 165 ، السلاوى : ج 1 ص 112 .  
(72) البكرى : صفحة 148 .

الاباضية والصفرية بالمغرب في شؤون بعضها البعض (73) ، الامر الذى يشكك في هذه الرواية من اساسها .

ومع ذلك يستفاد منها ان عيسى بن يزيد انحرف عن خط المذهب ، واسرف في تطبيقه واشتط في احكامه . كما ان نقمة الصفرية عليه وتعذيبه وقتله بطريقة قاسية تنم عن تطرف الخوارج الصفرية وميلهم الى العنف (74) لكن الذى نؤكد ان الدافع الاساسى للثورة عليه هو ازدياد ثوة مكناسة بعد قدوم بطونها من مواطنها الاصلية الى سجلماسة ، وتطلعها الى الحكم والسلطة .

على كل حال — آلت الامامة الى ابي القاسم سمكو ، وظلت من بعده حكرا على صفرية مكناسة التى اختصت باختيار الائمة من آل بيت ابي القاسم واخذ البيعة لهم من جمهور الصفرية فى سجلماسة وتوابعها (75) .

وعكف ابو القاسم طيلة امامته ( 155 — 168 هـ ) (76) ( 772 — 784 م ) على ارساء قواعد دولته ، عازفا عن المشاركة فى ثورات الصفرية فى العصر العباسى الاول ، ولعل هذا يفسر قول ابن خلدون (77) ومن اخذ عنه (78) ان ابا القاسم « خطب فى عمله للمنصور والمهدى من بنى العباس » . والواقع ان ابا القاسم لم يسهم فى حركات الصفرية الاخيرة لا لكونه تابعا للخلافة العباسية — كما يذهب ابن خلدون — ولكن لاحساسه بعدم جدوى هذه الحركات التى اتخذت شكل ثورات غير منظمة ولانشغاله من ناحية اخرى بمشاكل دولته الجديدة . وليس ببعيد ان يكون قد اضطر امام هذه المشاكل الى مسالمة الولاة العباسيين فى المغرب ومن المحتمل ان يكون قد وعدهم بتبعية اسمية ليضمن سلامة دولته التى لم تكن قد

(73) انظر : بنو مدرار والرسامين .

(74) الشهرستانى : ص 121 ، Gautier : Op. Cit. P. 299 .

(75) ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، ابن خلدون : ج 6 ص 130 ،  
Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 553, Bel : Op. Cit. P. 167.

(76) ابن عذارى : ج 1 صفحة 215 .

(77) العبر ج 6 صفحة 130 .

(78) السلاوى : ج 1 صفحة 112 .

استقرت بعد ، وأن كان من الراجح أن دولة بنى مدرار تمتعت باستقلال  
سياسى تام عن سلطة الخلافة وعمالها .

وهكذا — استطاع أبو القاسم سمكو بن واسول المكناسى « مقدم  
الصفرية » (79) بالمغرب الاتصى بتحقيق أهداف الخوارج الصفرية باقامة  
دولة لهم فى بلاد المغرب توارثها بنوه من بعده .

---

(79) يخلط ابن خلدون بين الإباضية والصفرية ، فيذكر أن أبا القاسم كان « إباضيا صفريا »  
وهو قول سبق تخطئته لأن أن أئمة بنى مدرار جميعا كانوا من  
الخوارج الصفرية . انظر : العبرج 6 ص 130 .  
ومن خطأ ابن خلدون انظر : ابن حزم : نقط العروس ص 76 ،  
كولين : دائرة المعارف الاسلامية — مادة سجناسة ص 289 .

## ب - سياسة بني مدرار الداخلية

تأثرت سياسة بني مدرار الداخلية - بدرجة كبيرة - بعاملين أساسيين ، العامل العنصرى والدينى ، فتعيين الامراء وعزلهم ، وقيام الثورات والفتن ، واحتدام المنازعات بين افراد البيت المدرارى ، واتساع الدولة وتقلصها ، وثوتها وضعفها ، كل ذلك كان مرتبطا اشد الارتباط بالصراع القبلى او الخلاف المذهبى .

وقد تمثل العامل العنصرى القبلى فى تباين الكيان الاجتماعى فى سجلهاسة واختلاف عناصر سكانها ما بين بربر وسودان واندلسيين ، فضلا عما هو معروف من انقسام البربر الى بتر وبرانس . ولئن كان المذهب الصفرى اطارا جمع هذه العناصر جميعا وخفف من حدة الثغرات العنصرية والتناحر القبلى داخل الدولة المدرارية ، الا اننا لا نعدم وجود اقلية دينية لعبت دورا واضحا فى أحداث الدولة . كان هناك اليهود الذين هيمنوا على مصائر البلاد الاقتصادية باحتكارهم استغلال مناجم الذهب والفضة فى درعة (80) . والمعتزلة « الذين كانوا يبعثون بزكاة أموالهم الى رئيسهم بتاهرت يصرفها حيث شاء » (81) . كما وجد بسجلهاسة اقلية من الخوارج الاباضية كان لها دورها البارز فى تطور الاحوال السياسية داخل دولة بني مدرار (82) .

والحق ان المصادر لا تمدنا بمعلومات وفيرة عن السياسة الداخلية (83) ، ومع ذلك يمكن القول بأن الصراع العنصرى ظهر واضحا

(80) الاستبصار . صفحة 202 .

(81) البرادى : الجواهر المنتقاة ورتة 93 - مخطوط .

(82) النفوسى : ج 2 صفحة 94 .

(83) انظر : المقدمة .



في الاحداث المتعلقة بقيام الدولة . فنعلم أن تقليد عيسى بن يزيد الاسود امامة الصفرية كان مرتبطا بتفوق عنصر السودان على سائر العناصر الاخرى القاطنة باقليم تافيلت . كما كانت هجرة مكناسة الى هذا الاقليم سببا في سيطرتها على مصائر الدولة واحتكارها الامامة وتفوقها على سائر العناصر والقبائل الاخرى التي اختفى صوتها تماما فيما حدث من صراع على الامامة بين افراد بنى مدرار المكناسيين .

اما العامل المذهبي فيظهر بوضوح في نشاط الاباضية بسجلماسة ، ومما يؤكد دورهم في تاريخها السياسي ما درج عليه بعض المؤرخين من الخلط بين أئمتهم وبين أمراء سجلماسة الصفريين ، واعتبار بعضهم بعض أمراء آل مدرار من الاباضية . فابن الخطيب (84) يذهب الى أن الصفرية بعد قتلهم عيسى بن يزيد الاسود « ولوا عليهم أبا الخطاب الصفرى » الذى احتضن أبا القاسم سمكو وعقد له الامر من بعده . وقد سبق أن فندنا تلك الرواية واثبتنا أن أبا القاسم سمكو المكناسى تولى الامامة على اثر مقتل عيسى بن يزيد سنة 155 هـ ( 772 م ) واحتفظ بها حتى وفاته في سنة 168 هـ (85) ( 784 م ) .

ولم نقف على دور للاباضية في عهد اليباس بن أبى القاسم الملقب بأبى الوزير (86) ، ذلك لان المصادر لا تمدنا بأية أخبار عن أحوال الدولة في عهده الذى امتد حتى عام 174 هـ (87) ( 790 م ) . ويبدو أنه كان خاملا فاتر الهممة مما جعل الصفرية ينقمون عليه حكمه « فانتفضوا عليه وخلعوه وولوا مكانه أخاه اليسع » كما يذهب ابن خلدون (88) ولا يبعد أن يكون أخوه دبر أمر خلعه واتصائه ليظفر بالامارة لنفسه حسبما ذكره البكرى (89)

- 
- (84) أعمال الاعلام ج 3 صفحة 141 .  
(85) ذكر ابن الخطيب - خطأ - أن وفاة أبى القاسم سمكو حدثت سنة 199 هـ . راجع : أعمال الاعلام ج 3 صفحة 142 .  
(86) البكرى : ص 149 ، ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 142 .  
وفي رواية أخرى لقب بـ « الوزير » . انظر : ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، السلوى : ج 1 صفحة 112 .  
(87) البكرى : ص 150 ، القلقشندى : ج 5 ص 165 . وهذه الرواية أكثر ثقة من غيرها التى تضطرب في تحديد مدة حكمه وسنة خلعه . فابن عذارى يذكر أنه خلع سنة 170 هـ ، وابن خلدون يجعل ذلك سنة 194 هـ ، أما ابن الخطيب فيقول بأن أمارته لم تتجاوز ستة أشهر خلع بعدها . انظر : البيان المغرب ج 1 ص 215 ، المعبر ج 6 ص 130 ، أعمال الاعلام ج 3 ص 142 .  
(88) المعبر ج 6 صفحة 130 .  
(89) المعبر ج 6 صفحة 150 .

ومع ذلك نعتقد أن فتن الإباضية قد تفاقمت في عهده ، وهذا يفهم من جهود خليفته اليسع بن أبى القاسم الملقب بأبى المنصور (90) ( 174 — 208 ) (91) ( 790 — 823 م ) . في قمعها . فقد طمعوا في تقلد الامارة بعد استئلالهم بنواحي درعة الشهيرة بمعادنها (92) . غير أن اليسع عمد الى تعبئة الجند والانصار (93) الى أن تسنى له اعداد جيش قوى تمكن به من اخماد الفتنة « وظفر بمن عانده » (94) .

ويبدو انه اسرف في البطش بخصومه حتى وصف بأنه « كان جبارا عنيدا ، فظا غليظا » (95) . لقد قضى على الفتنة في مهدها ، وأظهر مذهب الصفرية (96) بعد أن « قاتل عليه » (97) في حروب انتصر فيها جميعا حتى قيل بأنه « دوخ المغرب » (98) . وأسفرت هذه الحروب عن مد نفوذ الدولة حتى درعة ، وفرض الخمس على ما يستخرج بها من معادن (99) .

ويبدو أن هذه الحروب الطويلة التي خاضها أحدثت أضرارا بسجلها وتخريرا بعمائرنا وسورها ، ولعل جموع الإباضية بالمدينة لعبوا دورا في هذا الصدد . وهذا ما يرجحه اقدام أبى المنصور اليسع على اخلاء المدينة واعادة تخطيطها ، فتخبرنا المراجع (100) انه امر القبائل

- (90) ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، القلتشندى : ج 5 ص 165 . وقد لقبه البكرى « بابى المنتصر » وكذلك ابن عذارى . انظر : المغرب ص 149 والبيان المغرب ج 1 ص 215 . ومما يؤكد خطأ تلك الرواية ما ذكره البكرى في مكان آخر بأنه لقب « بابى المنصور » . انظر : المغرب ص 150 . أما لقب « أبى المنتصر » فقد كنى به ابنه فيما بعد .
- (91) أجمع المؤرخون على وفاة أبى المنصور اليسع سنة 208 هـ . انظر : البكرى : ص 149 ، ابن عذارى : ج 1 ص 210 ، ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 143 ، القلتشندى : ج 5 ص 165 . لكنهم اختلفوا في تقدير سنى حكمه ، فابن عذارى يذكر انه ظل أميرا ثمانية وثلاثين عاما ، وابن خلدون يذكر أنه قضى في الحكم أربعة عشر عاما ، وابن الخطيب يحدد مدة حكمه بثمانية أعوام . وسبب هذا الاختلاف يرجع الى اختلافهم حول تاريخ تقلده الامارة ، فابن عذارى يجعله سنة 170 هـ وابن خلدون يحدده بسنة 194 هـ وابن الخطيب يذكر أنه تولى الامارة سنة 200 هـ . والصحيح ما ذكره البكرى من انه تولى الامارة سنة 174 هـ وظل بها أربعة وثلاثين عاما . انظر : نفس المصادر والصفحات .
- (92) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص 80 .
- (93) النفوسى : ج 2 صفحة 94 .
- (94) البكرى : صفحة 150 .
- (95) نفس المصدر والصحيفة ، ابن الخطيب : ج 3 ص 142 .
- (96) ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، ابن خلدون : ج 6 ص 130 .
- (97) البكرى : ص 150 ، ابن خلدون : ج 6 ص 130 .
- (98) ابن خلدون : ج 6 صفحة 130 .
- (99) البكرى : ص 150 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 142 .
- (100) القلتشندى : ج 5 ص 165 ، النفوسى : ج 2 ص 94 .

بمبارحة سجلماسة وسكنى الصحراء . ثم أعاد بناء مسجدها الجامع واخطب بها المصانع والقصور حتى استردت بهاءها وزينتها (101) وشرع في تحصينها ببناء سور جديد أنفق فيه أموالا طائلة بذلها من ماله الخاص (102) . وقد بنى أسفله بالحجارة وأعلاه بالطوب (103) وجعل به اثنتي عشر بابا صنع معظمها من الحديد (104) . ولما انتهى من اتمام تعمير سجلماسة ، أعاد تقسيم خططها بين القبائل بما يكفل له الهيمنة على سائر أجزائها والسيادة على كافة سكانها (105) . بذلك استطاع أبو المنصور اليعسب أن يحقق أهدافه وأصبح لا ينازعه في الإمامة منازع . ومن هنا يمكن اعتبار حكمه عصر الازدهار والاستقرار في تاريخ دولة بنى مدرار .

يؤكد ذلك تطلع جيرانه من بنى رستم الإباضية الى كسب وده ليأمنوا جانبه من ناحية ، وليضمنوا الاستقرار والامن لآخوانهم في المذهب بسجلماسة من ناحية أخرى ، يفسر ذلك تزويج عبد الرحمن بن رستم إحدى بناته لأحد أبناء أبي المنصور اليعسب ويدعى مدرار ، لربط الدولتين الخارجيتين بصلة المصاهرة (106) . وقد أثمرت تلك المصاهرة ، فاستكان الإباضية بسجلماسة لحكم أبي المنصور ودانوا بطاعته حتى وفاته سنة 208 هـ ( 823 م ) .

لكن ثوراتهم اندلعت من جديد في عهد مدرار بن أبي المنصور اليعسب الذي خلف أباه وتلقب بالمنتصر (107) ، إذ ما لبث الصراع بين الإباضية والصفيرية في سجلماسة أن وجد طريقه الى البيت المدرارى . وتجمع المصادر (108) على أن المنتصر مدرارا كان له ولدين يدعى كل منهما ميمونا ، أحدهما من زوجته الرستمية والآخر من زوجة أخرى تدعى

- 
- (101) ابن خلدون : ج 6 ص 130 - 131 ، السلاوى : ج 1 ص 112 .  
(102) ابن عذارى : ج 1 ص 216 ، ابن الخطيب ج 3 ص 143 .  
(103) ابن عذارى : نفس المصدر والمصحفة .  
(104) البكرى : صفحة 148 .  
(105) نفس المصدر والمصحفة ، السلاوى : ج 1 ص 112 .  
(106) النفوسى : ج 2 ص 94 ، Bel : Op. Cit. P. 168 .  
(107) ابن عذارى : ج 1 ص 216 ، التلعشندى : ج 1 ص 165 .  
(108) البكرى : ص 150 ، ابن عذارى : ج 1 ص 216 .

بقية فُعرف ابنها بميمون بن بقية (109) . وتضيف أن المنتصر كان يؤثر ابن الرستمية على أخيه حتى أنه عهد إليه بولاية عهده (110) . وكان ذلك بداهة انتصارا لاباضية سجلماسة ، فآزر صفيرتها ميمون بن بقية ، ودخل الطرفان في صراع استمر ثلاثة اعوام ( 221 — 224 هـ ) ( 111 ) ( 835 — 838 م ) كان المنتصر ابانها سليب الارادة . ثم أقدم المنتصر على خرق تقاليد الامامة مُخلع نفسه وولى ابن الرستمية مكانه بعد طرده ابن بقية من سجلماسة (112) . واغضب هذا التصرف شيوخ الصفيرية بالمدينة لانتهاكه تعاليم المذهب من ناحية ، ولخوفهم من وقوع البلاد تحت سيادة الاباضية (113) من ناحية اخرى ، فصمموا على خلع ابن الرستمية ، وتم لهم ما أرادوا . ويذكر النفوسى (114) أن ذلك تم بتحريض من ميمون بن بقية لرؤساء الصفيرية ومقدميهم . غير أنهم حين عرضوا عليه الامامة أبى واكتفى بطرد أخيه ابن الرستمية الى درعة (115) ، فأعادوا أباه مدرارا للامامة (116) .

لكن المنتصر ما لبث أن بعث في طلب ابنه ابن الرستمية من درعة ليوليه الحكم مرة أخرى ، وعندئذ أرغمه الصفيرية على التئحى وباعوا ميمون بن بقية سنة 224 هـ (117) ( 838 م ) ولقبوه بالامير (118) . وبأمر ميمون الامير بطرد أبيه من سجلماسة الى بعض القرى (119) ، فظل بها حتى وفاته سنة 253 هـ ( 867 م ) (120) .

- (109) ثمة تحريف ببعض المراجع في اسمى زوجتى المنتصر . فمن المعروف أن الرستمية تدعى « أروى » والآخرى تسمى « بقية » لكن ابن الخطيب يطلق على الاولى « هنو » والثانية « تقيية » . كما نجد عند ابن خلدون والسلاوى تحريفا لكلمة « بقية » الى « بنى » والصواب ما ذكره البكرى وابن عذارى . انظر : اعمس الاعلام ج 3 ص 143 ، العبر ج 6 ص 131 ، السلاوى : ج 1 ص 112 .
- (110) النفوسى : صفحة 295 .
- (111) ابن عذارى : ج 1 صفحة 216 .
- (112) البكرى : ص 150 ، ابن عذارى : ج 1 ص 216 .
- (113) النفوسى : صفحة 95 .
- (114) الازهار الرياضية : ج 2 صفحة 95 .
- (115) ابن خلدون : ج 6 صفحة 131 .
- (116) البكرى : ص 150 ، ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، القلقشندى : ج 5 ص 165 .
- (117) البكرى : صفحة 150 .
- (118) ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، السلاوى : ج 1 ص 112 .
- (119) ابن عذارى : ج 1 صفحة 139 .
- (120) ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، القلقشندى : ج 5 ص 166 .

وبقى ميمون أميرا حتى توفي سنة 263 هـ (121) (877 م) . ولا نعلم شيئا من أخباره الا ما ذكره ابن خلدون (122) من انه كان مستبدا في حكمه وكان مضطرا الى ذلك ليواجه فتن الاباضية ومؤامراتهم . ويبدو أن جمهورهم هجر سجلماسة الى درعة لاستجماع قواهم ومناصرة ميمون ابن الرستمية على الظفر بالامارة ، وهذا ما حدا بمحمد بن ميمون الامير ان يقتفى اثرهم ويناهض حركاتهم ، اذ يخبرنا ابن الخطيب (123) بأنه « غزا وظهر بلاد القبلة » . ويبدو أنه استأصل شأفة الاباضية في هذه الاصقاع ، فلم نسمع عن حركات لهم طوال حكمه وقد توفي سنة 270 هـ (124) (884 م) . ويخيل لنا ان الدولة المدراية في ذلك الحين تخلصت من مشاكلها الداخلية وحققت الامن والهدوء في سائر ربوعها ، فانصرفت الى التوسع خارج حدودها وقد اضطلع بتلك المهمة خليفة الامير محمد بن ميمون ويدعى اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن ابي القاسم (125) الملقب بالمنتصر (126) .

وبديهى ان يتطلع اليسع الى ضم صفرية مطفرة لدولته ويوحد صفرية المغرب الاقصى تحت لوائه ، وجدير بالذكر ان مطفرة اذ ذاك كانت تحت حكم الادارسة الذين اسرفوا في اضطهاد الصفرية داخل دولتهم ، ومن المحتمل ان يكون شيوخها قد اتصلوا بالعاقل المدراى لتحريرهم باعتباره امام الصفرية ببلاد المغرب . ويذكر ابن الخطيب (127) أن اليسع المنتصر عقد العزم على الاضطلاع بتلك المهمة ، فشرع في تجنيد الجيوش لهذا الغرض، ولم يثنه عن عزمه سوى مداهمة الخطر الشيعى لسجلماسة نفسها . ففى عهده وقعت حادثة الغزو الشيعى لسجلماسة التى انتهت بقتل اليسع وسقوط الدولة المدراية سنة 297 هـ (911 م) وهو ما سننقله فى الباب الرابع .

وهكذا — لعبت الخلافت العنصرية والقبيلية والمذهبية دورا موجها فى سياسة دولة بنى مدرار الداخلية .

- 
- (121) البكرى : ص 150 . ابن عذارى : ج 1 ص 216 .  
(122) العبير : ج 6 صفحة 131 .  
(123) أعمال الاعلام : ج 3 صفحة 144 .  
(124) نفس المصدر صفحة 145 .  
(125) البكرى ص 150 ، ابن عذارى : ج 1 ص 216 .  
(126) ابن عذارى : ج 1 صفحة 216 .  
(127) أعمال الاعلام : ج 3 صفحة 145 .

## ج - علاقات بني مدرار الخارجية

كانت دولة بني مدرار دولة داخلية صحراوية ، فلم تسهم بدور كبير في احداث عصرها ، بل انصرف هم امرائها الى الحفاظ على استقلالها السياسي ، ومذهبها الديني ، ومصالحها الاقتصادية . لكنها مع ذلك لم تكن بمنأى عن التيارات السياسية في العالم الاسلامي عموما وفي بلاد المغرب بوجه خاص ، فكان على امرائها ان يتخذوا موقفا — ان وديا وان عدائيا — حيال القوى الاسلامية الكبرى او ما يدور في فلكها من الدول الصغرى ببلاد المغرب . حقيقة ان دورهم كان سلبيا على وجه العموم ، ونادرا ما بادروا بالخروج عن دائرة العزلة السياسية التي فرضتها طبيعة بلادهم الجغرافية ، ومع ذلك يمكن ان نشير الى علاقاتهم السياسية بطابعها الودي او العدائي ، وبجوانبها السلبية او الايجابية مع كافة القوى الاسلامية المعاصرة في بلاد المغرب ، فضلا عن الدولة العباسية والاندلس وبلاد السودان (128) .

على كل حال — كانت سياسة بني مدرار الخارجية تسير في اتجاهين بارزين ، عانت عدائية تجاه الخلافة العباسية ودولة الاغلبة ودولة الادارسة ، ثم علاقات ودية مع بني رستم والامويين بالاندلس .

### ١ - العلاقات العدائية :

#### 1) بنو مدرار والعباسيون :

اتخذت علاقات بني مدرار بالخلافة العباسية وعمالها في المغرب

(128) ذكر مورنل — وهو صاحب اكبر وأشمل مؤلف في تاريخ المغرب — مطلقا على سياسية بني مدرار الخارجية « نحن لا نعلم ثمة علاقات خارجية لهذه الاسرة اللهم الا عن صلاتها مع دولة الاغلبة » . انظر : Les Berbers. Vol. 2. P. P. 24 - 25.

طابعا عدائيا . حقيقة أن هذا العداء لم يصل الى درجة قيام الحروب بين ائمة سجدلماسة وأمراء القيروان ، فقد شغل كل منهم بمشاكله الذاتية عن مناخه خصومه ، وحالت الظروف السياسية والعوامل الجغرافية دون تناحرهم ، فانصرف هم الخلافة وعمالها الى الاحتفاظ بافريقية وأسطقوا اقاصى بلاد المغرب من حسابهم بعد أن انسلخت تماما عن نفوذهم . كما آثر الامراء المدرايون حياة الهدوء والموادعة داخل بلادهم النائية بعد ما تعرضت له حركات الخوارج على أيدي ولاة بنى العباس منذ ولاية محمد ابن الاثمعت حتى عهد هرثمة بن أعين . ومن ثم قنع العباسيون باستخلاص افريقية وحمايتها من أخطار الخوارج ، كما زهد أمراء سجدلماسة فى مناجزة ولاة القيروان ، ولم يكلفوا انفسهم مشقة اعداد الجيوش بسجدلماسة فى اقمى الجنوب لخوض حروب غير مأمونة العواقب فى اقصى الشمال ، وانصرفوا لمواجهة المشاكل الداخلية فى دولتهم ، فضلا عن الاهتمام بمصالحهم التجارية كوسطاء فى حركة التجارة عبر الصحراء شرقا وشمالا وجنوبا .

وقد ادى هذا الى أن بعض المؤرخين اعتبروا أمراء سجدلماسة عمالا للعباسيين بسبب عزوف الطرفين عن محاربة بعضهما البعض ، فيذكر مرسية (129) أن « بنى مدرار كانوا يعترفون بالتبعية للعباسيين » أما فورنل (130) فيقرر « أن أمراء سجدلماسة كانوا يدعون لبنى العباس » . وكذلك بل (131) فإنه يقول « وليس غريبا أن يدخل أمراء سجدلماسة فى علاقات التبعية للعباسيين رويدا رويدا » . وربما كان بروفنسال (132) أكثر انصافا فى قوله « كان المدرايون فى كثير من فترات حكمهم يتبعون بغداد اسميا » . ويخيل لنا أن هؤلاء المؤرخين قد اعتمدوا على نصين عند ابن خلدون ، ذكر فى أحدهما (133) أن ابا القاسم سكو بن واسول « خطب فى عمله للمنصور والمهدى من بنى العباس » ، وفى الآخر (134) أن « الشاكر لله أعلن ولاءه لبنى العباس عندما قام بحركته ضد الفاطميين » . كما اعتمدوا أيضا على رواية أخرى مشكوك فيها تفيد أن اليسع بن مدرار

- 
- Histoire de Constantine P. 92. (129)  
 Les Berberes. Vol. 2. P. 22. (130)  
 La religion musulmane. Vol. I. P. 168. (131)  
 Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. I. P. 249. (132)  
 (133) المبرج 6 ص 130 ، السلاوى : ج 1 ص 112 .  
 (134) نفس المصدر صفحة 131 .

أمير سجلماسة أودع عبيد الله المهدي السجن على اثر رسالة من الخليفة العباسي يأمره فيها بالقبض عليه .

وإذا صح ما ذكره ابن خلدون من خطبة أبي القاسم سمو للمنصور والمهدي في سجلماسة ، فإنه قد فعل ذلك خوفا من عمال الخلافة في المغرب من أمثال يزيد بن حاتم وخلفائه ممن عرفوا بالقوة والبطش في ملاحقة حركات الخوارج . واقدام أبي القاسم على هذا العمل يدخل في إطار « مبدأ التقية » الذي تجيزه تعاليم المذهب الصفري (135) تحاشيا لآخطار محدقة بدولته وهي لم تزل في المهد .

أما مناداة الشاكر لله بالدعوة لبني العباس ، فمن المعتقد أنها كانت لهدف سياسي هو تأليب أهل السنة ببلاد المغرب ضد الفاطميين الشيعة ، وهو ما فعله أبو يزيد مخلد بن كيداد في ثورته على الفاطميين .

وحسبنا ان الشاكر لله ضرب العملة باسمه — من دون الخليفة العباسي (136) — كما لقب نفسه « أمير المؤمنين » (137) ، بما يؤكد صدق قول القلقشندي (138) « فدعا لنفسه مموها بالدعاء لبني العباس » .

أما عن الرواية المتواترة عن حبس اليسع بن مدرار للمهدي بسجلماسة وفقا لمشيئة الخليفة العباسي فالمعتقد أنها مشوبة بالخلط والاضطراب الامر الذي يشكك في صحتها . يقول ابن خلدون (139) « . . . ولحق عبيد الله الشيعي وابنه أبو القاسم بسجلماسة لعهد ، وأوعز المعتضد اليه في شأنهما — وكان على طاعته — فاستراب بهما وجبسهما » بينما يذكر في مقدمته (140) أن « المعتضد أوعز الى الاغلبة أمراء افريقية بالقيروان وبنى مدرار بسجلماسة بأخذ الأفاق عليهما ( المهدي وابنه ) واذكاء العيون في طلبهما ، فعثر اليسع صاحب سجلماسة من آل مدرار على خفي مكانهما ببلدة واعتقلهما مرضاة للخليفة » . وفي رواية ثالثة (141)

(135) انظر الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص 51 .  
Lavoix : Catalogue des monnaies musulmane, P. 402.

(136) انظر :

(137) صبح الاعشى : ج 5 ص 167 ،

Lane-Poole : Catalogue of the collection of Arabic coins, P. 328.

(138) نفس المصدر والمصحية .

(139) العبر : ج 6 صفحة 131 .

(140) مقدمة ابن خلدون : ج 1 صفحة 240 .

(141) العبر : ج 3 صفحة 363 .



يقول ابن خلدون « وذهب عبيد الله الى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار فأكرمه ثم جاء كتاب زيادة الله ، ويقال كتال كتاب المكتفى بأنه المهدي الذي داعيه في كتامة فحبسه » .

ولا يمكن ان تكون هذه الروايات المضطربة ذريعة للقول بأن العلاقات كانت ودية بين بنى مدرار وبين العباس كما ذهب بل (142) . والاكثر غرابة ان يقال ان « امير سجلماسة كان سنيا » (143) .

ويمكن الاضطراب في روايات ابن خلدون قوله في أولى رواياته ان الخليفة المعتضد هو الذي اوحى الى ابن مدرار بالقبض على المهدي ، بينما يذكر في روايته الثالثة ان ابن مدرار استجاب لطلب الخليفة المكتفى وليس المعتضد . فضلا عن ذلك فان هذه الروايات لا تحدد ما اذا كان الخليفة العباسي أم الامير الاغلبى هو الذى بعث بكتبه ليستحث اليسع بن مدرار القبض على المهدي ، ومهما كان الامر فان عبيد الله المهدي كان معروفا لدى امير سجلماسة الذى كان يجله ويكرمه (144) ، وكان المهدي يغدق الهدايا والصلوات على حكام البلاد الذى مر بها او اقام فيها ، « فممنهم من لم يعرفه واكرمه لذلك ، وممنهم من عرفه وترك التعرض له لما كان منه اليه ، ومنهم من عرفه وقدره » (145) . ولم ينكر المهدي نسبه وانه « يدعو الى الرضى من آل محمد » حين سأل ابن مدرار ، بل كتم عنه صلته بداعيته ابي عبد الله الشيعي ونفى معرفته له (146) .

ويخيل لنا ان ابن مدرار حين قبض عليه وحبسه لم يقصد بذلك « مرضاة الخليفة » أو لانه « كان على طاعته » كما ذهب ابن خلدون ، بل اقدم على ذلك حين علم « بانه هو الذى يدعو الى بيعته أبو عبد الله الشيعي بافريقية » (147) ، الذى كان خطرا على سائر دول المغرب هدها بالزوال (148) . وقد نمت ذلك الى علمه « من جهات كثيرة » (149)

- 
- (142) انظر :  
(143) انظر : حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص 54 .  
(144) شرح الاخبار ص 31 ، ابن الاثير : ج 8 ص 13 ،  
Fournel : Op. Cit. Vol. 2. P. 70, Mamour : Op. Cit. P. 107.  
(145) شرح الاخبار : صفحة 32 .  
(146) نفس المصدر والصحيفة .  
(147) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 1 ص 272 .  
(148) شرح الاخبار : صفحة 32 .  
(149) نفس المصدر والصحيفة .

وليس عن طريق الخلافة العباسية وحدها .

تصارى القول أن واقعة المهدي بسجلماسة لا تدل على تبعية آل مدرار لبني العباس بقدر ما تدل على خوف الامير المدرارى على دولته من الخطر الشيعى الجديد . فالتقول بتبعية الاسرة المدرارية للخلافة العباسية امر يتعارض والظروف السياسية التى قامت فيها دولة بنى مدرار ، كما لا يستقيم مع طابعها الدينى المذهبى المتطرف ، وواقع صلاتها السياسية بالقوى المعادية لبني العباس .

فقيام دولة بنى مدرار بسجلماسة كان على حساب النفوذ العباسى فى بلاد المغرب ، فانتطع هذا الجزء نهائيا عن سلطان الخلافة ، واستقل به امراء بنى مدرار « عن ولاة القيروان والعرب » (150) « وخلصوا طاعة الخلفاء » (151) . ولما كانت دولة بنى مدرار بمثابة مجمع للخوارج الصفرية اساسا ، فقد غلب عليها الطابع الدينى المذهبى ، وجدير بالذكر أن مذهب الخوارج عموما لا يعترف بامامة بنى العباس باعتبارهم مغتصبين للخلافة « وكلهم يجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وعزلهم ان امكن او قتلهم » (152) . واذ لم يكن بمقتور صفرية المغرب الاقدام على ذلك ، فلا اقل من مناصبتهم العداة وانكار شرعية امامتهم . وليس من المقبول أن يدين صفرية سجلماسة لبني العباس فى الوقت الذى كان اخوانهم فى المذهب يعانون من سطوة الخلافة بالشرق ، ففى السنوات 162 هـ ، 169 هـ ، 171 هـ ، 178 هـ ( 779 ، 786 ، 788 ، 895 م ) عمد العباسيون الى استئصال شأفة الخوارج الصفرية فى قنشرين وارض الموصل والجزيرة وارض السواد ، فأبادوا جموعهم وقتلوا زعماءهم وبطشوا بجيوشهم (153) . واستمرت تلك السياسة طوال القرن الثالث الهجرى حتى ضعفت شوكة الخوارج الصفرية فى الشرق الاسلامى (154) . ولا غرابة بعد ذلك اذ اضمر امراء بنى مدرار بسجلماسة العداة للخلافة العباسية وعمالها فى المغرب واقدموا على مشايعة الاعداء وهم بنو أمية بالاندلس .

(150) ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، السلاوى : ج 1 ص 112 ، كولن : مادة سجلماسة

بدائرة المعارف الاسلامية : ص 289 .

(151) الطغئندى : ج 5 صفحة 164 .

(152) البغدادى : الفرق بين الفرق : ص 273 ، احمد امين : ضحى الاسلام ج 3 ص 337 ، Bel : Op. Cit. P. 168.

(153) انظر : ابن الاثير : ج 6 ص 162 ، 169 ، 171 ، 178 .

(154) نفس المصدر : ج 7 ص 61 ، 67 ، 74 ، 75 ، 119 ، 155 ، 156 ، 157 .

## 2 - بنو مدرار والاغالبة :

من الطبيعي أن تكون علاقات الاغالبة بنى مدرار امتدادا لعلاقات بغداد بسجلماسة ، فدولة الاغالبة التي قامت بافريقية سنة 184 هـ ( 800 م ) كانت تدين بالولاء السياسى والتبعية الاسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتى ، وحسبنا أنها كانت تمثل البقية الباقية لنفوذ الخلافة فى بلاد المغرب وقاعدتها لاسترداد سلطاتها المفقود فى هذه الجهات . ولا غرو فقد سمح الرشيد بقيام هذه الدولة حرصا منه على استمرار نفوذه فى افريقية من ناحية واسترداد هذا النفوذ فى الاجزاء التى انسلخت عنه من ناحية أخرى لو استطاع الاغالبة الى ذلك سبيلا (155) . ومن ثم عادى الاغالبة أعداء الخلافة فى المغرب ومنهم بنو مدرار .

لكن الذى لا شك فيه أن هذا العداء لم يبلغ حد التنافر والصراع بين الدولتين ، فانصرف الاغالبة عن مشاكل المغرب لتحقيق أهدافهم التوسعية فى حوض البحر المتوسط . وربما كان وجودهم وسط حشد من الاعداء (156) دافعا لهم على تولية الظهر للقارة والاتجاه الى البحر ، وبديهي أن يخفف هذا الاتجاه من حدة عدائهم لبنى مدرار وخاصة أن الاخيرين كانوا بعيدين عن متناول خصومهم ، حيث قامت الدولة الرستمية حائلا بين الطرفين (157) وتعرضت بذلك للاحتكاك مع الاغالبة .

وإذا كانت دولة بنى مدرار قد سلمت من مناجزة أمراء القيروان وتناولهم ، فذلك لا يعنى انتفاء عداوتهم ، أو بمعنى آخر لم يكن عدم قيام الحروب بين سجلماسة والقيروان دليلا على الود المتبادل كما ذهب فورتل (158) . والحقيقة أن كلا من الطرفين لم يعبأ بالأخر طالما لم يكن بوسعه أن يسير الجيوش لقتاله ، ومن ثم اتخذت عداوتهما طابع الاغفال وعدم الاكتراث .

ومن الخطأ أن يفسر ذلك على أنه استكائة من جانب بنى مدرار

(155) الاصطخرى : ص 37 ، Vonderhey den : Op. Cit. P. 8.  
(156) كانت دولة الاغالبة محاطة بعدد من القبائل المعادية سياسيا ومذهبيا ، وهذه القبائل هى بنو يفرن الصفرية وأوربة الادريسية ، ولماية ونفوسة الاباضية الوهبية ، وهوارة النكارية ، وزواغة الخلفية ، وكتامة الشيعية الاسماعيلية . انظر :  
Masqueray : Op. Cit. P. 195.

(157) انظر الخريطة .  
(158) راجع : Les Berberes Vol. 2. P. 22.

وقناعة منهم بالتبعية للأغلبية ، فقد ذهب ابن أبى دينار (159) الى أن « اليسع بن مدرار كان يحكم سجلماسة لبني الاغلب » . ويخيل الينا أنه استنتج هذا القول من حادثة القبض على عبيد الله المهدي بسجلماسة على اثر رسالة بعثها الامير زيادة الله بن الاغلب وفقار لرواية بعض المصادر (160) أو أرفتها برسالة أخرى للخليفة العباسي في رواية أخرى (161) . وقد سبق ان ذكرنا ان الامير المدرارى أقدم على سجن المهدي انتقاء للخطر الشيعي الذي هدد دولته . لقد كان قبض اليسع على المهدي وسجنه بسجلماسة من قبيل التوافق غير المقصود بين أهداف الخلافة والامارة وبين مصالح الاسرة المدرارية التي تهددها خطر الشيعة ، ولا يعنى هذا الحدث وجود أدنى نفوذ للأغلبية على أمراء بنى مدرار .

لقد كان الخلاف السياسى والمذهبى بين الامارتين الاغلبية والمدرارية يحول دون أدنى تقارب بينهما ، ولا غرو فقد هادن بنو مدرار جيرانهم الرستميين كيما يتفرغوا لمواجهة الاغلبية عدوهم المشترك . كما التقوا بأموى الاندلس للوقوف امام اطماع الاغلبية فى المغرب والحيلولة دون تسربهم الى ما وراء حدود افريقية . ولعل من أهم ما يبرز أسباب الجفوة والعداء بين المدراريين والاغلبية ما تعرض له الخوارج الصفرية من بطش واضطهاد فى القيروان ، فقد كان اعتناق المذهب الصفرى تهمة تصم صاحبها بالمروق والعصيان والزندقة (162) . وعلى الرغم مما يقال (163) عن تسامح الاغلبية مع أهل المذاهب الاخرى بالقيروان ، فقد تعرض الصفرية — بوجه خاص — لاضطهاد شديد — بعد ولاية سحنون قضاء القيروان — فقد حظر عليهم الاجتماع والصلاة فى المسجد الجامع (164) ، وبددت حلقاتهم (165) ، كما منعوا من تعليم الصبيان وتأديبهم (166) ، وتعرض من خالف ذلك لمزيد من البطش والتعنيف (167) .

- (159) المؤنس فى اخبار افريقية وتونس ص 49 .  
(160) انظر شرح الاخبار — ملحق (1) ص 32 من كتاب :  
Ivanova : Ismaili tradition., Mamour : Op. Cit. P. 107.  
(161) افتتاح الدعوة . ص 43 ، ابن خلدون : ج 3 ص 363 ، القرىزى : اتعاظ  
الحنفا ص 84 ، الخطط : ج 1 ص 350 .  
(162) أبو العرب تميم : طبقات علماء افريقية : ص 80 .  
(163) انظر : حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية : ج 1 ص 58 .  
(164) أبو العرب تميم : المرجع السابق ص 102 .  
(165) المالكي : رياض النفوس . ج 1 ص 276 .  
(166) الدباغ : معالم الايمان . ج 2 ص 55 .  
(167) أبو العرب تميم : صفحة 102 .

كل ذلك قمين بأن يذكى العداء بين بنى مدرار والغالبة ، وينفى بشكل قاطع أى قول بوجود علاقات ودية بينهما ، كما يدحض الزعم القائل بتبعية أمراء سجلماسة لبنى الأغلب .

### 3 - بنو مدرار والادارسة :

تحفل المراجع بكثير من القرائن والشواهد (168) التى تؤكد طابع العداء الصارخ بين بنى مدرار والادارسة ، فقد قامت دولة الادارسة بالمغرب الاقصى سنة 172 هـ ( 789 م ) على حساب نفوذ الخوارج الصفيرية ، اذ نعلم أنهم اقتطعوا هذه الجهات عن نفوذ الخلافة وولاتها بالقيروان منذ ثورة ميسرة سنة 121 هـ ( 739 م ) . فلما نجح ادريس الاول فى اقامة دولته ، ذوى شأن الصفيرية فيها وتعرضوا للبطش والاضطهاد من جانب آل ادريس ، وزاد هذا العداء (169) حدة بسبب الخلاف المذهبى ، فالادارسة من الشيعة الزيدية ، وبنو مدرار من الخوارج الصفيرية ، ولا يخفى العداء التقليدى بين الشيعة والخوارج .

لا ننكر وجود حاجز جبلى يفصل بين الدولتين ، وأن الطبيعة الجبلية فى المغرب الاقصى شكلت نوعا من الحماية لكلى الدولتين (170) الى حد كبير ، لكن ذلك لم يكن عائقا دون امكانية غزو احداها للآخرى . فثمة طريق ممهّد يبدأ من « فاس الى صفرو فقلعة مهدي فتادلة فوادى شعب الصفا » ثم يمر عبر الجبل الكبير الى الجنوب حيث توجد سجلماسة (171) . وكانت القوافل تترتد هذا الطريق فتخرج « من باب الغوارة بفاس الى مدينة سجلماسة » (172) حيث تتوافر الزروع والمياه فى اقليم اغمات الموجود على يساره (173) . بل لا يخالجا شك فيما ذهب اليه جورج

(168) ذهب بعض الدارسين الى صعوبة تتبع علاقات بنى مدرار بالادارسة بسبب ندرة المعلومات . انظر : حسن عبد المواد : دولة الادارسة ص 250 ، Basset : Op. Cit. P. 333.

(169) اخطأ البعض حين انتهى الى أن « حسن الجوار كان العلاتة السائدة بين دولة الادارسة ودولة سجلماسة » . انظر : حسن عبد المواد : دولة الادارسة صفحة 253 .

(170) ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار ج 5 قسم 2 ورقة 17 - مخطوط .

(171) الادريسي : صفحة 76 .

(172) ابن أبى زرع : صفحة 53 .

(173) ابن حوقل : صفحة 65 .

مارسيه (174) بأن « ادريس الاول وخلفائه كانوا عازمين على استئصال شأفة صفرية تافيلالت ». ويخيل الينا أنهم عزموا عن تحقيق ذلك بسبب صراعهم الحاد مع الاغالبية الذين نجحوا في اثاره القلائل وحيك المؤامرات في وجه ائمة فاس ، فاغتالوا ادريس الاول (175) والثانى (176) ، ومولاهما (177) راشد والبوا وزراءهم وكبار دولتهم عليهم ، واستمالوا بعضهم الى جانبهم (178) . كذلك كان ضعف الدولة بعد موت ادريس الثانى ونشوب الخلافات بين افراد الاسرة الادريسية (179) من اسباب تقاعس الادارسة عن غزو سجلماسة ، واكتفائهم بتصفية نفوذ الصفرية داخل دولتهم ، فضلا عن استقطاع بعض اطراف الدولة المدرارية .

أما عن بنى مدرار ، فلم يكن بوسعهم — أمام مشاكلهم الداخلية — الشروع فى تدبير غزو بلاد الادارسة خاصة فى عهدى ادريس الاول والثانى . وحين أتيت لهم القيام بهذا الدور فى عهد اليسع بن مدرار ، دهمه الخطر الفاطمى الذى قضى على بنى مدرار والادارسة معا . لكن بنى مدرار لم يعدموا وسائل الكيد والذس لجيرانهم ، واثارة القلائل فى دولتهم عن طريق صنائعهم من الصفرية فى الدولة الادريسية .

وقد اتخذ هذا العداء السياسى بين فاس وسجلماسة مظاهر من الفعل ورد الفعل ، كان الادارسة يمسكون فيها بزمام المبادرة ، بينما لاذ بنو مدرار ازائها بالصمت حينما تصدوا لمواجهتها حينما آخر .

وتجلت مظاهر العداء فيما قام به ادريس الاول من حملات لاستئصال شأفة صفرية تلمسان من بنى يفرن الزناتيين (180) بعد أن بايعته القبائل الصفرية الاخرى قسرا ، ومن بينها بعض بطون مكناسة (181) .

ففى منتصف رجب من عام 173 هـ ( 790 م ) توجه ادريس على

(174) La Berberie Musulmane et l'orient. P. 124.

(175) ابن أبى دينار : المؤنس : ص 99 ، اطليشى : الامكان ص 81 .

(176) ابن الأبار : الحلة السراء ص 200 .

(177) ابن خلدون : ج 4 صفحة 13 .

(178) النويرى : ج 22 ورقة 28 .

(179) البكرى : صفحة 123 .

(180) اطليشى : الامكان ، صفحة 57 .

(181) ابن خلدون ج 4 ص 12 ، محمد على السنوسى : الدرر السنوية : ص 44 .

رأس حملة الى تلمسان وأخضع أهلها دون عناء (182) ، وظل مقيماً بها حتى عام 174 هـ ( 791 م ) ليوطد نفوذه فيها . ثم أسند حكمها الى أخيه سليمان (183) ، وعاد الى ويلي . وهكذا قدر له الاستيلاء على كل معاقل الصفرية في بلاد المغرب الاقصى فيما عدا سجلماسة . غير أن اغتياله المفاجيء شجع صفرية تلمسان على الانتفاض ، وظلوا خارجين على الادارسة حتى عام 197 هـ ( 813 م ) حين عول ادريس الثانى على اعداتهم الى طاعته ، فأعد الحملة التى جهزها « لمحو آثار دعوة الخوارج الصفرية » (184) فى تلك السنة واستمر يحاربهم طيلة ثلاث سنوات (185) الى ان ادعنوا لطاعته (186) .

ولم يستطع صفرية سجلماسة مديد العون لآخوانهم بتلمسان واستنقاذهم من ضربات الادارسة ، ويعزى ذلك الى استحالة الاتصال بين سجلماسة وتلمسان الا عبر اراضى الدولة الادريسية ، فكان الطريق اليها يمر بدرعة وأغمات وتادلا وفاس ومنها الى تلمسان (187) .

وعول خلفاء ادريس الثانى على اقتطاع الاجزاء المجاورة لدولتهم والتابعة لبني مدرار ، فتمكن عبد الله بن ادريس - الذى تولى أغمات والسوس الاقصى وبلاد نفيس - من مد نفوذه على صنهاجة اللثام الضاربة حول سجلماسة واستولى على بعض الحصون التابعة لبني مدرار (188) . كما اقتطع يحيى بن ادريس بلدة تامدلت - قرب درعة - وهدد بحرمان بنى مدرار من مناجم درعة الغنية بالذهب والفضة (189) .

وتمثل رد الفعل من جانب بنى مدرار فى تحريض الصفرية فى فاس

Fournel : Op. Cit. Vol. I P. 475.

(182) ابن أبى زرع القرطاس : ص 22 ،

(183) نفس المصدر والمصحفة .

(184) ابن خلدون : ج 4 ص 13 ، مبد الرحمن بن زيدان : اتحاف اعلام

الناس : ج 2 ص 19 .

(185) ابن أبى زرع : ص 69 ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج 3 ص 198 ،

السنوسى : الدرر السنوية . ص 59 .

Masqueray Op. Cit. P. 172.

(186) الطيفيش : الامكان : ص 57 ،

(187) الادريسي : صفحة 81 .

(188) اليعقوبى : البلدان ص 359 ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص 71 .

(189) اليعقوبى : نفس المصدر والمصحفة .

على الثورة ضد الأمير على بن عمر بن ادريس . وبالفعل نجح أحد صنائعهم ويدعى عبد الرزاق الصفرى فى لم تشمل صفرية مديونة وغيانة ومكناسة وغيرهم ، واستولى على مدينة صفروى — جنوبى فاس — وبايعه كافة الصفرية فى نواحيها ، ثم اتجه بجموعه الى فاس وهزم على بن عمر ابن ادريس الذى فر لائذا بقبيلة أوربة ، وتمكن عبد الرزاق من دخول العاصمة ، وخطب له على منابر عدوة الأندلسيين . لكن حركته لم تستمر طويلا ، فقد استدعى أهل عدوة القرويين يحيى بن القاسم بن ادريس المعروف بالعدم وبايعوه بالامامة . وتمكن العدم من طرد عبد الرزاق الصفرى من عدوة الأندلسيين ، وظل يقاتل الصفرية فى عدة وقائع حتى قتل شوكتهم وقتل زعيمهم سنة 293 هـ ( 907 م ( 190 ) ) ونحن نرجح ما ذهب اليه جورج مارسيه (191) من أن حركة عبد الرزاق الصفرى هذه كانت من تدبير بنى مدرار فى سجلماسة ، ومما يرجح ذلك قيامها فى المناطق المجاورة للامارة المدرارية وامتدادها الى الشمال حتى وصلت الى قصبه دولة الادارسة .

ولعل ما أحدثته تلك الحركة من تصدع فى دولة الادارسة ، وما وصلت اليه دولة بنى مدرار من قوة واستقرار على عهد اليسع بن مدرار هو ما جعل الأمير المدرارى يعد العدة لبيسط نفوذه على اخوانه فى المذهب المقيمين داخل الدولة الادريسية . فعول على تجهيز جيش يغزو به دولة الادارسة لتحقيق هذه الغاية ، لكن جهوده فى هذا الصدد لم تتم بسبب تعرض بلاده للخطر الشيعى (192) . . وهكذا غلب طابع العداء على العلاقات السياسية بين سجلماسة وفاس .

## ب - العلاقات الودية :

### 1) بنو مدرار والرستميون :

اتخذت علاقات بنى مدرار ببنى رستم طابعا وديا ، تمثل فى سياسة حسن الجوار التى حرص كل منهم على مراعاتها . ومن ثم انعدمت الحروب

(190) انظر : البكرى : ص 125 ، ابن زرع : ص 112 — 115 ، ابن خلدون : ج 4 ص 15 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 208 — 209 ، السلاوى : ج 1 ص 162 ، 164 ، سلفاتور كوسا : تواريخ مدينة فاس ص 6 ،

Masqueray : Op. Cit. P. 172.

La Berberie Musulmane. P. 126.

(191)

(192) ابن الخطيب : اعمال الاعلام : ج 3 ص 145 .



بينها على الرغم مما كان بين الصفرية والاباضية من تنافر وصل الى درجة الصراع ابان ثورات الخوارج في بلاد المغرب .

وفي تقديري أن هذا التقارب مرتبط بالظروف السياسية القاسية التي واجهتها حركات الخوارج في المغرب على اثر الحملات الضخمة التي عكف بنو العباس على انفاذها لقمع ثورات الخوارج في المغرب ابتداء بحملة ابن الاشعث سنة 141 هـ ( 758 م ) ، تلك الظروف الصعبة التي أحدثت تحولا عمليا في سياسة الخوارج في المغرب حيث لجأوا الى أقاصى الجنوب ، وأقاموا دولتين متجاورتين احدهما للصفرية في سجلماسة سنة 140 هـ ( 757 م ) والاخرى في تاهرت للخوارج الاباضية سنة 162 هـ ( 779 م ) .

فوحدة الظروف السياسية المتمثلة في العداء لبني العباس وعمالهم بالقيروان وكذلك الادارسة ومصادمة أموى الاندلس ، ووحدة الظروف الجغرافية والتشابه في نمط الحياة القائمة على البداوة واختلاط القبائل وانتقالها بين الدولتين المتجاورتين ، فضلا عن وحدة المصير ، كل ذلك حدا ببنى مدرار وبنى رستم الى المواءمة وتحاشى الشقاق والخلاف وكل ما يوجب الخصومة والعداء (193) . لكن الثابت أن العلاقة بينهما لم تتعد مجرد تجنب الخصومة والعداء ، فلم تتطور الى مرحلة التحالف أو حتى التعاون المشترك بسبب الخلاف المذهبي والعداء التقليدي بين الصفرية والاباضية في المغرب . وعمدت الدولتان الى تجنب الحروب وتحاشى التدخل في الخلافات التي كانت تنشعب بين الاقليات الاباضية في سجلماسة وبين أمراء بنى مدرار ، أو تلك التي حدثت بين صفرية تاهرت وبين أئمتها (194) ، فقد صم حكام كل دولة آذانهم عما تعرض له اخوانهم في المذهب داخل الدولة الاخرى حرصا على السلام .

فالمعروف أن عدة آلاف من الاباضية أقاموا بدولة بنى مدرار (195) ، وقد سبقت الاشارة الى دورهم في مناهضة أمراء بنى مدرار ، وطمعهم في السلطة ، وما قام به أمراء سجلماسة من قمع حركاتهم والبطش بهم . وحسبنا أنهم كانوا موالين لرؤسائهم من مشايخ المذهب بتاهرت أكثر من ولائهم للدولة التي كانوا يعيشون في كنفها ، فقد درجوا على ارسال زكاة

(193) النفوسى : ج 2 صفحة 94 .

(194) ابن الصبير : صفحة 52 .

(195) النفوسى : ج 2 صفحة 94 .

أموالهم الى مشايخهم بتاهرت ليصرفوها حيث شاؤا (196) . ولا مرأ في أن مشكلة الاقلية الاباضية في دولة بنى مدرار كانت أهم المشاكل التي واجهها أمراء سجماسة على الاطلاق .

كذلك لم تخل تاهرت من وجود اقلية من الخوارج الصفرية لها وزنها (197) . وقد استقرت غالبيتهم في حصن « تالغيت » المشرف على المدينة (198) وبديهي أن يسهموا في احداث الدولة الداخلية ويقفوا موقف المعارضة من ائمة تاهرت . فيخبرنا ابن الصفر (199) أنهم لعبوا دورا بارزا في الثورة على أبى حاتم يوسف بن محمد ، حيث انضموا لاهل تاهرت من غير الاباضية ضد الامامة الرستمية .

وقد حرص حكام سجماسة وتاهرت على تحاشي التدخل في هذه الفتن . فأحجموا عن اذكائها أو تشجيعها ، ولولا تفاضيمهم عنها ؛ « لكانت الحروب بينهم متوالية والفتن متتابعة » ع حيث يطلب كل فريق منهم الانضمام الى امام مذهبه ويظهر التظلم حقا أو باطلا من مخالفة في المذهب الحاكم عليه « (200) بل بادر بعضهم الى توثيق أو اصر الود بين الدولتين عن طريق المصاهرة ، فطلب اليسع بن أبى القاسم سمكوا من عبد الرحمن ابن رستم تزويج ابنه مدرارا من أروى ابنة عبد الرحمن (201) مؤملا تعضيد حكمه في سجماسة بجيرانه الرستميين وقبل الامام الرستمي « رغم اعتراض المعترضين والمنكرين » مستهدفا توثيق علائق الوداد بين المملكتين فلا يطرقة منهم طارق سوء ، ولا يأتيه من قبلهم ما يكدر راحته أو يوجب له خلفا أو خلا في داخلته (202) .

وعلى الرغم من تصور هذه المصاهرة عن تحقيق أهدافها في إيجاد حل لمشكلة الاقلية المذهبية داخل الدولتين ، الا انها ادت الى حرص المدراريين والرستميين « على تحقيق التضامن والوئام بين دولتي الخوارج »

- 
- (196) ابن الصفر : ص 46 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 93 - مخطوط .  
(197) النفوسى : ج 2 صفحة 94 .  
(198) نفس المصدر : صفحة 69 .  
(199) تاريخ الائمة الرستميين ص 51 ، 52 .  
(200) النفوسى : صفحة 94 .  
(201) ابن خلدون : ج 6 صفحة 131 ،  
Provencal : Op. Cit. P. 249, Bel : Op. Cit. P. 168.  
(102) النفوسى : ج 2 صفحة 94 .

— كما ذهب جوتيه (203) — واحجام كل منهما عن التدخل في الامور الداخلية فقد مارس حكام كل من الدولتين سيادة كاملة على سائر الاقليات المذهبية داخل دولتهم « من الاباضية والصفرية والواصلية » (204) جميعا، ولم يتساعوا من وجود صلات بين هذه الاقليات وبين شيوخها سواء فى تاهرت او سجلماسة (205) .

## 2 — بنو مدرار وأمويو الاندلس :

لم يحل الاختلاف المذهبي بين بنى مدرار وأموي الاندلس ، ولا البعد الجغرافي بين سجلماسة وقرطبة دون وجود صلات ودية بينهما ، فقد جمعهما العداء المشترك للخلافة العباسية والاغلبة والادارسة . وقد سبق أن وقفنا على أسباب الجفوة بين سجلماسة وبغداد والقيروان وفاس .

ولا يخفى العداء التقليدى بين قرطبة وبغداد ، فحسبنا أن قيام الدولة الاموية بالاندلس تم على حساب النفوذ العباسى هناك ، ولما كان الاغلبة على ولاء لبنى العباس (207) ، فقد ورثوا عداوتهم لاموى الاندلس ، وازداد هذا العداء حدة بسبب التنافس البحرى بينهما فى وسط وغرب البحر المتوسط . بل ان نجاح الاغلبة فى هذا التنافس البحرى وتهديدهم النفوذ الاموى فى جزر البليار كان من العوامل التى دفعت عبد الرحمن الثانى ( 206 — 238 هـ ) ( 208 ) ( 821 — 853 م ) الى توثيق صلاته مع امارات المغرب . واذا كانت الامارة الاموية فى قرطبة قد أخفقت فى توطيد صلاتها بالادارسة (209) ، الا أنها نجحت فى اقامة علاقات طيبة مع بنى رستم وبنى مدرار الذين التقوا فى مصالحهم السياسية مع أهداف الامارة الاندلسية . ذلك ان المصالح السياسية سمت على الاختلاف المذهبي بين بنى مدرار الصفرية وبنى أمية السنة ، كما ان وحدة المصير تغلبت على الاحتاد القديمة بين الخوارج والامويين . ولم تحل شقة البعد

(203) انظر : Les Siecles obscurs. P. 293.

(204) ابن خلدون : ج 6 ص 121 ، البرادى : الجواهر ورقة 93 ، اطيش : الامكان ص 57 ، ياقوت : معجم البلدان ج 3 ص 815 .

(205) الشماخى : السير صفحة 223 ، 224 .

(206) النويرى : ج 22 ورقة 26 ، 27 .

(207) نفس المصدر والورقات .

(208) ابن عبد ربه : المقدر الفريد . ج 4 ص 493 .

Scott : Op. Cit. Vol. I. P. 456.

(209) ابن مغازى : ج 2 ص 106 ،

بينهما دون امكانية الاتصال ، حقيقة لم يكن لبني مدرار موانئ على ساحل البحر المتوسط (210) ، لكنهم لم يعمدوا وجود منافذ على ساحل الاطلنطى كانت على صلة دائمة بموانئ الاندلس كاشبيلية وشاطبة ( 211 ) . ومن ثم فليس من المستغرب أن تحفل مدن الاندلس في ذلك الحين بعناصر صفرية من سجلماسة (212) كما غصت سجلماسة بالكثيرين من أهل الاندلس (213).

والواقع أن المؤرخين لا يقدمون معلومات وفيرة تساعد على تتبع هذه الصلات الودية قبل عهد الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ( 238 — 273 هـ ) ( 214 ) ( 853 — 898 م ) ، لكنه من الراجح أنها ترجع الى عهد عبدالرحمن الداخل ( 138 — 172 هـ ) ( 215 ) ( 755 — 788 م ) المعاصر لامراء بنى مدرار الاوائل والذي استقل بالاندلس في ظروف مماثلة لتلك التى اقام فيها بنو مدرار دولتهم بالمغرب . ونعتقد أن نجاحه في ذلك شجع بنى مدرار على الاقدام على اقامة حكمهم المستقل بسجلماسة .

ويبدو أن هذه العلاقات الودية قد تكدرت اواخر عهد الحكم بن هشام ( 180 — 206 هـ ) ( 797 — 821 م ) على اثر ثورة الربض بقرطبة ونزوح اعداد غفيرة منهم الى سجلماسة (216) . لكن الجفوة لم تدم طويلا فسرعان ما استعادت العلاقات طابعها الودى في عهد الخليفة عبد الرحمن الثانى الذى وثق صلته ببني مدرار ، وخاصة بعد استفحال الخطر الاغلبى في البحر المتوسط . ومن المحتمل أن يكون ميمون بن مدرار الملقب بالامير قد آزر صديقه الاموى عبد الرحمن الثانى في مواجهة القحط الذى حل ببلاد الاندلس سنة 232 هـ ( 847 م ) ، فبعث اليه ما توافر لديه من الحنطة والسكر والتمر (217) . وازدادت صلوات الود في عهد الامير محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم الذى اتسم عصره بالاستقرار السياسى (218)

(210) اليعقوبى : البلدان صفحة 359 .

(211) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس : ص 21 ، ابن الدلائى : نصوص من الاندلس صفحة 18 ، 19 ، Provencal : Op. Cit. P. 248 .

(212) ابن بشكوال : الصلة ج 2 ص 418 ، ابن الفرضى : تاريخ العلباء والرواة ج 1 صفحة 123 .

(213) ابن خلدون : ج 4 صفحة 126 .

(214) ابن عبد ربه : ج 4 صفحة 493 .

(215) نفس المصدر : صفحة 488 .

(216) ابن خلدون : ج 4 صفحة 126 .

(217) جغرافية المامون ورقة 197 ، الطغئندى : ج 5 ص 164 ،

Conde : Op. Cit. Vol. I. P. 291.

(218) ابن عبد ربه : ج 4 ص 494 .

في الوقت الذي نعم فيه امراء سجلماسة بالامن والهدوء في عهد ميمون الامير واليسع المنتصر ، حتى ادى ذلك الى أن يعتبر المؤرخون الامير الاندلسي صاحب سيادة فعلية على امراء سجلماسة . يقول ابن عذارى (219) « . . وكان الامير محمد مأمولا محبوبا في جميع البلدان ، وكان محمد بن افلح صاحب تاهرت لا يقدم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته الا عن رايه وأمره ، وكذلك بنو مدرار بسجلماسة » ، كما يضيف ابن الخطيب (220) « . . وخدمته ملوك البلاد المغربية واعترفت بطاعته بتاهرت وسجلماسة » . ولا شك أن هذا القول ينطوى على مبالغة لا سند لها من الواقع ، فليس ثمة ما يشكك في الاستقلال التام الذي تمتعت به دولتي بنى مدرار وبنى رستم .

كان من البديهي أن تتوطد صلوات المودة والصداقة هذه وتزداد رسوخا بظهور الخطر الشيعي في بلاد المغرب وتطلعهم الى الاندلس اذ اهتم أمويو الاندلس بمتابعة أخبار الدعوة الفاطمية عن طريق أصدقائهم فسي سجلماسة وتاهرت ، وخاصة بعد الانتصارات المتوالية التي أحرزها داعيتهم أبو عبد الله الشيعي على دولة الاغالبة (221) . ولا شك أن بنى مدرار ارتاعوا بدورهم لهذا الخطر ، ومن المحتمل أن يكونوا قد بذلوا جهودا للاشتراك مع أموي الاندلس في مجابهته . لكن هذه الجهود لم تسفر عن شيء ، فقد سقطت دولة بنى مدرار سنة 297 هـ ( 909 م ) في يد الشيعة دون أن يحرك أمير الاندلس ساكنا ، ولم تقم قرطبة بجهود المناوئة الفاطميين في المغرب الا في عهد عبد الرحمن الناصر (222) . وهكذا لم تتمخض صلوات الود والصداقة بين سجلماسة وقرطبة عن نتائج سياسية ذات بال .

والخلاصة أن علاقات بنى مدرار الخارجية تأثرت بظروفها السياسية ومصالحها الاقتصادية وطبيعتها الجغرافية ومذهبها الديني .

(219) البيان المغرب ج 1 صفحة 116 .

(220) أعمال الاعلام ج 2 صفحة 22 .

(221) ابن عذارى : ج 1 ص 150 ، محمود مكي : التشيع في الاندلس ص 111 .

(222) عول الناصر على مناهضة الفاطميين في بلاد المغرب لشغلهم عن التفكير في غزو الاندلس واستطاع بالفعل أن يستحوذ على بعض معاتل العدو كسبته ووطنجة . ولعل حرص الحكم المنتصر من بعده على معرفة طبيعة بلاد المغرب واحوال سكانها كان تمهيدا لد نفوذه فيها واتصاء الفاطميين عنها . انظر : مجهول : اخبار مجموعة ص 155 ، الضبي : بغية المتتمس ص 131 .

## ثانياً :

### دولة بني رستم الاباضية

#### أ - قيام دولة بني رستم

يرتبط قيام دولة بني رستم بمؤسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسي الاباضى ، فاليه يعزى الفضل فى تأسيس دولة للخوارج الاباضية كان حكمها فى أسرته من بعده . وليس غريباً أن يرضخ بربر المغرب الاوسط لزعامه امام من غير البربر ، فان كافة الدول التى قامت ببلاد المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية اعتمدت على شخصيات من غير البربر تمتعت بمنزلة دينية خاصة (223) فى معظم الاحيان .

وغنى عن الذكر ان المصادر جميعاً تتفق على انتماء عبد الرحمن بن رستم الى الفرس ، وتجمع على نسبته لطبقة الحكام الاكاسرة ، لكنها تختلف فى التفاصيل . فابن خلدون (224) يذكر أنه « من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية » والبكرى (225) ينسبه الى « سابور ذى الاكتاف الملك

---

(223) ينطبق هذا القول على دول بني مدرار وبني رستم والادارسة والاغالبة والناطميين وكذلك امارة برغواطية .

(224) المبرج 6 ص 121 . وهى رواية خاطئة لان رستم هذا قتل سنة 16 هـ ، وتوفى عبد الرحمن سنة 168 هـ ليكون قد عمر اكثر من مائة وخمسين عاماً .

(225) المغرب : صفحة 67 .

الفارنسى « ، بينما ترجح تواريخ الخوارج (226) صلته « بكبرى انو  
شروان ملك الفرس » .

وتضطرب تواريخ الاباضية حين تتحدث عن نشأة عبد الرحمن وتورد  
من الروايات ما يشير الى ان امر المغرب سيؤول الى الفرس (227) ،  
وتصور رستم والد عبد الرحمن على انه كان يدرك هذه النبوءة التى سوف  
تتحقق على يد ذريته ، فانتقل الى العراق ومنها الى مكة على اهل الرحيل  
الى المغرب لتحقيق نبوءته . ورواية ابن عذارى (228) عن نشأة رستم  
وابنه عبد الرحمن بالحجاز اكثر قبولا ، فهو يذكر ان بهراما والد رستم  
كان من موالى عثمان بن عفان ، ولما مات رستم والد عبد الرحمن تزوجت  
امه من احد الحجاج المغاربة الذى اصطحبه معها الى بلاد المغرب .  
والراجع ان وصول عبد الرحمن الى المغرب حدث فى اواخر القرن الاول  
الهجرى (229) ، فنعلم انه كان شابا يافعا عند ما قدم سلمة بن سعيد  
يدعو للمذهب الاباضى فى بلاد المغرب ، ويخبرنا الشماخى (230) عن لقاء  
عبد الرحمن بسلمة وشغفه بتعاليمه « وتعلق قوله بقلبه » .

ثم توجه عبد الرحمن بن رستم الى البصرة وانضم الى اخوانه  
المغاربة فى حلقة ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة سنة 135 هـ ( 752 م ) ،  
حيث قضى خمس سنوات فى حضرته يتلقى اصول المذهب وفروعه ويعد  
مع اخوانه « حملة العلم المغاربة » مع مشايخ المذهب فى البصرة لاتامة  
« امامة الظهور » عقب عودتهم الى بلاد المغرب .

ولما عادت بعثة المغاربة الى المغرب سنة 140 هـ ( 757 م ) وتولى  
ابو الخطاب المعافرى الامامة ، اختار عبد الرحمن بن رستم قاضيا على  
طرابلس (231) . وعند ما اتقى ابو الخطاب الصفريه عن القيروان  
ودخلها سنة 141 هـ ( 758 م ) تولى عبد الرحمن بن رستم حكمها نيابة

- 
- (226) ابو زكريا : ورقة 5 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 9 ، الشماخى : السير ص 138 .  
(227) تفيض هذه المصادر بذكر احاديث منتحلة ومائورات عن كبار الصحابة — مشكوك فيها —  
تبين فضائل الفرس وعظيم شمائلهم وفضلهم على الاسلام ، وتنبئ عن قيامهم باعادته  
الى سيرته الاولى ، عن طريق اتامة دولة لهم فى بلاد المغرب . انظر : ابو زكريا :  
ورقة 2 ، 5 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 9 .  
(228) البيسان المغرب : ج 1 ص 277 .  
(229) ينفى هذا ما قاله ابن خلدون من ان عبد الرحمن قدم الى افريقية « مع طوالع الفتح »  
انظر : العبر : ج 6 ص 121 .  
(230) السير : صفحة 123 .  
(231) النفوسى : ج 2 صفحة 84 .

عنه (232) في حين توجه أبو الخطاب للاقتاة جيوش ابن الأشعث ، فكان عبد الرحمن لذلك « خليفة على افريقية » (233) .

وقد خرج عبد الرحمن بجيش القيروان لنجدة امامه حين دهمته جيوش ابن الأشعث ، لكنه توقف عند قابس عند ما وصلته انباء قتله وهزيمة جيوشه ، واضطر للعودة الى القيروان لثورة اهل قابس عليه ، لكنه أسرع بمبارحتها عند ما علم بثورة أهلها على نائبه فيها (234) . وتخطىء تواريخ الاباضية (235) حين تزعم أن عبد الرحمن بن حبيب استولى على القيروان اذ ذاك وانه ظفر بابن رستم وهم بقتله لولا شفاعاة بعض القيروانيين فيه ، فأطلقه ابن حبيب على أن يغادر القيروان توا ، لان هذه الاحداث وقعت سنة 144 هـ ( 761 م ) بينما قتل عبد الرحمن ابن حبيب سنة 137 هـ (236) ( 754 م ) ، وانتهى حكم أسرته بمقتل ابنه حبيب على أيدي الصفرية سنة 140 هـ (237) ( 757 م ) .

والمعتول ان يكون عبد الرحمن قد نزل القيروان في محاولة لجمع شمل الاباضية فيها ، ثم أسرع بمغادرتها لثورة أهلها على الاباضية من ناحية ولوصول ابن الأشعث وجيوشه اليها من ناحية أخرى (238) .

ويدهي أن يتجه عبد الرحمن الى المغرب الاوسط لاثذا بالقبائل الاباضية هناك . وكانت رحلته هذه شاقة وعسيرة ، اذ آثر المسير فسى الطريق الجنوبي المار بقسطيلية — وهو طريق وعر وطويل — الى أن وصل الى جبل سوفجج (239) فاتخذ منه ملاذا لمناعته (240) . ثم أخذت جموع الاباضية تفد اليه ، فقصده شيوخ المذهب ورؤسائه من طرابلس وما جاورها (241) ، كما توجه اليه علماء الاباضية واعلامهم من سائر

- 
- (232) ابن عذارى : ج 1 ص 277 ، ابن خلدون : ج 6 ص 111 .  
(233) البكري : صفحة 68 .  
(234) أبو زكريا : ورقة 10 ، النفوسى : ص 2 .  
(235) أبو زكريا : ورقة 10 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 16 ، النفوسى : ص 2 .  
(236) الرتيق : صفحة 124 .  
(237) نفس المصدر : ص 141 ، ابن عذارى : ج 1 ص 81 .  
(238) ابن عذارى : ج 1 صفحة 277 .  
(239) ذكر النفوسى أن هذا الجبل مجهول الموقع ، ويمتقد دبور انه هو نفس الجبل المعروف بسونليف الكائن بين مدينتى سلالة والسوقر . انظر : الازهار الرياضية ج 2 ص 3 ، المغرب الكبير . ج 3 ص 256 .  
(240) أبو زكريا : ورقة 11 .  
(241) نفس المصدر والصحيفة ، Gautier : Op. Cit. P. 301 .



اقليم المغرب (242) . وعول عبد الرحمن على جمع شمل اتباع المذهب بهدف استرداد نفوذه ، ولعل هذا ما حدا بمحمد ابن الاشعث الى اقتفاء اثره بقصد القضاء عليه قبل استفحال خطره . فتحصن عبد الرحمن بالجبل وخذق على نفسه (243) . وضرب ابن الاشعث وجيشه الحصار على ابن رستم ورجاله دون طائل ، فاضطر للعودة من حيث اتى بعد أن حل الوباء بجيشه ، وافنى كثيرين من رجاله (244) ، فضلا عن خوفه من تمرد أهل القيروان عليه ولما يكن قد وطد فيها سلطانه بعد (245) .

وبرحيل ابن الاشعث اتيح لابن رستم ومن معه من شيوخ المذهب واعلامه الاتصال باباضية المغرب الاوسط ، فغادر سوفجج الى تاهرت القديمة ، وكانت تنزل حولها قبائل من هواراة ولواتة ومكناسة ومزاتة ولماية واغلبها اباضية (246) ، وقد احسن ابن رستم الاختيار لنزوله في اقليم عامر بالخوارج الاباضية (247) . وبديهى أن ترحب هذه القبائل بمقدمه وخاصة اباضية لماية « لتقديم حلف بينه وبينهم » (248) أيام كان نائبا لابي الخطاب على افريقية ، فلم يعتمد ابن رستم اذن — كما زعم جوتيه (249) — على قبيلة زناتة .

على كل حال — اثمرت اتصالات ابن رستم باباضية المغرب الاوسط ، فأزروه في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة 151 هـ ( 768 م ) ، وكانت هزيمتهم في تهودة في نفس العام سببا في اقتناعهم بضرورة تأسيس دولة تلم شمل اباضية المغرب ، وانشاء مدينة تكون قسبة للدولة ومركزا للمذهب .

وقد تريت الاباضية في اختيار موضع مدينتهم ، وحرصوا على اقامتها « في مكان جيد الهواء ، كثير المياه ، خصب الارض ، قابل للعمارة ، مأمون من العدو » (250) . وطفق الرواد يجوبون اطراف الاقليم بحثا عن

(242) النفوسى : صفحة 3 .

(243) نفس المصدر والصحيفة .

(244) أبو زكريا ، ورقة 11 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 17 .

(245) النفوسى : صفحة 3 .

(246) نفس المصدر : ص 4 ،

Mercier : Histoire de l'établissement des Arabes ... P. 79.

(247) ابن خلدون : ج 6 ص 121 ، مارسيه : مادة بنى رستم — دائرة المعارف الإسلامية : صفحة 92 .

(248) ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة .

(249) انظر : Les Siecles obscurs. P. 312.

(250) النفوسى : صفحة 6 .

الموضع المختار ، واجمعت آراؤهم على استحسان موضع تاهرت (251) . وكان هذا الموضع في مكان مسطح مرتفع (252) ، فهو ملائم ليكون مكانا لعاصمة « امثال هؤلاء السكان الجبليين » (253) ، فضلا عن ملاءمته للرعى ، فهو بمثابة « منتجع صيفى للقبائل الرعوية في شمالي الصحراء » (254) ، هذا بالاضافة لوقوعه « في قلب ديار الاباضية ومنازلهم » (255) ، « ووقوعه بين نهر يأتى من الجنوب يسمى مينة وآخر ينبع من عيون ويشق مجراه الى أن يصب في وادى شلف » (256) . فهذا المكان اذن غيضة بين ثلاثة انهار (257) ، توجه انظارها نحو الداخل وتولى ظهرها للبحر الذى تبعد عنه بمسيرة ثلاث مراحل (258) .

ولهذه الميزات الفريدة ساوم الاباضية سكان موضع تاهرت من بربر صنهاجة (259) على بيعه فأبوا ، لكنهم سلموه اليهم على أن يستصلحوه ويكون لهم نصيب من خراجه . ثم أخذ الاباضية في تأسيس المدينة ، فشرعوا في ازالة الآجام وحرق الاشجار تمهيدا لاختطاطها (260) . وقد استعانوا بالاموال التى كانت ترد اليهم من اباضية طرابلس في اختطاط المدينة وتعميرها (261) . ثم بادروا باختطاط تاهرت سنة 161 هـ (262) ( 777 م ) ، وبدأوا ببناء المسجد الجامع ، فأقاموه على أربع بلاطات (263) في المكان الذى خصصوه لصلاتهم عند ما كانوا يزيلون الأشجار ويمهدون الارض (264) . وتلى ذلك بناء القصور والبيوت (265) والاسواق

- (251) أبو زكريا : ورقة 13 ، الشماخى : السير : ص 139 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 9 .  
(252) الشماخى : صفحة 146 .  
Bernard : Op. Cit. P. 134. (253)  
Farouhy : Apersian dunasty in noth Africa P. 14. (254)  
ibid. P. 12 (255)  
(256) البكرى : ص 66 ، 67 ، ابن خلدون : ج 6 ص 121 .  
(257) ابن مغازى : ج 1 صفحة 277 .  
(258) اليعقوبى ، البلدان : ص 358 ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ص 375 .  
(259) البكرى : صفحة 68 .  
(260) أبو زكريا : ورقة 13 .  
(261) نفس المصدر ورقة 11 .  
(262) ابن مغازى : ج 1 ص 277 . وهى رواية أكثر دقة من رواية ابن خلدون ومن أخذ منه حيث يجعل تأسيس تاهرت سنة 144 هـ . انظر : المعبر : ج 6 ص 121 ، السلأوى : ج 1 ص 115 .  
(263) ابن مغازى : ج 1 صفحة 277 .  
(264) أبو زكريا : ورقة 13 ، الشماخى : السير ص 139 ، النفوسى : ص 8 .  
(265) الدرجيني : ج 1 ورقة 19 ، الشماخى : السير ص 139 .

والحميات والفنادق (266) . ويبدو أن نزاعا نشب بين الإباضية وبين بربر صنهاجة آنذاك ، فيخبرنا البكري (267) « أنهم كانوا يبنون النهار ، فإذا جن الليل وأصبحوا ، وجدوا بنيانهم قد تهدم » . والراجح أن الإباضية ردعوهم بالقوة وأجلوهم عن المكان برمته حتى قال ابن رستم « هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدا » (268) . وبديهي أن يهتموا بتحسين المدينة وحماتها ، فأقاموا سورا حولها (269) جعلوا له أبوابا أربعة (270) ، وأصبحت المدينة الجديدة في مأمن من أعدائها ، ولا غرو فقد أطلق عليها « معسكر عبد الرحمن بن رستم (271) وقيل « المعسكر المبارك » (272) . وأضحيت تاهرت على اثر ذلك حاضرة للدولة ، وقصبة لعديد من المدن والقرى والقلاع والحصون التابعة لها (273) .

بادر رؤساء الإباضية ومشايخهم باختيار امام بعد اختطاط تاهرت حتى تستكمل دولتهم طابعها السياسى وتبلغ امامتهم « مرحلة الظهور » . والواقع أن ثمة خلاف بين المؤرخين حول توقيت مبايعة ابن رستم بالامامة ، وهذا الخلاف يدور حول ما اذا كانت المبايعة قد تمت على اثر مقتل أبى الخطاب ونزول عبد الرحمن بن رستم على أباضية المغرب الاوسط ، أو أن ذلك لم يحدث الا بعد اختطاط تاهرت يقول البكري (274) « بعد أن هرب عبد الرحمن بأهله وما خف من ماله وترك القيروان اجتمعت اليه الإباضية واتفقوا على تقديمه » . ويقول ابن خلدون (275) « لحق عبد الرحمن بن رستم بأباضية المغرب الاوسط من البرابرة ونزل على لمائة . . فاجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة » . أما النفوسى (276) فيذهب الى « أن علماء المذهب بعد انشاء المدينة تداولوا وقالوا : قد علم ما حل بنا من الشتات والافتراق

- 
- (266) البكري : صفحة 68 .  
(267) المغرب : صفحة 67 .  
(268) نفس المصدر صفحة 68 .  
(269) النفوسى صفحة 8 .  
(270) هـ : باب الصبا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن . راجع البكري : ص 66 .  
(271) نفس المصدر : صفحة 68 .  
(272) أبو زكريا : ورقة 14 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 21 ، ياقوت : ج 1 ص 816 .  
(273) من هذه المدن والقلاع يمه وتاغليه وهزارة ومنداس وسوق ابراهيم وجبل تجان وشلف والبطحة والزيتونة والخضراء وتنس وتامزيت وفكان وغيرها . انظر : المقدسى : احسن التقاسيم ص 219 .  
(274) المغرب صفحة 68 .  
(275) المبرج ج 6 صفحة 121 .  
(276) الازهار الرياضية ج 3 ص 83 .

بعد وفاة امامينا ( يقصد أبا الخطاب وأبا حاتم ) ومبارحتنا طرابلس ، وقد  
أجمعنا على اختيار مكان غيرها يليق بمنصب الامامة ويكون ملجأ للاسلام .  
وإذا رزقنا بهذا المكان وتم تحصينه على حسب المرام وجب نصب  
امام (277) »

وفي تقديرى أن عبد الرحمن بن رستم بويح بالامامة مرتين : الاولى  
على اثر موت أبى الخطاب سنة 144 هـ ( 761 م ) ونزوله على اباضية  
المغرب الاوسط . والثانية سنة 162 هـ ( 779 م ) بعد تأسيس تاهرت .  
كانت مبايعته الاولى على أنه « امام دفاع » نظرا لما تعرض له الاباضية  
من بطش على يد جيوش ابن الاشعث ولا ينفى هذا ما حدث من مبايعة  
اباضية طرابلس لابي حاتم الملزوزى فى ذات الوقت بامامة الدفاع (278) ،  
ففقها الاباضية يجوز وجود امامين فى وقت واحد « اذا وجد بينهما عدو  
يخشى بأسه ، أو لبعده المسافة » (279) . فلا غرابة فى وجود امامين  
للاباضية أحدهما فى المغرب الادنى والآخر فى المغرب الاوسط وفى ضوء  
ذلك يمكن تفسير ارسال أبى حاتم الاموال لابن رستم لتكون له عوناً على  
بدء « امامة الظهور » (280) . فلما استتب الامر لاباضية المغرب الاوسط  
بعد انشاء تاهرت وتحصينها سنة 161 هـ ( 778 م ) ، لم يكن هناك ما  
يحول دون تجديدهم مبايعة عبد الرحمن بن رستم « لامامة الظهور » سنة  
162 هـ ( 779 م ) وخاصة بعد نزوح كثير من اباضية المغرب الادنى الى  
تاهرت ليعيشوا فى كنف الامامة الجديدة بعد مقتل أبى حاتم الملزوزى  
« امام الدفاع فى طرابلس » (281) .

أجمع مشايخ الاباضية اذن على اختيار عبد الرحمن (282) « لدينه  
وسابقته ومكانه وغير ذلك من حميد الصفات » (283) وحسبه انه كان

- (277) وقد اختلفت آراء المحدثين لهذا السبب وتضاربت مذكروا أن المبايعة تمت قبل انشاء  
المدينة ، ثم ذكروا فى مواضع أخرى أنها حدثت بعد تأسيسها . انظر : سعد زقلول  
عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ص 380 ، 383 ، السيد عبد العزيز سالم :  
المغرب الكبير ص 542 ، 545 .  
(278) البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 88 .  
(279) أطلش : الامكان ص 107 ، 108 .  
(280) أبو زكريا : ورقة 11 .  
(281) نفس المصدر ورقة 13 ، انظر : مقدمة تاريخ ابن الصغير Motylinski : P. 5 .  
(282) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسى : ص 83 .  
(283) الدرجينى : ج 1 ورقة 19 . وقد رأى الاباضية الشروط المتعارف عليها فى اختيار  
الائمة وهى « العلم والعدالة والكناية وسلامة الحواس والامضاء » دون اشتراط  
الاصل القرشى كما هو شأن اهل السنة . انظر : ابن خلدون ، المقدمة ج 2 ص 522 .

« أحد حملة العلم الخمسة » الى المغرب ، وعامل ابي الخطاب على افريقية (284) فضلا عن أنه « ليس له من قبيلة تمنعه اذا تغير أو تبدل » (285) ، ومن ثم ارتضته القبائل لتتحاسى تسلط احداها عليها اذا ما حظى رئيسها بالامامة (286) .

وقبل عبد الرحمن بن رستم الامامة سنة 162 هـ (287) ( 779 م ) « على سنة الله ورسوله وآثار الخلفاء الراشدين » (288) بعد أن عاهده رؤساء المذهب « على الطاعة فيما وافق الحق وطابقه » (289) ، وأصبح أول ائمة الدولة الرستمية التي اشتهرت اسمها من اسمه .

وشرع عبد الرحمن بعد بيعته في العمل على توطيد حكمه وارساء دعائم دولته ، ومواجهة المشاكل المصاحبة لقيام الدول سواء فيما يتعلق بسياستها الخارجية أو الداخلية وجدير بالذكر أنه كرس جهوده لمواجهة الاعباء الداخلية ملتزما بسياسة المهادنة في الخارج ، فقد حرص على موادعة عمال بنى العباس في افريقية (290) — كما أصهر الى اليسع بن أبي القاسم رغبة في مسالمة بنى مدرار (291) .

ولما اطمأن الى سلامة دولته من الاخطار الخارجية شرع في ارساء دعائمها . وكان عليه أن يبسط نفوذه على سائر القبائل داخل حدودها ويستكمل انشاء عاصمتها ويرسي نظمها في الحكم والادارة .

والواقع أنه كان بحاجة الى الاموال ليستعين بها على مواجهة تلك المهام فضلا عن تعبئة الجند وشراء الاسلحة واسترضاء الاتباع (292) . ويخيل الينا أنه استعان باباضية المشرق في هذا الصدد ، وبديهى أن يخفوا لغونه وشد أزره لتحقيق آمالهم في اقامة دولة اباضية كبرى (293).

(284) الدرجيني : ج 1 ورقة 19 .

(285) ابن الصغير : ص 6 ، أبو زكريا : ورقة 9 ، الشماخي : السير ص 140 ، Masqueray : Op. Cit P. 58, Farouhy : Op. Cit. P. 139.

(286) ابن الصغير : ص 9 .

(287) ليس صحيحا ما أورده بعض مؤرخي الاباضية من رفض عبد الرحمن بن رستم الامامة سنة 140 هـ قبل أن تعرض على ابي الخطاب المعامري . انظر : الشماخي : السير

ص 140 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 19 .

(288) الشماخي : السير ص 140 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 19 .

(289) ابن الصغير : ص 9 ، النفوسى ص 84 .

(290) النفوسى : صفحة 93 .

(291) نفس المصدر والصحيحة .

(292) النفوسى : صفحة 86 .

(293) ابن الصغير : ص 10 .

فبادروا بانفاذ بعثه محملة بالاموال الى تاهرت (294) وتفيض مصادر الاباضية (295) بمزيد من التفصيلات حول بعثة المشاركة في تاهرت ، واعجابهم بحكم الامام عبد الرحمن وما هو عليه من زهد وعدل وورع وتسليمهم الاموال له ، وحرصه على استشارة اهل الراى فى كيفية توزيعها وانفاذها ، وتلبيته مشورتهم بأن تنفق فى ثلاثة اوجه « ثلثا فى الكراع وثلثا فى السلاح وثلثا توزع فى فقراء المسلمين وضعفائهم » .

واستطاع عبد الرحمن بهذه الاموال تسليح رجاله من الاباضية ، وتمكن بفضلهم من بسط سيادة الدولة على سائر قبائل البربر الضاربة داخل حدودها ، وانضوت كافة الجماعات داخل تاهرت وخارجها تحت لواء المذهب الاباضى فى شكل ائتلاف شمل البربر وما عداهم من العناصر الاخرى (296) .

وفضلا عن ذلك فقد اولى عبد الرحمن النواحي الاقتصادية والعمرائية اهتماما كبيرا ، وتذكر المصادر جهوده فى غرس البساتين وشق القنوات واثامة المطاحن عليها (297) . كما زاد فى تعمير تاهرت واقام الفنادق والمباني الخاصة للتجار ورتب الاسواق ونسقها ، ونظم الاحتساب عليها ، فقصدها التجار من سائر ارجاء العالم الاسلامى وخاصة من فارس والعراق والقيروان وسجل مائة (298) فضلا عن بلاد السودان (299) . وقد اسهم هذا الازدهار الاقتصادى فى تدعيم الدولة الرستمية ، وليس ادل على انتعاش احوال الامامة فى ذلك الحين من رفض عبد الرحمن معونة اخرى بعثها اليه اباضية المشرق (300) ، الذين ابتهجوا لاستقرار الامامة واشتداد ساعدها فاعترفوا بها « ووصلوا الامام بكتبهم ووصاياهم » (301) .

---

(294) يذكر فروخى ان هذه الاموال بعثها خوارج فارس والبحرين ، بينما تروى المصادر الاباضية انها من لدن خوارج البصرة . وليس من المستبعد ان يكون اباضية فارس والبحرين قد بعثوا بهذه الاموال الى البصرة حيث يوجد مشايخ المذهب الذين ارسلوها بدورهم الى بلاد المغرب . انظر : ابو زكريا : ورقة 14 ،

Farougy : Op. Cit. P. 14.

(295) انظر : ابو زكريا : ورقة 14 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 20 ، الشماخى : السمر ص 140 ، 141 ، النوسى : ص 86 ، 87 .

(296) ابن الصفيير : ص 12 ، النوسى : ص 88 ،

Smith : The Ibadites. P. 279.

(297) نفس المصادر والصفحات .

(298) ابن الصفيير : صفحة 16 ، Farougy : Op. Cit. P. 14.

(299) نفس المصدر : ص 13 .

(300) نفس المصدر ص 14 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 21 .

(301) النوسى ص 87 ، Julien : Op. Cit. P. 333 .

وعكف عبد الرحمن على تنظيم دولته وتوطيد سلطانه ، ولا شك أنه استفاد من عبقرية الفرس في الحكم والادارة ، ومع ذلك فقد غلب الطابع الدينى المذهبى على ما اتخذه من اجراءات في هذا الصدد فكانت نظم الادارة والقضاء والشرطة والاحتساب وادارة بيت المال ونظم الجباية والصدقات كلها تسير وفقا لتعاليم المذهب الاباضى (302) ، مع مراعاة ظروف السكان باعتبار غالبيتهم من البدو الرحل (303) .

وبذلك استطاع ابن رستم أن يرسى قواعد الدولة ويضع نظمها الادارية (304) والمالية (305) ويكسبها « رونق الملك » (306) وحسبه نجاحا قدرته على التصدى للمشاكل الداخلية والخارجية الكثيرة التى واجهته . فيفضل سياسته في مهادنة القيروان وسجلماسة ، وبفضل قدرته على ايلاف العناصر والعصبيات المختلفة داخل الدولة « لم ينقم عليه احد في خصومة ولا حكومة » (307) « ولم يكن على يديه افتراق » (308) .

ولكى يضمن استمرار الاستقرار لدولته اوصى قبل وفاته (309) بتعيين مجلس شورى يختار امام الدولة من بين أعضائه .

وهكذا نجح عبد الرحمن بن رستم في اقامة دولة اباضية في تاهرت وتتويج ثورات الخوارج الاباضية في بلاد المغرب بتأسيس أسرة حاكمة ضمت معظم اقاليم المغربيين الادنى والاوسط ، ظل أئمتها يتناوبون حكمها قرابة قرن وربع قرن من الزمان .

(302) ابن الصنير : صفحة 16 .

Gautier : Op. Cit. P. 300.

(303) مجهول : الاستبصار : صفحة 179 ،

(304) اليعقوبى : البلدان : صفحة 149 .

(305) ابن الصنير : صفحة 16 .

(306) النسوى : صفحة 90 .

(307) الشماخى : صفحة 140 .

(308) أبو زكريا : ورقة 14 .

(309) اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته ، فذكر بعضهم أنه توفي بعد سنتين من امامته أى سنة 164 هـ انظر : اطييش : بعض تواريخ أهل وادي ميزاب : ص 101 .  
بينما ذكر ابن عذارى أنه مات سنة 168 هـ انظر : البيان المغرب ج 1 ص 277 .  
والراجع ما أورده النسوى من أن وفاته وقعت سنة 171 هـ انظر : الأزهار الرياضية : ج 2 صفحة 99 .

## ب - سياسة بني رستم الداخلية

اضطربت احوال الدولة الرستمية بعد عبد الرحمن بن رستم فامتلات بالفتن السياسية والانشقاقات المذهبية والصراع العنصرى حدا بالمؤرخ جوليان (310) الى القول بأن تاريخ تاهرت لم يكن سلسلة من القلاقل والخلافات الداخلية . والواقع ان تلك الظاهرة اكثر بروزا ووضوحا فى الدولة الرستمية اكثر منها فى اية دولة اخرى دول المغرب المعاصرة لها . حقيقة ان هذه الاضطرابات رغم كثرتها لى سقوط الاسرة الحاكمة فى تاهرت لكنها على كل حال فتت فى عهد وأوهنت من نفوذها فى كثير من اقاليمها وخاصة الاجزاء الشرقية منها لم تمارس عليها سوى مجرد تبعية اسمية ، بل كثيرا ما انسلخ عن تاهرت بعض هذه الجهات مثل جبل نفوسة ونفزاوة وجربة وطرابلس و . . . . .

ونعتقد ان هذه الاضطرابات يرجع بعضها الى اسباب فقهية مخ بينما يعزى بعضها الآخر الى عوامل عنصرية او قبلية او طائفية . و ان معظم القلاقل الداخلية فى عهد الائمة الثلاثة الاول اتخذت فى الاعم طابع الانشقاق المذهبى فى حين وضع الطابع العنصرى القبلى سائر الحركات التى قامت فى عهد الامامين الرابع والخامس ، بينما عهدى الامامين الاخيرين بالصراع على الحكم بين افراد البيت الرستمي فضلا عن ظهور الطوائف المذهبية غير الاباضية كعامل جديد فى الصراعات . ولم تخل هذه الاضطرابات السياسية - فى كثير من الاحياء من وجود مؤثرات خارجية . وعلى ذلك يمكن التمييز بين ادوار ثا واضحة فى مسار التطور السياسى الداخلى لدولة بني رستم، كان الدور



فيها — ويشمل عهدي عبد الوهاب بن رستم وأبنة أفلح — يمثل سطوة الامامة وقوتها ، وقدرتها على احباط كافة الحركات المناوئة ذات الطابع المذهبي سواء بالقوة كما فعل الامام عبد الوهاب او عن طريق السياسة كما فعل أفلح بن عبد الوهاب .

اما الدور الثاني ، فيشمل عهدي ابي بكر بن أفلح وأخيه ابي اليقظان محمد ، وهو يمثل الصراع العنصرى والقبلى ، وفيه خفت صوت الامامة ووهنت قوتها ، ونجحت بعض العناصر فى اغتصاب السلطة فى تاهرت ، ولم يستردها البيت الرستمي الا بتعضيد عناصر اخرى . ولم يحل دون سقوط الامامة سوى ضعف العصبية من جراء الصراع بينها ، واسلوب الملاينة والموازنة الذى اتبعه ابو اليقظان محمد فى موقفه من هذه العصبية .

ويتسم الدور الاخير من الحكم الرستمي — ويشمل امامتى ابي حاتم يوسف بن محمد واليقظان بن ابي اليقظان — بتداعى الامامة واضمحلالها وتحكم عامة تاهرت فى تعيين الائمة وعزلهم ، وطمع الطوائف والفرق غير الاباضية فى تقلدها انهاء للحكم الرستمي الاباضى ، وانقسام الصلة بين عاصمة الدولة واقليمها الشرقية . كما زادت الحالة سوءا بتفاقم الخلافات داخل البيت الرستمي وتدبيرهم المؤامرات والاغتيالات ضد بعضهم البعض لتسليم الحكم . وقد تضاعفت هذه العوامل جميعا على سقوط دولة بنى رستم سنة 297 هـ ( 909 م ) .

وفيما يلى تفصيل دراسة هذه الاطوار الثلاثة فى سياسة بنى رستم الداخلية .

الدور الاول ( 171 — 258 هـ ) ( 788 — 873 م ) .

### الانشاقات المذهبية :

تم اختيار عبد الرحمن بن رستم للامامة سنة 162 هـ ( 779 م ) وفقا لمبايعة اهل الحل والعقد واجماع كافة مشايخ القبائل ، كما كانت سياسته الادارية والمالية تقوم على المساواة وعدم التعصب لعصبية دون سواها . وبالاجمال كانت امامته متمشية مع تعاليم المذهب الاباضى ، الامر الذى هيا لحكمه الثبات والاستقرار . على ان الخروج عن هذه السياسة فى عهد ابنة عبد الوهاب ( 171 — 208 هـ ) ( 788 — 824 م ) وحفيده أفلح ( 208 — 258 هـ ) ( 788 — 873 م ) سبب الاضطرابات والقتال التى حفل بها حكميهما .

فقد تحولت الامامة عن مبدأ الاختيار الى فكرة التنصيب بالتوريث (311) كما ظهرت سياسة الميل لعناصر دون سواها وتمكينها من الاستئثار بمراكز الدولة ووظائفها ، مما شكل خروجاً عن تعاليم المذهب الإباضي ، وتمزقاً للوثاق الذي ربط بين عناصر وعصبية شتى ، ونجم عن ذلك انفراط العقد الذي جمع هذه القوى جميعاً لتبرز حزازاتها في شكل حركات وثورات على الائمة اتخذت في أغلبها طابع الانشقاق المذهبي (312) .

وكانت أولى هذه الثورات وأخطرها حركة يزيد بن فندين وجماعته التي عرفت « بالنكار » (313) . وتكمن الدوافع الأساسية لثورة ابن فندين في رفض امامة عبد الوهاب لعدم اعترافه بجماعة المشورة — التي اقترح ابن فندين استرشاد الامام برأيها (314) — ولأن جماعة المذهب لم يجمعوا على امامته لذلك (315) ، ولأن في جماعة الإباضية من ييز عبد الوهاب علماً (316) ، ومن ثم يصبح مفتصباً للامامة يضاف الى ذلك نقيته على سياسة عبد الوهاب الادارية ومحاباته لبعض العناصر والقبائل واختصاصهم بمناصب الدولة دون غيرهم (317) ، وبالذات نفوسة (318) والعجم (319) .

وقد نجح ابن فندين في استمالة العديد من الانصار (320) ، ونحى بهم خارج المدينة حيث تاهبوا لقتال عبد الوهاب وجماعته (321) . ويبدو أن القتال نشب بين الجماعتين بالفعل ، وأن الدائرة دارت على عبد

- (311) ابن الصغير : صفحة 16 ، 20 .  
(312) انظر : ابن الصغير : المقدمة : صفحة 6 .  
(313) انظر : السوسى : شرح السؤالات ورقة 99 ، 115 مخطوط . وعرفوا أيضا «بالنجوية» لانهم اكثروا الاجتباع والنجوى ، كما اطلق عليهم أعداؤهم أسماء أخرى ، نعرفوا « بالشعبية » لادخالهم الشعب والفرقة في المذهب ، وقيل « الشغبية » لاحداثهم الشغب ، كما دعوا « بالنكاث » لنكثهم ببيعة عبد الوهاب . انظر : أبو زكريا : ورقة 16 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 23 .  
(314) الدرجيني : ج 1 ورقة 22 ، النفوسى : ص 102 .  
(315) ابن الصغير : ص 18 . والاجماع من شروط صحة الامامة عند فقهاء الإباضية ، كما هو الحال عند أهل السنة . انظر : الشماخى : شرح مقدمة أصول الفقه ورقة 64 — مخطوط ، الماوردى : الاحكام السلطانية : ص 5 .  
(316) أبو زكريا : ورقة 15 .  
(317) الشماخى : السير : صفحة 146 .  
(318) ابن الصغير : صفحة 22 .  
(319) النفوسى : صفحة 114 .  
(320) الدرجيني : ج 1 ورقة 22 .  
(321) عرف انصار عبد الوهاب « بالوهبية » كما يذهب ابن الصغير وليس كما يعتقد البرادى بأنهم ينسبون الى عبد الله بن وهب الراسبى . انظر : سيرة الائمة الرستبيين ص 16 ، الجواهر المنتقاة ورقة 89 .

الوهاب ، يفهم هذا من رواية للنفوسى (322) يقول فيها « أن الامام اضطر الى طلب الهدنة ووضع أوزار الحرب حثنا للدماء الى أن يكتبوا لأخوانهم المشاركة بايضاح القضية » . وقبول ابن فندين مبدا تحكيم فقهاء المذهب في الشرق في تضية الامامة (323) ، مما يؤكد ايمانه بعدالة موقفه وشرعيته ، ومما يدحض دعوى المصادر الاباضية في أنه ثار لاسباب شخصية صرفة (324) .

على كل حال — يذهب مؤرخو الاباضية الى ان شيوخ المذهب فى مصر — وعلى رأسهم شعيب بن المعرف — أفتوا في صالح عبد الوهاب فثالوا « الامامة تامة والشرط باطل » (325) . وكذلك جماعة فقهاء المذهب في مكة ورئيسهم الربيع بن حبيب (326) الذين بعثوا جوابهم (327) الى عبد الوهاب وابن فندين حيث أفتوا « بأن الامامة صحيحة والشرط باطل » وأنه « يجوز تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو أعلم منه » (328) .

ويخيل لي ان فتوى المشاركة كانت في صالح ابن فندين بدليل وصول فقهاء مصر ورئيسهم شعيب بن المعرف وانضمامهم الى ابن فندين في الثورة على عبد الوهاب (329) ، ثم ورود عبارة عند الشماخى (330) توضح أن « المشاركة عابوا على عبد الوهاب أشياء وأمروه أن يرجع عنها » وكذلك ضعف الرواية الاباضية الوهية التي تصور تراث الربيع وأخوانه في اصدار فتواهم ريثما يجتهدوا (331) ويتباحثوا في مسألة تعد من بديهيات الفقه

(322) الازهار الرياضية : ج 2 ص 106 .

(323) أبو زكريا : ورقة 15 ، الشماخى : السير ص 146 .

(324) تزعم هذه المصادر أن ابن فندين تام بالثورة لأن الامام عبد الوهاب لم يختره لتولسى احد المناصب العامة « التي اخص بها أهل العلم والبصيرة في الدين » . انظر : أبو زكريا : ورقة 15 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 22 .

(325) الشماخى : السير : صفحة 147 .

(326) تقلد الربيع زعامة المذهب في الشرق بعد موت أبى عبدة مسلم بن أبى كريمة . وقد عرف بتعمقه في الاصول والفروع وتبحره في مسائل الامامة والولاية والبراءة وفنا للقرآن والسنة . انظر : الدرجينى : ج 1 ورقة 116 . الوردلانى : الدليل لاهل العقول : ج 2 ص 75 .

(327) انظر : الملحق رقم (4) .

(328) من المعروف أن الشريعة الاسلامية تجيز امامة المفضلون اذا لم يكن مقصرا في شروط الامامة مع وجود الامثل ، وكذلك يجوز الفقه الاباضى امامة المفضلون اذا كان على شيء « من الغناة والفضل » . انظر : الماوردى : ص 8 ، أبو زكريا : ورقة 16 .

(329) الدرجينى : ج 1 ورقة 16 .

(330) السير : صفحة 147 .

(331) أبو زكريا : ورقة 15 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 22 ، النفوسى : ص 106 .

الإباضي . ومهما كان الامر فان ما تذكره المصادر الإباضية (332) من أن شعيب بن المعرف « خرج من مصر في نفر من أصحابه بغير مشورة من مشايخ مصر طمعا في الإمارة » أمر مبالغ فيه ، والاقرب للتصديق أنه توجه لنصح عبد الوهاب وانهاء الخلاف في تاهرت ، فلما لم يجبه انضم الى ابن فنديين وخرجت جموع النكار الى الجبال المحيطة بتاهرت واستقروا في كدية عرفت « بكدية النكار » . أما الرواية المتواترة (333) التي توردها هذه المصادر عن تدبير النكار مؤامرة اغتيال عبد الوهاب فهي ذات طابع أسطوري بحت ، كما ان أسلوب الاغتيال كان مرفوضا عند الخوارج (334) .

على كل حال — تاهب الطرفان للقتال فكان النكار « يدخلون المدينة ويخرجون منها بالسلاح » (335) كما « أمر الامام رعيته وأصحابه بامسك السلاح » (336) وانتهاز النكار فرصة غياب عبد الوهاب عن تاهرت وبادروا بمهاجمتها والاستيلاء عليها ، ولما كانت المدينة محصنة ومسورة ، فقد اغلق الوهبة ابوابها ، ونجح افلح بن عبد الوهاب (337) بمن معه في صدهم ، ثم تتبعهم وهزمهم وقتل ابن فنديين وكثيرا من النكار ، ولادت فلولهم بالجبال واستقروا في كديتهم . أما شعيب بن المعرف فقد هرب الى طرابلس ، وأخذ يؤلب إباضيتها على الإمامة في تاهرت (338) .

ونشك أيضا فيما يروى من اغتيال النكار ميمون بن عبد الوهاب

- (332) انظر : ابو زكريا : ورقة 16 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 23 ، الشماخي : السير ص 147 ، النفوسى : ص 108 .  
(333) عن هذه الرواية الاسطورية انظر : ابو زكريا : ورقة 16 ، 17 الشماخي السير : ص 103 — 106 .  
(334) الثابت أن مبادئ الخوارج تنكر هذا الاسلوب وتحض على المواجهة العلنية للخصوم كما يتضح من مبادئ الاستعراض والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلام الخصوم وأخذ الحجة عليهم قبل قتالهم . الخ . وتلخص أن الخوارج في حروبهم — سواء في المشرق أو في المغرب — التزموا بهذه المبادئ وخاصة الإباضية منهم حتى بلغت مثاليتهم حد عدم تتبع المدبر وتحريم نهب الخصوم . الخ . وما حدث من تدبير اغتيال على بن أبي طالب كان حادثا فريدا له دوافعه الخاصة . انظر السوقي : شرح السؤالات ورقة 57 ، الاسرائيلى : التبصر في الدين : ص 28 .  
(335) الشماخي : السير : صفحة 148 .  
(336) الدرجيني : ج 1 ورقة 24 .  
(337) تحفل المصادر الإباضية بقصص روائية عن شجاعة افلح واستبساله في الزود عن المدينة . انظر : ابو زكريا : ورقة 18 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 25 ، النفوسى : صفحة 111 — 121 .  
(338) نفس المصادر والصفحات . وجددير بالذكر أن اختلاف انتهاء الإباضية حول موقف شعيب وانقسامهم بين مؤيد ومعارض مما يبرز الطابع المذهبي للحركة . وهذا شأن خلاصات الخوارج في الشرق أيضا . من هذه الخلاصات انظر : الشماخي : السير : صفحة 151 .

وتمثيلهم بجثته (339) ، فهذا الاسلوب غير مألوف عند الخوارج عموما — كما سبق القول — ولو صح قول البكرى (340) أن ميونا هذا كان ابنا لعبد الرحمن بن رستم وليس لعبد الوهاب ، لبطلت تلك الرواية من أساسها . واغلب الظن أن مؤرخى الاباضية الوهبية اصطنعوها لتبرير حملة عبد الوهاب على النكار بقصد استئصال شأفتهم . ومهما يكن من أمر ، فقد افلح عبد الوهاب في هزيمتهم وقتل منهم أعدادا غفيرة (341) . لكنه لم يقض عليهم نهائيا ، فظلوا معتمسين بكديتهم في جبال تاهرت ثم ظهوروا على المسرح السياسى بعد ذلك في ثورة بربر سدراته ومزاته الذين انكروا امامة عبد الوهاب .

وكان من الطبيعى أن تتصل الفلول الباقية من النكار — بعد أن وهنت شوكتهم (342) — بقبائلهم المقيمة خارج تاهرت ليعاونوهم في محاولة الخروج على الامام عبد الوهاب (343) ، وكانت غالبيتهم تنتمى الى قبيلتى سدراته ومزاته الضاربتين على جانبى حدود الدولة الاغلبية في اقليم الزاب (344) . ولا يخامرنا شك في تحريض الاغلبية لهم على اثاره العرافيل في تاهرت . على كل حال ، فقد قدموا الى ذويهم بكدية النكار (345) وانضموا اليهم في معارضة امامة عبد الوهاب (346) واعتصموا معهم بكدية النكار « خارج تاهرت » (347) . وأحس عبد الوهاب بخطرهم ، فدهمهم واطبق عليهم بأنصاره وقتل منهم خلقا كثيرا « الا من شد وولى » (348) ، لاثذا بمواطنهم الاولى . ويبدو أن هذه الهزيمة فتتت في عضدهم ، وأوهنت شوكتهم ، فلم تقم لهم بعدها قومة طوال عهد الدولة المرستمية (349) . وتمكن عبد الوهاب بذلك من قمع حركة « الانشقاق الاباضى الاول » (350) المعروف بثورة النكار .

- (339) انظر : ابو زكريا : ورقة 18 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 25 .  
(340) المغرب صفحة 67 .  
(341) تصرف المصادر الاباضية في تقدير عدد القتلى فتذكر أن عدد من تسمى منهم باسم هرون — أقل الاسماء — بلغ ثلاثمائة . انظر : الدرجينى : ج 1 ورقة 25 .  
(342) الشماخى : السير صفحة 154 .  
(343) ابن الصنير : صفحة 20 .  
(344) الننوسى : صفحة 129 .  
(345) ابن الصنير : صفحة 20 .  
(346) الننوسى : صفحة 130 — 131 .  
(347) ابن الصنير : صفحة 20 .  
(348) نفس المصدر والصحيفة .  
(349) نفس المصدر والصحيفة .  
(350) نفس المصدر والصحيفة ، الننوسى : ص 133 .

ومما لا شك فيه ان حركات النكار رغم اخمادها ، شجعت على قيام ثورات أخرى على الحكم الرستمي ، وصدق النفوسى (351) اذ قال بأن الامامة « أضحت مرمى لسهام الطاعنين والظاعنين » . وجدير بالذكر ان هذه الثورات ظلت طوال عهدى عبد الوهاب وافلح ذات طابع مذهبى فى الغالب ، سواء ما قام به جمهور الاباضية وتمخض عن انشقاقات داخل المذهب ، أو ما قامت به الطوائف المذهبية الاخرى كالواصلية على وجه التحديد .

فقد تشجع الواصلية الضاربون فى كنف الدولة الرستمية ، وهنوا لناوأة الامامة الاباضية فى تاهرت اعتقادا منهم بخروج عبد الوهاب على الشريعة واغتصابه الامامة قسرا . ولو صح ذلك ، فالراجح انهم تذرعوا بهذه الدعوى اخفاء لمطامعهم فى الانسلاخ عن الحكم الاباضى وانتهاز فُرصة انشغال عبد الوهاب بثورات النكار (352) لتحقيق هذه المطامع . وليس من المستبعد ان يكون « عزمهم فى الخروج من حكم الامام » (353) تمهيدا للانضمام لآخوانهم بدولة الادارسة . فنذكر المصادر ان حركتهم لم تقتصر على واصلية الدولة الرستمية فحسب ، بل ضمت كافة عناصرهم « من كل اوب » (354) . حيث تجمعوا خارج تاهرت لقتال الاباضية (355) . وهذا امر طبيعى اذا ما ادركنا سياسة عبد الوهاب القائمة على التعصب والمحابة وقد اذكى هذا التنافر بين الواصلية والامامة الرستمية عوامل مذهبية وقبلية ، اذ لا يخفى العداة التقليدى بين الخوارج والمعتزلة — او الواصلية — الناجم عن الخلاف الفكرى بينهما (356) ، وحسبنا ما كان يحدث من مساجلات ومعارك جدلية بين اقطاب الاباضية فى الشرق وبين واصل بن عطاء راس الواصلية (357) كما زاد التشاحن القبلى من غلواء هذا العداة، فمن المعروف ان قبيلة لواتة الاباضية كانت على عداة مرير لبعض بطون

(351) الازهار الرياضية : ج 2 ص 20 .

(352) ابو زكريا : ورقة 19 .

(353) النفوسى : صفحة 117 .

(354) الدرجينى : ج 1 ورقة 26 .

(355) اطينش : بعض تواريخ اهل وادى ميزاب ص 38 .

(356) على الرغم من التقارب بين فكر المعتزلة والخوارج فى مسألة الوعد والوعيد ، فهناك كثير من القضايا التى اختلفوا حولها اختلافا جوهريا ، كمسألة مرتكبى الكبائر ، والرأى فى اصحاب صلين وغيرها . . انظر : الشهرستانى : ص 50 — 52 .

(357) الدرجينى : ج 1 ورقة 105 .

زنانة الواصلية ، بل يذهب مسكراى (358) الى أن هذه البطون الزناتية لم تعتنق مذهب الواصلية الا نكايه فى لواته التى دانت بالمذهب الاباضى .

ومهما كان الامر — فقد كان الواصلية يشكون اقلية لها وزنها عدتها ثلاثين الفا يسكنون الخيام ويضربون خارج تاهرت (359) . هذا فضلا عن اقام منهم ببلدة ايزراج — قرب تاهرت عاصمة الرستميين (360) ، ولكون غالبيتهم من زنانة فقد نجحوا فى اثاره كثير من بطونها ضد عبد الوهاب (361).

واجتمع الثوار من الواصلية خارج تاهرت وهددوا بالقضاء على الامامية الرستميه حول عام 195 هـ ( 811 م ) (362) .

وقد جرت بين الطرفين مساجلات كلامية ، تلتها معارك حزبية كان الظفر فيها للواصلية (363) . واضطر عبد الوهاب لعقد هدنة مع خصومه ، فى الوقت الذى بعث فيه الى اتباعه بجبل نفوسة طالبا المدد (364) . وتسرف المصادر (365) الاباضية فى ذكر روايات مبالغ فيها عن القدرات الخارقة التى تميز بها النفوسيون سواء فى فنون الحرب او فى اساليب الجدل والمناظرات كما تبالح فى وصف اللقاء بين الاباضية والواصلية والانتصار الذى احرزه الامام فى ساحة الجدل وفى ميدان القتال (366) . والراجع ان عبد الوهاب استطاع بمساعدة نفوسة هزيمة الواصلية وتفريق جمعهم ، اذ لم تقف لهم بعد على حركات طوال عهد الدولة الرستميه ،

(358) انظر : Chronique d'Abou Zakaria. P. 120.

(359) البكرى : ص 67 ، ابن خلدون : ج 6 ص 121 .

(360) اليعتوبى : البلدان . منحة 80 .

(361) الدرجينى : ج 1 ورقة 16 ، Lewcki : Etudes Ibadites. P. 29.

(362) هذا التاريخ تقريبى ، اعتمادا على ما هو معروف من ان الامام على اثر حروبه مع الواصلية توجه الى جبل نفوسة حيث ضرب الحصار حول طرابلس فى العام التالى انظر ابو زكريا : ورقة 21 ، Lewcki : Melanges Berberes. P. 269.

(363) يعلم هذا من اشارة للشماخى تقول ان عبد الوهاب « كان زاهدا فى سفك الدماء » ، ومن طلبه العمون من جبل نفوسة ، وما ذكره ابو زكريا عن الفتى المعتزلى الذى قتل كل من بارزه من الاباضية : انظر : السير ص 154 ، السيرة ورقة 19 .

(364) تذكر الرواية الاباضية ان اهل الجبل بعثوا الى الامام اربعة اشخاص فقط كل واحد منهم ب مقام مائة « احدثهم للمناظرة » والاخر لتفسير القرآن ، والثالث للمبارزة ، والرابع للحاجة فى المسائل الفقهية « وهى رواية غير مقبولة انظر : ابو زكريا : ورقة 19 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 26 ، الشماخى : السير : ص 155 ، النفوسى : ص 119 .

(365) نفس المصادر والصفحات .

(366) انظر : ابو زكريا : ورقة 22 ، الدرجينى : ورقة 28 .

وهو ما عناه الشماخي (367) بقوله « فوضعت الحرب أوزارها ، ودخل المعتزلة في طاعة الامام » .

على ان حركة تمرد اخرى اقل خطرا واجهت عبد الوهاب ، قامت بها بعد بطون قبيلة هواراة الضاربة جنوبي تاهرت (368) . ونحن نخالف ابن الصغير (369) رايه في اعتبار هذه الحركة ثاني الانشقاقات الاباضية، ذلك ان الانشقاق الثاني حدث عند ظهور فرقة الخلفية الى جانب الوهبية والنكار وحسبنا ان تمرد هواراة كان خلوا من اى حافز مذهبي ، ولم يحدث نتيجة خلاف فقهي حول قضية عامة وانما وقع كرد فعل لتنافس بين الامام عبد الوهاب وبين زعيم الاوس - وهى بطن من بطون هواراة - حول الزواج من احدى بنات شيخ قبيلة لواتة (370) النازلة جنوبي تاهرت على وادى ميناس(371) فقد أزمع زعيم الاوس (372) مصاهرة شيخ لواتة ، لكن عبد الوهاب حال دون ذلك بان تزوج اللواتية - فارتحل زعيم الاوس بجموعه من هواراة عن مضاربهم ونزلوا بمكان يبعد عن تاهرت بعشرة اميال عرف «بوادى هواراة» . ومن هناك طفقوا يغيرون على اتباع عبد الوهاب وانصاره ، الامر الذى جعله يستعين بأحلافه من نفوسة وغيرها ويعد جيشا قوامه الف فارس عدا حشود هائلة من الرجالة (373) . وبأغت عبد الوهاب خصومه على غرة ، ودارت معركة طاحنة عند نهر أسلان قتل فيها الكثير من الجانبين ، وانتهت بهزيمة الثوار وفرار فلولهم الى جبل ينجان (374) .

وكانت آخر الثورات التى واجهت حكم عبد الوهاب حركة خلف بن السمع في شرقى الدولة الرستمية ، وهى التى أسفرت عن ثانى الانشقاقات الاباضية اذ ما كاد عبد الوهاب يفرغ من مواجهة الحركات والثورات التى اندلعت في تاهرت وما حولها حتى داهمته في آخر عهده

- 
- (367) السير منحة 157 .  
(368) البكرى : منحة 67 .  
(369) سيرة الائمة الرستبيين منحة 20 .  
(370) ابن الصغير : منحة 20 .  
(371) ابن خلدون : ج 6 صفحة 117 .  
(372) ويعربون أيضا بينى مصالة او مسالة . انظر : ابن الصغير : ص 20 .  
(373) النسوسى : منحة 134 .  
(374) ابن الصغير : ص 22 ، ويوجد هذا الجبل في منطقة جرداء على مقربة من البحر المتوسط . انظر : اليعقوبى : البلدان . ص 356 .



ة في منطقة طرابلس وجبل نفوسة (375) التابعة للإمامة  
3) - اتخذت طابعا دينيا . واستفحل خطر الحركة واقتطعت  
الدولة الرستمية الشرقية خلال السنوات الأخيرة من حكم  
ردحا طويلا من عهد ابنه افلح .

لف بن السمع زعيم الانشقاق الاباضي الثاني سليل بيت  
المذهب الاباضي في بلاد المغرب . فهو حفيد ابي الخطاب  
، السمع « أول أئمة الظهور » ، وابوه السمع بن ابي  
الامام (377) عبد الوهاب وساعده الايمن ، وعامله على  
لذلك اكتسب آل ابي الخطاب منزلة كبيرة بين اباضية المغرب  
هذا اقدامهم على مبايعة خلف بن السمع بالولاية على اثر  
سمح بن ابي الخطاب (378) . ويخيل الينا أن الامام عبد  
على نفوذه في هذه النواحي من جراء قيام حكم وراثي فيها ،  
ابي الخطاب ما استباحه هو وأسرته من الخروج على مبدأ  
بدا الوراثة في الحكم ، ومن ثم لم يقر شرعية ولاية خلف بن  
، كما ضرب صفحا عن توصلات اباضية الجبل لابنته واليا  
(380) .

سة من أوسع قبائل البربر وأكثرها انتشارا ، فمن بطونها بنو زمر وبنو  
ماطوسة وتضرب شعوبها في أحواز طرابلس وجبل نفوسة حتى مشارف  
، وأن كان الجبل هو معتلمهم الاصلى ، ويبلغ طوله من الشرق الى المغرب  
تة أيام وارتفاعه نحو ثلاثة أيام ، وهو عامر بالمدن والقلاع والقرى والضياع  
، وأهم مدنه شروس ومسيف وجادو .

يسة تدين بالمسيحية قبل اعتناقها الاسلام ، واعتنقت المذهب الاباضي في  
رن الثاني الهجري ، وأسهمت في ثورات الاباضية في المغرب الادنى وافريقية  
افر . ولما قامت الدولة الرستمية بتاهرت كان النفوسيون من أشد مناصريها  
مها ، ولا غرو فقد حظوا بأهم المناصب العامة في الدولة « مكائت نفوسة  
تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على  
، إلا أنه على الرغم من تبعيتهم للإمامة في تاهرت ، كانوا شبه مستقلين  
المسافة بينهم وبين تاهرت . انظر : اليعقوبي : البلدان . ص 349 ،  
: ص 15 ، ابن حوقل : ص 67 ، ابن خلدون : ج 6 ص 114 ، الاستبصار  
، الشماخي : السير : ص 192 ، 273 ،

Basset. Les sancturs du Djebel .. P. 426, Despois : Op. Cit.

إلى : ج 2 ص 20 ، على يحيى معمر : الاباضية . ص 75 .

سى : البلدان . ص 349 .

، : صفحة 165 .

، : ورقة 25 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 31 ، النفوسى : ص 151 .

يا : نفس المصدر والصحيفة .

صدر والصحيفة .

على ان غالبية الاباضية في هذه النواحي اصروا على موقفهم ، واعلنوا خروجهم على امامة عبد الوهاب ، وبايعوا خلف بن السمح بالامامة (381) محتجين بجواز ازدواج الامامة ما وجد عدو يفصل بين اتباع المذهب ، او لصعوبة الاتصال وطول المسافة بينهم وبين ناهرت (382) لكن وجد بين اباضية الجبل من تمسك بامامة عبد الوهاب ، وتذهب مصادر الاباضية (383) الى ان غالبتهم كانوا من جماعة المشايخ والفتهاء ، فبعث اليهم عبد الوهاب رسالة امتدح فيها موقفهم (384) وولى عليهم ادهم ويدعى ابا عبدة عبد الحميد الجنائى (385) . ومن ثم حدث انشقاق سياسى اتخذ صبغة فقهية مذهبية . وجوهر الخلاف كمن فى امرين : اولهما مدى حقوق الرعية فى تعيين عمالها ، والآخر شرعية وجود امامين فى وقت واحد . وفى تقديرنا ان تعاليم المذهب الاباضى ترجح رأى خلف واصحابه (386) ، ولعل ذلك يفسر انضمام غالبية اهل الجبل اليه ، ومهما كان الامر ، فقد احتد الخلاف بين الحزبين وطرحت القضية برمتها على فتهاء المذهب بالشرق للافتاء فيها (387) . وتذكر المصادر الاباضية (388) — كعادتها — انهم افتوا فى صالح الامام وخطأوا موقف خلف واتباعه .

وايا ما كانت الفتوى ، فقد نجح خلف فى الاستحواذ على معظم أنحاء الجبل دون ان يحرك عامل عبد الوهاب ساكنا او ان يخف الامام لمواجهته بنفسه . ويخيل الينا ان عبد الوهاب وعامله حين اعوزتهما القدرة على ردع الثوار لجأ الى الجبل ، فأتبع عبد الوهاب أسلوب التجسس (389)

- (381) نفس المصدر والصحيفة .  
(382) اطفيش : الامكان : ص 107 ، 108 .  
(383) انظر : ابو زكريا : ورقة 25 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 31 ، النفوسى : ص 151 .  
(384) انظر : ملحق رقم (3) .  
(385) ابو زكريا : ورقة 25 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 31 .  
(386) ثمة رواية لابي الربيع الوسيانى تقول ان احد مشايخ نفوسة ممن تلقوا العلم على الامام عبد الوهاب اخذ عنه مبدأ حق الرعية فى اختيار ولايتها . انظر : الوسيانى : سير ابي الربيع ورقة 79 — مخطوط . وقد اتى الربيع بن حبيب بجواز تعدد الائمة بقوله « لا باس باجتماع امامين او ائمة فى زمان واحد اذا فصل بينهم سلاطين لا تطلق او قوم لا يطاقون . او حال بعد المسانة » . انظر : اطفيش : الامكان ص 107 ، 108 (387) بعثوا بذلك كتابا الى ابي سفيان محبوب بن الرحيل شيخ اباضية الشرق بعد الربيع ابن حبيب . انظر : الشماخى : السير : ص 181 .  
(388) ابو زكريا : ورقة 25 ، النفوسى : ص 151 .  
(389) يلهم ذلك من رواية للنفوسى تقول ان شخصا يدعى عمرو بن يانس كان يندس بين اصحاب خلف « ويكتب الامام بكل ما يسمعه » . انظر : الازهرار الرياضية ج 2 صفحة 155 .

للايقاع بين خلف وأتباعه ، كما بعث الى المبرزين من أنصار خلف يستميلهم ويمنيهم بالاموال والضياع (390) . لكن ذلك لم يجد فتىلا .

ومات الامام عبد الوهاب (391) ومعظم اجزاء الدولة الشرقية في حوزة خلف بن السمح (392) . واستمرت حركة خلف وتفاقم خطرهما خلال نحو عشرين عاما من حكم افلح بن عبد الوهاب ، فيخبرنا ابو زكريا (393) انه حتى عام 221 هـ ( 836 م ) كان خلف لا يزال يعمل على اقضاء ابي عبيدة عبد الحميد ، الذى اقره افلح على ولايته على المناطق التى فى حوزته . ويعتقد لويسكى (394) ان خلفا كان يسمى لضم كافة الاقاليم التى كانت فى نطاق حكم جده ابي الخطاب . وقد تمكن بالفعل من مد نفوذه حتى بلدة تيمتى وما وراءها شرقا (395) منتهزا تقاعس افلح عن مساعدة عامله الكهل الذى آثر العافية (396) . وضمن خلف بذلك السيطرة على الاراضى الخصبة والمراعى الغنية فضلا عن بها من الاباضية ، فقد دخلوا فى « رايه وبدعته » على حد قول ابي زكريا (397) . وتصور المصادر الاباضية (398) قيام خلف بالاغارات المتواصلة على املاك ابي عبيدة بقصد السلب والنهب ، وان الاخير نجح فى ردعها . لكننا نشك فى ذلك اذا علمنا من هذه المصادر ذاتها ان ابا عبيدة كان يستجدى مسالمة خلف

(390) الوسيانى : سير ابي الربيع ورقة 30 .

(391) اختلف المؤرخون فى تحديد سنة وفاة عبد الوهاب كشأنهم فى تحديد تواريخ سنى حكم سائر ائمة بنى رستم فابن عذارى يذكر ان عبد الوهاب حكم عشرين عاما ابتداء من سنة 180 هـ التى مات فيها والده ، فيكون تاريخ وفاته تبعا لذلك سنة 200 هـ . بينما يحدد النفوسى هذا التاريخ بسنة 190 هـ على أساس انه استمر فى الحكم تسعة عشر عاما ابتداء من سنة 171 هـ . ولا ندرى كيف توصل جورج مارسية الى تحديد عام 208 هـ كتاريخ لوفاة عبد الوهاب . وان كنا نرجح صحة هذا التاريخ على أساس ما ذكره ابن حبان عن ايفاد عبد الوهاب قبل موته سفارة من ابناءه الى الاندلس سنة 207 هـ . انظر : البيان المغرب : ج 1 ص 278 ، الازهار الرياضية : ج 2 ص 163 ، مادة بنى رستم بدائرة المعارف الاسلامية : ص 93 ،

Provencal : Op. Cit. P. 244.

(392) على الرغم من تضعف نفوذ الامامة على اقاليمها الشرقية فى اخريات عهد عبد الوهاب ، فان نفوذه ظل قائما على بقية اجزاء دولته ، حيث دان له عماله بالطاعة فى نواحي قسطنطينية وزنقة ودمر وزواغة وجربة وقنصة ونفزاوة وقنطرة فضلا عن تاهرت ونواحيها . انظر : الشماخى : السير ص 161 ، النفوسى : ص 165 .

(393) السيرة : ورقة 28 .

Etudes Ibadites. P. 115

(394)

(395) النفوسى : صفحة 167 .

(396) ابو زكريا : ورقة 26 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 32 .

(397) السيرة ورقة 26 .

(398) نفس المصدر ورقة 27 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 33 ، الشماخى : السير . ص 184

والنفوسى : صفحة 167 .

وموابعته (399) وأن خلفا خيره بين انكار امامة عبد الوهاب والدعوة له وبين قتاله (400) . ومن المؤكد ان ابا عبيدة لم يستجب لدعوته ، فقد اجتاح خلف بجموعه (401) اراضى خصمه سنة 221 هـ (402) ( 836 م ) ، والتقى بأبى عبيدة ورجاله (403) عند سفح الجبل فى معركة يذكر مؤرخو الإباضية (404) انها انتهت بهزيمة خلف وانسحابه الى تمتى ، فلم تقم له قائمة بعدها الى « ان مات بزيغه » . ولكننا نعلم ان حروبا وقعت بين خلف وبين أيوب بن العباس — خليفة أبى عبيدة — هزم فيها خلف عند فاغيس — قرب تمتى (405) — الامر الذى يشكك فى رواياتهم .

ويخيل الينا ان خلفا ظل يتمتع بنفوذ فى معظم جهات طرابلس وجبل نفوسة حتى وفاته ، وان انتصاره من نفوسة وزواغة الذين عرفوا « بالخلفية » ظلوا مواليين لابنه المعروف بالطيب حتى اواخر عهد الدولة الرستمية .

وكانت هذه الاتاليم الشرقية ايضا مرتعا لحركة اخرى مناوئة للإمامة فى تاهرت تزعمها فرج بن نصر المعروف بنفسات ، وأسفرت عن ثالث الانشقاقات فى الجماعة الإباضية (406) .

كان الانشقاق الاول نتيجة خلافات فقهية حول مسائل الامامة وسياسة عبد الوهاب فى تعيين عماله ، وكان الانشقاق الثانى بسبب قضية تعدد الائمة وحق الرعية فى اختيار عمالها ، أما الخلاف الثالث فكان من جراء الاخلال بشرعية الامامة واهدار رسومها . (407) على يد افلح بن عبيد انوهاب ، فضلا عن سياسته « فى استعمال العمال والسعاة لجباية الحقوق

---

(399) بعث أبو عبيدة رسالة الى خلف يقول فيها « واذا نزعنا يا خلف يدك عن الطاعة فكن فى حيزك وكون فى حيزى ودع الحرب » انظر : نفس المصادر والصفحات .

(400) نفس المصادر والصفحات .  
(401) ذكر الدرجينى انها بلغت أربعة آلاف بينما تجمع المصادر الإباضية الاخرى على أن عدتها أربعين ألفا . انظر : الدرجينى : ج 1 ورقة 33 ، أبو زكريا : ورقة 27 ، الشماخى : السير : ص 184 ، النفوسى : ص 168 .

(402) شذ الدرجينى عن اجماع مؤرخى الإباضية ، فذكر ان القتال حدث سنة 211 هـ . انظر طبقات الإباضية : ج 1 ورقة 34 ، أبو زكريا : ورقة 280 ، النفوسى : ص 173 .

(403) تقدر مصادر الإباضية جيش أبى عبيدة بما يتراوح بين ثلاثمائة وسبعمائة رجل . انظر : نفس المصادر والصفحات .

(404) أبو زكريا : ورقة 29 ، الشماخى : السير ص 187 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 34 .

(405) النفوسى : صفحة 175 .

(406) أبو زكريا : ورقة 28 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 34 .

(407) الدرجينى : ج 1 ورقة 35 .

الشرعية ومطالب بيت المال من الرعية » (408) .

وعلى الرغم مما تورده المصادر الإباضية (409) من تفسير لحركة نفاث باعتباره مارقا على الامامة لاسباب ودوافع ذاتية ، فان ذلك لا ينفى قط كون نفاث ثائرا صاحب آراء واجتهادات في المذهب الإباضى (410) وداعية (411) لانقاذ الامامة الإباضية مما تردت فيه من امتهان على عهد أئمة بنى رستم . فقد آلت الامامة الى أفلح بن عبد الوهاب توا بعد وفاة ابيه سنة 308 هـ ( 823 م ) ، مما يؤكد استقرار مبدأ الوراثة واختفاء مبدأ الاختيار في الحكم الرسمى . وكان مثل هذا الانتهاك لتعاليم المذهب كفيلا بإثارة عالسفم فقيه مثل فرج بن نصر « السذى اعطى فى العلم منزلة عظيمة ، والفقه والفهم » (412) . ومن ثم عول على الخروج على امامة أفلح ، واتخذ من قريته المجاورة لقطرارة مركزا لدعوته وانصاره . ولقيت دعوته اقبالا كبيرا بين اباضية نفوسة وزواغة (413) ، وعبثا حاول عامل قطرارة اقناعهم بالعدول عن آراء نفاث والالتزام بطاعة الامام (414) .

فقد وجدوا فى « النفاثية » مبررا لتظلمهم من دفع الاموال والجبايات والرسوم التى كان يحصلها عمال الامام (415) . كذلك ام تفلح تحذيرات أفلح لعماله بأخذ رعاياهم بالشدة وتجنبيهم الدخول فى طاعة نفاث (416) . فيبدو ان هؤلاء الرعايا أعلنوا الثورة على عمالهم فبعث الامام اليهم متلفا واعدادياهم باجابة مطالبهم فى تغيير من يشاءون من هؤلاء العمال (417) .

(408) النفوسى : صفحة 195 .

(409) تصور هذه المصادر خروج نفاث لتفضيل الامام أفلح سعد بن أبى يونس عليه وتعيينه عاملا على قطرارة . انظر أبو زكريا : ورقة 29 ، الشماخى : السير : ص 195 .

والدرجىنى : ج 1 ورقة 35 ، النفوسى : ص 197 .

(410) Lewcki : Melanges Berberes .. P. 270.

(411) ذكر الوسيانى انه سقى بنفاث « لانه ينفث فى الاسماع بدعته » انظر : سير أبى الربيع : ورقة 10 .

(412) أبو زكريا : ورقة 30 ، الدرجىنى : ج 1 ورقة 35 .

(413) الدباغ : معالم الايمان : ج 1 ص 220 .

(414) أبو زكريا : ورقة 29 ، الدرجىنى : ج 1 ورقة 36 .

(415) النفوسى : صفحة 195 .

(416) انظر : نص رسالة أفلح لعماله فى هذا الصدد عند النفوسى . الازهار الرياضية : ج 2 ص 214 - 218 .

(417) جاء فى رسالة أفلح الى رعيته ما يلى : « . . ومن عاب أحدا من عمالنا بخصلة من الخصال ، أو أنكر عليه شيئا فليرفع ذلك الينا ، فنكون نحن الذين يغيرون . . » النفوسى : صفحة 203 .

كما أرسل الى نفاث يأمره بالكف عن دعوته وجبته في العودة الى الطاعة (418) .

ونعتقد أن سياسة التودد والملاينة هذه قد أثمرت في تثبيط عزيمة نفاث ، وتصدى الكثيرين من مشايخ نفوسة لمناهضته (419) ، وانصراف معظم أتباعه عنه . فتخبرنا المصادر أن نفاثا آثر الرحيل الى الشرق حيث نزل بغداد وانكب على دراسة كتب المذهب ونسخ ما تسنى له نسخه منها . فلما عاد وجد أنصاره قد وهنوا وتفرقوا (420) . وان كنا نشك فيما زعمته من أنه « تاب ورجع عن مسائله التي خالف فيها » (421) بدليل وجود كثيرين ممن اعتنقوا آراءه حتى أواخر القرن الخامس الهجري (422) .

وإذا كانت الانشقاقات المذهبية قد تفتشت في الأجزاء الشرقية من الدولة الرستمية ، فإن خطرا جديدا ظهر في آخر حكم أفلح هدد قلب الدولة ذاته ، ونعنى به صراع العصبية العنصرية والقبلية . لكن أفلح استطاع بذكائه وحذقه السياسي (423) تجنب الإمامة في عهده شر هذا الخطر ، واتبع في ذلك وسائل شتى تدل على براعته في الحكم والسياسة الى جانب ما اتصف به من شجاعة نادرة (424) .

ومن هذه الوسائل تخليه عن مبدأ المركزية في الحكم — وهو مبدأ تكرهه القبائل البدوية كثيرا — وعاد الى مبدأ الشورى ، فكان يأخذ برأى مشايخ القبائل ورؤسائها في تعيين ولاته وعماله ضاربا صفحا عن

(418) النفوسى : صفحة 204 .

(419) نمة مثل أورده الدرجيني يدلل به على دور نفوسة في مقاومة حركة نفاث ، جاء على لسان أحد المشايخ ويدعى أبو مهاصر ، قال « تنبح جروة أبى مهاصر للثلا يأكل الذئب الغنم ، وقد كاد يأكلها ، حتى أتت سلاق ويغوا . . هرب الذئب فأمنت الغنم . يعنى بالجروة نفسه ، وبالذئب نفاث بن نصر ، وبالغنم نفوسة ، وبالسلاق مهديا وعمروسا ( من مشايخ الجبل ) وهما من منزل يقال له ويغوا ، ويعنى يأكل الذئب الغنم ، استحواذ نفاث على أهل الجبل . . » انظر : طبقات الإباضية : ج 1 ورقة 134 وعلى الرغم من تشكيك البرادى في صحة هذا المثل — لان الشيخ مهدي النفوسى قتل أثناء حصار الامام عبد الوهاب بطرابلس سنة 196 هـ — فلا شك أن له دلالة على مدى نفوذ نفاث وامتداد دعوته ، فضلا عن دور نفوسة في مطاردته حتى هرب الى الشرق وانصرف عنه معظم أتباعه . انظر : الجواهر المنقطة : ورقة 106 .

(420) أبو زكريا : ورقة 31 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 37 .

(421) النفوسى : صفحة 210 .

Lewcki : Melanges Berberes. P. 270.

(422) انظر :

Motyliniski : Op. Cit. P. 6.

(423) النفوسى : صفحة 183 ،

(424) تنفيذ تواريخ الإباضية بقصص وبطولات نادرة تام بها أفلح في حربه مع النكار وبربر هوارا في حياة والده . انظر : الدرجيني : ج 1 ورقة 25 .

اعتراضات آل بيته في هذا الصدد (425) . وفضلا عن ذلك فقد فرض رقابة دائبة على هؤلاء العمال والولاة حتى لا يتمادون في ارهاق الرعية بالمغرم والجبايات ، والزمهم بمراعاة تعاليم المذهب في سياستهم المالية ، ثم أتاح لهم مزيدا من السلطات داخل عمالاتهم (426) ، فضمن بذلك اقرار العدالة مع لا مركزية الحكم وهو الاسلوب الامثل في دولة يشكل البدو غالب سكانها . كما عول أفلح على استمالة القبائل اليه (427) ، وتخبرنا المراجع (428) عن حرصه على اتخاذ تراجمة يجيدون لغة البربر . وأفلح في احداث نوع من التوازن بين هذه القبائل جنبه مشقة الدخول في صراع معها . واتبع في ذلك شتى ضروب الحيل ، فقد أخذ بالمبدأ المشهور « فرق تسد » (429) « فأرشى ما بين كل قبيلة ومجاورها » (430) ، « وألتي موجبات التخالف بين كل مقدم وأتباعه وبث الجواسيس بين شعوب تلك القبائل بطرق سياسية وتدبيرات باطنية كفته مؤونة القتال » (431) .

لهذا اتسم عهد أفلح بالهدوء والاستقرار السياسي (432) ، وحظى بحب الإباضية وأعجابهم (433) « فألتي بيده يمينا وشمالا ، وتمكن فى امامته وأطردت له الامور » (434) ، ولم يبق في أيامه منازع ، ولا أجمع جهاته الا طائع (435) . واعتبر مارسية (436) عهد أفلح العصر الذهبي للدولة الرستمية ، اذ بعد موته في سنة 258 هـ (437) ( 873 م ) ضعفت هذه الدولة .

- (425) ابن الصغير : صفحة 25 .  
 (426) النفوسى : صفحة 188 .  
 (427) نفس المصدر : صفحة 68 ،  
 (428) انظر : ابن الصغير : ص 27 ، النفوسى : ص 68 .  
 (429) مارسية : مادة بنى رستم - دائرة المعارف الاسلامية ص 94 ،  
 Farougy : Op. Cit. P. 15 .

- (430) ابن الصغير : صفحة 27 .  
 (431) النفوسى : صفحة 183 .  
 (432) ابن الصغير : صفحة 27 .  
 (433) نفس المصدر : صفحة 25 .  
 (434) أبو زكريا : ورقة 29 ، الشماخى : السير ص 187 .  
 (435) الدرجينى : ج 1 ورقة 34 .  
 (436) انظر : مادة بنى رستم - دائرة المعارف الاسلامية ص 94 .  
 (437) ذكر أبو زكريا أن أفلح ظل في الامامة ستين عاما ، بينما يقول ابن الصغير أنه حكم خمسين عاما . ونحن نرجح رواية ابن الصغير ، ومن ثم تكون وفاته سنة 258 هـ على أساس توليه الامامة سنة 208 هـ كما سبق القول . وعلى ذلك فقد أخطأ النفوسى حين ذهب الى أن أفلح مات سنة 240 هـ . انظر : أبو زكريا : ورقة 31 ، ابن الصغير : ص 25 ، النفوسى : ص 221 .

وهكذا — أتسمت هذه المرحلة من تاريخ بنى رستم بكثرة الثورات والفتن التي تلونت في غالبها بالطابع المذهبي واتخذت شكل الانشقاقات المذهبية في كيان الجماعة الإباضية . لكن هذه الثورات وان تمخضت عن انسلاخ بعض البقاع الشرثية عن سلطان الامامة في تاهرت ، الا أنها لم تشكل خطرا على سلامة الدولة ذاتها ، وبفضل سياسة العنف والشدة التي اتبعها عبد الوهاب ، وبفضل دهاء افلح وحذقه السياسى تخطت الدولة الرستمية هذه الاخطار لتواجه مرحلة عصبية في تطورها السياسى .  
 الدور الثانى ( 258 — 281 هـ ) ( 788 — 895 م ) .

### الصراع القبلى والعنصرى :

قلنا أن الطابع الدينى غلب على المرحلة السابقة ، فشكل أحداثها ولونها بمسحة مذهبية واضحة وسبق الثول أيضا أن قيام الدولة الرستمية كان على أساس مذهبى حيث اجتمع الإباضية من شتى العناصر والقبائل فى المغرب فى كنف الامامة الرستمية وليس على أساس عصبية قائمة بذاتها . ومن ثم كان المذهب الإباضى هو الرابطة الوحيدة التى جمعت بين هذه العصبيات المختلفة ، وبالضرورة فان انتهاك تعاليم المذهب وتحول الامامة الى ملك ، قد قضى على هذا الرباط الوثيق الذى جمع هذه العصبيات وفجر ما بينها من حزازات عصبية قبلية ونعرات عنصرية .

وقد بدت بوادر التناحر القبلى العنصرى داخل الدولة الرستمية فى عهد عبد الوهاب الذى تمكن من فض ائتلاف قبيلتى هوارة ولواتة ، ومحق تمرد هوارة حين أزمعت العصيان . كما أن افلح بن عبد الوهاب آخر من اندلاع هذا الصراع حينما بفضل حسن سياسته ، لكنه أسهم من ناحية أخرى بسياسته القائمة على التفرقة بين القبائل فى اذكاء النزعات القبلية والعنصرية التى بقيت فى الصدور الى أن « اخترمته المنية » (438) ثم تفجرت بعد وفاته فى شكل حروب دامية أنهكت هذه العصبيات من ناحية وضععت نفوذ الائمة وهيبة الامامة من ناحية أخرى .

فقد ضمت الدولة الرستمية قبائل متعددة من البربر كهوارة ونفوسة ومزاتة ولواتة وسدراتة ولماية ، فضلا عن عناصر مختلفة من الفرس والعرب والجند الافريقى . وقد ساعدت فترة السلام الطويلة التى نعمت

(438) ابن الصغير : ص 27 ، محمد بن تاويت . دولة الرستمين . ص 122 .



بها تاهرت ابا ن حكم افلح بن عبد الوهاب على احدث تحول خطير في احوال هذه العناصر والقوى المختلفة .

فالقبايل البدوية كلواتة وهوارة ومزاتنة جنح معظمها الى الاقامة حول تاهرت وآثرت حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة والتجارة حيث جنت منها ارباحا طائلة « فأتخذت العين والخيول ، ونالها من الكبر ما نال اهل المدينة » (439) اما نفوسة التي اقامت بعض بطونها في العدو فقد نالت حظوة الائمة وآثروها بالوظائف العامة « فكانت تلى عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق » (440).

وبلغت العناصر الفارسية في الدولة الرستمية شأوا كبيرا لكون الائمة من اصل فارسي ، فأوكلوا اليهم قيادة الجيوش وأسمى المناصب ، فضلا عن سيطرتهم على النواحي التجارية والثقافية (441) ، فأناموا القصور والمنازل حول تاهرت « وشكلوا دولة داخل الدولة الرستمية » على حد قول مروخي (442) .

كما وقدمت على تاهرت جموع من العرب والجند الافريقي بعد فشل ثوراتهم على الامراء الاغالبية (443) ، فأقبلوا على سكنى تاهرت هربا من بطش هؤلاء الامراء من ناحية ، وطمعا في الثراء عن طريق الاشتغال بالتجارة التي ازدهرت في عاصمة الرستميين من ناحية أخرى . ثم هناك قوة أخرى كانت ممثلة في أجناد الائمة من أفراد البيت الرستمي الذين عرفوا « بالرستمية » (444) فضلا عن اتباع السمع بن أبي الخطاب الذين انشقوا على خلف بن السمع وهربوا الى تاهرت ودخلوا في خدمة بنى رستم ، وعرفوا لذلك « بالسمحية » (445) .

ويمكن تقسيم هذه القوى جميعا الى قسم موالى للامامة الرستمية، ويشمل نفوسة والفارس والرستمية والسمحية والآخر مناوئ لها يضم

(439) ابن الصغير : صفحة 27 .

(440) نفس المصدر والصحيحة .

(441) نفس المصدر : ص 26 ، 27 ، Lewcki : Melanges Berberes .. P. 273

(442) انظر : Apersian dunasty in North Africa. P. 15.

(443) النفوسى : صفحة 231 .

(444) ابن الصغير : صفحة 27 .

(445) نقل جورج مارسيه عن ابن الصغير تعريف كلمة « السمحية » الى « المسيحية » فقال

بوجود عناصر مسيحية في تاهرت وقتت الى جانب بنى رستم . انظر : ابن الصغير :

ص 36 ، مارسيه : مادة بنى رستم - دائرة المعارف الاسلامية ص 94 .

العرب والجند الافريقي فضلا عن بعض القبائل الضاربة حول تاهرت ،  
وان تأرجحت بعض هذه القوى بين الولاء والعداء لبني رستم احيانا .

تأججت نار الصراع القبلى والعنصرى على اثر وفاة افلح بن عبد  
الوهاب فبادرت نفوسة بتنصيب ابنه ابي بكر اماما رغم اعتراض فقهاء  
المذهب (446) ، على خلاف ما اورده النفوسى (447) بأن اهل الحل  
والعقد من سائر القبائل والعصبيات هم الذين قاموا ببيعته . ومما زاد  
الطين بلة ان ابا بكر بن افلح لم يكن جريئا قويا كجده عبد الوهاب ولا داهية  
حصيفا كآبيه افلح ، بل كان غرا لين العريكة شفوفا بالآداب  
والتواريخ (448) ، ميالا الى الترف والملذات ، زاهدا فى الادارة  
والحكم (449) . ويبدو انه حاول الاستعانة باحدى القوى الموجودة بتاهرت  
من دون نفوسة التى كانت تمقتها بقية العناصر الاخرى ، فوطد صلاته  
بالجند والعرب وصاهر زعيمهم محمد بن عرفة وسلم اليه مقاليد الدولة ،  
وركن الى الدعة والضمول . واستبد ابن عرفة بتصريف شؤون الامامة  
من دون الامام « حتى كانت الامارة بالاسم لابي بكر وبالحقيقة لمحمد  
ابن عرفة » (450) .

ونظرا للعداء التقليدى بين كافة العناصر بتاهرت وبين العرب فقد  
خسر ابو بكر ولاءها جميعا باستثناء بعض بطون هوارة التى ارزته فى  
حين استاء بعضها الآخر من سياسته وغادروا المدينة واحوازها الى  
مواطنهم الاولى .

وبديهى ان ينقم الرستمى عليه سياسته وينضموا لنفوسة التى  
ساءها خذلانه اياها بعد ان اوصلته للامامة ، كما ساءها ارتماؤه فى أحضان  
الجند والعرب (451) اما الفرس فقد آثروا الحياد والتريث ولكنهم كانوا  
على أهبة الاستعداد لاغتصاب الامامة كلما سنحت الفرص (452) . وفى

---

(446) احتج الشيخ عبد العزيز بن الاوز - المعروف بتعمقه فى الفقه الاباضى - على ذلك  
مخاطبا نفوسة بقوله « الله سائلكم معاشر نفوسة ، اذا مات واحد جعلتم مكانه  
آخر ، ولم تجعلوا الامر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو اتقى وارضى » .  
انظر : ابن الصغير : ص 31 ، 47 .

(447) الازهار الرياضية : ج 2 صفحة 222 .

(448) ابن الصغير : صفحة 31 .

(449) نفس المصدر : صفحة 32 .

(450) نفس المصدر : صفحة 31 .

(451) نفس المصدر : ص 32 ، النفوسى : ص 224 .

(452) نفس المصدر : صفحة 32 .

تلك الظروف وصل أبو اليقظان محمد بن أفلح — أخ الامام — الى تاهرت (453) وعهد اليه أبو بكر ببعض مسؤوليات الادارة والقضاء ، فسيرها على أحسن ما يكون ، حتى « حمد له الشراة ذلك » (454) .

واضمر أبو اليقظان حقدا على ابن عرفة وحزبه ، وساءه استبداده وتسلطه ، وشاركه في ذلك نفوسة والرستمية ، فحرض أخاه على اغتيال ابن عرفة سرا (455) وتم له ما اراد (456) . ويحاول مؤرخو الاباضية انكار تدبير هذا الحادث ونفى قيام الامام بتنفيذه ، دفاعا عن آل البيت الرستمي . فأبو زكريا (457) والدرجيني (458) اكتفيا بالاشارة الى أن الناس فوجئوا بابن عرفة قتيلا دون أدنى اشارة الى ظروف مقتله ، أما النفوسى (459) فيبرىء أبا اليقظان من تهمة التحريض على قتل ابن عرفة ، وينسبها الى احد نصحاء الامام . لكن هذه الروايات جميعا تضعف امام رواية ابن الصغير المالكي الذي يؤكد أن أبا اليقظان دبر الحادث . وأن أبا بكر نفذه . على كل حال — تمخض الحادث عن نوع من الفوضى السياسية عممت تاهرت ، وتحفزت سائر القوى للخروج من هذه الفوضى ظافرة بالامامة ، ودخل بعضها مع البعض الآخر في ائتلافات وتحالفات للانفاداة من الظروف . فقد هب العرب والجنود مطالبين بثار زعيمهم ابن عرفة ، وانضوا تحت لواء أحدهم ويدعى محمود بن الوليلي (460) . كما وقفت الرستمية الى جانب الامام أبي بكر (461) . أما الفرس فتبعوا في قصورهم خارج المدينة يدبرون أمر الاستيلاء عليها (462) . بينما لاذت قبائل البربر خارج تاهرت بالصمت مترقبة نتائج الصراع .

نشبت القتال بين الجند والعرب من ناحية وبين الامام والرستمية من ناحية أخرى ، وقتل من الطرفين خلق كثير (463) . فاغتئم الفرس الفرصة

- 
- (453) كان أبو اليقظان أسيرا في بغداد ، اذ قبض عليه عمال العباسيين وهو في طريقه لاداء فريضة الحج ثم أفرج عنه وعاد الى تاهرت . انظر : ابن الصغير : ص 31 .
- (454) ابن الصغير : صفحة 32 .
- (455) نفس المصدر : صفحة 33 .
- (456) عن تصميل اغتيال ابن عرفة . انظر : ابن الصغير : ص 34 — 36 .
- (457) السيرة : ورقة 31 .
- (458) طبقات الاباضية ج 1 ورقة 37 .
- (459) الازهار الرياضية . ج 2 ص 226 ، 227 .
- (460) ابن الصغير : ص 36 ، النفوسى : ص 230 .
- (461) ابن الصغير : صفحة 36 .
- (462) نفس المصدر : صفحة 37 .
- (463) ابن الصغير : ص 37 ، النفوسى : ص 231 .

وحاولوا الاستيلاء على تاهرت . عندئذ تضامن الرستمية مع الجند والعرب وصدوا لقتال الفرس وأسروا منهم أعدادا غفيرة (464) . ثم انسحب الامام والرستمية من حلبة الصراع ، والحق الجند والعرب بالفرس عد هزائم وأضرموا النيران في منازلهم . وخشى أبو اليقظان ونفوسة من خطر الجند والعرب فانضموا للفرس « وصارت كلمتهم وكلمة العجم واحدة » (465) .

واحتدم القتال بين الفريقين وتبادلا النصر والهزيمة الى ان أسفر الصراع عن انتصار الجند والعرب . وارغم أبو اليقظان وحلفاؤه على مغادرة المدينة ، فنزل الفرس بموضع يقال له تنابغيلت — على بعد مرحلتين من تاهرت — كما اعتصمت نفوسة بحصنها خارج المدينة ويعرف « بقلعا نفوسة » ، أما أبو اليقظان فلاذ بالرستمية بموضع يسمى أسكيدال جنوبي تاهرت (466) . وصفت المدينة للجند والعرب بعد أن اعتزل أبو بكر الامام « وانسلخ منها » (467) ولحق أتباعه من الرستمية والسمحية بأبى اليقظان سنة 260 هـ (468) ( 874 م ) .

لكن الجند والعرب لم ينعموا طويلا بالسيطرة على زمام الامور في تاهرت ، فقد أنصاهم عنها بربر هوارة ، وآلت اليهم السلطة فيها طوال ثمان سنوات . ونحن نعلم أن بربر هوارة كانوا قد تمردوا على حكم الامام عبد الوهاب ، وأنه بطش بهم فتمفرقت جموعهم ورحل معظمهم الى جبل ينجان ، وعاد الباقون الى مضاربهم جنوبي تاهرت كما نعلم أن فريقا من هؤلاء آزر ابا بكر بن أفلح في بداية امامته بينما آثر فريق آخر اللحاق بجبل ينجان . ثم كان ما جرى من صراع بين سائر القوى في تاهرت ، وظفر الجند والعرب في النهاية بالسيطرة على زمام الموقف فيها . وأدى هذا الصراع الذي استمر عامين (469) الى اضعاف أطرافه جميعا ، فوجدت هوارة الفرصة مواتية للسيطرة على تاهرت . وقد غادرت جموع هوارة مضاربه

(464) نفس المصدر والصحيفة ، نفس المصدر : ص 232 .

(465) نفس المصدر : ص 38 ، نفس المصدر والصحيفة .

(466) ابن الصغير : ص 39 ، النفوسى : ص 235 .

(467) الدرجينى : ج 1 ورقة 37 والمصادر الاباضية لا تذكر شيئا عن مصير أبى بكر بعد أنلح بعد اعتزاله الامامة . بينما يذكر ابن عذارى أن أهل تاهرت أعادوه الى المدينة حيث ظل بها حتى وفاته والراجح أنه عاد الى تاهرت بعودة أخيه أبى اليقظان محم الذى تولى الامامة من بعده . انظر : ابن عذارى : البيان المغرب : ج 1 ص 278

(468) ابن الصغير : صفحة 39 .

(469) النفوسى : صفحة 236 .

بجبل ينجان بزعامة شيخهم محمد بن مسالة (470) واقتحموا تاهرت دون عناء ، ونصبوا ابن مسالة أميراً عليهم (471) . وظل ابن مسالة « يدبر شؤونها ويدير أحوالها على حسب ما يراه » (472) وتخيرنا المراجع (473) أن حكمه اتسم بالهدوء والاستقرار .

لكن النعرات القبلية ما لبثت أن تجددت داخل تاهرت ، فوقع خلاف بين هوارة ولواتة انتهى بطرد اللواتيين خارجها ونزولهم بحصنهم القريب من أسكيدال حيث أقام أبو اليقظان والرستمية (474) . ثم حدث ائتلاف بين لواتة وأبي اليقظان ، فأجمعت على بيعته بالامامة سنة 261 هـ ( 875 م ) ، ثم بادرت غالبية القبائل ببيعته أيضاً وانكرت حكم ابن مسالة (475) وحاول أبو اليقظان دخول تاهرت عنوة دون جدوى وتكررت محاولاته طيلة سنوات سبع ، لم يفز فيها بطائل . فبعث يستمد العون من جبل نفوسة ، فأمدوه ، واستطاع دخول المدينة دون قتال سنة 268 هـ ( 882 م ) بعد أن أمن أهلها على أرواحهم وأموالهم (476) .

وكان على الامام أبي اليقظان أن ينهج سياسة الاعتدال وتهذئة الخواطر بعد ما عانته البلاد من حروب أهلية شاملة . وقد نجح في ذلك انى أبعد الحدود بفضل ورعه وتقاه (477) وحرصه على مراعاة تعاليم المذهب في أحكامه ، ولا غرو فقد عرف بتفقه في المذهب وبتواييفه في أصوله وفروعه والرد على مخالفيه (478) .

وقد حرص أبو اليقظان على اجتناب سياسة التعصب وإيثار بعض القبائل والعناصر بمناصب الدولة دون البعض الآخر . وعلى الرغم من مساعدة نفوسة ومعاونتها له على دخول تاهرت ، قلل مما كانت تتمتع به من امتيازات في عهد أسلافه ، فحرمها من تولى القضاء وأبقى لها إدارة

(470) يعتقد ماسكرى أن ابن مسالة كان إباضياً نكاريًا لكن المصادر لا تؤيد هذا الرأي ، فالنفوسى يصفه بأنه « إباضى المذهب » ومن المعروف أن مؤرخى الإباضية يعتبرون مروة النكار مارقة على جماعة المذهب من الوهبة . انظر : الأزهار الرياضية ج 2 صفحة 236 ، Chronique d'abou Zakaria. P. 195.

(471) النفوسى : صفحة 236 .

(472) نفس المصدر والمحيطة .

(473) ابن الصغير : ص 39 ، النفوسى : ص 236 .

(474) نفس المصدرين والصفحتين .

(475) ابن الصغير : ص 40 ، النفوسى : ص 238 .

(476) نفس المصدرين والصفحتين .

(477) ابن الصغير : صفحة 44 .

(478) أبو زكريا : ورقة 31 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 36 ، 37 .

بيت المال (479) والحسبة ، واتخذ أبو اليقظان مجلسا للمشورة يضم شيوخ القبائل ووجهاء كافة العناصر المقيمة بتاهرت (480) ، ولم يأنف من مخالطة رعاياه والجلوس اليهم لبحث شكواهم (481) . كما تسامح مع اتباع المذاهب والفرق الاخرى من الكوفيين والصفرية والمعتزلة والمالكية ، وابعاهم لهم الصلاة في المساجد جميعا فيما عدا المسجد الجامع (482) ويحدثنا ابن الصغير (483) ان شيوخ هذه الفرق كانوا يدخلون في محاورات ومناظرات — مع فقهاء الاباضية في جو مغمم بالحرية والتسامح . واختار عماله ممن عرفوا بالورع والتقوى ، وزودهم بنصائحه وتوجيهاته وأمرهم بقراءة نداء وجهه الى رعاياه ، حضهم فيه على اجتناب الفرقة واتباع سنة السلف الصالح (484) .

لذلك ، استقامت له الامور حتى شبهه النفوسى (485) بجده عبد الرحمن بن رستم ، كما روى عنه ابن الصغير (486) أقوالا وافعالا جعلت حكمه يحوز رضى كافة العناصر على اختلافها « فلم ينقم عليه أحد شيئا مما ولى من افعاله ما خلا اولاده فانهم ربما خرجوا عن الواجب من افعالهم » (487) .

والواقع ان ابن الصغير يكشف عن ظاهرة خطيرة بدأت بوادرها فى

---

(479) ابن الصغير : ص 41 وبرغم ذلك افترضت نفوسة بحكمه ، نكان شيوخها يلزمون مجالسه ويقفون بباب داره يهللون ويكبرون من اول الليل حتى الفجر . انظر : ابن الصغير : ص 47 ، أبو زكريا : ورقة 31 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 33 ، النفوسى : صفحة 245 .

(480) ابن الصغير : ص 44 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 91 .

(481) ابن الصغير : صفحة 44 .

(482) نفس المصدر : صفحة 42 .

(483) نفس المصدر : ص 44 ، 45 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 92 .

(484) انظر : ملحق رقم (5) .

(485) الازهار الرياضية : ج 2 ص 240 .

(486) يزخر تاريخ ابن الصغير بعميد من القصص والروايات الدالة على عدل أبى اليقظان ونزاهته ، وحرصه على أموال الدولة ، اشبه ما تكون بتلك التى نسجت حول عمر ابن الخطاب وعمر بن عبد العزيز . انظر : سيرة الائمة الرستميين : ص 48 — 49 .

(487) نفس المصدر السابق : ص 48 . وثمة من القصص التى وردت عند ابن الصغير تصور اتمام ابناءه وخدامه وحراسه على اغتصاب الاموال وهتك الاعراض . انظر : سيرة الائمة الرستميين . ص 42 — 45 .

آخر عهد ابي اليقظان وتفاثمت بعد موته (488) لتودى بالدولة الرستمية ، وهى مفاسد البلاط الرستمي ، وتفشى الخلاف الاسرى ، والتناحر على الحكم ، وما صحب ذلك كله من سقوط هبة الامامة واضمحلال المذهب الاباضى ، وظهور الطوائف المذهبية المخالفة للاباضية ودورها فى توجيه احداث العصر الرستمي الاخير .

الدور الثالث ( 281 - 297 هـ ) ( 895 - 909 م )

### النزاع الاسرى وفتن الطوائف غير الاباضية

افضى التناحر القبلى والصراع العنصرى الى اضعاف شوكة - سائر العصبيات ، كما ادى الى انهيار هبة الائمة وانتهاك مكانة الامامة ، حيث اصبح تنصيب الائمة وعزلهم لعبة فى ايدى عامة المدينة وغوغائها ، كما برز نفوذ البلاط ونفوذ نساء الاسرة الرستمية كعامل موجه لاحداث هذه الحثبة . ووجدت الطوائف الدينية والمذهبية فى تلك الظروف فرصة سانحة « لتبنييت خبر الاباضية » (489) واغتصاب الحكم فى تاهرت ، فعهدت الى التدخل فى النزاع بين افراد البيت الرستمي واذكاء الخصومة بين المتنازعين منهم على منصب الامامة تمهيدا للوثوب عليها . والراجح ان هذه الطوائف تواطأت مع توى خارجية كالعباسيين والاغالبة والادارسة والشيعمة الفواطم لاسقاط الحكم الرستمي .

فقد كانت تاهرت وما حولها موطناً لكثيرين من معتقئى المذاهب والفرق غير الاباضية . فكانت اقلية لها وزنها من الخوارج الصفرية تعيش فى كنف الدولة الرستمية ولهم حصن خاص بهم يسمى « تالفمت » بضواحي تاهرت (490) . كما كانت جموع المعتزلة تضرب خارج تاهرت متوثبة للانتقام لما حل بها على يد عبد الوهاب بن رستم . ويشير ابن الصغير (491)

(488) توفى أبو اليقظان محمد سنة 281 هـ ابن الصغير : ص 49 ، ابن عذارى : ج 1 ص 278 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 93 ، مارسية : مادة بنى رستم - دائرة المعارف الاسلامية ص 93 . ولما كان قد تولى الامامة سنة 261 هـ حسبنا ذكرنا سلنا ، فتكون مدة حكمه عشرين عاماً ، وليست سبعاً وعشرين كما ذكر ابن عذارى ، او اربعين عاماً حسبنا ذهب أبو زكريا ومن أخذ عنه . انظر : البيان المغرب ج 1 ص 278 ، أبو زكريا : ورقة 31 ، الدرجبى : ج 1 ورقة 37 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 91 .  
(489) ابن الصغير : صفحة 51 .  
(490) النفوسى : صفحة 94 .  
(491) سيرة الائمة الرستبيين : صفحة 51 .

الى وجود كثير من الكوفيين والمالكية في تاهرت ذاتها ، في حين يذكر أبو زكريا (492) أن المذهب الشيعي كان له أنصار في عاصمة الرستميين . وقد ارتفع شأن هذه الطوائف والفرق في تاهرت في أواخر العصر الرستمي بسبب ضعف العصبية القبلية والعنصرية من جراء الصراع بينها ، وبسبب سياسة التسامح التي اتبعتها أبو اليقظان محمد في أواخر سنى حكمه مع اتباع هذه المذاهب والفرق ، وحسبنا على ذلك دليلا أن خطب على بن أبي طالب كانت تتلى على منابر تاهرت (493) فلا مشاحة بعد ذلك اذا ما وجدنا هذه الطوائف والفرق غير الإباضية فضلا عن الشيع الإباضية المعادية للبيت الرستمي — تتآمر على اسقاط حكم الرستميين بعد وفاة أبي اليقظان محمد وتولية ابنه أبي حاتم يوسف سنة 281 هـ ( 895 م ) .

والواقع أن تنصيب أبي حاتم يتم عما وصلت اليه الإمامة الإباضية من تدهور ومهانة ، فقد اختصه أبوه قبل وفاته بولاية عهده تحت تأثير زوجته غزالة (494) . وبعد موت أبي اليقظان « بادر العوام والفتيان دون القبائل » بمبايعته « فكبروا حوله وحملوه على الأيدي والاعناق حتى أوصلوه الى داره ، ثم أرسلوا الى القبائل فبايعته » (495) . وأثار ذلك استياء الرستمية فحاولوا — دون جدوى — الحفاظ على هيئة الإمامة بحجب الامام ومنعه من مخالطة العوام « التي أرادت الدنو اليه في كل الاوقات على ما كانت تعرف قبل امارته » (496) . ولهذا رحل يعقوب ابن أفلع — عم أبي حاتم — عن تاهرت ونزل عند زواغة « الخلفية » (497).

وشجع ذلك على تداخل الكوفيين وغيرهم من الطوائف المذهبية في الامر وتوسيع شقة الخلاف بين الامام والرستمية وبين عوام المدينة (498) حتى اندلعت الحرب في تاهرت من جديد (499) . والواقع أن مؤرخى

---

(492) السيرة واخبار الائمة . ورقة 36 .

(493) ابن الصغير : صفحة 42 .

(494) نفس المصدر : صفحة 50 .

(495) نفس المصدر والمصحفة ، النوسى : ص 265 ، P. 7. : Op. Cit. Motylinski

(496) ابن الصغير : صفحة 50 .

(497) النوسى : صفحة 266 .

(498) ابن الصغير : صفحة 51 .

(499) ابن مغازى : ج 1 صفحة 278 .



الاباضية (500) يتفاوضون عن ذكر هذه المهازل التي تردت فيها امامة ابي حاتم ،  
فصوره وقد « اطردت له الامور ، ولم ينقم عليه احد من رعيته في حكم ولا  
فعل » لكن ابن الصغير المالكي الذي عاصر تلك الفترة وعابن احداثها كشف  
لنا عما حاول هؤلاء المؤرخون اخفائه . فيذكر ان مشايخ الكوفيين — على  
وجه الخصوص نجحوا في تأليب العامة على ابي حاتم — ودبروا مع زعمائهم  
امر اغتياله . وتنبه ابو حاتم لما دبر له ، فطرد هؤلاء الزعماء خارج تاهرت.  
لكن المشايخ انضموا للعامة وثاروا على ابي حاتم وطردوه ومن معه من  
الرستمية فضلا عن انصاره من نفوسة والعجم واعادوا زعماءهم الى  
المدينة (501) .

وعول ابو حاتم على تأليب القبائل ضد اهل المدينة ، وبذل الاموال  
لهذا الغرض ولجا الى قبائل صنهاجة من غير الاباضية . وقدر له ان يحشد  
جموعا غفيرة من لواتة وصنهاجة والعجم فضلا عن نفوسة والرستمية زحف  
بهم الى المدينة وضرب عليها الحصار في ثلاثة مواضع (502) . وكاد  
المحاصرون ان يستسلموا لابي حاتم ويعترفوا بامامته لولا اصراره على  
تسليم زعماء العامة وشيوخ الفرق ، فرفضوا واستأنفوا القتال ، وبعثوا  
في استدعاء يعقوب بن افلح من زواغة ، فاقبل ، وبيعوه بالامامة سنة  
282 هـ (503) ( 896 م ) .

وفت ذلك في عضد ابي حاتم ، وفارقتة لواتة وانضمت لعمه  
يعقوب (504) لكن ذلك لم يمنعه من معاودة الهجوم على تاهرت ، فهزم  
وفارقه العجم كذلك (505) . ثم عقدت هدنة بين الطرفين بفضل مساعي  
شيخ مزاتة (506) تمكن ابو حاتم خلالها من استمالة كثيرين من زعماء  
المدينة عن طريق الاموال والهبات . فعتدوا العزم على بيعته ، ولما علم  
يعقوب بن افلح بذلك غادر المدينة بمن معه من شيوخ الطوائف وتوجه الى

(500) انظر : ابو زكريا : ورقة 32 ، الدرجيني ج 1 ورقة 37 ، الشماخي : السير  
صفحة 262 .

(501) ابن الصنبر : ص 51 ، النفوسى : ص 268 .

(502) نفس المصدر : ص 52 ، نفس المصدر : ص 270 .

(503) ابن الصغير : صفحة 53 .

(504) نفس المصدر والصحيفة ، النفوسى : ص 271 ، 272 .

(505) نفس المصدر والصحيفة ، نفس المصدر : ص 272 .

(506) من المعروف ان مزاتة كانت تعتنق المذهب الاباضى ، وان كان اعتناقها اياه سطحيًا

انظر اليقوبى : البلدان : ص 344 .

زواغة (507) بعد ان مكث في الحكم أربعة اعوام (508) . ودخل أبو حاتم تاهرت سنة 286 هـ ( 900 م ) في حماية زعماء عامتها (509) .

ونعتقد أن أبا حاتم لم يكن بوسعه استرداد نفوذه الحقيقي على المدينة بعد عودته اليها بفضل زعماء العامة فيها . وبديهي أن ينعكس نفوذ أهل تاهرت على ما اتخذه من اجراءات عقب تقلده الامامة . فلم يكن بمقدوره الا أن يصدر عفوا عاما على سائر أهلها (510) ، وقد كان الى عهد قريب يشترط على زعمائهم والاقتصاص منهم حتى يفك الحصار الذي ضربه على تاهرت . كما أعوزته القدرة على البت في سياسة الدولة بمفرده ، فقد شاركه فيها مشايخ المدينة « اباضية وغير اباضية » (511) ولم تعد مناصب الدولة حكرا على نفوسة والعجم ، بل برزت عناصر جديدة لم تتول مثل ذلك من قبل (512) وتحولت السلطة الحقيقية في تاهرت الى هؤلاء العمال ، فكان صاحب الشرطة «ياخذا بالتهمة ، ويضربا على الظنة» (513)، أما الامام فلم يكن له من السلطة سوى الاسم .

ويبدو أن يعقوب بن أفلق ومن هرب معه من مشايخ الكوفيين كانوا من وراء حركة الطيب بن خلف بن السمح في شرقى الدولة الرستمية ، ذلك أن يعقوبا غادر تاهرت ونزل على زواغة بأحواز طرابلس سنة 286 هـ ( 900 م ) كما أن زواغة كانت لا تزال على ولائها لتعاليم خلف بن السمح ، والتفت حول ابنه الطيب بعد وفاته . ولما كانت مضاربيها مجاورة لمنازل نفوسة الموالية للأسرة الرستمية ، فقد كان الاحتكاك بينهما أمرا لا محيد عنه . والواقع أن معلوماتنا في هذا الصدد مستمدة من المصادر الإباضية التي تصور حركة الطيب وزواغة على أنها تمرد من جانب زواغة لخروجها

(507) ابن الصغير : ص 56 ، النسوي : ص 275 .

(508) ابن مغازي : ج 1 ص 278 .

(509) ابن الصغير : صفحة 56 .

(510) امتدح الشاعر بكر بن حماد التاهرتي أبا حاتم راجيا عفوه في تصيدة منها :

نقلت جناتى يوسف بن محمد فطال على الليل وهو تصير  
أبا حاتم ما كان ما كان بغضه ولكن أتت بمسد الامور أمور  
وأكرم عفوا يؤثر الناس أمره اذا ما عسى الانسان وهو تدير  
انظر النسوي : صفحة 276 .

(511) ابن الصغير : ص 56 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 103 .

(512) نستشف ذلك من اسمى عبد الله بن أبى الشيخ الذى ولى القضاء وابراهيم بن مسكين الذى ولى الشرطة ويخيل الينا أنهما كانا من العرب المالكية والاحناف .

انظر : ابن الصغير : ص 56 ، الشماخى : السير ص 263 .

(513) ابن الصغير : ص 56 ، الشماخى : السير ص 263 ، البرادى : الجواهر المنتقاة . ورقة 103 .

على زعامة نفوسة (514) . ومع ذلك فالراجح أن يعقوب بن أفلق كان من وراء هذه الحركة مستهدفا إثارة القلاقل في وجه أبي حاتم ، فليس من محض الصدفة أن يثور الزواغيون في هذا الوقت بعينه .

على كل حال — تحفل تواريخ الإباضية (515) بذكر انتصارات الياس ابن منصور على الطيب وأنصاره من الخلفية الذين ولوا الادبار لأنذين بجزيرة جربة وسيوف النفوسيين تجهز على فلولهم (516) وتشير هذه المصادر (517) الى أن الطيب اعتصم بقصر احد شيوخها ممن كانوا على مذهب خلف ، وأن الياس بن منصور رشاه بالمال فسلمه اليه بدون قتال وعاد به الى الجبل حيث « عاد الى مذهب أهل الحق » وقضى على حركته .

ونعتقد أن السححية من زواغة ويعقوب بن أفلق لم يركنوا للدعة بعض القبض على الطيب بن خلف وسجنه بجبل نفوسة على يد الياس بن منصور عامل الجبل من قبل أبي حاتم ، فقد كانوا على صلة بأفراد البيت الرستمي المناوئين لإمامة أبي حاتم ، واشتركوا معهم في تدبير مؤامرة اغتياله ، وكان الشيخ الزواغي ، السححي أبو الخطاب وسيل بن سنتين همزة الوصل بين يعقوب بن أفلق والمتآمرين من البيت الرستمي (518) حتى تمت المؤامرة بنجاح، وقتل أبو حاتم يوسف على يد أبناء أخيه سنة 294 هـ (906 م) (519) .

وآلت الإمامة الى أحدهم ويدعى اليقظان بن أبي اليقظان محمد . ولا نعرف عن أخباره شيئا لعزوف الإباضية عن ذكر امامته باعتباره مغتصبا لها (520) . والراجح أن عهده اتسم بالقلاقل والفتن سواء من جانب الطوائف الدينية غير الإباضية التي كانت تطمح في الإمامة دون أن تنالها — أو من جانب أبناء أبي حاتم يوسف وأتباعهم للاخذ بثأر أبيهم . وهذا يفهم

(514) أبو زكريا : ورقة 32 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 38 ، النفوسى : ص 38 .

(515) نفس المصادر والصفحات .

(516) لا غرابة فيها حدث من تتبع النفوسيين طول زواغة والاجهاز عليهم ، علما بأن تعاليم المذهب الإباضى تحرم تتبع المدبر والاجهاز على الجرحى . انظر : الوردجلاوى : الدليل لاهل العقول ج 3 ص 54 . ذلك لان هذه التعاليم الإباضية تشترط في الفار المدبر أن يكون بدون ماوى يلوذ به ، فان كان له ماوى جاز تتبعه وقتل حريمه . انظر : Motylinski : l'Aqida des Abadites. P. 512.

ولما كان للهاربين من زواغة ماوى في جزيرة جربة ، استحل النفوسيون الاجهاز على فلولهم .

(517) أبو زكريا : ورقة 33 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 39 ، النفوسى : ص 279 .

(518) النفوسى : صفحة 291 .

(519) ابن عذارى : ج 1 صفحة 278 .

(520) السوفى : شرح السؤالات ورقة 99 .

من رواية لابی زكريا (521) تقول بأن بنت أبى حاتم وأخيها توجهتا الى أبى عبد الله الشيعى ودعوه لدخول تاهرت والانتقام من قتلة أبيهما ، وأن المالكية والواصلية والشيعية والصفيرية « شكوا اليه امارة الفرس » .

مهما كان الامر ، وضع الغزو الشيعى لتاهرت سنة 297 هـ ( 909 م ) حدا لامامة اليقظان بن أبى اليقظان ونهاية للدولة الرستمية برمتها .

وهكذا — كان تاريخ بنى رستم سلسلة من التقاتل والاضطرابات الداخلية ، اتخذت شكل الانشقاق المذهبى ، والصراع القبلى والعنصرى والتناحر الاسرى والطائفى .

## ج - علاقات بني رستم الخارجية

تأثرت سياسة بني رستم الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي ومذهبها الديني وظروفها السياسية ومصالحها الاقتصادية فقد كانت دولة صحراوية داخلية ، ولهذا لم نسمع عن نشاط بحري لبني رستم ولم يسهموا في حركة الفتوح التي احتكرها جيرانهم الاغالبية في الحوض الاوسط من البحر المتوسط . وقد حتم الوضع الجغرافي للدولة الرستمية وتشابك حدودها مع دول الاغالبية والادارسة وبنى مدرار ، ان تدخل في علاقات مع هذه الدول على الرغم من جنوح ائمتها الى العزلة والانصراف الى مواجهة مشاكلهم الداخلية . لقد فرضت رابطة الجوار على بني رستم ان يحددوا علاقاتهم بأمراء القيروان العباسيين ومن بعدهم الاغالبية السنة والادارسة العلويين وبنى مدرار الصفيرية ، ان عدا وان ودا . وقد تأثرت هذه العلاقات بجانبها الودي والعدائي - الى حد كبير - بمذهب الدولة الديني ، فلما كان بنو رستم من الخوارج الاباضية فقد عادوا الحكم السنن بالقيروان والعلوي بفاس ، وهادنوا خوارج سجماسة الصفيرية . كما دعمت الظروف السياسية التي عاشتها الدولة الرستمية سياسة العدا للقيروان وفاس وسياسة المهادنة لسجماسة ، فقد قامت الدولة على انقاض نفوذ الخلافة العباسية في المغرب الاوسط ، وعجز عمال الخلافة في القيروان عن الحيلولة دون قيامها ، لهذا كان على الاغالبية - عمال بني العباس - ان يضطلعوا بتنفيذ مشيئة الخلافة في مناهضتها . واذا كانت دولة الادارسة قد قامت في المغرب الاقصى على حساب نفوذ الخوارج ، فلم يكن هناك مناص من عدا ائمة تاهرت لائمة فاس لاقتطاعهم بعض الاجزاء الشمالية الغربية من الدولة الرستمية . وقد اجتمعت الدولتان الرستمية والمدراية على عدا القيروان وفاس ، ولهذا حرص حكامها على الالتزام بسياسة حسن

الجوار ازاء بعضهم البعض . ولما كان أمويو الأندلس يعادون العباسيين والاغالبية والادارسة ، فقد عقد بنو رستم معهم أواصر الصداقة والود . كما أوثقوا صلاتهم بأباضية المشرق لما جمعهم من وحدة المذهب الديني والمصير السياسي . والحقيقة أن الرستميين انصرفوا لتوطيد صلاتهم بالجنوب مدفوعين بمصالحهم التجارية ، وساعد على ذلك ما كفلته الظروف الجغرافية من حماية طبيعية لقلب دولتهم ، فلم ينجزوا اعداءهم الا بما تقتضيه ضرورة الدفاع ، بل أحيانا كانوا يفضون الطرف عن أطباع جيرانهم في اطراف الدولة ، فلم يحركوا ساكنا حين ضم الادارسة تلمسان وما حولها وسلخوها عن نفوذ تاهرت .

وقد كانت كافة حروبهم مع جيرانهم للدفاع فقط باستثناء مرة واحدة اتخذوا فيها موقف الهجوم ، لما حاصر عبد الوهاب بن رستم طرابلس سنة 196هـ ( 812 م ) . كما لم تتعد صلاتهم الودية أكثر من تبادل السفارات والهدايا ولم تصل فقط لدرجة التحالف أو التعاون لمواجهة العدو المشترك . وعلى ذلك يمكن القول بأن سياسة بنى رستم الخارجية قامت في جوهرها على تحاشي الاخطار والتزام الدفاع ، وكانت أميل الى السلم منها الى العدوان . ومع ذلك يمكن تقسيم هذه العلاقات الى شقين ، عدائية وودية ، فعلاقات بنى رستم بالعباسيين والاغالبية والادارسة كانت ذات طابع عدائي . أما علاقاتهم مع بنى مدرار وبنى أمية بالاندلس وأباضية الشرق ، فقد اتسمت بالطابع الودي .

## ١ - العلاقات العدائية :

### 1 - بنو رستم والعباسيون :

لا يخفى ما كان بين بنى رستم وبنى العباس من خلاف مذهبي وعداء سياسي ، فقد تأصل هذا العداء منذ عهد العباسيون الى مناهضة حركات الخوارج - ومنهم الاباضية - في الشرق ، والغرب على السواء . وحسبنا ان ما حل باباضية المغرب من كوارث انما تم على أيدي ولاة المنصور والرشيد بالقيروان منذ ولاية ابن الأشعث ومن تلاه من أمراء الاسرة المهلبية ، وقد لجأ عبد الرحمن بن رستم الى جوف الصحراء حيث أسس دولته هربا من هؤلاء الولاة واتقاء لبطشهم .

والواقع ان أباضية المغرب وجدوا في دولة بنى رستم ملاذا حصينا

من خطر ولاة القيروان ، فلم يقدر لاي منهم اجتياح اراضي الدولة الرستمية بعد فشل محمد بن الاشعث في حصار عبد الرحمن بن رستم ومن معه من الاباضية بجبل سوفج سنة 145 هـ ( 762 م ) بل حاول ابن رستم وجماعته الانتقام لما حل بالاباضية من بطش جيوش ابن الاشعث ، فخرج على رأس خمسة عشر الف من رجاله لحصار عمر بن حفص بطبنة سنة 154 هـ ( 771 م ) مع سائر اباضية المغرب وصفريته ، لكنه عاد مدحورا بعد هزيمته عند تهودة امام جيش عمير بن معمر بن عيسى السعدي قائد عمر بن حفص (522) .

وبسبب هذه الهزيمة ، وما لحق اباضية المغرب الادنى من بطش يزيد بن حاتم (523) ، آثر عبد الرحمن بن رستم الانصراف الى تأسيس دولته دون ان يمضى في مناخزة ولاة القيروان . فبعث الى روح بن حاتم طالبا مهادنته حتى يتفرغ لمواجهة الاعباء التي واكبت قيام دولته ويبدو ان الخلافة العباسية آنذاك تطلعت الى دعم نفوذها في افريقية ، وغضت الطرف — الى حين — عن بسط سلطانها على بلاد المغرب الاوسط والاقصى ، فقبل واليها على القيروان موادعة عبد الرحمن بن رستم (524) .

ومن الطبيعي ان تظل هذه السياسة قائمة في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن لما حفل به حكمه من قلاقل وثورات في الوقت الذي جنح فيه روح بن حاتم الى السلم لتقدم العمر به . وقد اختلف المؤرخون في تحديد اى من الطرفين بادر بطلب الموادعة ، فمنهم (525) من يشير الى ان عبد الوهاب بن رستم هو الذي طلب من روح تجديد الهدنة ، ومنهم (526) من يذكر ان روحا طلب الموادعة . وان عبد الوهاب اجابه الى ما اراد . وقد خرج جوتيه (527) من الرواية الاولى بأن آراء القيروان اسقطوا من اعتبارهم استرداد نفوذهم على المغرب الاوسط فتغاضوا عن مناوئة الدولة الرستمية . بينما استخلص فورنل (528) من الرواية الثانية ان الدولة الرستمية اصبحت قادرة على الوقوف من ولاة القيروان موقف الند للند .

(522) ابن خلدون : ج 4 ص 193 ، النويرى : ج 22 ورقة 21 .

(523) ابن خلدون : نفس المصدر : ص 194 .

(524) النسوسى : ص 93 .

(525) انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 ص 10 .

(526) ابن خلدون : ج 4 ص 194 ، النويرى : ج 22 ورقة 23 .

Les Siècles Obscurs. P. 294. (527)

Les Berberes - Vol. I. P. 288 (528)

ومهما كان الامر ، فالذى يعيننا أن الطرفين جنحا الى السلم ، وآثرا العافية على الدخول في صراع لم يكونا على استعداد لخوض غماره وتحمل مغيبته .

واستمرت سياسة تحاشي الصدام بين ائمة تاهرت وأمراء القيروان قائمة حتى سنة 184 هـ ( 800 م ) . حين قامت دولة الاغالبية في افريقية لثرت اسباب العداة مع بنى رستم وثوب عن بنى العباس في الاضطلاع بمناهضة حكمهم .

ومن الجدير بالتنويه أن المواعدة بين أمراء القيروان وائمة تاهرت لا تعنى انتفاء العداة بينهما ، فالعداء بين تاهرت وبغداد ظل قائما ، ولم يتوان الخلفاء عن اغتنام ما سنع لهم من فرص في الكيد للدولة الرستمية واثارة المتاعب في وجه ائمتها وادرك الرستميون ما اضره بنو العباس لهم من خصومة وعداء ، فأحجم عبد الوهاب بن رستم عن أداء الحج خشية الوقوع في يد « السوداء » ( 529 ) وبرر له فقهاء المذهب الاباضى عزوفه هذا « بعدم امان الطريق » ، فأمان الطريق — شرعا — من شروط الحج ( 530 ) .

وليس ببعيد أن يكون العباسيون قد توجسوا خيفة من اتصال ائمة تاهرت باباضية الشرق لتدبير المؤامرات وتنظيم الثورات المناوئة لحكمهم ( 531 ) ، ومن ثم درجوا على بث عيونهم لمراقبة وفود المغاربة في مواسم الحج . ولعل في حادثة القبض على الامير الرستمي ابى اليقظان محمد ابن افلح بمكة وايداعه السجن ( 532 ) ببغداد ما ينهضه دليلا على ذلك .

كذلك رحب العباسيون بالثوار الخارجين على بنى رستم ، ووجد هؤلاء في بغداد ملاذا آمنا بعد اخفاق حركاتهم . والراجح أن العباسيين تعاونوا معهم على اسقاط الحكم الرستمي في تاهرت ، فنفاث بن نصر الثائر على افلح بن عبد الوهاب الرستمي بادر بالهرب الى بغداد حين ضيق عليه عمال الامام على جبل نفوسة حتى اوشكوا على الظفر به . وتشيد مصادر الاباضية بما لقيه نفاث من حظوة وحفاوة في بلاط الخلافة ، حتى أن الخليفة

( 529 ) ابو زكريا : ورقة 23 ، النفوسى : ص 140 .

( 530 ) ابو زكريا : ورقة 23 .

( 531 ) ابن الصغير : صفحة 28 .

( 532 ) عن حادثة القبض على ابن اليقظان محمد وسجنه ثم اطلاق سراحه . انظر : ابن

الصغير : ص 27 — 29 ، ابو زكريا : ورقة 31 ، 32 ، الدرجينى : ج 1 ورقة

37 ، 38 ، النفوسى : ص 259 — 264 .



اطلعه على المحظور من امهات الكتب والدواوين في المذهب الاباضى . وليس بعيد ان يكون نفاث قد تأمر مع الخلافة على بث الشقاق في الدولة الرستمية اثر عودته ، واذا كان لم يوفق في النيل من سلطان تاهرت في اقاليم الدولة الشرقية فان حسبه نجاحه في احداث انقسام مذهبي سياسى وتكوين فرقة عرفت ( بالنفائية ) ظلت معادية للسلطة الحاكمة في تاهرت طوال عصر الدولة الرستمية .

وقد وضع تأمر بنى العباس على اسقاط امامة تاهرت في العصر الرستمي الاخير ، فطائفة الكوفيين بتاهرت لعبت دورا بارزا في مناوئة الامامة الرستمية في ذلك الحين ، وتواطأت مع زعماء العامة في العاصمة الرستمية لاقضاء ابي حاتم يوسف عن السلطة وطرده خارج المدينة (534). وفي وجود بكر بن حماد التاهرتي — أخ محمد بن حماد — زعيم عامة تاهرت — ببغداد (535) قبيل وقوع تلك الاحداث ، وعودته الى تاهرت واشترأه في تنحية ابي حاتم ثم اعتذاره اليه راجيا عفوه بعد عودته للسلطة (536) ، ما يشير الى تواطؤ الخلافة العباسية مع المارقين على بنى رستم وتدبيرهم المكيد ضد الدولة الرستمية وهذا كله يؤكد ما ذهبنا اليه من تأصل العداء بين الطرفين .

## 2 — بنو رستم والاغالبة :

اتخذت العلاقات بين بنى رستم والاغالبة طابعا عدائيا صرفا . وكان لذلك اسبابه المذهبية والسياسية والجغرافية ، فالاغالبة كانوا سنة ، ومذهب مالك المعروف بعنائه لسائر النحل المتطرفة ساد افريقية الاغلبية ، بينما تعصب بنو رستم للمذهب الاباضى ، وهو رغم اعتداله يذهب الى تكفير مخالفيه (537) فضلا عن ذلك فالاغالبة كانوا عمال الخلافة العباسية وأداتها في افريقية ، ورمز نفوذها الوحيد في بلاد المغرب ، ولا غرو فقد قامت سياستهم الخارجية على مصادقة اصدقاء الخلافة ومعاداة اعدائها .

- 
- (533) انظر : ابو زكريا : ورقة 30 ، 31 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 36 ، 37 النفوسى : ص 206 — 209 .  
(534) ابن الصغير : ص 51 ، النفوسى : ص 268 .  
(535) المالكى : رياض النفوس : ج 1 ص 409 ، الدباغ : معالم الايمان : ج 2 ص 192 .  
(536) النفوسى : صفحة 276 .  
(537) المقصود هنا تكثير الحكام فقط وليس الرعية . انظر : البغدادى : الفرق بين الفرق " صفحة 106 .

ومن ثم كان على أمراء بنى الاغلب أن يناهضوا أئمة تاهرت جريا على سنة الخلافة وتنفيذا لمشيئتها، كما لم يتتاعس بنو رستم عن مناجزة جيرانهم الاغلبة باعتبارهم أعداء سياسيين ومذهبيين على الرغم مما عرفوا به من المسألة والحرص على تحاشي أسباب التطاول والصراع (538).

لقد فرضت الظروف الجغرافية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدوانيا ، فلم يكن ثم محيد عن الصدام أمام تشابك الحدود وعدم وضوح معالمها . لقد أحاطت الدولة الرستمية بافريقية الاغلبية من الشرق والغرب والجنوب (539) ، ولم يكن هناك ما يمنع رعايا الدولتين من القبائل البدوية من الحركة والانتقال والاختلاط في مناطق الحدود (540) ، ومن هنا اختلط الامر على بعض الجغرافيين (541) فنسبوا بعض البلدان والكور الرستمية — كغدامس وتهودة وودان — الى دولة الاغلبة . والذي يعيننا هو أن الصدام بين رعايا الدولتين في مناطق الحدود كان لا ينقطع ، فالتقيم الزاب ونواحي بلزمة شهدت صراعا داميا بين فقهاء المالكية وأتباع المذهب الاباضي (542) . وجدير بالتنويه أن جمهور الاباضية بتلك النواحي لم يكن برمته مواليا للرستميين ، فجماعتي الخلفية من زواغة والنكار من هوارة — ومنازلهما جنوبى تونس — (543) كانتا على عداة مع بنى رستم ، وليس من المستبعد أن يكون الاغلبة قد اصطنعوا بعض هذه العناصر لاثارة العراقيين والثقل في الدولة الرستمية ، يفسر هذا قول لوتورنو (544) بأن جماعات الاباضية بنواحي قسطنطينية — بلاد الجريد — لم يتعرضوا لاضطهاد الاغلبة . ولكن الذى لا شك فيه أن جمهور الاباضية الوهبية من لواتة وهوارة في تلك الاصقاع لقي عسفا وعنتا على أيدي بنى الاغلب وعمالهم (545) .

كما كانت حدود دولة الاغلبة الشرقية غير واضحة المعالم ، فقبائل نفوسة الاباضية كانت تضرب قرب طرابلس التابعة لبنى الاغلب ، وامتدت ديارها حتى مشارف القيروان ذاتها (546) . ومن ثم كانت هذه المناطق

(538) النفوسى : صفحة 93 ،

Gautier : Op. Cit. P. 294, Vonderheyden : Op. Cit. P. 267.

(539) انظر : الخريطة .

(540) مجهول : الاستبصار : ص 179 .

(541) راجع : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص 87 .

Masqueray : Op. Cit. P. 220.

(542) ابن خلدون : العبر : ج 4 ص 203 ،

Lewcki : Etudes Ibadites. P. 73.

(543) ابن عذارى : ج 1 ص 167 ،

La Revolte d'Abou - Yazid. P. 105.

(544) انظر :

(545) ابن خلدون : ج 4 ص 203 .

(546) اليعقوبى : البلدان ص 349 .

ميدانا حاقلا بالصراع بين الدولتين الاغلبية والبرستمية .

وليس صحيحا ما ذهب اليه مؤرخو الغرب (547) من انتشاء طابع العداء بين الاغلبية وبنى رستم وقولهم بأن كليهما نعم بحدود آمنة عازفا عن شهر السلاح في وجه جاره . حقيقة ، لم يصل التشاحن بينهما الى حد يهدد وجودهما بسبب انشغال الاغلبية بمواجهة مشاكلهم الداخلية فضلا عن النشاط البحري الذي ضربوا فيه بسهم وافر ، ونفس الشيء يقال عن بنى رستم واهتمامهم بحركة التجارة مع الجنوب . هذا فضلا عن بعد المسافة ووعورة الطرق بين تاهرت وافريقية ، فقد كانت المسافة بينهما مسيرة شهر على ظهور الابل (548) . لكن ذلك لا يعنى قط أحجام حكام الدولتين عن الاغارة على املاك بعضهم البعض على امتداد الحدود ، وخاصة في الجهات الشرقية ، بل دأبوا على بث الفتنة واثارة العرائيل وتحريض العناصر المعادية للحكم . واذا كان البرستميون الاوائل قد أحرزوا النصر في المرحلة الاولى فان الاغلبية ظفروا به بعد ذلك في أواخر العصر البرستمي .

بدأ النزاع البرستمي الاغلبى في منطقة طرابلس ، وسببه ان هذه المدينة كانت تابعة للاغلبية ، وقد امتد نفوذ عاملها على بعض بطون هوارة الاباضية الضاربة بجوارها ، وعدتها ثلاثمائة اسرة (549) . وبديهي أن يطمح هؤلاء الاباضية في الاستقلال عن سلطان الاغلبية للدخول في طاعة بنى رستم (550) ، فدأبوا على اثاره المتاعب في وجه العامل الاغلبى على طرابلس ، وغمدت جماعات منهم الى الاغارة على المدينة وبث الرعب بين سكانها (551) فكان عاملها يسرف في الانتقام من الاباضية بها حتى لقد خرجت جموع غفيرة منهم ولجأوا الى الصحراء (552) . ويبدو أنهم استمدوا العون من جيرانهم اباضية نفوسة ، فقد نجحوا عام 196 هـ (812 م) في اجتياح طرابلس . والحقوا بها الخراب والدمار . وهب

Vonderheyden : Op. Cit. P. 268,

(547) انظر :

Marcais : La Berberie Musulmane. P. 107,

Huart : Histoire des Arabes. Vol. I. P. 321.

(548) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص 88 .

(549) المالكي : رياض النفوس : ج 1 ص 216 ،

(550) أبو زكريا : ورقة 23 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 30 ، النفوسى : ص 146 .

(551) الانتصارى ، فحاحات الفتنين . ورقة 7 - مخطوط ،

Brockelman : Op. Cit. P. 150.

(552) النفوسى : صفحة 144 .

ابراهيم بن الاغلب لاستنقاذ نفوذه ، فرمى الثوار بابنه عبد الله الذى أفلح في استرداد المدينة وأخذن في الاباضية تنكيلا ثم حصنها ببناء سور حولها (553) . واستعان الاباضية بالامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن — وكان اذ ذاك بجبل نفوسة — فاستجاب لهم وخرج على رأس جيش من نفوسة وغيرها وضرب الحصار حول طرابلس (554) . ولم يستطع عبد الوهاب افتتاح المدينة ، فقد اغلق عبد الله الاغلبى ابوابها وباتر القتال من باب واحد وتمكن جنده من اغتيال بعض مشاهير الاباضية (555) ، كما استطاع عن طريق جواسيسه افساد خطط المحاصرين (556) .

وكاد عبد الوهاب أن يعود من حيث أتى ، لولا أن أسعفه الحظ بموت ابراهيم بن الاغلب واستدعاء ابنه عبد الله الى القيروان لتقلد الإمارة (557) . فاضطر عبد الله الى التسليم بمطالب الرستميين في انضمام اباضية هوارة الى دولتهم وانسلاخهم عن نفوذ عامل طرابلس الاغلبى ، ونص في الاتفاق على أن « يكون البلد والبحر لعبد الله وما كان خارجا عن ذلك لعبد الوهاب » (558) هكذا انتصر عبد الوهاب بسبب اضطرار عبد الله الى وقف الحرب وعودته الى القيروان ، بل شجعه ذلك على الاجترار على الاراضى الاغلبية ذاتها فضرب صفحا عن الاتفاق واستولى على قابس — وهى ميناء على البحر كان تابعا للاغلبة (559) — ، وكذلك آلت اليه بعض القرى والحصون الأخرى ثم عبرت جيوشه الى جزيرة جوبة واستولت عليها ، وعاد عبد الوهاب الى جبل نفوسة ومنه الى تاهرت بعد أن ولى عماله على هذه النواحي الجديدة (560) وشغل الاغلبة الاول بمشاكلهم الداخلية عن تصحيح الوضع على حدودهم الشرقية ، كما قنع الرستميون بما أحرزوه من مكاسب ، ، ولم يتمادوا في سياسة التوسع مغتتمين فرصة ثورات الجند في افريقية على الإمارة الاغلبية . وهذا

(553) ابن الاثير : ج 6 ص 60 .

(554) نفس المصدر والصحيفة ، ابو زكريا : ورقة 21 ،

Journal : Op. Cit. Vol. 2. P. 150.

(555) ابو زكريا : ورقة 23 ، الشهاخي : السير ص 160 .

(556) النفوسى : صفحة 145 .

(557) ابن الاثير : ج 6 ص 60 .

(558) نفس المصدر والصحيفة ، الشهاخي : السير : ص 161 .

(559) اليعقوبى : البلدان ص 349 ، 350 .

(560) ابن خلدون : ج 6 ص 122 ، الشهاخي : السير : ص 161 ، النفوسى :

صفحة 146 ، 147 .

ما حدا ببعض الاحزاب المعارضة لعبد الوهاب أن تستنكر فتوره « وثلة محاربتة للمسودة (561) .

ودرج أفلح بن عبد الوهاب — الذى اشتهر بالدهاء والسياسة — على تحريض اتباعه من البدو الاباضية المقيمين ببلاد الجريد لاثارة القلاقل فى دولة الاغالبية ، ويذكر ابن خلدون (562) انهم تمردوا على العامل الاغلبى بقسطيلية وارادوه قتيلا ، وأن الامير أبى عقال الاغلبى سير اليهم الجيوش ، واستأصل شأفتهم ومن المشكوك فيه أن يكون أبو عقال قد قضى نهائيا على ثورات الاباضية فى افريقية الجنوبية ، ويبدو أن ذلك كان دافعا لخليفته الامير محمد الاغلبى على الاهتمام بتوطيد نفوذه فى تلك النواحي ففى سنة 239 هـ ( 854 م ) أسس مدينة جديدة سماها العباسية فى بلاد الجريد لمواجهة أخطار الاباضية ، ولتكون قاعدة امامية للاغارة على تاهرت ذاتها فضلا عن منافستها للعاصمة الرستمية فى تجارة العبور (563) غير أن أفلح بن عبد الوهاب بادر بمواجهة الخطر الاغلبى ، وأفلح فى تدمير العباسية ، واضرم فيها النيران (564) .

كما حاول اباضية نفوسة وهوارة الاستيلاء على طرابلس فى عهد احمد بن محمد الاغلبى ( 242 — 249 هـ ) ( 857 — 864 م ) ولم ينقذها سوى جلب واليها الامدادات من القيروان فحال دون سقوطها سنة 245 هـ ( 860 م ) . وهكذا اتسمت سياسة بنى رستم فى عهدى عبد الوهاب وأفلح بالقوة فأمسكا بزمام المبادرة فى صراعهما مع الاغالبية ، ونجحا فى مواجهة أخطارهم بل واقتطاع أجزاء من دولتهم على أن الاغالبية سرعان ما رجحت كفتهم بعد موت أفلح بن عبد الوهاب ، اذ منيت الدولة الرستمية بأخطار الصراع العنصرى والطائفى فى الداخل . فلم يعدم الاغالبية وجود صنائع واتباع عملوا لحسابهم فى مناهضة ائمة بنى رستم فى ذلك

---

(561) الشماخى : السير ص 194 . ويعنى الشماخى بالمسودة بنى الاغلب اصال العباسيين .

(562) العبر : ج 4 صفحة 200 .

(563) النوسى : صفحة 189 ،

Mercier : Histoire de l'Afrique Septentrionale. P. 285.

(564) البلاذرى فتوح البلدان ص 277 ، ابن خلدون : ج 4 ص 200 — 201 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 513.

(565) ابن خلدون : ج 4 ص 201 ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص 398.

الحين (566) . ولا يخفى دور شخص يدعى خلف الخادم — من موالى الاغالبة — فى تأليفت الثوار على ابي بكر بن افلح حتى اقصوه عن الامامة وطردوه خارج تاهرت ويحدثنا ابن الصغير (567) انه كان يبذل الاموال للثوار بسخاء ، الامر الذى يدل على تواطؤ بنى الاغلب وتآمرهم على اسقاط الحكم الرستمي .

وفى سنة 267 هـ ( 881 م ) اشتركت جيوش الاغالبة جنبا الى جنب مع اباضية نفوسة فى قتال جيش العباس بن احمد بن طولون — الذى خرج من مصر غازيا افريقية — ، وهذا لا يعنى عودة الوثام بين بنى رستم والاغالبة فقد قاتلت نفوسة العباس لا « لانقاذ طرابلس وبنى الاغلب من ظلمه » كما ذهب النفوسى (568) ، ولا تلبية لطلب ابن قريهب عامل الاغالبة على طرابلس كما قال سعيد بن مقديش (569) ، وانما لان خطره هدد بنى الاغلب وبنى رستم على السواء (570) . فبعد استيلاء العباس على لبدة ، بطش بجمهور الاباضية هناك « وتعدى سودانه على بعض حرم البوادي وهتكوا الحجب » (571) ولما كان هؤلاء من رعايا بنى رستم ، فقد استنجدوا بعاملهم على جبل نفوسة ويدعى الياس بن منصور فى الوقت الذى بعث فيه العباس اليه يدعوه للدخول فى طاعته (572) . فهب العامل الرستمي لدرء خطر العباس دون سابق اتفاق مع الاغالبة (573) . مصداق ذلك خروج عامل طرابلس الاغلبى على رأس جيش انفذ اليه من القيروان والتحامه مع ابن طولون قبل قدوم الاباضية من نفوسة (574)

(566) ابن الصغير : صفحة 27 .

(567) سيرة الائمة الرستمين ص 37 ، النفوسى : ص 632 .

(568) انظر : الازهار الرياضية : ج 2 ص 255 .

(569) انظر : نزهة الانظار ص 121 .

(570) Basset : Les Sanctures .. P. 93.

(571) ابن عذارى : ج 1 صفحة 157 .

(572) ابن الداية : سيرة احمد بن طولون ص 61 . وقد جاء فى خطاب العباس الى الياس بن منصور « . . اتبل بسمك وطاعتك والا وطيبت بلدك بخيلى ورجلى وابحت رحمك » وجاء فى رد الياس « . . لقد بلغنى من تبيح اعمالك مالا يسعنى التخلف معه عن جهادك . وانا على اثر رسالتى اليك » راجع : البلوى : سيرة احمد بن طولون ص 254 ، النفوسى : ص 258 .

(573) تصور بعض المصادر هذا الحادث باعتباره يخص كلا من الطرفين على حدة ، دون اذنى اشارة الى اشتراكهما فى مواجهته . انظر : الورجلانى : الدليل لاهل العقول ج 3 ص 54 ، الخرجى : اخبار الدول المنتظمة ورتبة 29 ،

Lewcki : Etudes Ibadites. P. 49.

(574) البلوى : سيرة احمد بن طولون ص 254 .

فقد وصلوا في اليوم التالي (575) ، واشتركوا مع الاغالبية في قتال العباس (576) . وحين هزم العباس ، استأثر الاغالبية بالمغانم والاموال الطائلة (577) دون الاباضية الذين رفضوها « زهدا وتعففا » على حد قول المصادر الاباضية (578) .

وعمد ابراهيم بن احمد الاغلبى الى اتباع طرق شتى في صراعه مع الرستميين الذين وقفوا موقف الدفاع . ففي سنة 269 هـ ( 883 م ) اوغلت جيوشه في مضارب التبتائل الاباضية ببلاد الجريد ، وتمكن من وضع حد لشغبهم (579) . وبث الفرقة بين اباضية نفوسة باصطناع مسائل فقهية اختلف شيوخهم حول تأويلها (580) .

ويبدو أنه فعل ذلك توطئة للاطاحة بمعقل القوة في الدولة الرستمية، بغزو جبل نفوسة ، هذا هو ما حدث فعلا سنة 293 هـ ( 897 م ) واختلفت الروايات في تفسير دوافع هذا الغزو ، فبعضها (581) تعزوه الى اعتراض نفوسة الجيش الاغلبى الزاحف نحو مصر الطولونية ، وبعضها (582) الآخر يزعم ان الامير الاغلبى كان قادما على رأس جيش من بغداد لغزو تاهرت فاعترضته نفوسة دفاعا عن عاصمة الرستميين ، بينما يذهب ابن عذارى (583) الى أن جيش ابن الاغلب كان متوجها الى طرابلس لتأديب عاملها ، فاعترضته نفوسة ومنعته من المرور ، في حين يقول الشماخى (584) باجتماع نفوسة على قتال الامير الاغلبى لانه « افسد

- 
- (575) نفس المصدر : ص 255 ، النويرى : ج 26 ورقة 7 .  
(576) البلوى : ص 255 ، المرزبى : الخطط ج 1 ص 320 .  
(577) البلوى : ص 255 ، ابن عذارى : ج 1 ص 158 ، الشماخى : السير ص 225 .  
الورجلانى : ج 3 صفحة 54 .  
(578) النفوسى : ص 257 ، الورجلانى : ج 3 ص 54 ومن المعروف ان المذهب الاباضى يقر الفنية في حالة قتال مخالفيه في المذهب . انظر : ابو غانم الصفرى : الدونة ورقة 43 ، السوفى : شرح السؤالات ورقة 173 .  
(579) ابن خلدون : ج 4 صفحة 203 .  
(580) ذكر الشماخى ان ابراهيم بن احمد اهدى نفوسة سينا ، فاختلف شيوخهم حول كيفية التصرف فيه فرأى البعض رده اليه ، ورفض البعض الاخر ، لانه عون له على باطلة ، بينما تال فريق ثالث بكسره ودفنه ، فاعترض الآخرون على ذلك « لان عطايا الملوك جائزة » . فوقع بذلك خلاف افضى الى شقاق بينهم « . انظر : السير : صفحة 264 .  
(581) النويرى : ج 22 ورقة 37 .  
(582) أبو زكريا : ورقة 33 ، الدرجميى : ج 1 ورقة 39 ، النفوسى : ص 281 .  
(583) البيان المغرب ج 1 ص 173 ، 174 ، Vonderheyden : Op. Cit. P. 272 ،  
Zaki Hasan : Les Tulunde. P. 161 .  
(584) السير ٣٦ صفحة 268 .

وتعدى « وعلى الرغم من اختلاف هذه الروايات ، فهي تجمع على اعتراض اباضية نفوسة الجيش الاغلبى عند مكان يقال له قصر مانو — بين قابس وطرابلس (585) — سنة 283 هـ ( 897 م ) فقامت معركة بين الطرفين قضى فيها على غالبية النفوسيين (586) وعلى اثر الاجهاز على نفوسة ، نزل الجيش الاغلبى على اباضية قنطرة ونفزاوة فبطش بهم واسر جندهم (587) ، وسيق الاسرى الى القيروان حيث عذبوا ثم قتلوا (588). وفي العام التالى بعث الامير الاغلبى جيشا الى نفوسة اثنى فيها ، وعاد بثلاثمائة اسير قتلوا ومثل بهم « فنظمت قلوبهم فى حبال علقت على باب تونس » (589) .

وهكذا — شغلت الامامة فى تاهرت بمشاكل الصراع حول السلطة عن تقديم العون لاباضية المغرب الادنى (590) ، فتركوا وشأنهم يتلقون ضربات الاغالبية حتى وهنوا وضعفوا ، وبضعفهم تداعت الدولة الرستمية (591) ولولا ما حل بدولة الاغالبية من اضطراب سياسى فى عهدها الاخير ، وانصراف امرائها لمجابهة الخطر الشيعى ، لامكنهم غزو تاهرت نفسها ، واسقاط الاسرة الرستمية . لكن الدولتين المتعاديتين جمعتهما فى النهاية وحدة المصير ، فقد وقعتا فريسة للغزو الشيعى سنة 297 هـ ( 909 م ) .

### 3 — بنو رستم والادارسة :

رغم ما ساد علاقات بنى رستم بالادارسة من جفاء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسياسية فان المصادر الاباضية تلوذ بالصمت التام فلا تذكر شيئا البتة عن هذه العلاقات ، وقد فسر كثيرون من الدارسين (592) هذا الصمت على أنه دليل على ما ساد هذه العلاقات من طابع الود وحسن

- 
- (585) ابو زكريا : ورقة 33 .  
(586) نفس المصدر : ورقة 34 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 40 .  
(587) نفس المصدر والصحيحة .  
(588) الوسيانى : سير ابى الربيع : ورقة 3 ، النويرى : ج 22 ورقة 37 .  
(589) ابن مغازى : ج 1 ص 174 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 576.  
(590) النفوسى ص 286 .  
(591) الدرجينى : ج 1 ورقة 41 .  
(592) انظر : محمد بن تاويت : دولة الرستمين ص 117 ، محمد على دبور : المغرب الكبير ج 2 ص 387 ، حسن عبد العواد : دولة الادارسة : ص 245 .



الجوار ، لكن كتابا آخرون ذكروا (593) حقيقة هذه العلاقات وانطوائها على الخصومة والعداء . وسبب هذا العداء أن الإدارة كانوا من الشيعة الزيدية بينما كان بنو رستم من الخوارج الإباضية ، كذلك كانت دولة الإدارة دولة حضر ، بينما غلب الطابع البدوي على الدولة الرستمية . هذا فضلا عما كان بينهما من تنافر سياسي — بسبب صداقة بنى رستم لبني مدرار والامويين في الأندلس أعداء الإدارة — على الرغم من اشتراكهما في معاداة الخلافة العباسية .

وجدير بالذكر أن الإدارة — مدفوعين بهذه الخصومة المذهبية والتباين الاجتماعي والعداء السياسي — عولوا على الإغارة على أملاك دولة الرستميين واقتطاع بعض أجزائها ، بينما ركن الرستميون إلى المسالمة لقصور في قوتهم ، فلم يكن بوسعهم مناجزة جيرانهم الأقوياء ، وإذا كانت غزوات الإدارة لم تشكل خطرا على حكومة تاهرت — حسبما اعتقد ماسكراي (594) ، فحسبهم اقتطاع إقليم تلمسان — وسكانه من مغراوة وبنى يفرن الزناتيين — من بنى رستم وضمه إلى دولتهم .

ولم يكن ثمة ما يحول دون احتكاك الإدارة بجيرانهم الرستميين ، خاصة وأن دولتهم ارتبطت في قيامها وتوسعها بخوارج المغربيين الأتقياء والأوسط مغالبية القبائل التي بايعت أدريس الأول كانت على مذهب الخوارج ، فزنانة ، وزواغة ولماية ولواتة وسدراتة ونفزة — وهى إباضية المذهب — رحبت بأدريس الأول ودخلت في طاعته (595) ، وأن ظلت بعض بطونها على مذهبها وولائها لبنى رستم ، وكان على أدريس وخلفائه أن يدخلوا في صراع مع بنى رستم إذا ما أرادوا التوسع شرقا لضم هذه البطون واستئصال شأفة الخوارج في منطقة تلمسان وأسافل شلف ، وقد تحقق لهم ذلك بالفعل فيما يتعلق بإباضية زنانة بالذات (596) .

(593) انظر : Masqueray : Op. Cit. P. L XXIV, Gautier : Op. Cit. P. 295.

(594) انظر : Chronique d'Abou Zakaria, P. 220.

(595) ابن أبي زرع : القرطاس " ص 16 — 18 ، ابن خلدون : ج 4 ص 12 ، الكتاني :

المغرب : ورقة 13 مخطوط ، محمد على السنوسى ، الدرر السنوية " ص 44 ،

Gautier : Op. Cit. P. 274.

(596) تصور بعض المصادر أن الإدارة نجحوا في اقتطاع كافة الأجزاء الشمالية من الدولة الرستمية حتى لاصقت حدودها الشرقية دولة الأغلبية . انظر : عبد الرحمن ابن زيدان : أتحاف أعلام الناس : ج 2 ص 5 ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي : صفحة 221 ، 274. Vonderheyden : Op. Cit. P. 274. لكن الواقع أن بنى رستم احتفظوا بنفوذهم على بعض هذه الجهات حيث شكلت أملاكهم حاجزا بين الأغلبية والإدارة . انظر اليعقوبى : البلدان . ص 352 ، 353 . Gautier : Op. Cit. P. 295.

ففى سنة 173 هـ ( 789 م ) توجه ادريس الاول على رأس جيش للاستيلاء على تلمسان واخضاع قبائل مغراوة وبنى يفرن وغيرهم من الخوارج الصفرية والاباضية (597) ، وتمكن من دخولها دون كبير جهد (598) .

ونجح فى توحيد جموع زناتة فى غربى بلاد المغرب تحت لوائه ، واستولى على مدينة ذات اهمية استراتيجية خاصة « فتللمسان قفل بلاد المغرب » (599) ذات شهرة تجارية عريضة (600) ، فضلا عن قوة بشرية كبيرة (601) سلخها عن نفوذ دولتى الخوارج .

ويبدو أن الامام عبد الوهاب الرستمى حاول استعادة نفوذه فى هذه النواحي ، لكنه لم يجرؤ على غزو تلمسان (602) . ولم يكن بوسعهم سوى تأليب اصهاره من بنى يفرن ، فقاموا بالثورة على الادارسة ، وظلوا بمنأى عن نفوذهم الى أن اخضعهم ادريس الثانى سنة 197 هـ ( 813 م ) فدأنوا له بالطاعة من جديد وتخلوا نهائيا عن مذهب الخوارج (603) . بل حاول زعماء مغراوة وبنى يفرن اغراء بنى رستم للدخول فى طاعة الادارسة ، فلم يستجيبوا ، وناصبوهم العداة ودخلوا معهم فى حروب فتت فى عضد بنى رستم على عكس ما يذكره مارسية (604) من « خروج تاهرت ظافرة من هذا الصراع » فالثابت أن الامامة الرستمية لم تقم بمحاولة جدية فى هذا الصدد ، واقتصر الامر على مجرد اغارات محدودة قامت بها جماعات من نفوسة ردا على اعتداءات بنى يفرن على رعايا الدولة الرستمية (605) .

وفضلا عن اغارات بنى يفرن ومغراوة على الاطراف الشمالية للدولة الرستمية حرص الادارسة على اثاره العراقيل فى تاهرت نفسها ، ولا يخامرنا شك فى أن ادريس الثانى كان من وراء تمرد الواصلية على عبد

(597) نعلم أن عبد الرحمن بن رستم تزوج من يفرنية وأنجب منها ابنه عبد الوهاب ، انظر : ابو زكريا : ورقة 14 ، النفوسى : ص 100 ، Masqueray : Op. Cit. P. 57 .

(598) ابن أبى زرع : ص 22 ، الكتانى : الازهار . ص 5 ، الجزائى : زهرة الاس منحة 10 .

(599) سعيد بن مقديش : منحة 18 .

(600) البكرى : منحة 76 .

(601) اليعقوبى : البلدان 1 منحة 80 .

(602) ابن الصغير : منحة 17 .

(603) ابن أبى زرع : ص 69 ، الجزائى : ص 22 : محمد على السنوسى : الدرر السنوية ص 45 ، سلفاتوركوسا : تواريخ مدينة فاس : ص 4 ،

Mercier : Histoire de l'Afrique . Septentrionale . P. 89.

(604) انظر : مادة بنى رستم — دائرة المعارف الاسلامية : ص 93 .

(605) الشماخى : السير 1/ ص 197 — 198 Lewcki : etudes Ibadites. P. 36.

الوهاب الرستمي سنة 195 هـ (606) (811 م) ، فمن المعروف أن طنجة كانت معقلا لواصلية المغرب (607) ، وأن أوربة دانت بمذهب الواصلية ، كما أقبلت بعض بطون زناتة على اعتناقه كذلك (608) ، ومعلوم أن أوربة كانت عصب دولة الادارسة ، وأن ولاء زناتة الغرب تحول الى بنى ادريس . وبديهي الا تقطع الصلة بين الواصلية الضاربين خارج تاهرت وبين معاقلهم في دولة الادارسة ، وليس غريبا اقدام الادارسة على استغلال هذه الصلة في اثاره العراثيل أمام خصومهم من بنى رستم ، مصداق ذلك قول ابي زكريا (609) « فتكاثفت كلمة الواصلية ، واجتمعوا من كل نقب ، وجاعوا من كل اوب .. واطهروا مخالفة الامام » .

وأغلب الظن أن ثورات هوارة على الائمة الرستميين لم تخل كذلك من تحريض الادارسة ، فمواطنها الاصلية كانت داخل دولة الادارسة (610) حيث اتخذت من جبل ينجان معقلا وملأذا حين تعرضت لبطش عبد الوهاب ابن رستم . ومن المرجح أن تكون حركتها التي أنتهت باستيلاء زعيمها محمد ابن مسالة على السلطة في تاهرت سنة 260 هـ ( 874 م ) قد قامت بمساعدة آل ادريس وتحريض منهم .

ومن المحقق أن تلك المؤامرات التي أمعن الادارسة في نسج خيوطها لم تقابل بأدنى مبادرة من قبل بنى رستم للرد عليها ، وذلك مما يشكك في تصور جوتييه (611) للعلاقات الرستمية الادريسية على أنها موجات من « الافعال وردودها » ، ولا محل لتصديقه في تعليل انشاء مدينة فاس بخوف ادريس الثاني من تأمر بنى رستم على دولته بالتواطؤ مع العناصر الحائقة على آل ادريس داخل بلادهم .

لم يكن بوسع الائمة الرستميين مجارة الادارسة في تدبير المكائد ، واحداث الشقاق ، كما عزموا نهائيا عن محاولة استرداد نفوذهم المفقود في الاتاليم الشمالية والساحلية ، على الرغم مما حل بدولة الادارسة من

(606) ابو زكريا : ورقة 19 ، محمد على دبور : ج 3 ص 485 ، حسن عبد العواد :

دولة الادارسة : ص 246 .

(607) تدامة بن جعفر : الخراج ص 295 ، النقبوي : ص 116 .

(608) ابو زكريا : ورقة 19 .

(609) السيرة واخبار الائمة ورقة 29 .

(610) ابن خلدون : ج 4 صفحة 14 .

(611) Les siècles obscurs. P. P. 290, 291.

(612) ابن خلدون : ج 4 ص 14 . ' Jalien : Op. Cit. P. 344.

ضعف وتفتت أثر وفاة ادريس الثانى سنة 213 هـ ( 828 م ) ( 612 ) . فقد آلت تلمسان وما حولها الى آل سليمان (613) وأضحت ولاية حاجزة بين الدولتين . وقد تعرضت ولاية تلمسان للتجزئة والتمزق السياسى ايضا ، فقسمت الى ثلاثة أقسام بين أبناء محمد بن سليمان ، اذ استقل ابنه محمد بمدينة تلمسان وعيسى بأرشقول ، أما جراوة فكانت من نصيب ادريس ثم آلت الى ابنه عيسى المكنى بأبى العيش (614) . هذه الفرقة السياسية (615) أفضت الى اضعافهم جميعا الامر الذى حدا بفورنل (616) الى الاعتقاد باستعادة زناتة لنفوذها القديم فى هذه الجهات . ومع ذلك لم تسلم الدولة الرستمية من أخطارهم ومؤامراتهم .

لقد ضعفت الدولة الرستمية بعد أفلح ابن عبد الوهاب ، وشغل أئمتها بأحداث تاهرت وما جاورها ، فاجتراء أمراء آل سليمان على اقتطاع بعض البلاد والقلاع التابعة لبنى رستم (617) ، كمدينة الخضراء وسوق ابراهيم وغيرها (618) بعد البطش بسكانها من الإباضية (619) ، دون أن يحرك أئمة تاهرت ساكنا (620) . فضلا عن ذلك فقد أسهموا فى إثارة

(613) ينتسب آل سليمان الى سليمان بن عبد الله — أخ ادريس الاكبر — الذى نجا من معركة نخ ولحق بأخيه فى المغرب الاقصى بعد تأسيس دولة الادارسة سنة 172 هـ ولما فتح ادريس تلمسان جعل سليمان واليا عليها . ويخيل لنا انه غادر تلمسان بعد ثورة زناتة بزعماء محمد بن خزر واتجه الى نواحي تاهرت حيث لم يطالبه القام هناك طويلا . ويبدو أن خلافا وقع بينه وبين راشد — مولى الادارسة — بعد موت ادريس الاول جعله لا ينزل ولى على أثر ثورة ابن خزر ويتجه الى نواحي تاهرت . لكنه ما لبث أن لحق بادريرس الثانى حيث شب عن الطوق ، وصحبه على حملته على تلمسان لاستردادها وقد مات اiban اقامة ادريس الثانى فى تلمسان ، وخلفه ابنه محمد فى ولايتها من قبل ادريس الثانى . انظر : البكرى : ص 77 ، ابن خلدون : ج 4 ص 17 ، سلفاتور كوسا : ص 14 . مبارك الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 49 ، Lavoix : Catalogue des Monnaies .. P. 398.

(614) ابن خلدون : ج 4 ص 17 .  
(615) من مظاهر استقلال هذه الامارات حرص امرائها على سك عملة خاصة بهم خالية من أى اشارة الى تبعيتهم للادارسة . وهاك صورة لدينار — ضرب فى سوق ابراهيم فى عهد أحمد بن عيسى : الوجه : لا اله الا الله وحده لا شريك له . الكتابة الدائرية : لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . الوجه الاخر : محمد رسول الله — أحمد بن عيسى . انظر :  
(616) Les Berberes. Vol. 2. P. 13.

(617) المقدسى : صفحة 218 .  
(618) اليعقوبى : البلدان : ص 352 ، 353 .  
(619) النسوسى : صفحة 70 .  
(620) يرى الاستاذ محمد على دبور أن بنى رستم تنازلوا من هذه البلاد طائعين مختارين لآل سليمان العلويين . وهو رأى يجانب الصواب بالقياس الى ما كان بين الطرفين من خصومة سياسية وعداء مذهبى . انظر : المغرب الكبير : ج 3 ص 336 .

الفتن والثورات التي أضعفت الحكم الرستمي في سنيه الأخيرة ، فبكر بن حماد - أخ محمد بن حماد زعيم الثوار على أبي حاتم يوسف - كان على صلة مربية بأبي العيش عيسى بن ادريس العلوي حاكم جراوة (621) ، وبأحمد بن القاسم بن ادريس حاكم مدينة كرت (622) . ولما أخفقت الثورة ، واستعاد أبو حاتم الإمامة هرب كثيرون من الثوار لائذين بأل سليمان والادارسة (623) .

هكذا - اتسمت علاقات بنى رستم السياسية مع الادارسة بطابع العداء ، وأسفر الصراع بين الدولتين عن تغلب الادارسة واستكانة بنى رستم .

## ب - العلاقات الودية :

### 1) بنو رستم وأباضية الشرق :

سبق القول بأن أباضية الشرق عمدوا الى أساليب الدعوة السريعة والتنظيم السياسي على اثر فشل حركة عبد الله بن أباض التميمي في عهد مروان ابن محمد الأموي ، فطفقوا يرسلون من مركزهم في البصرة دعواتهم الى الأمصار المتطرفة كخراسان وجنوبي الجزيرة العربية والمغرب لنشر المذهب الإباضي واتمامة دولة أباضية خالصة ، وأسفرت هذه الجهود عن فشل الدعوة في خراسان ، ونجاحها في الجزيرة العربية والمغرب .

ففى جنوبى الجزيرة العربية ، قامت دولة أباضية ضمت عمان واليمن وبعض أقاليم الحجاز برئاسة أبى عبد الله بن يحيى الكندى ، المعروف بطالب الحق ، والتي سقطت سنة 130 هـ ( 748 م ) غير أن فلول الإباضية تمركزوا في حضر موت بزعمارة الجلندى الذى قتل سنة 134 هـ على يد الجيوش العباسية (624) . ولم يحل ذلك دون قيام دويلات للإباضية في عمان . كان

---

(621) ساق بكر بن حماد أبياتا من الشعر امتدح بها أبا العيش تدلل على هذه الصلة ، منها :

سائل زواغة عن طعان سيونه      ورماحه نى العارض المتهلل  
وديار نفزة كيف داس حريمها      والخيل تبرغ فى الوشيح الذيل

انظر : النفوسى : صفحة 70 .

(622) النفوسى : صفحة 74 .

(623) نفس المصدر : صفحة 77 .

(624) ابن الأثير : ج 5 ص 145 ، 169 ، أحمد امين : ضحى الاسلام : ج 3 ص 338 .

ولا صحة للرواية القائلة بمعاصرة الجلندى لإمامة عبد الرحمن بن رستم . انظر :

أطيش : الامكان . صفحة 107 .

آخرها امامة الصلت بن مالك التى دالت سنة 280 هـ (625) . (896 م) .  
وكانت هذه الحكومات الاباضية فى عمان على نسق الدولة الرستمية فى  
المغرب ومعاصرة لها . وكانت وثيقة الصلة بجماعة الاباضية الام فى  
البصرة . فضلا عن مشايخ المذهب بمكة والمدينة (626) ولم يكن هناك  
ثمة ما يحول دون التقاء اباضية عمان واباضية المغرب — واغلبهم من  
نفوسة (627) — فى مواسم الحج (628) وان كنا نشك فى وجود صلات  
وثيقة بينها ، فالمصادر خلو من ذلك تماما فى الوقت الذى تزخر فيه بالكثير  
عن صلات اباضية البصرة بعمان وتاهرت وحرصهم على دعم الحكم  
الاباضى فيها (629) .

لقد ظل التنظيم السياسى السرى لاباضية البصرة قائما يتداول  
رئاسته فقهاء المذهب جيلا بعد جيل رغم عنف الضربات التى كالتها بنو  
العباس للخوارج فى المشرق . واستمرت صلاتهم باباضية المغرب ابان  
مرحلة الثورة وبعدها ، لما جنحوا الى الاستقرار السياسى واقاموا دولة  
بنى رستم .

وفى كلتى المرحلتين دأبوا على دعم اباضية المغرب ماديا وروحيا ،  
فأرسلوا اليهم الاموال ، وافتوهم فى مشاكلهم السياسية والمذهبية ، وتدخلوا  
لتسوية خلافاتهم بابداء النصائح وارسال البعث . كما حرص زعماء  
اباضية المغرب على الاستنارة بخبرة شيوخهم المشاركة فى السياسة  
والحكم والاستزادة من تبحرهم فى العلم وتفقههم فى المذهب ، فدأبوا على  
انفاذ بعوثهم للدراسة على مشايخ البصرة ، وحكموهم فيما عن لهم من  
مشاكل وخلافات ، واستمدوا منهم الكتب والتكليف وخاصة ما تعلق منها  
بالمذهب الاباضى .

وقد سبقنا الاشارة الى دور ابى عبيدة مسلم بن ابى كريمة فى  
التنظيم والاعداد لامامة ابى الخطاب عبد الاعلى بن السمع ، ومتابعته  
أحوالها ، وحرصه على تجنيب اباضية المغرب الخلاف والشقاق الذى

(625) المسعودى : مروج الذهب : ج 4 ص 245 .

(626) الوسيانى : سر ابى الربيع ورتة 3 ،

(627) الوسيانى : نفس المصدر والصحيفة .

(628) يذكر مارسيه أنه عن طريق هؤلاء الحجاج انتقلت بعض الانماط الفنية من بلاد المغرب  
الى مصر ، وخاصة تلك التقاليد الفنية المتعلقة بكنائس المغرب ، وقد وجدت طريقها  
الى الديرية المصرية بعد تلونها بلون تبطى خاص . انظر :

La Berberie Musulmane. P. 116.

(629) الشباخى : صفحة 114 .

سببته مسألة الحارث وعبد الجبار .

وبديهى أن تتوطد هذه الصلات بقيام دولة بنى رستم ، وحسبنا أن مؤسسها عبد الرحمن بن رستم تتلمذ في حلقة أبى عبيدة بالبصرة ، ونجاحه في تأسيس دولة اباضية بالمغرب اعتبر نصرا لاباضية المشرق أيضا ، فقد نظروا اليه باعتباره « امام الظهور » (630) لسائر أتباع المذهب في كافة أرجاء العالم الاسلامى .

ويبدو ان جماعة هائلة من اباضية الشرق هرعوا الى تاهرت بعد انشائها هروبا من بطش بنى العباس ورغبة في العيش في كنف الدولة الرستمية (631) فقد تطلع اباضية الشرق الى قيام دولة لهم تضم المشرق والمغرب معا (632) ، فانبروا يعضدون الدولة الرستمية ، وبادروا بانفاذ المساعدات المالية ليستعين بها عبد الرحمن بن رستم على مواجهة مشاكل دولته آملين ان تكون نواة للدولة الكبرى المنشودة . وليس أدل على تعاطف ابن رستم مع اباضية الشرق من رفضه لمزيد من هذه الاموال حين تدعمت دولته واشتد ساعدها (633) .

كذلك جزعت جماعة المذهب في الشرق لما ظهرت الاضطرابات والانشقاقات في الدولة الرستمية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن وخاصة ما مس الجانب المذهبي منها ، كانشقاقات النكار والخلفية وما انتهت اليه من افتراق الاباضية في المغرب . وجدير بالتنويه ان المتخاصمين كانوا يحتكمون في خلافاتهم الى مشايخ المذهب في الشرق ، فقد هادن يزيد ابن فندين — زعيم النكار — الامام عبد الوهاب ريثما ترد فتوى المشاركة حول الامامة المشروطة ، وسياسة الامام في تنصيب عماله (634) .

كما احتكم الامام عبد الوهاب وخلف بن السموح أيضا الى فقهاء المشاركة في مسالتي تعدد الائمة وحق الرعية في اختيار عمالها (635) . ولم يتوان اعلام المذهب وفقهائه عن البت في تلك المسائل أو القضايا . وعلى الرغم مما تصوره المصادر الاباضية من أن فتاوى المشاركة كانت في صالح الامامة ، فلا نعدم وجود ما يشير الى استيائهم من سياسة عبد

(630) ابو زكريا : السيرة : ورقة 18 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 25 .

(631) انظر ابن ثاويت دولة الرستمين : ص 109 .

(632) ابن الصغير : صفحة 10 .

(633) نيس المصدر : ص 14 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 21 .

(634) ابو زكريا : ورقة 15 ، الشماخي : السير : ص 146 .

(635) الشماخي : السير : صفحة 181 .

الوهاب وانتهاكه تعاليم المذهب وخروجه على أحكامه (636) . وعلى أية حال ، فان حرصهم على تحاشي الشقاق ورأب الخلاف أفضى بهم الى تهدئة الخواطر بأسداء النصح لاطراف النزاع جميعا (637) .

كان حرص رؤساء التنظيم الام في البصرة على استمرار الامامة في تاهرت ودعمها شغلهم الشاغل ، فقد اُفتوا بجواز تقاعد الامام عن الحج حرصا على سلامته (638) ، كما كلفوا أنفسهم مشقة نسخ آلاف التأليف والتصانيف لتزويد المكتبة « المعصومة » بتاهرت بها (639) . ولا غرو فقد وجدت هذه الكتب اقبالا لدى اباضية المغرب ، فأقبلوا على دراستها وتصدوا للانحرافات المذهبية وخروج الائمة في سياساتهم عن تعاليم المذهب (640) على هدى ما ورد فيها .

كما حرص المشاركة على انقاذ بعوثهم لتفقد أحوال الدولة الرستمية (641) والتدريس في مساجدها (642) والافتاء في مشاكلها وقضاياها (643) . فضلا عن ذلك مُقد نقلوا معهم الى المغرب تقاليد الحضارة والفن الشرقي (644) .

ومن المعروف أن المتاجر والسلع الشرقية كانت ترد الى تاهرت عن طريق الاباضية المشاركة ، فيخبرنا الشماخي (645) أن الربيع بن حبيب — خليفة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة — كان يبعث أخاه بصحبة ما يحتاجه الامام عبد الوهاب من صنوف البضائع والسلع الشرقية .

والمصادر خلو من أية اشارة الى استمرار هذه العلاقات بعد امامة عبد الوهاب باستثناء اشارة عابرة أوردها بعض مؤرخي الاباضية (646) عن اهتمام أفلح بن عبد الوهاب بتواليف اعلام المذهب من المشاركة —

- 
- (636) الشماخي : السير ص 147 .  
(637) انظر : ملحق رقم (4) .  
(638) أبو زكريا : ورقة 23 .  
(639) البرادى : رسالة في بعض كتب الاباضية . ورقة 207 ، الشماخي : السير . ص 162 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 26 .  
(640) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة 79 .  
(641) الشماخي : السير . صفحة 165 .  
(642) نفس المصدر : صفحة 279 .  
(643) نفس المصدر : ص 228 ، الوسياني : ورقة 2 .  
(644) Marçais, G : La Berberie musulmane. P. 116 .  
(645) السير . صفحة 161 .  
(646) انظر : الوسياني : ورقة 70 ، البرادى : رسالة في بعض كتب الاباضية ورقة 206 .



وخاصة ما كتبه أبو سفيان محبوب بن الرحيل — وحضه رعيته على اتباع سننهم . ولو صح ذلك ، لكان أفلح آخر أئمة بنى رستم الذين اعترف جمهور الإباضية بامتهم كما يذهب الوردجاني (647) . ونعتقد أن استياء أعلام المذهب في الشرق من خروج عبد الوهاب على تعاليم المذهب تطور الى رفض وانكار لامامة خلفائه ، فقد تحولت الامامة الى ملك وراثي ، وضاعت هيبتها ، وامتهنت رسومها ، فكان ذلك تمينا بعزوف أباضية الشرق عن مناصرة الدولة الرستمية والاتصال بحكامها .

## 2 — بنو رستم وأمويو الأندلس :

اتخذت علاقات بنى رستم بأموي الأندلس طابعا وديا برغم اختلافهما مذهبيا ، فقد أوجبت الضرورة السياسية عقد أواصر الصداقة بين تاهرت وقرطبة ، إذ اشترك الطرفان في عدااء بنى العباس والغالبة والادارسة (648) ، وكان الاغلبة على وجه الخصوص خطرا عليهما معا ، فلم يكن ثمة بد من اتصال بنى رستم باحدى القوى الكبرى المعاصرة ، كما كان أمويو الأندلس ينشدون عقد صلات مع القوى المناوئة لبنى الاغلب في المغرب ومن ثم التقى الطرفان حول مصالحهما السياسية المشتركة رغم خلافاتهما المذهبية والتاريخية .

وقد بالغ فورنل (649) وماسكراى في تقدير مدى ما وصلت اليه هذه العلاقات ، فقبالا بوجود « تحالف سياسى رسمى » بين تاهرت وقرطبة ضد عدوهما المشترك ، وبرر فورنل ومارسيه (650) ذلك بما « كان من تحالف تقليدى ، بين أموي الأندلس وبين بربر زناتة الذين كانوا عصب الدولة الرستمية » والثابت أن دولة بنى رستم قامت على اكتاف قبائل نفوسة وهوارة ولواتة ولماية وغيرها (651) ، بينما تحولت قبائل زناتة من مغراوة وبنى يفرن — الضاربة في شمالي الدولة الرستمية — عن ولائها لبنى رستم ودانت بالطاعة للادارسة (652) . ومن ناحية أخرى لم تتعد علاقات بنى رستم ببنى أمية بالأندلس علاقات الود وتبادل السفارات

(647) الدليل لاهل العقول ج 2 ص 76 .

(648) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج 1 ص 32 ، Provencal : Op. Cit. P. 245

(649) انظر : Les berberes Vol. I. P. 514, Chronique d'Abou Zakaria. P. 220.

(650) انظر : Loc. Cit, La berberie musulmane et l'Orient P. 104.

(651) النوسى : صفحة 4 .

(652) ابن أبى زرع : ص 69 ، سلفاتوركوسا : تواريخ مدينة ماس : ص 4 .

والهدايا ، ولم تصل قط الى درجة التحالف أو القيام بعمل سياسي أو عسكري مشترك ضد أعدائهما ، رغم تعرض الدولة الرستمية لاغارات الاغلبة والادارسة ، وتهديد الاغلبة للنفوذ الاندلسي في حوض البحر المتوسط الغربى .

وقد أرجع بعض (653) المؤرخين بداية هذه العلاقات الى وقت مبكر وذكروا أن عبد الرحمن بن معاوية الاموى « لاذ ببلاط بنى رستم حينما من الدهر قبل اجتيازه الى الاندلس » ، وأكد مرسية (654) — اعتمادا على المقرئ — انه قضى زما في تاهرت ونواحيها قبل رحيله الى الاندلس . وقول مرسية هذا صحيح اذا كان يعنى تاهرت القديمة ، وليست تاهرت التى اقامها ابن رستم سنة 161 هـ ( 778 م ) فمن الثابت أنه نزل عند قبيلة نفزة الضاربة بتلك النواحي وقضى هناك زما عند أخواله (655) ، ثم جاز الى الاندلس سنة 138 هـ ( 755 م ) (656) . وقد حاول الميلى (657) تبرير قول دوزى ومؤنس ، فذكر أن عبد الرحمن بن رستم أجاز عبد الرحمن الاموى الى قبائل المغرب الاوسط اعتمادا على نفوذه هناك قبل تأسيسه تاهرت . لكن رواية دوزى ومؤنس وتفسير الميلى غير صحيحة ، فعبد الرحمن بن رستم فضلا عن عدم تأسيسه دولته في الوقت الذى وطأ فيه عبد الرحمن الاموى ارض المغرب سنة 133 هـ ( 751 م ) ، لم يكن له نفوذ في بلاد المغرب الاوسط آنذاك ، فصلاته بقبيلة لمائة بالمغرب الاوسط لم تتم الا بعد ولايته القيروان كنائب لابي الخطاب المعافى سنة 141 هـ (658) ( 758 م ) ويخيل لنا أن الامر التبس على دوزى ومن نقل عنه ، فخلطوا بين شخصيتى عبد الرحمن بن رستم وعبد الرحمن بن حبيب امير افريقية في ذلك الحين (659) .

والمعتول أن تكون تلك الصلات قد بدأت بعد رحيل عبد الرحمن بن

- 
- (653) انظر : Dozy : Spanish Islam. P. 166 مؤنس : فجر الاندلس : ص 664 .  
(654) انظر : Histoire de l'établissement des Arabes ... P. 76 .  
(655) كانت أم عبد الرحمن من سبانيا نفزة ، انظر : ابن عذارى : ج 2 ص 62 . ابن الأبار : الحلة السراء : ج 1 ص 35 . وقد ذكر ابن الخطيب أنه نزل على مغيلة وليس على نفزة . انظر : أعمال الاعلام : ج 2 ص 8 .  
(656) ابن الأبار : صفحة 35 .  
(657) انظر : تاريخ الجزائر ، ج 2 ص 16 .  
(658) ابن تظنون : ج 6 ص 121 . مرسية : مادة بنى رستم — دائرة المعارف الاسلامية . صفحة 92 .  
(659) ابن عذارى : ج 2 صفحة 60 .

رستم الى المغرب الاوسط واختطاطه مدينة تاهرت ، فيبدو أن ابن رستم استعان بخبرة الاندلسيين في انشاء المدينة وتعميرها ، ولا غرو فقد سمي أحد أبواب المدينة « باب الاندلس » (660) ، وان كان بروفنسال (661) قد تشكك في وجود مثل تلك الصلات المبكرة . لكن وجود مغاربة اباضية في بلاد الاندلس اذ ذاك يرجح ما ذهبنا اليه ، فقد غص اقليم الجزيرة بالكثيرين منهم ، ومنهم من تقلد بعض الوظائف العامة في امارتى عبد الرحمن الاول وابنه هشام (662) . ويبدو أن نفوذ هؤلاء الاباضية — ومنهم بعض افراد البيت الرستمي — (663) قد ازداد بدرجة استثنائية الاندلسيين في عهد الحكم الاول ، فانبرى الشعراء يهيئون به البطش بهم (664) ، فخرج اليهم بنفسه ونزل الجزيرة « وحمل السيف على أكثر أهلها » (665) . وهذا يفسر قول ابن حيان (666) بترحيب عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم بالثائرين على الحكم الاموى ، وتشجيعه عبد الله البلاسى — عم الحكم — للوثوب على الامارة في قرطبة وانتزاع الحكم من ابن اخيه .

وزالت تلك الجفوة بين تاهرت وقرطبة بعد وفاة الحكم سنة 206 هـ ( 821 م ) ، وعادت الصلات الودية الى سابق عهدها في عهد عبد الرحمن ابن الحكم ( 306 — 238 هـ ) (667) ( 821 — 853 م ) ، فقد نقل بروفنسال (668) عن ابن حيان أن عبد الوهاب الرستمي ، أوفد سفارة من ابناؤه الثلاثة — عبد الغنى ودحيون وبهرام — لتجديد أواصر الود مع عبد الرحمن ، وأن الاخير رحب بهم وابتهج لمقدمهم . وذكر ابن سعيد (669) أنه أنفق عليهم « ألف دينار » فضلا عن الهدايا والالطاف التي أنعم بها عليهم قبل رحيلهم الى بلادهم .

واستمرت صلات المودة بعد موت عبد الوهاب بن رستم ، فعول

- (660) البكرى : ص 66 ، الطغشندى : ج 5 ص 111 .  
(661) انظر : Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. I. P. 241.  
(662) ابن القوطية : صفحة 71 .  
(663) من هؤلاء محمد بن سعيد بن رستم الذى تقلد ولاية شذونه ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن رستم ، وقد خدم في جند الحكم بن هشام .  
(664) حث الشاعر عباس بن ناصح الحكم على ذلك بقوله :  
حل بالاميل الذى ربوا لفتنتهم من قبل ان يرحطوه نحونا جذما  
(665) ابن القوطية : صفحة 71 ، 72 .  
(666) انظر : Provençal : Op. Cit. P.P. 152, 244.  
(667) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج 4 ص 493 .  
(668) انظر : Histoire de l'Espagne musulmane. Vol. I P. 245.  
(669) المغرب فى حلى المغرب : ج 1 ص 48 .

عبد الرحمن بن الحكم على « وصل البعوث الى دار المغرب » (670) .  
فوجدت في بلاط أفلح بن عبد الوهاب أيما ترحاب . وقرب الامير الاندلسي  
اليه كثيرين من آل البيت الرستمى ، واتخذ منهم الوزراء والحجاب والتواد ،  
وتعرف أن شخصا يدعى عبد الرحمن بن رستم ولى الحجابة لعبد الرحمن  
الثانى (671) ، وقيل الوزارة (672) في رواية أخرى .

ويخبرنا ابن الدلائى (673) أن الامير الاندلسى فرض قائده محمد  
ابن سعيد بن رستم سنة 229 هـ ( 844 م ) في قتال الجوس ، وقد تمكن  
بالفعل من النجاح في مهمته (674) .

وتوطدت عرى الصداقة بين أفلح بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد  
الرحمن الاندلسى ( 238 — 273 هـ ) ( 675 ) ( 853 — 887 م ) ، فقد  
استقرت أمور الاندلس في عهده وازدهرت أحوالها (676) ، وتطلع نحو  
بلاد المغرب لتدعيم صلته مع تاهرت وسجلماسة (677) . وقد زعم  
بروفنسالى (678) أن الامير محمد بعث بهداياه الى تاهرت لما تقلد أفلح  
ابن عبد الوهاب الامامة . كما بعث اليه باخبار انتصاره على الجوس  
عند نهر الوادى الكبير سنة 230 هـ ( 855 م ) لكن أفلح تولى الامامة في  
تاهرت سنة 207 هـ ( 822 م ) ولم يتقلد الامير محمد حكم الاندلس قبل  
سنة 238 هـ ( 853 م ) . وهذا أيضا مما يخطىء قوله عن هزيمة الجوس  
على يديه ، فالراجح أن ذلك لم يحدث الا سنة 246 هـ (679) ( 861 م ) .  
ولو صح أن الامير الاندلسى أرسل الى صديقه الرستمى بأنباء انتصاراته  
سنة 246 هـ ، فإن أفلح كان سباقا في هذا الصدد ، إذ بادر بإرسال خبر  
احراقه مدينة العباسية التى بناها الاغالبية سنة 239 هـ ( 854 م ) الى

- 
- (670) ابن سعيد : نفس المصدر : صفحة 46 .  
(671) نفس المصدر : صفحة 50 ، Marcáis, G : La Berberie musulmane. P. 104  
(672) مارسية : مادة بنى رستم — دائرة المعارف الاسلامية : ص 93 ،  
Farouhy : Op. Cit. P. 15.  
(673) نصوص من الاندلس ص 99 ، 100 .  
(674) نفس المصدر والصحيفة ،  
Provencal : Op. Cit. P. 246.  
(675) ابن عيبره : العقد الفريد : ج 4 ص 493 .  
(676) نفس المصدر : ص 495 ، القرى : نفع الطبيب : ج 1 ص 329 .  
(677) ابن عذارى : ج 2 ص 161 ، محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس  
ج 3 صفحة 23 .  
(678) انظر : Histoire de l'Espagne musulmane. Vol. I P.P. 245, 281.  
(679) انظر : Condé : Op. Cit. P. 299 .

الامير محمد « تقريبا اليه » فبعث اليه الاموى مائة الف درهم (680) دليلا على اغتباطه وامتنانه ، وتأكيدا لاواصر الصداقة في مواجهة الخطر المشترك (681) .

وظلت هذه العلاقات الودية قائمة بعد موت افلح على الرغم مما تعرضت له الدولتين من خطر الفوضى والتمزق السياسى ، ومع ذلك فلا محل لتصديق قول ابن عذارى (682) — ومن نقل عنه (683) — عن دخول الامام الرستمي ابي اليقظان محمد في طاعة الامير محمد الاندلسى . والمعقول ان يكون الامام الرستمي قد ناشد صديقه امير قرطبة العون ضد خصومه ليس الا وعلى اية حال ، لم يظفر ابو اليقظان بطائل ، اذ غرقت الامارة الاندلسية في ذلك الحين وحتى بداية حكم عبد الرحمن الناصر في مشاكلها الداخلية (684) . على ان تقاعس الامير محمد عن مساعدة صديقه لم يكدر صفو علاقتهما ، فظلت صلات الود مرعية بين الطرفين ، وليس ادل على ذلك من اسراع عمر بن حفصون — الثائر على امراء قرطبة — بمغادرة تاهرت خشية ان يقبض عليه امامها ويسلمه لصديقه امير قرطبة ، وكان ابن حفصون قد نزل تاهرت لانذا بصديق له من بلدة رية ومقيم بتاهرت (685) .

بل نعتقد انه برغم تدهور احوال الامامة الرستمية بعد ابي اليقظان محمد ، وانشغال الامارة الاموية بالاندلس بمواجهة الثورات التى تفاقمت خلال عهدهى المنذر بن محمد وعبد الله بن محمد ، فقد اوجبت الضرورة السياسية مزيدا من توثيق الصلات بسين تاهرت وقرطبة . اذ استبدل الخطر الاغلبى بخطر جديد لاحت نذره مهددا كافة القوى السياسية فى المغرب والاندلس على السواء ، وهو الخطر الفاطمى . وهذا ما حدا بامراء قرطبة الى بث عيونهم فى بلاد المغرب والاستعانة بأصدقائهم حكام تاهرت فى تقصى اخبار الشيعة ومتابعة نشاطهم والاعداد لمواجهةهم (686) .

(680) البلاذرى : فتوح البلدان ص 277 .  
(681) لا نوافق نورنل قوله بان هذا الحادث يكشف عن الخيوط الاولى للملاقات بين تاهرت وقرطبة . انظر :  
Les Berbers. Vol. I. P. 514.

(682) البيان المغرب . ج 2 صفحة 161 .  
(683) انظر : ابن الخطيب : اعمال الامام . ج 2 ص 22 ،  
Dozy : Op. Cit. P. 317 Provencal : Op. Cit. P. 281.

(684) انظر المترى : ج 1 ص 345 وما بعدها .  
(685) ابن التوطية : صفحة 110 .

وبديهي أن يفكر الرستميون الاواخر في الاستعانة بقرطبة للقيام بعمل مشترك ضد الخطر الشيعي (687). لكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، فقد سقطت الدولة الرستمية بتاهرت سنة 297 هـ ( 909 م ) ، وبعدها سقط بنو مدرار والادارسة ، وفتح المغرب برمته على يد الشيعة الفاطميين ، ولم يتم حكام قرطبة بجهود لمجابهتهم الا في عهدي عبد الرحمن الناصر (678) والحكم المستنصر ، ولا يخفى ما كان من اتصال الحكم المستنصر بالاباضية النكار الذين تصدوا لمقاومة الفاطميين بعد سقوط الدولة الرستمية (689). وهكذا — تأثرت علاقات بنى رستم — الى حد كبير — بظروف دولتهم الجغرافية ومذهبهم الديني ومصالحهم السياسية والاقتصادية .

- 
- (686) ابن عذارى : ج 1 صفحة 150 . محمود مكي : التشيع في الاندلس : ص 111 .  
(687) Brunshvig : Op. Cit. P. 17 .  
(688) ابن خلدون : ج 4 صفحة 41 .  
(689) ابن حيان : المقتبس في ذكر بلد الاندلس ص 192 .

## الباب الرابع

---

الخوارج والفاطميون في بلاد المغرب

## الصفريّة والفاطميون

### أ - الفاطميون وسقوط دولة بني مدرار

ارتبطت نهاية دولتي الخوارج في المغرب بظهور الدعوة الفاطمية ،  
فتقيام الدولة الفاطمية سنة 297 هـ ( 909 م ) تم على انقراض الدول  
المستقلة في المغرب ، ومن بينها دولتي بني مدرار وبني رستم الخارجيتين .

ومن المعروف ان بلاد المغرب كانت ميدانا للدعوة الفاطمية منذ وقت  
مبكر ، فقد عهد محمد الحبيب المقيم بسلمية - من ارض حمص - الى  
اثنين من دعائه بيث دعوته في بلاد كتامة ، ونجحا في التمهيد لما قام به  
أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المهدي فيما بعد (1) . واستطاع  
أبو عبد الله الشيعي الذي نزل بلاد المغرب سنة 280 هـ ( 893 م ) ان  
ينشر دعوته بين قبائل كتامة ، كما نجح في اعداد جيش (2) منهم تمكن بفضل  
من مناجزة دولة بني الاغلب في افريقية سنة 289 هـ ( 902 م ) ، ولم يمض  
طويل وقت حتى دانت لنفوذه معظم اقاليمها الغربية .

وبعث أبو عبد الله في استدعاء موله عبيد الله المهدي سنة 292 هـ  
( 905 م ) فخرج اليه « يتصدى للسلطان ويخاطر في طلب الملك » (3)  
برفقة خاصته وثقة رجاله (4) . وأفلت من عمال بني العباس وعيونهم في

- 
- (1) ابن الاثير : ج 6 ص 127 .
  - (2) ابن مغازي : ج 1 ص 172 .
  - (3) ابن الأبار : الحلة السيرة ج 1 ص 191 .
  - (4) اصطحبه المهدي في رحلته ابنه أبا القاسم ونيروز دامى دعائه ، وطيب ، وأبا العباس  
محمد بن زكريا وأبا يعقوب القهرمانى ، ومحمد بن عزيزة ، وجعفر الحاجب .  
انظر : اليماني : سيرة جعفر الحاجب ص 110 .



مصر والمغرب لما بذله من أموال وهبات (5) ، فضلا عن تشييع بعض هؤلاء العمال لآل البيت (6) . ووصل المهدي الى طرابلس ، وأنفذ أبا العباس محمد بن زكريا — أخ ابي عبد الله الشيعي — بصحبة بعض رجال كتامة الى أخيه ليعرفه بوصوله ، واثر الانتصار بطرابلس . لكن أبا العباس وقع في أسر بني الأغلب (7) ، فاضطر المهدي لمفادرة طرابلس الى قسطنطية — ببلاد الجريد — وأحجم عن التوجه الى الشيعي بكتامة خوفا على حياة أخيه (8) . ولما علم بأن زيادة الله الاغلبى أرسل كتابا الى عامل قسطنطية في طلبه ، غادرها على التو ، ويمم وجهه شطر سجلماسة في اقاصى الصحراء ليأمن شر الاغلبة وعمالهم (9) .

وكان على المهدي ان يجتاز اراضى الدولة الرستمية كيما يصل الى سجلماسة ، فمر بوارجلان — شمالي سدراته — وهناك اكتشف أمره ، ولقى عنقا من اهلها (10) ، فغادرها الى سجلماسة (11) .

ونزل المهدي بسجلماسة على أميرها اليسع بن مدرار ، ونعم هناك بحياة آمنة لما قدمه اليه من أموال وهدايا ، « فقربه اليسع وكف عنه » (12) ، كما حظى باحترام اهل المدينة واجلالهم (13) ، وعاش طليقا منعمًا فسكن القصور واقتنى الخدم والاتباع (14) ، ويخيل لنا ان التشييع وجد طريقه الى سجلماسة قبل مقدم المهدي ، ومن المؤكد انه لم يعدم أنصارا واتباعا بين سكانها ، فذلك ما توحى به بعض الروايات الشيعية (15) ، وغير الشيعية (16) ولا غرو فقد كانوا يلجأون اليه للافتاء

- 
- (5) انظر : افتتاح الدعوة ص 42 ، 43 بلاحق كتاب Ivanov : Ismaili tradition.
- (6) انظر : شرح الاخبار ج 5 ص 31 بنسب المصدر السابق .
- (7) اليماني : سيرة جعفر ص 116 .
- (8) افتتاح الدعوة ص 43 .
- (9) النيسابورى : استتار الامام ورقة 14 ، اليماني : ص 116 ، افتتاح الدعوة ص 43 ، ابن الابار : ج 1 ص 191 ، القرظي : اتعاظ الحنفا ص 84 ، الميني : عقد الجمان ج 15 ورقة 153 ، Biquet ; Op. Cit. P. 69.
- (10) ابو زكريا : ورقة 35 .
- (11) اليماني : ص 119 .
- (12) شرح الاخبار ص 31 ، ابن الاثير : ج 8 ص 13 ، ابن خلدون ج 3 ص 363 القرظي : اتعاظ ص 84 ، الخطط ج 1 ص 350 .
- (13) افتتاح الدعوة ص 43 ، النويري : ج 26 ورقة 32 ، حسن ابراهيم : عبيد الله المهدي ص 14 ، De Goeje : Memoires sur les carmathes de Bahrin. P. 66.
- (14) اليماني : ص 122 ، الدرجميني : ج 1 ورقة 42

فكما عن لهم من مسائل فقهية ودينية (17) ، الا ان ابا زكريا (18) ، بالغ في اظهار مكانة المهدي في سجداسة الى حد الزعم بتولية الوزارة لليسع بن مدرار ، ومبايعة اهل سجداسة له بالامارة بعد موت اليسع ، وامتداد نفوذه حتى مدينة فاس عاصمة الادارسة والظاهر ان هذه الرواية تخلط بين مكانة المهدي ابا سنن اقامته الاولى في المدينة وبين نفوذه غداة توليه الخلافة سنة 297 هـ ( 909 م ) ومع ذلك فلا تخلو هذه الرواية من دلالة على ما تمتع به المهدي في سجداسة من هبة ونفوذ خلال السنوات الثلاث الاولى من اقامته بها .

ولكن جد من الاحداث ما جعل اليسع بن مدرار ينكب المهدي ورجاله ويودعهم السجون . والمصادر تختلف في اسباب ذلك ، فيذهب البعض (19) ، الى ان اليسع قبض على المهدي على اثر رسالة من الامير الاغلبى زيادة الله الثالث ، وقيل من الخليفة العباسى المعتضد (20) ، او المكتنى (21) ، بينما رجح آخرون (22) ، ان الرسالة وصلتته من الخليفة العباسى والامير الاغلبى معا . ومهما كان الامر فهذه الرسائل لا تنهض دليلا على ولاء اليسع بن مدرار لامير افريقية او لخليفة بغداد كما ذهب (23) البعض ، وانه بسبب هذا الولا قبض على المهدي واودعه السجن ، فثمة احتمال بان يكون ليهود سجداسة دور في هذا الصدد ، والظاهر انهم اوعزوا الى

(15) ذكر اليماني قصة مؤداها ان القائم بن المهدي وضع رجله في عين ماء آسنة فجرى الماء فيها مدرارا . فلما رآه البستاني صاح « انى بالله وبالمهدي » فاستفسر منه المهدي عن قوله ، فاخبره بانه عرف الابر من اجداده ، فامرته المهدي بالكتبان . انظر : سيرة جعفر ص 120 .

(16) اورد الدرجيني قصة اخرى مضمونها ان احد جيران المهدي بسجداسة تص عليه حلما وطلب منه تفسيره ، فلما نسرته قبل الرجل يده قائلا « يا امير المؤمنين انت مولاي » : انظر : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 42 .

(17) ابو زكريا : ورقة 36 .

(18) نفس المصدر والصحيفة .

(19) انظر : افتتاح الدعوة ص 44 ، ابن الاثير : ج 8 ص 13 ، ابو الندا ج 2 ص 65 ، النويرى : ج 26 ورقة 32 ، القرىزى : اتعاظ الحنفا ص 84 ، العينى : ج 15 ورقة 153 ، ابن ابي دينار ص 49 ، De goeje : P. 66 .

(20) ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، المقدمة ج 1 ص 240 ، الطلقشندى : ج 5 ص 266 .

(21) ابن خلدون : ج 3 ص 363 ، الباجى السعودى : الخلاصة النقية ص 37 .

(22) شرح الاخبار ج 5 ص 31 .

(23) انظر : ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، المقدمة ج 1 ص 240 ، الطلقشندى : ج 5 ص 266 ، Bel : Op. Cit. P. 156 .

اليسع بالقبض عليه (24) ، بعد ان اخبروه ان ابا عبد الله الشيعي قام بدعوته من اجله ، فقد عاشت اقلية يهودية في دولة بنى مدرار وهيمنت على مناجم الفضة في درعة وتجارة الذهب مع الجنوب (25) . ومن الطبيعي ان يجدوا في الخطر الشيعي تهديدا لمصالحهم ، ولهذا تعرضوا للعسف والاضطهاد على اثر سقوط سجلماسة في يد الشيعة (26) ، وسواء اكانت الخلافة وعمالها او يهود سجلماسة هم الذين نبهوا اليسع الى ضرورة القبض على المهدي ، فالذي لاشك فيه ان الامير المدراري استجاب للامر حرصا على سلامة دولته ليس الا ، بعد ان أدرك ان ابا عبد الله الشيعي يدعو اليه . فكان قبض اليسع على المهدي اذن من قبيل التوافق غير المقصود بين اهداف العباسيين والاغلبية وبين مصالح بنى مدرار التي تهددها خطر الشيعة الاسماعيلية .

لقد كان اليسع يدرك ان المهدي علوي (27) ، لكنه لم يقف على حقيقة علاقته بالدعوة الشيعية في المغرب (28) . فلما نبه اليها : استدعى المهدي وابنه « واستراب بهما » (29) ، وسأل المهدي عن « نسبه وحاله ، وهل اليه تصد ابوعبد الله ؟ » ، فاعترف المهدي بالنسب اذ لم يسعه انكاره « لكنه انكرصلته بأبي عبد الله الشيعي ، وكذلك فعل ابنه » (30) . ثم امتحن رجاله بالعذاب ، فلم يعترفوا (31) ، وهم باطلاق سراحهم لولا اعتراف أحدهم ويدعى ابو يعقوب القهرماني (32) . عندئذ تحفظ على المهدي في منزل أخته وسجن ابا القاسم في احدى حصون سجلماسة (33) ، « ولم يكن منه في حقهما ما يكره » (34) ، فكانا مبجلين معظمين في منزليهما (35) . وليس ادل على ذلك من السماح للمهدي بالاتصال من

- 
- (24) مجهول الاستبصار ص 202 .  
(25) نفس المصدر والصحيفة .  
(26) نفس المصدر والصحيفة .  
(27) افتتاح الدعوة ص 44 ،  
(28) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 1 ص 272 .  
(29) ابن خلدون : ج 6 ص 131 .  
(30) افتتاح الدعوة ص 44 شرح الاخبار ص 32 .  
(31) النويري : ج 26 ورقة 32 .  
(32) اليماني : ص 122 .  
(33) افتتاح الدعوة ص 44 ، الاستبصار ص 204 .  
وذكر ابن مذارى أن المهدي وابنه سجنا في غرفة واحدة بمنزل مريم بنت مدرار .  
انظر البيان المغرب ج 1 ص 210 .  
(34) النويري : ج 26 ورقة 32 .  
(35) اليماني : ص 122 .

سجنه ببعض اصحابه وأنصاره ، فكان هؤلاء همزة الوصل بينه وبين داعيته ابي عبد الله الشيعي في كتامة .

وجدير بالتنويه أن الشيعي نجح في تتبع أخبار المهدي منذ وصوله الى بلاد المغرب ، « فكانت كتبه تترى بطلبه حيثما نزل » (36) ، وكانت رسله على اتصال به بعد نزوله سجلماسة ، تحمل اليه الاموال والهدايا وتخبره بأنباء انتصاراته في حروبه مع الاغالبة (37) . ولم ينقطع هذا الاتصال بعد سجنه ، فقد كتب الشيعي الى المهدي بعد هزيمته لجيش الاغالبة بقيادة ابراهيم بن حبشى ، وسير الكتاب مع أحد ثقائه ، فدخل السجن متخفيا في زي قصاب يبيع اللحم ، وأوصل الكتاب للمهدي (38) . وذكر جعفر الحاجب (39) أن المهدي اصطفى أحد التجار القيروانيين في سجلماسة ، ويدعى المطلبى ، وكان متشيعا ، وعهد اليه بمهمة مرافقة الشيعي عند قدومه لتحريره من سجنه بسجلماسة . ويخبرنا صاحب كتاب الاستبصار (40) أن المهدي لما أودع السجن بعث لداعيته بكتامة يستنفره لانفاذه على أن الشيعي ما كان يمكنه ان يخف لنجدة المهدي قبل انهاء صراعه مع الاغالبة ، فلما قضى على حكمهم في افريقية سنة 296 هـ (908 م) شرع على التوفى قتال بنى رستم وبنى مدرار (41) .

استخلف الشيعي على القيروان اخاه ابا العباس وجعل معه ابا زكى تمام بن معارك (42) وخرج من رقادة في منتصف رمضان من نفس العام في جيوش عظيمة يرافقه كبار اصحابه (43) . فاهتزت قبائل المغرب الاوسط لخروجه ، وخافته زناته ، وبادرت القبائل بالدخول في طاعته (44) . ثم عرج على تاهرت واستولى عليها (45) وهو في طريقه الى سجلماسة .

- 
- (36) اليسابورى : استتار الامام ورقة 14 مخطوط .  
(37) ذكر ابن عذارى ان أحد الهاشيمين بسجلماسة اهدى اليه الهدايا كثيرة مما بعثها الشيعي اليه ، وأمره « بالتستر وعدم الظهور في المعيشة واللبس » خشية العيون والرقباء . انظر : البيان المغرب ج 1 ص 187 ، 188 ،  
Vonderheyden : Op. Cit. P. 296.  
(38) ابن الاثير : ج 8 ص 13 ، ابن خلدون : ج 4 ص 35 ، النويرى : ج 26 ورقة 32 .  
(39) سيرة جعفر ص 125 .  
(40) مجهول : ص 204 .  
(41) النويرى : ج 22 ورقة 44 .  
(42) اليماني : ص 123 ، ابن الاثير : ج 8 ص 16 ، ابو العدا : ج 2 ص 65 .  
(43) اليماني : نفس المصدر والصحيفة ، ابن عذارى : ج 1 ص 209 .  
(44) ابن الاثير : ج 8 ص 16 ، ابن خلدون : ج 3 ص 364 .  
(45) ابن عذارى : ج 1 ص 210 .

وبعث الشيعى برسله الى اليسع يتلطفه ويعدده بالانصراف عن بلاده ، اذا ما اطلق سراح المهدي (46) ، فقتل اليسع الرسل ولم يجبه الى طلبه . وعاود الشيعى سياسة الملاينة متجنباً ذكر المهدي « تقية عليه » فقتل اليسع الرسل للمرة الثانية . (47) فلم يجد الشيعى بدا من ضرب الحصار على سجلماسة (48) ، وقد اشتهر ببراعته في عمليات الحصار في حروبه حتى لقبه المحدثون (49) بالمحاصر Poliorcete والتحم اليسع بن مدرار بجيوش الشيعى الذى قتل كثيرين من رجاله ، وكاد ان يظفر به لولا حلول الظلام . فعاد بعسكره الى خارج المدينة (50) — مهموماً خوفاً على حياة المهدي ، بينما لاذ اليسع بالهرب (51) .

والواقع ان خلفاً بين المؤرخين حول مصير المهدي ، فمنهم من يؤكد سلامة المهدي لاشتباه اليسع في شخص آخر — يدعى بسطام — واعتقاده بأنه هو الذى يدعوا له ابو عبد الله الشيعى ، فلذلك لم يستجب لنصيحة اصحابه بقتل المهدي ، وأطلقه مع من اشتبه فيهم من الاسرى لينجو بنفسه . ومنهم (53) من ذهب الى ان اليسع قتل المهدي قبل هربه « وان الشيعى حين اقتحم المدينة في صبيحة اليوم التالى ، وجد المهدي مقتولاً وعنده رجل من اصحابه كان يخدمه — قيل انه يهودى (54) — فخاف ابو عبد الله ان تنتفض عليه كتامة ورجاله ، فأخرج الرجل الى العساكر وقال هذا هو المهدي » . وقد تصدى مأمور لتجريح هذه الرواية على أساس عداء ابن خلكان للفاطميين . وساق في ذلك عدداً من الادلة (55) . ومع

- (46) البيهقي : ص 123 ، شرح الاخبار ص 33 .  
(47) افتتاح الدعوة ص 45 ، ابن الاثير : ج 8 ص 16 ، ابن خلدون : ج 3 ص 364 ،  
المقريزي : اتعاظ الحنفا ص 90 ، المنصوري : زبدة الفكرة ج 5 ورقة 161 ،  
الباجي المسعودي ص 37 .  
(48) ابن خلدون : ج 3 ص 364 ، النويري : ج 26 ورقة 32 .  
(49) انظر :  
(50) افتتاح الدعوة ص 45 .  
(51) افتتاح الدعوة ص 45 ، ابن الاثير : ج 8 ص 16 ، المقريزي : اتعاظ الحنفا  
ص 290 .  
(52) انظر : شرح الاخبار ص 33 ، البيهقي : ص 124 .  
(53) انظر : ابن خلكان : ج 1 ص 272 ، سعيد بن بطريق : ص 78 ، النويري : ج 26  
ورقة 33 ، الخزرجي : ورقة 42 .  
(54) مجهول : الاستبصار ص 167 .  
(55) هاك موجزاً لهذه الادلة :  
1) ان عبيد الله المهدي لم يسجن في سجن المدينة ، وانما اودع في بيت مريم ابنة  
الامير الدراري . =

ذلك لا تزال مسألة مصير المهدي من مشكلات التاريخ الاسلامى . والحاصل  
— وفقا لغالبية المصادر — ان اليعسج بن مدرار غادر سجلماسة سرا مع  
اهله وذويه لانذا بصنهاجة في جوف الصحراء (56) ، بينما شغل ابو عبد الله  
الشيعى عنه — الى حين — بتحرير المهدي .

ولدينا روايتان أيضا من كيفية تحرير المهدي ، احدهما (57) ترجع  
تدوم المهدي الى داعيته في مقره خارج المدينة والتقاءه به ، والاخرى (58) ،  
تذهب الى أن أهل سجلماسة خرجوا في الصباح الى الشيعى وأخبروه بهروب  
اليعسج ، وأرشدوه الى مكان المهدي والقائم ، حيث أطلق سراحهما .

- == 2) كان المهدي معروفا لدى أهل سجلماسة ، ولو كان قد قتل ونادى الشيعى بإمامة  
غيره لكشفوا عن هذا الزيف .  
3) لم يدخل الشيعى بنفسه لتحرير المهدي ، وإنما قدم المهدي اليه على ظهر حصان .  
4) من الصعب أن ينصب الشيعى بديلا عن المهدي وهو برفقة قواده وأصحابه  
وسائر أتباعه .  
5) لم يكن تنصيب البديل للمهدي أمرا ممكنا في وجود ابنه أبى القاسم الذى كان على  
قيد الحياة .  
6) لو حدث ذلك ، لما لاذ أبو القاسم بالصمت لان الدعاء في سائر الامصار والذين  
عرفوا المهدي ما كانوا ليسكتوا عن كشف تلك الخدمة .  
7) ولو فرض وتغاضى أبو القاسم عن الامر ، وأن الشيعى لم يكن يعرف شخص  
المهدي ، فلا بد وأن أمرا غريبا كان سيحدث عند لقاء المهدي المزموم بابى  
المعباس — أخ الشيعى — وأم عبيدة الله المهدي اللذين كانا برفادة .  
8) لو أن اليعسج قتل المهدي حقيقة لكان قد اشاع الخبر أثناء هربه بين قبائل الصحراء  
من قبيل التمشى والانتقام .  
9) اذا كان هناك ثمة ما يشكك في أصله غير كونه ينتمى الى على وناطمة ،  
لاتخذة الشيعى وأخوه سندا لهما خلال الشهور السبعة التى تأمرا خلالها على  
المهدي ، فكل ما ناهى به آنذا انه ليس الامام .  
10) اجماع المؤرخين على أن ابا القاسم ابنه خلفه بعد وفاته .  
11) كان للمهدي اصدقاء ورفاق في سائر بلاد المشرق والمغرب ، فضلا من عدد من  
الرسل والدعاة بكافة ارجاء العالم الاسلامى فلو انه قتل حقا لاشاع هؤلاء  
وأولئك الامر واصبح معروفا لدى المعاصرين . وعلى ذلك ، فان رواية ابن خلكان  
لا أساس لها من الصدق

انظر :

Momour : Polemics on the origin of the fatimi caliphs. P.P 115, 16, 17.

- (56) اليمانى : ص 126 ، افتتاح الدعوة ص 45 .  
(57) اليمانى : ص 125 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 42  
(58) انظر : افتتاح الدعوة ص 45 ابن الاثير : ج 8 ص 16 ،  
ابن عذارى : ج 1 ص 210 ، ابن حماد : اخبار ملوك بنى عبيد ص 9 ،  
ابو الددا : ج 2 ص 65 ، الاستبصار ص 204 ، ابن خلدون : ج 3 ص 364  
والنويرى : ج 26 ورقة 32 ، ابن أبى دينار : ص 49 ، المعينى : ج 15  
ورقة 154 .

وأيا ما كان الامر ، فبعد تحرير المهدي والاحتفاء به ، انفذت الخيل في اثر اليسع بن مدرار ، وذكر ابن عذارى (59) أن قوما من البربر — يعرفون بنى خالد — قبضوا عليه وسلموه الى أبى عبد الله الشيعى تقريبا اليه .

وسيق اليسع الى المهدي حيث عذب وشهر به في سجناسه هو ومن معه ، ثم أمر المهدي بقتلهم جميعا ، فقتلوا (60) . وصادر المهدي أموال بنى مدرار (61) ، ونهبت كتامة المدينة ، وأرغم غالب سكانها على مبارحتها (62) ولم تجد نفعا توسلات شيوخها الى المهدي ليكف رجاله أيديهم عنهم (63) . ولقى اليهود — بصفة خاصة — على أيدي المهدي ورجاله عنقا شديدا ، فتعرضوا لثمنى أنواع العذاب اعتقادا بأن لهم يدا في الوثيقة بين المهدي واليسع بن مدرار ، فقتل اثرياؤهم ونهبت أموالهم ، وأرغم من بقى منهم على احتراف المهن الوضيعة (64) . ثم أمر المهدي بحراق سجناسه فاضرمت فيها النيران (65) .

وغادر المهدي سجناسه الى رقادة في ربيع الاخر سنة 297 هـ (909 م) بعد ان بويغ بالخلافة فيها (66) ، وبعد أن عين عليها واليا من

- (59) البيان المغرب ج 1 ص 211 ، 212 .  
(60) اليماني : ص 131 ، شرح الاخبار ص 33 ، ابن الاثير : ج 8 ص 16 ، ابن خلدون : ج 3 ص 364 ، النويرى : ج 26 ورقة 33 ، القرىزى : اتعاف الحنفا ص 91 .  
(61) اليماني : ص 129 ، 130 ، الخزرجى : ورقة 42 .  
(62) مجهول : الاستبصار ص 204 .  
(63) اليماني : ص 130 .  
(64) الاستبصار ص 202 .  
(65) ابن عذارى : ج 1 ص 210 ، Biquet : Op. Cit. P. 71  
(66) ابن غلبون : التذكار ص 18 « وثمة رواية تقول بأنه بويغ في رقادة وليس في سجناسه انظر : ابن الابار : ج 1 ص 191 ، النويرى : ج 26 ورقة 31 ، Hassan Ibrahim : Relations between the Fatimids P. 51 .  
ونعتقد أنه بويغ بسجناسه أولا ، ثم بويغ بعد ذلك ببعة عامة في رقادة . والواقع ان اقدم عملة وصلتنا عن المهدي مؤرخة بسنة 297 هـ . وخالية من ذكر المدينة التي ضربت بها . كما انها خلو ايضا من ذكر لقب « أمير المؤمنين » الذي نجده على عملة اخرى ضربت بالقيروان سنة 300 هـ .  
وهاك صورة للدينار الذي ضرب سنة 297 هـ :  
الوجه : لا اله الا الله وحده لا شريك له ( فراغ )  
الوجه الاخر : لله — محمد رسول الله — المهدي  
داثرى : بسم الله ضرب هذا الدينر سنة سبع وتسعين ومئتين ( فراغ )  
انظر Lane-Poole : Catalogue of the collection of Arabic coins presente in the khedivial library P. 148 .  
اما الدينار الذى ضرب بالقيروان سنة 300 هـ فنصوته على الوجه التالى :  
الوجه : عبد الله — لا اله الا الله وحده — لا شريك له — أمير المؤمنين  
داثرى : محمد رسول الله أرسله بالمهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . =

قبله (67) .

وهكذا سقطت دولة بنى مدرار على يد الفاطميين سنة 297 هـ  
( 909 م ) ، بعد انتصار كتامة على مكناسة ، وتغلب البرانس على البتر ،  
وهزيمة الخوارج على أيدي الشيعة .

---

= الوجه الآخر : الامام — محمد — رسول — الله — المهدي بالله .  
دائري : بسم الله ضرب هذا الدينر بالقيروان سنة ثلث ميه

انظر : Lane-Poole : Catalogue of oriental coins in the British museum :  
Vol. 4. P. 2.

(67) المقریزی : اتعاظ الحنفا ص 91 ، ابو الفداء : ج 2 ص 65 .



## ب - ثورات الصفرية على الحكم الفاطمي :

اندلعت ثورات الصفرية في سجلماسة على اثر رحيل المهدي منها الى رقادة سنة 297 هـ ( 909 م ) ولم تفلح سياسة القمع والعنف التي لجأ اليها الفاطميون بانفاذ حملاتهم الفينة بعد الاخرى الى سجلماسة ، ولا سياسة اللين والدهاء باصطناع بعض افراد البيت الدراري وتنصيبهم ولاة يحكمون باسمهم ، في دعم النفوذ الفاطمي في تلك الانحاء وتحويل البربر الصفرية عن ولائهم لبنى مدرار .

فقد تضافرت عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ومذهبية وجغرافية لتزيد في عداة الخوارج الصفرية للحكم الفاطمي الشيعي واستمرار ثوراتهم عليه . فمن الناحية السياسية ، لم يرضخ الخوارج الصفرية لولاة الفاطميين بعد ان الفوا الاستقلال السياسي في كنف دولة بنى مدرار لما يزيد على قرن ونصف قرن من الزمان وبديهي - وقد تأصلت فيهم نزعة الاستقلال - ان يرفضوا الاذعان لحكم ولاة غرباء ، تسندهم حاميات من الجند الكتامي (68) . ولا ريب في أن الظروف السياسية في بلاد المغرب وقتذاك ساعدت على تفاقم هذه الثورات ، فقد شغل الفاطميون بمواجهة المشكلات العديدة التي واكبت قيام دولتهم عن الاهتمام بدعم نفوذهم في سجلماسة بأقاصى الصحراء .

ولعل من اهم هذه المشكلات احتدام الصراع بين المهدي وابى عبد الله الشيعي ، وما سببه اغتيال الشيعي من خلاف كتامة على المهدي وثورتهم عليه ، وما تجشمه الاخير من مشاق لقمع هذه الثورة (69) . ومن ناحية

(68) البكري : ص 150 .

(69) ابن خلدون : ج 4 ص 78 .

أخرى تضعف النفوذ الفاطمي في المغرب الأقصى باستمالة عبد الرحمن الناصر الاندلسي لمغراوة وبنى يفرن الذين الحقوا عدة هزائم بالجيوش الفاطمية سنة 312 هـ (924 م)، 314 هـ (926 م) (70)، كما استولت جيوشه على مليلة وسبتة — من موانئ المغرب الأقصى — سنة 314 هـ (926 م) وسنة 319 هـ (931 م) على التوالي ، ودخل موسى بن ابي العافية امير فاس في طاعته وعمل على « استمالة أهل العدو المجاورين له » (71) . وبذلك اصبح الجزء الاعظم من شمال المغرب الأقصى ومساحات شاسعة بالمغرب الاوسط بمنأى عن سيادة الفاطميين ، وظل النفوذ الاموي قائما بالمغرب الأقصى حتى سقوط الخلافة الاموية بالاندلس . واذا كنا لا نجد من الشواهد والقرائن ما ينم عن تضامن الصفيرية في المغرب مع اموي الاندلس بعد سقوط دولة بنى مدرار سنة 297 هـ (909 م) ، فان تغلغل النفوذ الاندلسي في المغرب الأقصى مكن من اندلاع ثورات الصفيرية بسجلماسة على الحكم الفاطمي .

وكانت سياسة الفاطميين الاقتصادية الجائرة من أهم الدوافع لقيام هذه الثورات ، فقد انتهج الفاطميون سياسة مالية متعسفة ، وما لبث المهدي أن تخلى عن سياسة داعيته ابي عبد الله الشيعي المعتدلة (72) ، فاستولى على « اموال الاحباس والحصون » (73) ، واشتط في جمع الضرائب وتفنن في زيادتها (74) . وقد تعرضت سجلماسة للسلب والنهب على يد رجاله ، كما كانت ثروات اهلها ، ومناجيبها الغنية بالفضة مطمعا لجيوشه . وقيل ان المهدي « تحصل من التبر ومن الحلى وقرماتة وعشرين جملا ادخلها رقادة » (75) .

ومما دفع صفيرية سجلماسة الى الثورة ايضا اصرار الفاطميين على نشر المذهب الشيعي ، فقد ذكر ابن عذارى (76) ان المهدي « اظهر التشيع القبيح وسب أصحاب النبي وأزواجه . . ومنع الفقهاء ان يفتى أحدهم الا بمذهب زعم انه مذهب جعفر بن محمد ، منه سقوط الحنث عن طلق

(70) ابن عذارى : ج 1 ص 266 ، 269 .

(71) نفسه ج 1 ص 283 .

(72) نفسه ص 191 ، 192 .

(73) سعيد بن مقديش : ص 123 .

(74) ابن حيون : المجالس والمسائرات ج 1 ورقة 28 . مخطوط .

(75) الاستبصار ص 204 .

(76) البيان المغرب ج 1 ص 220 .

بالنية ، واحاطة البنات بالميراث ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر فاستجازه » . ومع ما انطوى عليه قول ابن عذارى من مبالغة ، فالثابت ان المهدي عمد الى نشر مذهبه بحد السيف (77) ، وغير من النظم والاحكام بما يتمشى وتعاليم المذهب الاسماعيلي . وبديهى ان يفزع صفرية سجماسة من هذه السياسة الدينية حتى ليذهب داشراوى (78) الى ان حركة الشاكر لله سنة 332 هـ ( 945 م ) قامت اساسا لمناهضة سياسة الفاطميين الدينية . ولا مرأء فى أن الصفرية من الخوارج فضلا عن عدائهم المقتية للشيعنة ، نظروا فى انكار وريية الى سياسة الفاطميين الدينية فاعتقدوا أنهم « يدفعون نبوة محمد (ص) ويدعون النبوة بعده ، ويدعون سنته وشريعته ويدعون الى غيرها » (79) . بل ارتبطت العقائد الاسماعيلية فى تصورهم بالخرافات والاساطير فاعتقدوا أنهم « يعبدون راسا عندهم يكلمهم ويسجدون له من دون الله ، وأن هذا الراس ينثر من فيه الدنانير » (80) . ولما كان الصفرية من أكثر فرق الخوارج تطرفا فى محاربة مخالفيهم ، فلم يتوانوا عن الجهر بعدواتهم للفاطميين ، والتبرد على احكامهم ، ومناهضة عمالهم .

وقد كان تعصب الفاطميين لكتامة وصنهاجة واختصاصهم بالمناصب العليا فى دولتهم سببا فى تعميق عدواة مكناسة الصفرية لهم ، فقد اثاروا بسياستهم تلك الصراع بين البربر وبرانسا (81) ، اذ لا يخفى أن غالبية صفرية المغرب كانوا من البربر البتر من مكناسة وزناتة وغيرها ، بينما قامت دولة الفاطميين بالمغرب على اكتاف كتامة من قبائل البرانس ، ومن ثم لم يكن من المقبول أن يرضخ صفرية سجماسة لوالى المهدي من كتامة وحاميته النى بلغفت خمسمائة فارس من رجالات كتامة ايضا (82) .

ولا شك فى أن الظروف الجغرافية ايضا ساعدت صفرية سجماسة

(77) ابن خلدون : ج 1 ص 131 .

(78) La captivite d'Ibn Wasul. P. 296.

(79) ابن حيون : المجالس والمسائرات ج 1 ورقة 358 . ولعل السبب فى ذلك يرجع الى ان الفاطميين - كما يذهب الدكتور محمد كامل حسين - « كانوا يميلون الى صبغ البلاد كلها بصيغة مذهبهم ، احيانا بالترغيب و احيانا بالترهيب ، فكان الدعاء يؤدون واجبه فى تشكك المسلمين فى مذاهيبهم ، ويحببون اليهم المذهب الفاطمى » .. انظر : فى ادب مصر الفاطمية ص 130 .

(80) ابن حيون : المرجع السابق ورقة 361 .

(81) نفسه ورقة 26 ، Drague : Op. Cit. P. 25.

(82) ابن عذارى : ج 1 ص 213 .

على القيام بثوراتهم ، فكانت مدينتهم في اقصى الصحراء (83) ، والطرق  
الموصلة اليها من افريقية وعرة . لذا تتعاس الجند الفاطمي عن التوجه  
لقمع تلك الثورات . ويخبرنا ابن حيون (84) ان الكتاميين كانوا يتناقلون  
عن القيام بهذه المهام متذرعين ببعد سجماسة ومشاق الطريق اليها رغم  
ما كان يبذله الائمة لهم من وثير العطاء ومعسول الوعود .

قصارى القوى ، ان اشتطاط الفاطميين في سياستهم الاقتصادية ،  
وتعصبهم المذهبي واحيائهم النعرات القبلية ، وملائمة الظروف السياسية  
والجغرافية في المغرب الاقصى ، كل هذه العوامل دفعت الصفرية الى  
الثورة على الحكم الفاطمي ونبذ مذهبهم الاسماعيلي ، والتشبث بالولاء  
لال مدرار .

والواقع ان حكم الاسرة المدرارية لم يخفف بعد مقتل اليسع بن مدرار  
سنة 297 هـ ( 909 م ) كما اعتقد بعض المؤرخين (85) وانما ظل قائما في  
سجماسة متأرجحا بين الولاء والعداء للفاطميين ، واذا كان الفاطميون  
قد املحوا احيانا في استمالة بعض افراد البيت المدراري والاغداق عليهم  
وتنصيبهم ولاة من قبلهم ، فان معظم المدراريين ثاروا على الفاطميين ورفضوا  
الاذعان لحكمهم واستقلوا بأمر سجماسة عن نفوذهم .

فبعد مقتل اليسع بن مدرار سنة 297 هـ ( 909 م ) ، ولى عبيد الله  
المهدى على سجماسة قائده ابراهيم بن غالب المزاتي . وترك معه خمسمائة  
فارس من كتامة (86) . وما ان قفل المهدي متوجها الى رقادة حتى ثار  
الصفرية عليه وقتلوه (87) هو وجنده في نفس العام (88) . وبايعوا الفتح  
بن ميمون الملقب بواسول من بنى مدرار . ولم يستطع المهدي استعادة  
نفوذه على سجماسة لانشغاله بمواجهة الاضطرابات في افريقية بعد اغتيال  
ابى عبد الله الشيعي ، فاستقر الامر للفتح بن ميمون « تحت تقية من مطالبة

(83) المراكش : المعجب ص 357 .

(84) المجالس والمسائرات ج 1 ورقة 26 .

(85) انظر : ابو الدنا : ج 1 ص 66 ، ابن ابي دينار : ص 50 .

(86) ابن عذارى : ج 1 ص 213 .

(87) البكري : ص 150 .

(88) ابن عذارى : ج 1 ص 214 . تتل ابراهيم بن غالب المزاتي سنة 297 هـ وليس 298 هـ

كماذهب ابن خلدون وابن الخليل

انظر : العبر ج 6 ص 131 ، اعمال الاعلام ج 3 ص 145 .

الشيعة « (89) .

ولما مات الفتح سنة 300 هـ ( 912 م ) بايع الصفريه اخاه احمد بن ميمون ، فانفرد بالسلطة تسعة اعوام بمنأى عن نفوذ المهدي . وفي سنة 309 هـ ( 922 م ) أنفذ المهدي قائده مصالة بن حبوس لدعم سلطانه في المغرب الاقصى (90) ، فدخل سجلماسة عنوة « واخذ أهلها بالدعوة الشيعية » (91) وقبض على احمد بن ميمون وقتله ، وبعث برأسه الى المهدي (92) ، وحاول استرضاء الصفريه بابقاء الحكم المرداري ، فلم يعين عليهم واليا من قبله ، بل اصطنع المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار — وهو ابن عم احمد بن ميمون — ونصبه واليا عليهم من قبل المهدي « ليأمن جانبهم » (93) . وقد نجحت هذه السياسة — الى حين — في الحفاظ على النفوذ الاسمي للفاطميين (94) في سجلماسة ، فظل المعتز بن محمد على ولائه للفاطميين حتى وفاته سنة 321 هـ ( 934 م ) وذلك على عكس رواية ابن خلدون (95) القائلة باستبداده بالأمر من دون الفاطميين . فقد كان ابنه وخليفته محمد الملقب بأبي المنتصر الذي حكم عشر سنوات (96) ، وكذلك حفيده المنتصر سمكو بن محمد الذي حكم شهرين على ولائهما لسلطان الفاطميين (97) .

على ان سياسة الولاء للفاطميين لم تلبث ان تعثرت سنة 332 هـ (945 م) فانتهز محمد بن الفتح بن ميمون — ابن عم المنتصر سمكو — فرصة ضعف ابن عمه الطفل (98) ، وانشغال الفاطميين بثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد ، واغتصب الحكم فطرد ابن عمه خارج سجلماسة ودعى لنفسه

- 
- (89) اخطأ ابن خلدون — ومن نقل عنه — حين زعم ان الفتح بن ميمون كان اباضيا .  
انظر : العبر ج 6 ص 131 ، السلاوي ج 1 ص 113 .
- (90) ابن الخطيب : المرجع السابق ص 146 .
- (91) البكري : ص 150 ، ابن خلدون . ج 6 ص 131 ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 ص 46 ، التلقشندي : ج 5 ص 166 .
- (92) ابن خلدون : المرجع السابق ص 131 .
- (93) البكري : ص 150 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 146 .
- (94) ابن الخطيب : نفس المصدر والصحيفة .
- (95) العبر ج 6 ص 131 .
- (96) استقط البكري حكم هذا الامير . انظر : المغرب ص 151 .
- (97) ابن حيون : المجالس والمسائرات ج 1 ورقة 296 . وقد خالف ابن الخطيب سائر المؤرخين فذكر ان المنتصر سمكو اخ محمد بن المعتز وليس ابنه .  
انظر : اعمال الاعلام ج 3 ص 146 .
- (98) البكري : ص 151 ، ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 146 ، التلقشندي : ج 5 ص 167 ، السلاوي : ج 1 ص 113 .

وخلع طاعة الفاطميين (99) ، كما ضرب النسكة باسمه وتلقب بالشاكر لله (100) .

على ان بعض المؤرخين (101) ذهبوا الى ان الشاكر لله « أخذ بمذاهب أهل السنة ورفض الخارجية ونادى بالدعوة لبنى العباس » . وغالى البعض (102) الآخر فقال بأنه « كان سنيا على مذهب المالكية » . ونعتقد ان حركة الشاكر لله كانت حركة خارجية صفرية خالصة، تمثل رد الفعل الصفرى ضد الحكم الفاطمى ، فهى تماثل فى هذا السبيل وتعاصر حركة أبى يزيد مخلد بن كيداد الاباضى . ويبدو ان مؤرخى السنة تجاهلوا هذا الامر عن عمد انكارا لفضل الخوارج فى قيادة حركات المقاومة ضد الشيعة ، أو أن الامر التبس عليهم خاصة وأن ابا يزيد قد استنفر السنة فى المغرب للانضمام لحركته (103) ، كما « دعى الشاكر لنفسه مموها بالدعاء لبنى العباس » (104) حتى يؤازره السنة بالمغرب . ومن المستبعد ان يكون الشاكر لله قد تخلى عن المذهب الصفرى واعتنق المذهب المالكى للدخول فى طاعة الخلافة العباسية لان الشاكر لله لم يكن يطمع فى مؤازرة الخلافة العباسية لحركته خاصة وقد زال نفوذها كلية من بلاد المغرب بعد سقوط دولة الاغالبة . ولم يكن بمقدور بنى العباس مناجزة الفاطميين ببلاد المغرب

(99) البكرى : ص 151 ، ابن خلدون : ج 6 ص 131 .  
(100) اخطأ ابن خلدون ومن نقل عنه فى تلقيبه (بالشاكر بالله) انظر : العبر ج 6 ص 131 ، السلوى : ج 1 ص 113 . الصحيح ما ورد بعملته الذهبية والفضية حيث لقب « بالشاكر لله » وهما صورة الدينار ضرب فى عهده .  
كتابة دائرية : بسم الله ضرب هذا الدين سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .  
الوجه الاول الامام - محمد - رسول الله - الشاكر لله .  
ويتشكك لاموا فى اتخاذه لقب « أمير المؤمنين » ويذكر انه اكتفى بلقب « امام » لان العملة خلو من ذلك . انظر :  
لكن شكوك لاموا لا سبيل لصحتها ، فنجد على دينار ضربه الشاكر لله سنة 245 هـ لقب أمير المؤمنين . وهما صورته :  
الوجه : عبد الله - لا اله الا الله وحده - لا شريك له - أمير المؤمنين ( فراغ غامض )

الوجه الاخر : الامام - محمد رسول الله - الشاكر لله  
بسم الله ضرب هذا الدين سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .  
انظر : Lane-Poole : Catalogue of the collection of the Arabic coins presented in the khedivial library P. 328.

(101) انظر : ابن خلدون : ج 6 ص 132 ، السلوى ج 1 ص 113 ، الخزرجى : ورقة Bel : Op. Cit. P. 168. 47  
(102) انظر : البكرى ص 151 .  
(103) الدباغ : ج 2 ص 185 .  
(104) العلقشندى : ج 5 ص 167 .

وتعضيد الحركات المناوئة لهم لبعده المسافة ، ولضعفهم في العصر العباسي الثاني وخضوعهم لنفوذ الترك . ولو أن الشاكر لله دعى للخلافة العباسية حقا ، لما دعى « لنفسه بالخلافة وتسمى بأمر المؤمنين وتلقب بالشاكر لله » (105) . وضرب العملة باسمه (106) . ولو كان ينشد التبعية لقوة مناوئة للفاطيين ، لاعلان تبعيته لإموى الأندلس أصدقاء الأسرة المدراية ، وأصحاب النفوذ الفعلي على أغلب جهات المغرب الأقصى . أغلب الظن أن الشاكر لله تشبهه بمعاصره الإباضي النكارى أبى يزيد مخلد بن كيداد في محاولة استمالة السنة بالمغرب وتعضيدهم لحركته ليس الا .

على كل حال — نجح الشاكر لله — بحسن سيرته — (107) وتعصبه لمذهبه وتفقهه فيه « وظنه أن ليس الحق الا ما انتهى اليه » (108) ، في جمع شمل الصفرية تحت لوائه والانفصال بسجلماسة عن طاعة الفاطميين ويبدو أنه فكر في بسط نفوذه على بعض نواحي المغرب الأقصى ، فحاول غزو إمارة نكور سنة 340 هـ ( 953 م ) لكن الصفرية لم يجيبوه الى ذلك وقنعوا باستقلالهم السياسى وحریتهم الدينية محجيين عن الدخول في مشروعات توسعية (109) . وقد نعم الصفرية في عهده بالاستقرار والرخاء ، إذ نعلم أن العدل ساد بسجلماسة إبان حكمه ، كما كانت عملته «طيبة للغاية» على حد قول السلوى (110) .

وظل الشاكر لله في مأمن من الخطر الفاطمى طوال عهد المنصور الذى انصرف لدرء ثورة أبى يزيد في إفريقية ، تلك الثورة التى هددت بالقضاء على دولته . ولما ولى المعز الخلافة سنة 341 هـ ( 954 م ) حاول تأديب أمير سجلماسة المدراى ، فاستنفر كتامة للقيام بتلك المهمة دون طائل ، فقد تناقلوا عن الخروج متذرعين بمشاق الطريق وبعده المسافة (111) ويبدو أن تغاضى المعز عن ثوار سجلماسة شجع عماله في المغرب الأقصى

(105) ابن الخطيب : اممال الاعلام ج 3 ص 148 .

(106) انظر : Lavoix : op : cit. P. 401.

(107) ابن الخطيب : المرجع السابق ص 148 .

(108) ابن حيون : المجالس والمسائرات ج 1 ورقة 369 ، ج 2 ورقة 399 .

(109) ابن حوقل : المسالك والممالك ص 57 .

(110) الاستقما ج 1 ص 119 . يؤكد ذلك أن العملة التى ضربها سنة 336 هـ كان وزنها

كالانسى : D. 19 mm. P. 3 gr 90

D. 21 mm P. 49 gr 10.

Lavoix : P.P. 401, 402.

والتي ضربها سنة 340 هـ كان وزنها

(111) ابن حيون : المرجع السابق ج 1 ورقة 26 .

على شق عصا الطاعة والدخول في طاعة عبد الرحمن الناصر كما فعل  
يعلى بن محمد اليفرينى (112) بافكان - بشمال غربى تاهرت - واحمد  
بن بكر الجذامى امير فاس (113) ودفعه ذلك الى اعداد حملة هائلة  
لاستعادة نفوذه المفقود في في بلاد المغرب الاقصى سنة 347 هـ (960م) (114).

وقد عهد المعز الى قائده جوهر الصقلى بقيادة تلك الحملة التى حشد لها  
اعدادا غفيرة من كتامة (115) وصنهاجة (116) والاولياء (117) ، فضلا عن  
عبيده وغلماثه (118) . واجتمع برؤسائهم وحضهم على الاستماتة فى القتال  
واعدا اياهم بحسن المثوبة منعما عليهم بجزيل العطاء (119) . ومضى جوهر  
الى سجلماسة وبعث الى اهلها بالقبض على الشاكر لله وتسليمه ، على ان  
يبدل لهم الامان ، دون طائل (120) . فحرب الحصار حول المدينة (121)  
طيلة شهور ثلاثة (122) تمكن الشاكر اثناءها من الهرب بامواله وذويه  
وخاصته ، ونزل بحصن منيع يعرف بتاسجدلت (123) على بعد اثنى عشر  
ميلا من سجلماسة (124) .

ودخل جوهر المدينة دون مقاومة ، واصدر عفوا عاما عن اهلها (125)  
ليكسب جانبهم وتسلل الشاكر لله الى المدينة فى محاولة لتاليب اتباعه على  
القائد الفاطمى واسترداد نفوذه ، لكن رجلا من مطغرة تربص به وسلمه  
الى جوهر ، فعاد به اسيرا الى القيروان (126) بعد ان عين على سجلماسة

- 
- (112) ابن خلدون : العبر ج 4 ص 96 .  
(113) ابن حيون : المرجع السابق ج 1 ورقة 22 ، السلاوى : ج 1 ص 197 .  
(114) ابن حيون نفس المصدر ورقة 25 ،  
Lavoix : Op. Cit. P. 402  
(115) ابن حيون نفس المصدر ورقة 31 .  
(116) ابن خلدون : ج 6 ص 132 .  
(117) هم اتباع ابي يزيد مخلد بن كيداد الذين اذعنوا بالطاعة للفاطميين واغلبهم من بنى  
كبلان . انظر : ابن حيون المرجع السابق ورقة 32 .  
(118) الشطيبى : الجمان ورقة 197 .  
(119) انظر ملحق رقم 6 .  
(120) ابن حيون : المرجع السابق ورقة 296 .  
(121) الشطيبى : المرجع السابق ورقة 197 .  
(122) ابن الخطيب : ج 3 ص 148 .  
(123) نفس المصدر والصحيفة . ويسميه ابن خلدون « حصن تاسكرات » انظر : العبر  
ج 6 ص 132 .  
(124) البكرى : 151 .  
(125) ابن حيون : المجالس والمسائرات ج 1 ورقة 296 .  
(126) البكرى : ص 151 ، ابن خلدون : ج 6 ص 132 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 149 ،  
القلعشندى : ج 5 ص 167 ، السلاوى : ج 1 ص 114 ، الشطيبى : الجمان :  
ورقة 197 .



واليا من قبله سنة 347 هـ ( 960 م ) ( 127 ) .

وابتهج المعز بانتصارات قائده جوهر واسترداد سجلماسة وغيرها من مدن المغرب الاتصى التي تمردت عليه ، فطير مزهوا انبائها الى الدعاة الاسماعيلية في الشرق ( 128 ) . وآثر المعز الإبقاء على حياة الشاكر لله بعد ان شهر به بين اهل القيروان ( 129 ) ، فظل مُعتقلا في سقيفة قصره زمنا ( 130 ) . ثم نقل الى رقادة وظل سجيناً بها حتى وفاته سنة 354 هـ ( 967 م ) ( 131 ) .

ولم تفلح سياسة اللين والتسامح التي اتبعها المعز وقائده جوهر سواء في معاملة الشاكر لله او في العفو عن اهل سجلماسة في جذبهم لموالاة الفاطميين . فالعداء المذهبي المتواصل وتعلق الصفرية بالاستقلال السياسي وبالبيت الدراري حال دون تحقيق ذلك . فقد تكرر ما حدث على اثر مغادرة المهدي جوهر سجلماسة سنة 297 هـ ( 909 م ) ، اذ ثار صفرية سجلماسة على الوالي الفاطمي وارذوه قتيلا ونصبوا عليهم احد ابناء الشاكر لله ولقبوه بالمنتصر لله ( 132 ) .

ولكى لا يتعرضوا لطائلة الانتقام ، بادروا فأنفذوا رسلهم الى المعز معلنين الإبقاء على طاعته والولاء له . ولاذ المعز بالعافية قائما بولائهم الاسمى له . وطلب الى شيوخهم القدوم اليه برفقة المنتصر لله ، فأجابوه الى طلبه . وقد اورد ابن حيون ( 133 ) تفصيلات مستفيضة عن لقاء شيوخ سجلماسة بالمعز وعفوه عنهم ، واقتراره المنتصر على الولاية وخلعه عليهم واغداقه على مرافقيه . ومع ذلك لم يستتب الامر للمعز في سجلماسة ، ولم ينعم صنيعته الدراري بالحكم طويلا ، فنزعة الاستقلال والكرامية للفاطميين كانت من وراء الثورة التي قام بها اخ للمنتصر — ويدعى أبا محمد — على اخيه وقتله وقيامه بالامر مكانه وتلقبه بالمعز لله ، واعلانه الخروج عن طاعة الفاطميين سنة 352 هـ ( 965 م ) ( 134 ) .

( 127 ) ابن حيون : المجالس والمسائرات ج 2 ورقة 296 .

( 128 ) نفس المصدر ورقة 332 .

( 129 ) نفس المصدر ورقة 364 ، 365 .

Dachraoui : Op. Cit. P. 299.

( 130 ) ابن حيون : نفس المصدر والصحيفة ،

( 131 ) ابن الخطيب : ج 3 ص 149 .

( 132 ) ابن خلدون : ج 6 ص 132 ، والسلاوي : ج 1 ص 114 .

القلعشندي : ج 5 ص 167 .

( 133 ) انظر : ملحق رقم ( 7 ) .

( 134 ) ابن خلدون : ج 6 ص 132 ، السلاوي : ج 1 ص 114 .

القلعشندي : ج 5 ص 167 .

وزال نفوذ الفاطميين نهائيا على سجلماسة منذ ذلك الحين . كما  
ذوى شان مكناسة والصفرية أيضا سنة 396 هـ ( 979 م ) لما زحف خرزون  
ابن فلفول المغراوي الى سجلماسة وقتل ابا محمد المعتز وبعث برأسه الى  
قرطبة . وآلت سجلماسة بذلك الى التبعية لاموى الاندلس « وانقرض  
أمر بنى مدرار ومكناسة من المغرب أجمع ، وأدال منهم بمغراوة  
وبنسى يفرن » (135) .

وهكذا — لم يستسلم الصفرية للحكم الفاطمي ، ولم تجد نفعا سياسة  
الفاطميين المتأرجحة بين اللين والعنف في دعم نفوذهم في سجلماسة معقل  
الخوارج الصفرية في المغرب .

## الإباضية والفاطميون

### أ - الفاطميون وسقوط دولة بني رستم

سقطت تاهرت في يد أبي عبد الله الشيعي سنة 297 هـ ( 909 م ) دون قتال ، وذلك لبلوغ الدولة الرستمية في عصرها الأخير ذروة الضعف والاضمحلال وقد سبق أن أوضحنا مظاهر الفوضى السياسية التي تردت فيها تاهرت ، من تدهور هيئة الامامة وتضعف نفوذ الائمة بعد تحكم رعاي العاصمة في تعيين الائمة وعزلهم ، وارتفاع شأن الفرق والطوائف المذهبية غير الإباضية ، وتدخّلها في شؤون السياسة والحكم وعمالها لقوى اجنبية بقصد اسقاط الاسرة الرستمية والوثوب على السلطة في تاهرت . ثم ظهور نفوذ البلاط ونساء الاسرة الرستمية وسيطرتهم على الائمة ، وتطاول عمال الائمة وحراسهم وخدمهم على الرعية فنهبوا الاموال واغتصبوا الحرائر . بالاضافة الى صراع افراد البيت الرستمي حول الامامة وتكالبهم على الظفر بها ، فلم يتورعوا عن تدبير المكائد والمؤامرات من بعضهم البعض وراح بعضهم ضحية هذا الصراع ، وانفض ذلك كله الى انهيار العصبيّة الرستمية « وبانهيارها شاخّت الدولة وهرمت » (136) . هذا الى انحلال

(136) ابن خلدون : المقدمة ص 168 .

نظم الحكم والادارة وضعف الروح العسكرية ، وتراخى قبضة الائمة على اجنادهم فلجأوا الى « استعمال الدرهم والدينار ، بدل الرمح والسنان (137) وترتب على ذلك كله انهيار المجتمع الرستمي واضطراب الامن ، وهو ما عبر عنه ابن الصغير بقوله: « وكان البلد قد فسد ، وفسد أهلها .. واتخذوا للمسكر اسواقا والغلمان اخوانا » « وعجت الطرق بمناسر اللصوص وخاصة من سفهاء زناتة » (139) .

وفضلا عن ذلك كله ، تعرضت الدولة الرستمية لضربة قاصمة قضت على البقية الباقية من قوتها ، بسبب ما حل بأباضية نفوسة سنة 283 هـ ( 897 م ) من كارثة في موقعة مانو — قلعة بين قابس وطرابلس (140) — حيث اجهز الاغلبة فيها على جيوش نفوسة (141)، ومن بعدها على أباضية تنطراة ونغازوة (142) وحرمت الامانة الرستمية في ذلك الحين من مصدر قوتها ، اذ كان النفوسيون عصب الدولة وعونا لها على ما واجهها من اخطار . ولا غرو ، فقد حرم ابو اليقظان بن ابي اليقظان — آخر ائمة بنى رستم — من جيش يستطيع به التصدي للخطر الشيعي بعد انقطاع الامداد من جبل نفوسة ، وادى ذلك الى سقوط تاهرت سنة 297 هـ ( 909 م ) .

كانت تاهرت اذن على وشك السقوط ، وكان بوسع ابي عبد الله الشيعي داعية الفاطميين — الذي لا نشك في انه ارسل بعوثه الى تاهرت تدعو للتشيع — ان يطيح بالحكم الرستمي في وقت مبكر . غير أنه اثر التريث حتى يفرغ من حروبه مع الاغلبة — اعظم القوى السياسية في المغرب في ذلك الحين — فلم يقدم على فتح بلاد المغرب الاوسط والاقصى الا بعد سقوط رقاداة عاصمة بنى الاغلب سنة 296 هـ ( 908 م ) .

وبعدها شرع في غزو سجلماسة لتحرير عبيد الله المهدي ، وعرج في طريقه اليها على تاهرت فدانت له دون مقاومة .

من هذا يتضح ان تاهرت لم تسقط ابان عهد ابراهيم بن احمد الاغلبى

- 
- (137) النفوسى : الازهار الرياضية ج 2 ص 278 .
  - (138) سيرة الائمة الرستمية ص 55
  - (139) ابن الصغير : ص 49
  - (140) ابو زكريا : ورقة 33
  - (141) نفس المصدر ورقة 34
  - (142) نفس المصدر والصحيفة

( 261 — 289 هـ ) ( 875 — 901 م ) كما ذكر المؤرخون (143) الذين اجتمعوا على ان « ابا عبد الله الشيعي نزل كتامة سنة 280 هـ » واتاه البربر من كل مكان ، وعظم امره وبلغ امره الى ابراهيم بن احمد الاغلبى ، فاستصغر امر ابي عبد الله واستحقره ، ثم مضى ابو عبد الله الى مدينة تاهرت فعظم شأنه ، وافته القبائل من كل مكان ، وبقي كذلك حتى تولى ابو مضر زيادة الله الاغلبى . « وان كانت تلك الرواية لا تخل من دلالة على تشيع كثيرين من سكان تاهرت وبعض القبائل الضاربة خارجها قبيل الغزو الشيعي . يؤكد ذلك قول ابن الصغير (144) ان خطباء تاهرت « كانوا على منابرهم لا يستعملون الا خطب امير المؤمنين على بن ابي طالب خلا خطبة التحكيم » . ولا يخفى ما قام به هؤلاء الشيعة من دور هدام في الاحداث السياسية التى حفل بها العصر الرستمي الاخير ، وهو عصر برزت فيه الطوائف والفرق الدينية غير الاباضية كما سبق ان اوضحنا .

والواقع ان المصادر غير الاباضية لا تمدنا الا بالندر اليسير عن سقوط دولة بنى رستم ، فلم يرد بها اكثر من ان « ابا عبد الله الشيعي وصل الى تاهرت فدخلها بالامان وقتل من بها من الرستمية ، وبعث برؤوسهم الى اخيه ابي العباس ، وطوفت بالقيروان ونصبت على باب رقادة ثم ولى ابو عبد الله على تاهرت ابا حميد دواس بن صولات الهيصى وابراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهورارى ، وكان يلقب بالسيد الصغير » (145)

وقد سبق ان اوضحنا كيف اغتيل الامام ابو حاتم يوسف على يد ابناء اخيه سنة 294 هـ ( 906 م ) بالتواطؤ مع يعقوب بن افلح — عم الامام — المقيم بين زواغة ، وكيف اغتصب احدثهم ويدعى اليقظان الامامة . وتمخض هذا الحادث عن مزيد من الاضطرابات فى تاهرت قام بها الحزب المشايخ لابي حاتم ، وقد تزعمته ابنته المعروفة « بدوسر » . كما واصلت الطوائف والفرق غير الاباضية — من المالكية — والواصلية والصفريّة والشيعة (146) — مؤامراتها على حكم اليقظان بن ابي اليقظان . ونعتقد ان اليقظان نجح فى اخضاع تلك الاحزاب المعارضة لحكمه ، ويبدو انه

- 
- (143) انظر : ابو الفدا : ج 2 ص 65 ، ابن ابي دينار : ص 48 ، العيني : ج 5 ورقة 153 ، اطيش : الامكان : ص 58 .  
(144) ابن الصغير : ص 59 .  
(145) انظر : البكرى : ص 68 ، ابن عذارى : ج 1 ص 209 ، 210 ، مارسيه : مادة بنى رستم : دائرة المعارف الاسلامية ص 93 .  
(146) ابو زكريا : ورقة 36 .

استعان بعمه يعقوب بن أفلح وأنصاره من السححية الذين نزحوا الى تاهرت.  
وقد فشلت دوسر ابنة ابي حاتم يوسف في الانتقام من قتلة ابيها ،  
وخبا امل الطوائف غير الاباضية في « تبييت خبر الاباضية » (147) ، فلم  
يجدوا مناصا من مناشدة ابي عبد الله الشيعي وكتامة — القدوم للقضاء  
على « امارة الفرس » (148) والراجح ان هذه الاتصالات حدثت قبل فراغ  
ابي عبد الله من قتال الاغالبة ، فلم ير موجبا للتوجه الى تاهرت ، ولما  
يفرغ بعد من صراعه مع الاغالبة . وعاودت دوسر الاتصال به ، فاستجاب  
لها ووعدها بتحقيق مطلبها (149) .

وما ان دانت له رقادة بعد هرب زيادة الله الى الشرق سنة 294 هـ  
( 908 م ) ، حتى اعد حملة ضخمة توجه على رأسها الى سجلماسة حيث  
تبع عبيد الله المهدي في سجن اليسع بن مدرار .

تذكر الرواية الاباضية (150) أن رؤساء الطوائف غير الاباضية  
خرجوا اليه على بعد اميال من تاهرت ووعده بالعون على فتحها ، وهونوا  
له من شأن بني رستم .

وعزج الشيعي على تاهرت — في طريقه الى سجلماسة — وفتحها  
ليؤمن ظهره اثناء قتاله مع اليسع بن مدرار . فبعث في استدعاء اليقظان  
ابن ابي اليقظان وبنيه ، ولما قدموا اليه ، أمر بقتلهم جميعا (151) .

وقد حرص الشيعي على استئصال شأف بني رستم حتى لا يناوئه  
منهم مناوئ ، ولم يسلم من القتل الا من لاذ بالهرب الى وارجلان (152).  
وبمقتل ابي اليقظان فتحت تاهرت ابوابها للشيعي دون قتال (153) ،  
وانسابت جيوشه داخلها فاستباحتها (154) سلبا ونهباً وتخريبا (155)

(147) ابن الصنير : ص 51 .

(148) ابو زكريا : ورقة 36 ، النفوسى : ص 292 .

(149) ذكرت المصادر الاباضية ان ابا عبد الله استجاب لطلب دوسر بعد ان وعده بالزواج

اذا ما اخذ بثأر ابيها . والراجح ان يكون السبب في ذلك فراغه من حروبه — مع

الافالبة ، وعزبه على افتتاح المغربين الاوسط والاقصى . انظر : الدرجيني : ج 1

ورقة 42 ، النفوسى : ص 292

(150) ابو زكريا : ورقة 36 .

(151) نفس المصدر والصحيفة ، ابن مذارى : ج 1 ص 210 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 42 .

(152) ابو زكريا : ورقة 37 ، Biquet : Op. Cit. P. 71 .

(153) الدرجيني : ج 1 ورقة 42 ، Biquet : Loc. Cit. .

وتصور الرواية الاباضية هرب دوسر — بطريقة روائية — خشية ان يتزوجها الشيعي

كبا وعده . انظر : ابو زكريا : ورقة 36 ، النفوسى ص 293 .

(154) النفوسى : ص 292 .

(155) ابو زكريا : ورقة 37 .

« حتى أهلكت الحرث والنسل » (156) .

وأمر أبو عبد الله باحراق المكتبة الرستمية المعروفة « بالمعصومة » بعد أن انتقى منها الكتب المتعلقة بالحكم والفنون والرياضيات والصنائع (157) . كما أضرم النيران في تاهرت أيضا (158) . وغادرها على عجل بعد أن ولى عليها عاملا من قبله (159) ، وبهم وجهه شطر سجلماسة .

ووجه فرقة من فرسانه الى وارجلان في اثر يعقوب بن افلح الذي هرب اليها مع بعض أصحابه (160) ولم تستطع خيل الشيعى الوقوف له على اثر (161) ، فنجأ بذلك من المذبحة التي حلت بأسرته . وقد رحب أبو صالح ماجنون بن مريان — شيخ وارجلان بمقدمه وعبثا حاول اقتناعه بتولى « امامة الدفاع » ومناوئة الفاطميين (162) . فقد آثر حياة الزهد والعزلة حتى وفاته (163) .

وبسقوط تاهرت ، وانقراض الرستميين ، انتهى حكم بني رستم الذى استمر ما يزيد على مائة وثلاثين عاما (164) .

(156) الدرجيني : ج 1 ورقة 42 .

(157) أبو زكريا : ورقة 42 .

(158) نفس المصدر ورقة 37 . وقد اعتقد ماسكراى أن المصادر الإباضية تتبالغ في هذا الصدد اظهارا للنطاق الشيعى . انظر : Chronique d'Abou Zakaria. P. 211 .

(159) البكرى : ص 68 .

(160) أبو زكريا : ورقة 37 .

(161) تنسخ المصادر الإباضية روايات أسطورية حول شجاعة يعقوب بن افلح ومهارته في الاملات من أعدائه . انظر : أبو زكريا : ورقة 41 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 47 .

(162) أبو زكريا : ورقة 42 ، Masqueray : Op. Cit. P. LXXIV .

وروى أنه قال في هذا الصدد « لا يستر الجبل بالفنم » ، فصارت مثلا . انظر : أبو زكريا : ورقة 42 ، النفوسى ص 293 .

(163) أبو زكريا : ورقة 42 .

(164) البكرى : ص 68 ، ابن مذارى : ج 1 ص 209 .

وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنى حكم الاسرة الرستمية ، نتيجة خلافهم حول بداية حكم عبد الرحمن بن رستم أول أئمتها . وقد ورد بأحدى التصايد في رثاء الدولة الرستمية أنها ظلت قائمة مائة وخمسين عاما ، قال الشاعر :

لقد أسسوا تاهرت بالغرب وارتقوا  
مدارج عز الملك فيها وأبدعوا  
وداموا بها خمسين عاما ومائة  
يحلهم من كان بالتصب يقطع

انظر النفوسى ص 300 .

والصحيح أن عبد الرحمن بن رستم تولى امامة الظهور سنة 162 هـ ، وعلى ذلك فقد استمر حكم الاسرة الرستمية مائة وخمسة وثلاثين عاما ، على أسس أن دولتهم سقطت سنة 297 هـ .

لكن سقوط الحكم الرستمي لم يقض نهائيا على النفوذ الاباضي في بلاد المغرب ، فظلت وارجلان وجبل نفوسة معتلين رئيسيين لاباضية المغرب . وقد وجه الفاطميون جهودهم نحو فتح هذين المعتلين ، فبعد تحرير المهدي من سجلماسة وجهوا جيشا الى وارجلان . وبادر اباضيتها باخلائها والاعتصام بحصن مجاور لها عرف « بكدية بنهادين » (165) بعد شحنه بالمؤن والاقوات . ولم يستطع الجند الفاطمي اقتحام الحصن ، فآثروا الانسحاب (166) . وبقيت وارجلان معتلا للمقاومة الاباضية ضد الفاطميين .

اما جبل نفوسة ، فلم يخضع للحكم الفاطمي وذاك لمنعته الطبيعية (167) واضحى بمثابة ملاذ لثوار الاباضية في سائر بلاد المغرب (168) . وعبثا حاولت جيوش الفاطميين غزو الجبل ، فكانت في كل مرة تبوء بالفشل .

هكذا ، نجح الفاطميون في فتح تاهرت دون عناء سنة 297 هـ واستقطوا حكم بنى رستم ، لكنهم لم يفلحوا في الاستيلاء على جبل نفوسة وارجلان لمنعة الجبل وتطرف الواحة في اقاصى الصحراء . واضحى جبل نفوسة منذ ذلك الحين معتلا للحركات الاباضية المناوئة للفاطميين . كما لم يفلح الفاطميون في ارغام الاباضية في المناطق الخاضعة لحكمهم على التخلي عن مذهبهم واعتناق المذهب الاسماعيلي . ولم تتمخض سياسة البطش والتعصب التي جرى عليها الفاطميون الا عن اندلاع ثورات الخوارج الاباضية ، تلك التي سببت لهم مزيدا من المتاعب وهددت بزوال دولتهم من بلاد المغرب في بعض الاحيان .

(165) الدرجيني : ج 1 ورقة 42 .

(166) ابو زكريا : ورقة 37 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 42 .

(167) الوسياني : سير ابي الربيع : ورقة 27 ، علي يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ ص 145 .

Lewcki : Etudes Ibadites. P. P. 49, 50.

(168) ابو زكريا : ورقة 115 ،



## ب - ثورات الإباضية على الحكم الفاطمي :

زال الحكم الرستمي من تاهرت سنة 297 هـ ( 909 م ) ، وتبدد شمل الخوارج الإباضية لما تعرضوا له من اضطهاد مذهبي على يد الفاطميين ، والذي لا شك فيه أن الخوارج الإباضية - وهيبة ونكارا - رفضوا الأذعان للمذهب الشيعي (169) « واستكانوا الى حين للمسألة والرضى بالواقع ، انتظارا لسنوح الفرصة » (170) ، بينما لاذت اعداد غفيرة منهم بجزيرتي جربة وصقلية ليأمنوا غائلة الفاطميين (171) .

وكان تفتت القوى الإباضية وتشتتها ما بين جبل نفوسة وواحة وارجلان وبلاد الجريد وأحواز تاهرت وجزيرتي جربة وصقلية مما سهل على الفاطميين مواجهة حركاتهم والقضاء عليها . فقد ثار الإباضية بطرابلس سنة 300 هـ ( 912 م ) على ماتنون الأجابي عامل المهدي ، وكانت ثورة اقليلية محضة اذا اقتصرت على أباضية هواره بناحية طرابلس بزعماء شيخ يدعى محمد بن اسحق المعروف « بابن القرلين » .

ونجح المهدي في حصار طرابلس بحرا ، كما قطع المؤن عنها ، فاستسلم الثوار بعد أن قدموا لابي القاسم بن المهدي مبلغا باهظا من المال ، وسلموا اليه ثلاثة من زعمائهم قتلوا بقرادة (172) . كذلك قضى بالفشل على محاولة أخرى لجمع شمل الإباضية تحت لواء أحد مشايخهم ويدعى أبو خزر تمهيدا للثورة على الفاطميين . وانتهت

(169) أبو ركريا : ورقة 115 ، الطاهر الزاوي : تترخ الفتح العربي في ليبيا ص 183 .  
(170) الجربي : مؤنس الاحبة ص 59 .  
(171) الوسياني : سير أبي الربيع ورقة 59 ،  
(172) ابن عذاري : ج 1 ص 233 ، 234 .

Julien : Op. Cit. 339.

به الحال الى الهرب لجبل نفوسة يائسا ، وأصبح الجبل منذ ذلك الحين مقرا للمقاومة الاباضية ضد الحكم الفاطمي (173) .

وقد تمكن اباضية نفوسة من احياء الامامة الاباضية بعد سقوطها في تاهرت وبإيعاش مشايخهم ابا يحيى زكريا الارجاني — المعروف بأبي بطة — « بامامة الدفاع » (174) وشكلوا حكومة من مشايخ المذهب ، وحاول أبو زكريا — الاغارة على طرابلس لكنه هزم وقتل كثيرون من رجاله (175). وتشجع المهدي فبعث بجيوشه لغزو نفوسة سنة 310 هـ ( 922 م ) فلم تنز بطائل وهزمها الاباضية عند قرية الجزيرة . وعاود المهدي المحاولة في العام الثاني وتخبرنا المصادر (177) الاباضية أن جيوش المهدي لقيت الهزيمة مرة أخرى عند قرية تيركت بجبل نفوسة ، وان كنا نعتقد أن النتيجة كانت غير ذلك لان ابا زكريا الارجاني قتل في تلك المعركة (178) ، كما يذكر الشماخي (179) أن مشايخ الجبل دأبوا منذ ذلك الحين على دفع المغارم لولاة القيروان الفاطميين الذين كانوا يغالون في تقديرها ، ويهددون بغزو الجبل اذا ما تقاعس النفوسيون عن دفعها .

ولم يتحرر اباضية نفوسة من هذه الاتاوات « وذل المسودة » الا في مشيخة زعيمهم ابي الفضل سهل النفوسى (180) . ويبدو أن ذلك لم يتم الا بعد قيام ثورة الاباضية الكبرى بزعامة ابي يزيد مخلد بن كيداد . تلك الثورة التي احتوت كافة العناصر الاباضية — وهبية وخلفية ونفاثية ونكارا — في سائر بقاع المغرب ، وهددت بزوال النفوذ الفاطمي منها .

لا شك أن حركة ابي يزيد تمثل من الناحية الاجتماعية حلقة من

- 
- (173) الشماخي : السير ص 320 ، Lewcki : Etudes Ibadites P. P. 49, 50  
(174) أبو زكريا : ورقة 115 ، الطاهر الزاوي ص 188 ، على يحيى معمر : الاباضية ص 145 ،  
Lewcki : Etudes Ibadites, P.P. 50, 98, Masqueray : Op. Cit. P. LXXV.  
(175) الشماخي : السير ص 318 .  
(176) نفس المصدر ص 321 ، وتقع هذه القرية غربى جبل نفوسة . انظر : نفس المصدر والمصححة ، Lewcki : Op. Cit. P. 50  
(177) أبو زكريا : ورقة 117 ، على يحيى معمر ص 154 ، Lewcki : Loc. Cit.  
(178) نفس المصادر والصفحات .  
(179) السير ص 320 ، 323 ،  
(180) نفس المصدر ص 275 .

حلقات الصراع التقليدي بين البتر والبرانس كما تصور جوتيه (181) ، كما أنها عبرت عن نزعة الاستقلال عند البربر من الناحية السياسية كما اعتقد بل (182) . أما الناحية الحضارية فانها تمثل صراعا بين أهل البداوة والاستقرار (183) وهى أيضا نزاع بين قوى محلية مغربية فى اطار صراع اعم بين الفاطميين والاندلسيين حسبما اعتقد برنشويج (184) . لكن المؤكد ان ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداڤ كانت فى المحل الاول رد فعل للخارجية الاباضية فى مواجهة الشيعة الاسماعيلية ، فكانت حربا مذهبية شهر فيها سلاح المبادئ الخارجية للإطاحة بالعقائد الاسماعيلية الغربية على البربر . واذا كان البربر السنة قد ايدوا حركة أبى يزيد فى مراحلها الاولى ، فذلك لا يعنى أن أبى يزيد كان سنيا « (185) .

كان من أهم ما يميز الحركة طابعها الخارجى الاباضى (186) ، فزعيمها من « أهل الدعوة » على حد قول أحد مؤرخى الاباضية (187) ، تلقى تعاليمها بالشرق « ورأس فى الفتىسا فى مذاهب الاباضية من الخوارج » (188) وكان أول الامر أباضيا وهيبا ثم تحول الى مذهب النكار (189) الضارين بجبل الاوراس وبلاد الجريد (190) . ونعتقد أن هذا

(181) اعتقد جوتيه ان الفاطميين عجزوا عن ايجاد حل « للمسألة الزناتية » على الرغم من اعتمادهم على تواد من زناتة كمصالبة بن حبوس . ذلك ان كتابة وصنهاجة — وكانتا على هامش الحياة السياسية فى المغرب — سادتا الموقف فى العصر الفاطمى ولعبتا دورا بارزا فى احداث المغرب فى ذلك الحين ومن ثم اتجهت زناتة بولائها لاموى الاندلس اعداء الفاطميين نكاهة فى كتابة وصنهاجة اعدائها التقليديين . ولما كانت صنهاجة وكتابة من البرانس وزناتة من البتر ، ولما كان أبو يزيد مخلد بن كيداڤ زناتيا ، فقد نظر جوتيه الى ثورته من خلال الصراع بين البتر والبرانس . انظر :  
Les siecles obscurs. P. P. 354, 570.

وقد يؤخذ الاسراف على تصور جوتيه ، فقد انضوى كثير من قبائل البرانس فى حركة أبى يزيد مثل عبيسة وأورية وهوارة . انظر : ابن خلدون : ج 6 ص 145 والمقرئزى : اتعاظ الحنفا ص 114 ، التجانى ص 326 ،  
Masqueray : Op. Cit. P. 232.

(182) انظر : La Religion Musulmane. P. 150.

(183) انظر : أحمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين ص 202 .

(184) انظر : la Tunisie dans le haut moyenage P. 17.

(185) هكذا ذكر الدكتور مؤنس فى مقدمته لكتا بهرياض النفوس للملكى : انظر : ص 23 ، 24

(186) ابن حماد : اخبار ملوك بنى عبيد ص 16 ، Masqueray : Op. Cit. P. 232.

(187) انظر : الشماخى : السير ص 279 .

(188) اطنيشى : الامكان ص 46 .

(189) أبو زكريا : ورقة 38 ، 43 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 23 . وجاء فى هجاء أحد الشعراء لابى يزيد هذا البيت :

حل البلاء بمخلد وجميع شيعته النواكر

Cherbonneau : Documents indits sur l'héretique Abou Yezid P. 493.

(190) ابن عذارى : ج 1 ص 166 ، محمد بن تاروت ، دولة الرستميين ص 114 .

التحول تم في آخر أيام الدولة الرستمية حين ذوى شأن الإباضية الوهبية ،  
وعلا نجم النكار (191) ، وهم اكثر تشددا ، والتزاما بتعاليم المذهب الاباضى  
من الوهبية (192) . فأبو يزيد اذن ليس سنيا ، ولم يكن صفريا أيضا كما  
زعم جوثيه (193) ، او « صفريا نكاريا كما ذهب فورنل (194)  
نقلا عن ابن خلدون (195) الذى ذهب الى ان « النكارية  
الخوارج الصفرية » . وانما كان اباضيا نكاريا جمعت حركته سائر فرق  
الإباضية في المغرب ، وهذا ما يعنيه قول ابن حوقل : (196)

« خرج أبو يزيد في اضراب الكفر والنفاق والإباضية والنكارية  
المراق » .

وجدير بالتنويه ان ابا يزيد حاول استنفار اتباع كافة المذاهب  
والفرق الناتمة على الشيعة الاسماعيلية والاستفادة منهم . ذكر ابن  
عذارى (197) انه لم يفصح بادىء ذى بدء عن ميوله المذهبية لنفس  
الغرض « فدعى الى الحق بزعمه ؛ ولم يعلم الناس مذهبه ، فرجوا فيه  
الخير والقيام بالسنة » . حقيقة ان ابا يزيد لم يعلن في بادىء الامر عن  
« نكارية » الحركة ، فاذاع انه « خرج غضبا لله » (198) « لاستخفاف  
الفاطميين بالشريعة والوضع من النبوة » (199) ، لكن جموع الوهبية  
والسنة الذين آزره لم يخف عليهم حقيقة معتقداته ، انما أيدوه لاتفاقهم  
معه في الرغبة في الاطاحة بالحكم الفاطمى رغم ما كان بينهم جميعا من عداة  
مذهبية . فالإباضية الوهبية بايعوه على شريطة « انهم ان ظفروا بالمهدية  
والتيروان صارا الامر شورى » (200) والسنة آزره نكاية في الفاطميين ،

(191) ابو زكريا : ورقة 48 ، 49 .

(192) ابن أبى دينار ص 52 ، المقرئى : الخطط : ج 1 ص 351 . وقد ذكر الشماخى  
ان النكار اعتدوا في عقائدهم على اقوال عبد الله بن زيد في الكلام ، وابى المورج  
وابن عبد العزيز وحاتم بن منصور في الفقه . انظر : السير ص 280 .

(193) انظر : Les siècles obscurs. P. 257.

(194) انظر : Les Berbers Vol. 2. P. 225.

(195) انظر : العبر : ج 4 ص 40 ، الاستبصار ص 205 .

(196) المسالك والممالك ص 48 .

(197) البيان المغرب : ج 1 ص 307 .

(198) الخزرجى : ورقة 45 ، ابن الخطيب : رقم الحلل ص 34 .

(199) ابن النديم : الفهرست ص 265 .

(200) ابن خلدون : ج 7 ص 13 .

اذ افنتى فتهاؤهم أن قتالهم « أفضل من جهاد أهل الشرك » (201) وأجمعوا على الانضمام لآبى يزيد لان الشيعة فى نظرهم « كفره بينما الخوارج من أهل القبلة لا يزول منهم الاسلام » (202) . فانضمام الوهبة الإباضية والسنة للحركة اذن كان بمثابة ائتلاف أو تحالف ضد عدو مشترك .

ومن المحقق أن آبا يزيد تطلع الى تكوين دولة إباضية كبيرة متأثرة بتعاليم المذهب الإباضى ، ولذلك هادن كافة الاحزاب المناوئة للفاطميين واستخدمهم فى الجهاد ضدهم . ولم يكن بوسعه اظهار مراميه الحقيقية فى بداية حركته ، إنما أثر التمويه واعمال الحيلة ، فلم يمانع فى قبول اشتراطات الوهبة اعداءه التقليديين ، ولم يجد غضاضة فى خداع السنة حين « أمرهم بقراءة مذهب مالك » (203) .

والحقيقة أن آبا يزيد كان يكن عدااء مرا لهؤلاء واولئك لا يقل عن عداائه للفاطميين ، ومن المؤكد أنه أضمر بهم غدرا أو على الاقل اضعاف شوكتهم بضربهم بالفاطميين . فقد أرجأ الانتقام من الوهبة الى ما بعد الانتهاء من قتال الشيعة (204) ، كما « مكر بالسنة » (205) اثناء حصار المهديّة ، وتخلّى عنهم لتحصدهم جيوش القائم الفاطمى .

كما لم يتورع عن اظهار مراميه الحقيقية فى النهاية حين استشعر من نفسه القوة بعد انتصاراته التى أحرزها على الجيوش الفاطمية (206) كل ذلك يؤكد الطابع المذهبى للحركة باعتبارها — فى المحل الاول — ثورة

---

(201) الدباغ : ج 2 ص 185 ، القاضى عياض : ترتيب المدارك قسم «1» من جزء «2» ص 64 ، 65 وقد نظر فقهاء القيروان الى ما قام به العبيديون من تغييرات فى العبادات والطقوس على أنه من قبيل الكفر . فقد أسقط المروزي مامل المهدي على القيروان صلاة التراويح ، كما أحدث القائم تغييرات جوهرية فى الشرائع والاحكام اثارى غضب فقهاء السنة الذين أخذوا بالشدة والبطش .  
انظر : ابن مذارى : ج 1 ص 205 — 208 ، الاستبصار ص 205 ، الدباغ : ج 2 ص 244 .

(202) سميد بن مقديش ص 125 .

(203) ابن عذارى : ج 1 ص 308 .

(204) قيل أن اصحاب أبى يزيد من النكار طالبوه بقتال الإباضية الوهبة أخذا بشار زعيمهم يزيد بن مندوب ، فوافقهم الراى على أن يكون ذلك بعد فراغه من قتال الشيعة .  
انظر : أبو زكريا : ورقة 39 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 44 .

(205) سميد بن مقديش : ص 127 .

(206) ابن النديم : الفهرست ص 266 .

اباضية مضادة للحكم الفاطمي ، ورد فعل خارجي (207) لسياسة الفاطميين في بلاد المغرب .

والذي يستقصى نشأة أبي يزيد يلتمس تلك الحقيقة على الرغم مما نسج حولها من القصص والاساطير ، فحتى تلك الاساطير لا تخلو من دلالة على تطلع اباضية المغرب للاطاحة بالحكم الفاطمي تحت قيادة ابي يزيد (208) .

على كل حال — أجمعت المصادر على انتمائه الى زناتة ، وان اختلفت في التفاصيل (209) . وعلى الرغم مما احاط بحياته الاولى من غموض (210) . فقد كشفت المراجع ان اياه كان من قسطنطينية ببلاد الجريد ، وانه احتترف التجارة مع بلاد السودان (211) . وقد ولد ابو يزيد من ام سودانية (212) واب من زناتة . ونشأ بمدينة توزر — من أعمال قسطنطينية — معقل الاباضية النكار ، الا انه حفظ القرآن ودرس احوال المذهب الاباضي الوهبي (213) . ثم ارتحل الى سجلماسة ودرس على ابن النجم شيخ

---

(207) مما يؤكد الطابع الخارجي لحركة ابي يزيد عملته التي تضمنت عبارة « لا حكم الا لله » وهما صورة الدينار ضرب في عهده :  
الوجه : ربنا الله — لا حكم الا لله — وحده لا شريك له — الحق المبين .  
الدائرة : بسم الله الرحمن الرحيم — ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .  
الوجه الاخر : العزة لله — محمد رسول الله — خاتم النبيين .  
الدائرة الاولى منه الذين آمنوا به وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل نعمه اولئك هم المفلحون .  
الدائرة الثانية : محمد رسول الله — ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . انظر حسن حسنى عبد الوهاب : ورفقات عن الحضارة العربية : ج 1 ص 440 .

(208) انظر : ابو زكريا : ورقة 38 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 23 ،  
Le Tourneau : Op. Cit. P. 104.  
Cherbonneau : Op. Cit. P. 472.

(209) ذكر ابن حماد انه من بنى جعفر من بطون زناتة ، اما ابن خلدون فقال انه من بنى واركو من بطون بنى يفرن ، وذكر الدرجيني نقلا عن الرقيق انه من بنى واسين في حين قال ابن حوقل بانه من سباطة . انظر : اخبار ملوك بنى عبيد ص 18 ، المعبر : ج 7 ص 13 ، طبقات الاباضية : ج 1 ورقة 23 ، المسالك والممالك ص 48 .

(210) ابن حماد ص 17 ، Le Tourneau Op. Cit. P. 104  
(211) زهرة الممانى ص 69 من ملاحق كتاب Ivanovva : Ismaili tandon  
ابن حماد ص 18 ، ابن مذارى : ج 1 ص 307 ، ابن خلدون : ج 4 ص 40 .  
(212) ابن حماد ص 18 . بينما ذكر ابن الاثير وابن خلدون ان ابيه كانت من هوارة . انظر : الكامل : ج 8 ص 138 ، المعبر : ج 7 ص 13 .  
(213) ابن الاثير : ج 8 ص 138 ، ابن خلدون : ج 7 ص 13 .

الاباضية هناك لمدة عامين (214) انتقل بعدها الى تاهرت (215) ، حيث افتى في الفقه الاباضى الوهبي (216) مدة ثم عاد ادراجه الى توزر ، وفي توزر اختلط بشيوخ النكار فمال الى مقالاتهم وتبحر في اصول مذهبهم (217). ولا يخالجا شك في عودته الى تاهرت بعد ذلك حيث راقتب عن كتب الاحداث التي جرت فيها اواخر العهد الرستمي ، ومن المحتمل أن يكون تد أسهم فيها بدور اضعافا للامامة الوهبية .

على كل حال — لم يطب له فيها المقام ، اذ سقطت في يد الشيعة سنة 297 هـ ( 909 م ) ، فغادرها الى تقيوس (218) من بلاد تسطيلية (219) .

وفي تقيوس عكف على تحفيظ الصبية (220) القرآن وتعليمهم المذهب النكارى في مكان عرف « بعين النكاره » (221) والراجح انه بدأ منذ ذلك الحين يعد العدة لجمع شمل الاباضية النكار تمهيدا للثورة على الفاطميين . ولو صح قول المقريزى (222) بأنه شرع في سنة 303 هـ ( 915 م ) في تجميع الانتصار لهذا الغرض ، لكان معناه انه قضى حول ثلاثة عشر عاما فى الاعداد للثورة ، لانه لم يجهر بدعوته الا فى عام 316 هـ ( 921 م ) (223) . ففى ذلك العام كثر اتباعه وانصاره ، واطهر مذهب النكارى وبدأ « يحتسب على الناس في افعالهم ومذاهبهم » (224) . وانكر على الفاطميين سياستهم الدينية والمالية (225) .

كان طبيعيا أن يبعث المهدي الى عامله على تقيوس يأمره بالقبض

- 
- (214) الشباخى : السير ص 279 .  
(215) ابن الاثير : ج 8 ص 138 ، ابن خلدون : ج 4 ص 41 .  
(216) ابن حباد ص 20 ، Cherbonneau : Op. Cit. P. 478 .  
(217) ابن خلدون : ج 4 ص 41 .  
(218) نفس المصدر ص 40 .  
(219) الاستبصار ص 156 .  
(220) ابن حباد ص 19 ، ابن الاثير : ج 8 ص 138 .  
(221) ابن حيان : المتببس في أخبار بلد الاندلس ص 192 ، ابن النديم ص 265 .  
(222) اتعاظ الحنفا ص 109 .  
(223) ابن حباد ص 19 ، ابن الاثير : ج 8 ص 138 .  
(224) ابن الاثير : نفس المصدر والصحيفة .  
(225) ابن الخطيب : رقم الحلل ص 34 .

على أبي يزيد (226) . لكنه نجح في الهرب الى الشرق ، ولم يعد الى المغرب الا بعد وفاة المهدي سنة 322 هـ ( 934 م ) .

نزل أبو يزيد بتقيوس مرة أخرى ، وشرع على الفور في الاعداد للثورة على القائم ، فبعث رسله الى جبل نفوسة مستنغرا الاباضية الوهبية لشد ازره (227) ، ثم انتقل الى توزر سنة 325 هـ ( 937 م ) حيث ساندته اكثرية من الاباضية النكار — واعلن الثورة من هناك (228) .

وبعث القائم الى والي تسطيلة ليواجه الخطر الاباضى ، فبعث بدوره الى عامله على توزر — ويدعى ابن فرقان — (229) بالقبض على أبي يزيد ، فاعتقله وأودعه السجن . وحاول شيوخ النكار الوساطة لدى ابن فرقان لاطلاق سراح أبي يزيد ، دون جدوى ، فأجمعوا الرأى على تحريره بالقوة (230) ، فكان لهم ما أرادوا (231) .

وعول أبو يزيد على استنغار سائر جماعات الاباضية وجمعهم في مكان آمن ، فنزل بوارجلان (232) وبعث الى الاباضية بجبال الاوراس يطلب التأييد ، فأجابوه . فغادر وارجلان الى الاوراس ، وانضم اليه بنو برزال — ومواطنهم جنوب المسيلة — وكذلك بنو زنداك من مغراوة (233) ، فضلا عن لواتة وبنو كملان (234) . واتفق شيوخ الاباضية — وهبيية ونكارا — على بيعه أبي يزيد سنة 331 هـ ( 944 م ) « على محاربة الشيعة.

---

(226) الدرجينى : ج 1 ورقة 23 . وقد ذكر ابن خلدون ان القائم . وليس المهدي — هو الذى بعث الى عامله بالقبض على أبي يزيد . ( انظر العبر ج 7 ص 13 ) وتعتقد ان المهدي كان على علم بنشاط أبي يزيد منذ البداية ، فلم يكن انشاؤه المهدي الا لخوفه من خطر ثورات الاباضية وهذا يلهم ضمنا من الروايات الاسطورية التى نسجت حول انشائها وبديهي ان يبادر بمواجهة ذلك الخطر قبل ان يدهمه ، فكان كتابه الى عامله بتقيوس للقبض على أبي يزيد ، انظر زهرة المعانى ص 69 ، ابن الاثير : ج 8 ص 30 ، Bernard : Op. Cit. P. 131 .

(227) وجه أبو يزيد الى أهل الجبل هذه الرسالة . . « قد ماتنا منكم كثير ، وفاتكم منا كثير ، وانه ليس لله علينا ان نشترى حجة » انظر : أبو زكريا : ورقة 38 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 23 .

(228) ابن حماد : ص 20 ، ابن خلدون : ج 7 ص 13 .

(229) ابن خلدون : نفس المصدر والصحيحة .

(230) أبو زكريا : ورقة 38 ، الدرجينى : ج 2 ورقة 44 .

(231) تصور المصادر الاباضية ان اربعة من النكار اقتحموا السجن وقتلوا كل من تصدى لهم حتى تمكنوا من تحرير أبي يزيد ، وهي رواية تغلب عليها الطابع الاسطورى . انظر : أبو زكريا : ورقة 138 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 44 .

(232) ابن خلدون : ج 7 ص 13 .

(233) نفس المصدر والصحيحة .

(234) نفس المصدر والصحيحة .



على أن يكون الامر شورى اذا ظفروا بالمهدية » (235) .

ويمكن تقسيم الصراع بين ابي يزيد والفاطميين الى ثلاثة مراحل اساسية ، بدأت المرحلة الاولى منها بحصار جيوش القائم لابي يزيد بالاوراس سنة 331 هـ ( 944 م ) وانتهت بحصار ابي يزيد للمهدية سنة 333 هـ ( 946 م ) ، وفيها كانت الغلبة للثوار . اما المرحلة الثانية ، فكانت الحرب فيها سجالا ، اذ تبادل الطرفان النصر والهزيمة . بدأت هذه المرحلة باخفاق ابي يزيد في افتتاح المهدية وانتهت بحصاره سوسة في جمادى الاخر سنة 334 هـ ( 947 م ) . وفي المرحلة الثالثة كان افول نجم ابي يزيد وهزيمة جيوشه وانتهاء الامر بقتله ، وفشل ابنه الفضل في الاخذ بثأره سنة 336 هـ ( 949 م ) .

### المرحلة الاولى :

من السمات البارزة لتلك المرحلة بزوغ نجم ابي يزيد واشتداد ساعده بانضمام جموع الاباضية كافة الى حركته فضلا عن مالكية القيروان . وبفضلهم دانت له غالبية مدن افريقية وحصونها بعد حروب حالفه النصر فيها . ولم تجد نفعا محاولات القائم استرداد نفوذه . فقبع بالمهدية متخذا موقف الدفاع . وكاد الحكم الفاطمي أن يزول نهائيا من بلاد المغرب لولا انضمام صنهاجة الى القائم ، اذ ادى انضمامها الى تحول كبير في مسار الصراع .

فقد عول القائم باديء ذي بدء على مباغثة ابي يزيد بالاوراس سنة 331 هـ ( 944 م ) ولما يشتد عوده بعد . الا ان ابا يزيد افلح في فك الحصار الذي ضربته جيوش القائم (236) حول مقره واحرز نصرا على تلك الجيوش ذاع بعده صيته ، فانضمت اليه كثير من القبائل منها مزاتة (237) . وعلى التو شرع ابو يزيد في فتح مدن افريقية وحصونها الساحلية ، فاستولى على باغاية (238) — جنوبي الاوراس (239) — ومنها توجه الى قسطنطينية

(235) نفس المصدر والصحيفة .

(236) من حيل ابي يزيد في فك الحصار . انظر : ابو زكريا ورقة 39 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 44 .

(237) نفس المصدرين والصلحات .

(238) ابن حماد ص 21 ، ابن خلدون : ج 4 ص 1

(239) الاستبصار ص 163 .

ففتحها (240) وانضمت اليه جموع النكار فيها ، ونجح في الحيلولة بينهم وبين مقاتلة الإباضية الوهبية (241) . ثم أمن أهلها وهدم أسوارها (242) .  
 وواصل أبو يزيد فتوحاته فدانت له تبسا ومجانة — بوسط افريقية — كما فتح مرمجانة — جنوبي مجانة — وأهدى له رجل منها حمارا أصهب صار يركبه وبه كلى ، فقتل « صاحب الحمار » (243) . وتوجه الى الأربس — شمال غربى القيروان — ففتحها وأضرم فيها النيران كما أنفذ عسكرا الى سببية — قرب القيروان — استولى عليها بعد قتل عاملها (244) .

وأحدث سقوط الأربس هلعاً كبيراً في المهديّة (245) ، فأنفذ القائم جيوشاً للدفاع عن رقادة والقيروان ، كما بعث بقائديه ميسور الفتى وبشرى الفتى لمناوئة أبى يزيد . غير أن بشرى هزم عند باجة فوقعته في يد أبى يزيد وانصرف بشرى الى تونس فاستمال أهلها بالمال ، فبعث أبو يزيد عسكرا في أثره دارت الدائرة عليه . لكن أهل تونس ثاروا على بشرى وكتبوا أبى يزيد ، فأمنهم وولى عليهم رجلاً منهم يدعى رحمون . ثم توجه أبو يزيد نحو القيروان . فسبقت بشرى إليها وهزم طلائع الجيش الإباضى ، وبعث بالأسرى الى المهديّة حيث قتلوا (246) .

واستعان بشرى بكتامة للملازمة لأبى يزيد والحيلولة دون وصوله الى القيروان — فخرجت للقائه ، لكنها عادت مدحورة الى القيروان ، واستولى أبو يزيد على رقادة وعاث فيها في الوقت الذى كان فيه تائه أيوب الزويلى يدق أبواب القيروان . ثم ستطت القيروان في صفر سنة 333 هـ ( 946 م ) في يد أيوب ، فقتل عاملها ، وأمن شيوخها ورفع النهب عنهم (247) . أما ميسور الفتى فقد هزم على يد أبى يزيد عند مكان يقال له الأخوان (248) عند ما حاول استنقاذ القيروان (249) . وطير أبو يزيد أنباء انتصاراته

- (240) القرزى : اتعاط الحنفا ص 109 .  
 (241) أبو زكريا : ورقة 39 .  
 (242) ابن الأثير : ج 8 ص 138 .  
 (243) ابن حباد ص 20 وذكر أبو زكريا أن أبى يزيد كان قد أحضر معه حماره المشهور من مصر . انظر : السيرة : ورقة 39 .  
 (244) ابن الأثير : ج 8 ص 138 ، القرزى : اتعاط الحنفا ص 110 .  
 (245) القرزى : نفس المصدر والمصحفة .  
 (246) ابن حباد ص 21 ، ابن خلدون : ج 4 ص 41 ، التجانى : رحلته ص 24 ، 25 .  
 (247) ابن خلدون : ج 4 ص 41 .  
 (248) منزل بين القيروان والمهديّة . البكرى ص 31 .  
 (249) ابن مذارى : ج 1 ص 310 ، ابن الأثير : ج 8 ص 139 ، ابن خلدون : ج 4 ص 41 .

تلك الى عبد الرحمن الناصر في قرطبة (250) .

والواقع أن ابا يزيد بلغ قمة النصر بالاستيلاء على القيروان ، اذ انضم أهلها من المالكية اليه وكونوا جيشا قويا انضوى تحت لوائه (251) ، كما هوت مقاومة سوسة — ميناء بشمال شرقى القيروان — امام سرية من رجاله (252) ، لكن لم تدم سيادته عليها طويلا (253) ، وساد الهلع مدينة المهديّة اذ أصبحت مهددة بالسقوط ، ولم يستطع القائم مناهضة ابي يزيد ، فخذق على نفسه بالمهدية وناشد زيرى بن مناد شيخ صنهجة العون ، كما استنهض همة الكتاميين للدفاع عن العاصمة (254) .

ورحل أبو يزيد من القيروان ميمما وجهه شطر المهديّة ، وخرجت جيوش القائم للقائه عند مكان يقال له « الوادى الملح » (255) فبدد أبو يزيد شملها (256) ولم يشأ تعقب فلولهم . بل آثر استجماع كافة قواه لاقتحام المهديّة ، فبعث فى استدعاء ابنه فضل الذى وصل مسرعا على رأس امداد هائلة من القيروان (257) . واتخذ أبو يزيد معسكره عند مكان يقال له « ثرنوط » على بعد ستة أميال من المهديّة (258) . لكن تحولا كبيرا فى الموقف أفضى الى فشل محاولات ابي يزيد فى اقتحامها .

## المرحلة الثانية :

كان الصراع فى هذه المرحلة سجالا ، نتيجة حدوث صدع فى معسكر

(250) تعتبر علاقة ابي يزيد الودية مع أموى الاندلس امتدادا لعلاقات اباضية تاهرت مع أمراء قرطبة ، وولاء زناتة لأموى الاندلس . غير أن ابن خلدون بالغ فى تقدير طبيعة هذه العلاقة ، فذهب الى أن ابا يزيد « كان يدعو للناصر صاحب الاندلس » وكان ملتزما لطاعته والقيام بدعوته . والواقع أن الأمر لم يتجاوز « ترحيب أموى الاندلس بثوار المغرب ضد الفاطميين » كما لم يقصد أبو يزيد سوى مناشدة الناصر العون ضد عدوها المشترك . وجدير بالتنويه أن الرسل الذين أنلذهم أبو يزيد لهذا الغرض لاتوا ترحيبا فى قرطبة وان لم تسفر اتصالاتهم عن نتائج ايجابية . انظر : Variedades : Al-Hakam II y los berbers P. 316.

Fournel : Op. Cit. Vol 2. P. 338, Brunschrig : Op. Cit. P. 17.

(251) كان أحد بنوهم مكتوب عليه « نصر من الله وفتح قريب على يد ابي يزيد . اللهم انصره على ساب نبيك » انظر : ابن عذارى : ج 1 ص 309 ، سعيد بن مقديش ص 126 .

(252) ابن حماد ص 20 .

(253) التجانى : رحلته ص 27 ، محمد الاندلسى : الحلل السندسية ص 115 .

(254) ابن حماد : ص 20 ، ابن الاثير : ج 8 ص 139 ، التجانى ص 324 .

(255) مكان بين المهديّة وتماجر . انظر : البكرى ص 29 .

(256) نفس المصدر والصحيحة .

(257) ابن حماد ص 21 ، ابن خلدون : ج 4 ص 42 ، المتريزى : اتعاظ الحنفا ص 114 .

(258) البكرى ص 31 ، وقيل على بعد خمسة أميال من المهديّة . انظر : التجانى : ص 326 .

أبى يزيد ، وتدعيم جيوش القائم فقد دب الشقاق فى صفوف الثوار ، وبارح الإباضية الوهبية والسنة المالكية ومعسكر أبى يزيد ، فى الوقت الذى توافدت فيه جموع كتامة وصنهاجة للذود عن المهديّة . ولا غرو فقد أخفق الثوار فى اقتحامها ، وعمدت جيوش القائم الى استرداد نفوذه فى افريقية ، بينما عول أبو يزيد على محاولة إعادة تجميع قواه والاعتماد أساسا على النكار بجبل الأوراس واتسم الصراع بينه وبين القائم بالقسوة والضراوة ، فكانت الحرب سجالا تبادل الطرفان فيها النصر والهزيمة .

فقد عسكر أبو يزيد بثرنوط كما سبق القول ، ومنها حاول مرارا غز والمهديّة دون جدوى .

ففى المرة الأولى ، وصلت جيوشه الى بابها — عند المصلئ — وأضحت قاب قوسين من السقوط ، لكن انشغال عسكره بالمفانم واستبسال كتامة فى الدفاع ، ووصول صنهاجة لنجدة القائم ، غير مسار القتال ، تدارت الدائرة على أبى يزيد وكاد أن يقتل فى المعركة . لكنه نجا بأعجوبة ، وعادت جيوشه الى ثرنوط (259) .

وحفر أبو يزيد خندقا بثرنوط وأرسل يطلب المدد من نفوسة والزاب، وأقصى المغرب . ولما وصلته الامداد ، كر الى المهديّة محاولا اقتحامها للمرة الثانية ، الا أنه عاد مدحورا أيضا . فبعث يستنجد بعامله على القيروان ، فخف الى نجدته ، وزحف أبو يزيد فى آخر رجب سنة 333 هـ ( 946 م ) على المهديّة لكنه هزم مرة أخرى . وفى آخر شوال قام بمحاولته الرابعة ، فشدد عليها الحصار ، وهدد من بداخلها بالموت جوعا . لكن القائم نجح فى مواجهة المجاعة لما كان قد أذخره من حبوب ومؤن من قبل ، وأمر كتامة بمهاجمة قسنطينة — أكثر مدن افريقية حصانة ومنعة (260) — فاضطر أبو يزيد الى أنفاذ جزء من جيشه للحيلولة دون استيلاء الكتاميين عليها .

ودب الشقاق فى معسكر أبى يزيد ، ففارقه الإباضية الوهبية والمالكية ولم يبق معه سوى النكار من زناتة الأوراس وبنى كملان وهوارة (261) .

(259) ابن الأثير : ج 8 ص 140 ، ابن خلدون : ج 4 ص 41 ، القريزى : انماظ الحنفا ص 114 .

(260) الاستبصار ص 165 .

(261) ابن الأثير : نفس المصدر والصحيفة ، التجانى ص 326 .

ورد بعض (262) المؤرخين ذلك الى ياسهم من اقتحام المدينة لمناعتها ،  
وحرمانهم من الاسلاب والمغانم التي كانوا يطمعون فيها .

ونعتقد أن ابن خلدون (263) أصدق في تفسير ذلك الانشقاق ، إذ  
أرجعه الى اظهار أبى يزيد حقيقة نواياه ، وغدره بالقيروانيين ، وتكره لما  
أخذه على نفسه من عهود ومواثيق . فقد تنافس زعماء هذه الفرق في الظفر  
بالسلطة حين أضحي سقوط المهديّة وشيكا ، ومن ثم أوقع أبو يزيد بالسنة  
أثناء القتال مع جيوش القائم ، فأمر رجاله بالتخلي عن القيروانيين أثناء  
المعركة وتركهم هدفاً لسيوف الشيعة « فقتل من شيوخهم أربعة آلاف ما  
بين عابد وعالم وصالح » (264) وأدرك الإباضية الوهبية مرأى أبى يزيد  
في الانتقام اذا ما دانت له المهديّة ، ففارقوه حتى « لا يتفرغ لأفشاء  
كفره » (265) .

ولعل ذلك يفسر غضبة السنة على أبى يزيد ودعوتهم للخلافة  
العباسية ، وملاحقة أبى يزيد حركتهم ، وقتله زعيمها (266) ، كما يفسر  
أيضا طلبه الامداد من الإباضية النكار بالاوراس بعد مقاطعة سائر الفرق  
الإباضية الأخرى حركته (267) . وحين وصلته هذه الامدادات ضرب الحصار  
من جديد على المهديّة ، وكادت تسقط هذه المرة بعد أن غادرها كثيرون من  
أهلها لائذين بصقلية وطرابلس ومصر ، لولا استبسال فرسان كتابة فسى  
الذود عنها (268) والحاquem الهزيمة بأبى يزيد الذى هرب الى القيروان  
تاركا معسكره غنيمة لجيوش القائم (269) .

لذلك ثارت معظم مدن افريقية على أبى يزيد ودخلت في طاعة  
القائم (270) . وحاول أبو يزيد استرداد نفوذه المفقود ، فاسترد تونس  
في صفر سنة 334 هـ ( 947 م ) ، ثم فقدتها مرة أخرى بعد هزيمته عند  
اصطفورة — على مقربة من تونس — واستعادها أيوب بن أبى يزيد من

(262) نفس المصدرين والصفحات .

(263) العبر : ج 4 ص 42 .

(264) سعيد بن مقديش ص 127 .

(265) الاستبصار ص 206 .

(266) ابن خلدون : ج 4 ص 42 .

(267) ابن حماد ص 23 .

(268) نفس المصدر والصحيفة ، المقرئى : اتعاط الخنا ص 116 .

(269) ابن خلدون : ج 4 ص 42 .

(270) نفس المصدر والصحيفة .

جديد كما استرد باجة وأضرم فيها النيران (271) .

وطلب القائم العون من عامله على المسيلة — من بلاد الزاب (272) — على بن حمدون (273) لاستنقاذ باجة ، لكن أيوب بن أبى يزيد بدد شمل جيشه . وفى تلك الاثناء نجح القائم فى دخول تونس واقضاء أبى يزيد عنها ، ففر الى القيروان . فى حين نجح على بن حمدون فى بسط نفوذ القائم على مدينتى تيجس (274) وباغاية (275) .

وكان لا بد لآبى يزيد ليسترد هيئته أن يحرز نصرا كبيرا يعوضه عن هزائمه السابقة ، فأعد جيشا ضخما مزودا بآلات الحصار والمنجنقات ، فضلا عن ثمانين ألف فارس واتجه نحو سوسة فى جمادى الآخرة سنة 334 هـ ( 947 م ) وضرب عليها الحصار (276) ، دون جدوى .

### المرحلة الثالثة :

دارت الحرب سجالا حول سوسة وفى تلك الاثناء توفى القائم فى رمضان من نفس العام (277) . وتولى بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور ، وكتب المنصور خبر وفاة والده ، ولم يغير شيئا من رسوم الخلافة كالكسكة والخطبة والبندود (278) حتى لا يفوت ذلك فى عضد اتباعه .

وبادر المنصور بانفاذ جيشه وأسطوله الى سوسة لفك الحصار عنها . وبالفعل تمكن رجاله من هزيمة أبى يزيد واستباحة معسكره ، كما

(271) ابن الاثير : ج 8 ص 141 ، المقرئى : اتعاط الحننا ص 116 .

(272) الاستبصار ص 171 .

(273) ابن حبان : المتقبس فى أخبار بلد الاندلس ص 35 .

(274) مدينة تقع بين مجانة وقسنطينة . انظر البكرى ص 63 .

(275) ابن خلدون : ج 4 ص 42 ، المقرئى ص 118 .

(276) البكرى ص 35 ، ابن حبان ص 23 .

(277) تخطئه بعض الروايات حين تجعل وفاة القائم اثناء حصار المهديّة وليس حصار سوسة . انظر : أبو زكريا : ورقة 40 ، الدررجمى : ج 1 ورقة 45 .

(278) ابن خلدون : ج 4 ص 43 ويؤكد قول ابن خلدون أن العملة التى ضربها المنصور سنة 336 هـ هى أول عملة ضربها ، إذ ضربت بعد ظنره بأبى يزيد فى نفس العام . وهاك صورة لها :

الوجه الأول : الامام — لا اله الا الله — المنصور بالله .

داثرية : بسم الله ضرب هذا الدينير بالمهدية شهر ذى القعدة من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، الوجه الآخر ، اسماعيل — محمد رسول الله — أمير المؤمنين . انظر :

Lane-Poole : Catalogue of oriental coins in the British museum. Vol 4 P. 6.

أبلى أهل سوسة في المعركة بلاءً حسناً (279) .

ونزل أبو يزيد القيروان ، فثار أهلها عليه وطرده منها ، فلجأ إلى سببية (280) . وقدم المنصور إلى القيروان وأجرى على أهلها الأرزاق والعطايا (281) ونشب قتال بين أبي يزيد والمنصور في أرباضها دارت اندائرة فيه على أبي يزيد في أواخر ذي القعدة سنة 334 هـ ( 947 م ) . غير أن أبا يزيد تمكن من الحاق عدة هزائم بجيوش المنصور ، وبعث بسراياه لقطع الاتصال بين المهدي والقيروان وسوسة ، فوعده المنصور بأن يسلم إليه آله وحرمه بالقيروان على أن يرحل عنها ، فأجابته إلى ذلك ، لكنه أخلف وعده ، فقاتله المنصور وهزمه في خامس المحرم من عام 335 هـ ( 948 م ) (282) .

وعقد المنصور العزم على استئصال شأفة الثوار ، فعبأ جيوشه والتحم معهم في معركة حاسمة في نهاية المحرم من نفس العام أجهز فيها على خيرة رجال أبي يزيد (283) ، وانتهب معسكره . وفر أبو يزيد تاركاً أثقاله وأسلحته لا يلوى على شيء إلى باغاية . وتعبه المنصور ، فاعتصم ببني برزال من النكار (284) ومرض المنصور فاستقر بالمسيلة ، وقدم عليه زيري بن مناد فأغدق عليه (285) ، كما وافاه محمد بن خزر الذي كان موالياً لأبي يزيد ، فأكرم وفادته ، وعهد اليهما باقتفاء أثر أبي يزيد (286) . وبانضمام صنهاجة وعجيسة إلى المنصور قضى نهائياً على حركة أبي يزيد بالفشل (287) . فعول أبو يزيد على الهرب إلى بلاد السودان لكن أتباعه

(279) تغنى الشعراء بشجاعة أهل سوسة فقال أحدهم :

ان الخوارج صدها عن سوسة  
وجلاذ أسياك تطاير بينهما  
وقال آخر :

مدينة سوسة بالغرب ثغر  
أناها الخارجون ليملكوها  
انظر : التجاني ص 28 .

(280) ابن خلدون : ج 4 ص 43 .

(281) ابن حماد ص 26 .

(282) نفس المصدر ص 27 ، ابن خلدون : ج 4 ص 43 ، المقرئ : اتماظ الحنفا ص 121 .

(283) ابن حماد ص 27 .

(284) ابن خلدون : ج 4 ص 43 .

(285) ابن حماد ص 27 ، Cherbonneau : Op. Cit. P. 485 .

(286) الخزرجي : ورقة 45 .

(287) ابن حماد : ص 28 ، أحمد مختار المبادئ : سياسة الفاطميين نحو المغرب

والاندلس ص 202 .

منعوه من ذلك . فتحصن بجبل كيانة (288) .

وحاصر المنصور وزيرى بن مناد الجبل وضيقت الخناق على النكار ، فتخلت هوارة عن أبى يزيد وانضمت الى المحاصرين ، وقتل كثيرون من النكار واسر بعضهم . وآوى أبو يزيد الى قلعة (289) براس الجبل عليها تعصبه من الوقوع فى يد عدوه ، لكن المنصور اضرم النيران فى الشعراء المحيطة بها وحاول أبو يزيد الهرب ، فوقع مئخنا بالجراح فى قبضة المنصور وظل بأسره حتى مات فى المحرم سنة 336 هـ ( 949 م ) متأثرا بجراحه ، ومثل المنصور بجنته وشهر بها (290) . وأظهر اغتباطه بموت أبى يزيد فكتب الى سائر عماله بالمغرب بانباء انتصاره . وانبرى الشعراء فى امتداحه مهئين بالقضاء على الثورة (291) .

وحاول فضل بن أبى يزيد استنفار فلول الإباضية ، وهيبة ونكارا ، لناهضة المنصور . ونجح بالفعل فى جمع أخلاط شتى جعل على رأسهم معبد بن خزر الزناتى . وبادر المنصور بانفاذ جيش قتاده مواليه شفيح وقيصر ، وجعل معهما زيرى بن مناد ، فبددوا شمل الحشود الإباضية (292) ، وهرب الفضل لائذا بمزاتة . ويبدو أن الإباضية الوهبية هذلوله فى حروبه ، والبوا عليه مزاتة أيضا ، فقاتلوه هو وأصحابه من النكار ، وقدموا رأسه قربانا للمنصور توددا اليه ، فأمنهم ، « وانطفا ذكر الفضل والنكار » (293) . وأغدق المنصور على زعماء مزاتة بالهدايا اعترافا بفضلهم (294) .

(288) ابن حماد ص 28 ، التجانى ص 327 .

(289) مرتبت هذه القطعة « بقلعة الشاكر » من عمل لهيصة . انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام : ج 3 ص 154 .

(290) ابن حماد ص 30 ، ابن الطيب : ج 3 ص 45 ، ابن خلدون : ج 4 ص 44 ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ص 125 ، التجانى ص 328 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 46 ، Cherbonneau : Op. Cit. P. 439.

(291) قال أحد الشعراء بهذه المناسبة :

حل الهلاء بمخلد وجبيح شيعة النواكر  
وقال آخر :

أما النفاق فقد نسخ وأبو الكباير قد سلخ  
انظر : ابن حماد

(292) ابن الأثير : ج 8 ص 145 .

ابن خلدون : ج 4 ص 44 .

(293) أبو زكريا : ورقة 41 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 46 .

(294) ابن حماد : ص 32 ، Cherbonneau : Op. Cit. P. 499.



وحاول ايوب بن ابي يزيد — الذى كان موفدا فى سفارة من قبل والده الى الاندلس — رفع لواء الثورة على المنصور ، لكنه اغتيل على يد رؤساء مغراوة ايضا ، وتقربوا برأسه الى المنصور (295) .

هكذا — اخفقت ثورة الاباضية الكبرى ، ولو قدر لها النجاح لاضحى زعيمها من مشاهير التاريخ (296) .

لقد وصل ابو يزيد الى اعتاب النجاح (297) ، لكن عوامل شتى حالت دون تحقيقه . فاستبسال صنهاجة وكتامة فى الذود عن الكيان الفاطمى كان عاملا جوهريا وراء فشل الثوار فى الاستيلاء على المهديّة آخر معادل الفاطميين (298) .

ومن المحقق أن ابا يزيد اسهم بسياسته التى اثارَت الشقاق بين انصاره فى هذا الفشل ، حقيقة أنه نجح بدهائه فى احتواء كافة العناصر النائمة على الفاطميين وكسبهم الى جانبه ، لكنه لم يستطع الحفاظ على ولائهم لحركته بسبب تنافس هذه العناصر واطماعهم فى الاستئثار بالسلطة بعد هزيمة الفاطميين . فاعمل ابو يزيد الحيلة للتخلص من هذه القوى واحدة تلو الاخرى ليصفو له الجو ، فكانت النتيجة أن فارقتهم جميعا ، وتخلت عنه فى وقت عصيب كان النصر فيه وشيكا .

ويتحامل المؤرخون جميعا اباضية وسنة وشيعة على الرجل ، ويعزّون فشله الى فساد سيرته ، وسوء سياسته ، ومروته وزندقته . فالورجلانى (299) يعزو اليه « خراب افريقية » ويتهمه بأنه « صنع فيها الاتاويل ، واحتال على اهلها الاباطيل » . وابو زكريا (300) يصفه بفساد الخلق ، فكان يبيت كل ليلة على اربعة ابيكار حسب زعمه . والدرجيني (301) يشبهه وحشيته فى حروبه « بما فعله نافع بن الأزرق » « والفراعنة وملوك اهل انكفر » ومؤرخو السنة (302) فسجوا من القصص حول هذه المعانى بما لا يقل عن مؤرخى الاباضية « لان مذهبه يستحل اهل السنة ونساءهم » (303)

- (295) ابن خلدون : ج 7 ص 17 .  
(296) Journal Op. Cit. Vol. 2. P. 275.  
(297) ابن الخطيب : رقم الحلال ص 34 ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص 79 .  
(298) ابن حباد : ص 23 ،  
(299) الدليل لاهل المعول : ج 2 ص 78 .  
(300) السيرة : ورقة 40 .  
(301) طبقات الاباضية : ج 1 ورقة 45 .  
(302) انظر : ابن الاثير : ج 8 ص 141 ، ابن الخطيب : احوال الاعلام : ج 3 ص 54 ،  
محمد بن محمد الاندلسي : الحلال السندسية ص 115 .  
(303) ابن الاثير : ج 8 ص 141 .

وبديهى أن يردد مؤرخو الشيعة نفس العبارات ، فهو في نظرهم سفاح  
« كان يعمل أكواما من رؤوس المسلمين ويأمر المؤذنين بالأذان عليها » (304)  
كما كان « يستبيح نساء المسلمين » (305) أيضا

ولا يخامرنا شك في تجنى تلك المصادر جميعا على أبى يزيد ، فحروب  
الاباضية في المغرب — عموما — انطوت على مثالية مفرطة في معاملة  
الخصوم . ونجد مصداقا لذلك في حروب أبى يزيد مما أورده أولئك المؤرخون  
أنفسهم . فحسبه وفاؤه بالعهود التى كان يقطعها على نفسه ببذل الامان  
لسكان المدن المفتوحة . ولم يلجأ الى أساليب القمع والبطش الا حين تهرمت  
عليه هذه المدن وانضمت لخصومه . والدارس لشخصية أبى يزيد ونشأته  
وتربيته يلمس مقدار علمه وتفقهه وما انطوت عليه أخلاقه من شمائل  
حميدة . وحسبنا زهده وتعففه وارتدائه الثياب الخشنة وركوبه الحمار  
بدلا من الخيول المطهمة (306) ونعلم خروجه بدعوة الامر بالمعروف والنهي  
عن المنكر والاحتساب ، فضلا عن تقواه وورعه حتى كان من اهل الفتيا ،  
ولا غرو فقد عرف « بشيخ المؤمنين » (307) ما أصدق لو تورنو (308)  
حين قال عنه « كان رجلا مدهشا صاحب دعوة كرس لها حياته ، واستطاع  
في سن الشيخوخة أن يصبح زعيما سياسيا نابها ، وقائدا عسكريا حاذقا  
وحاكما فذا ، لقد كان أبو يزيد مثالا للرجل العظيم » .

وعلى الرغم من فشل ثورة الاباضية الكبرى سنة 336 هـ ( 949 م ) ،  
فقد خلفت آثارا بعيدة الغور في تاريخ المغرب السياسى . فبالقدر الذى هزت  
فيه النفوذ الفاطمى وهددت بزواله ، كان خروج الفاطميين من الصراع  
ظافرين عاملا هاما في دعم نفوذهم في بلاد المغرب .

ومن ناحية أخرى نبهت ثورة أبى يزيد خلفاء الفاطميين الى ضرورة  
تغيير سياستهم في حكم بلاد المغرب تغييرا تاما (309) ، فشعروا بخطورة  
النتائج المترتبة على انتهاج سياسة التعصب المذهبى ، ومن ثم ، جنحوا بعد

(304) ابن النديم : الفهرست ص 266 ، ابن حوقل ص 48 ، القريزى : الخطط :

ج 1 ص 351 .

(305) ابن حماد ص 20 .

(306) ابن حماد : ص 20 .

(307) النويرى : ج 26 ورقة 36 .

La revolte d'Abou-Yazid au Xme siecle. P. 123.

(308)

De goeje. Op ; Cit. 143.

(309)

الثورة الى تطبيق « عقيدة التقية » الشيعية (310) . فيخبرنا القاضي عبد الجبار (311) أن « اسماعيل المنصور الخليفة الفاطمي الثالث قد تظاهر بعد هزيمة ابي يزيد بالعودة الى الاسلام ، فقتل الدعاة ، ونفى بعضهم الى الاندلس والى بلاد اخرى . وقال للامة ، من سمع منكم احدا يسب النبي فليقتله ، وانا من ورائه ، وقرب اليه الفقهاء والمحدثين ، واستمع اليهم . . كما خفف الضرائب واظهر ولعا بالعفة » .

وفيما يتعلق بمصير الاباضية في المغرب بعد فشل ثورتهم الكبرى ، فالثابت أن ثورة ابي يزيد تعد آخر الحركات الكبرى لاباضية المغرب ، وباخفاقتها لم تقم لهم قائمة ذات شان بعد ذلك . فبالاباضية الوهبية بجبل نفوسة حاولوا في عهد بنى زيرى معاودة الثورة ، وبايعوا احد مشايخهم ويدعى ابو نوح سعيد بن زنفيل بامامة الدفاع ، واتصلوا باخوانهم بوارجلان وافريقية ، وحاولوا الاستعانة بالخلافة الاموية في الاندلس ، دون جدوى . فقد ادرك ابو نوح « أن البلاد قد تغيرت والمرور قد تمكرت » واضطر الى طلب الامان من المنصور بن بلكين ، فامنه واكرم وفادته (312) . واعتصمت فلولهم بجبل نفوسة وواحة وارجلان وبعض نواحي بلاد الجريد (313) . وعلى اثر غزو المرابطين وارجلان هربوا في منتصف القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) الى وادى الميزاب ، كما تفرقوا الى بعض جهات مراكش وجبل دمر — شمال غربى جبل نفوسة — وظل قليل منهم بوارجلان (314) . اما النفاثية من زواغة ، فاستوطنوا جزيرة جربة — المواجهة لقباس — كما سكن بقايا الخلفية جبل نفوسة (315) . ولم يكن هناك ثمة رابطة بين هذه الجماعات ، فعاشت في شبه عزلة ، ولم تقم بعد ذلك بأدنى دور في تاريخ المغرب السياسى .

اما النكار ، فعلى الرغم من خفوت صوتهم في الحياة السياسية في

(310) برنارد لويس : اصول الاسماعيلية ص 183 .

(311) كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد — مخطوط باسطنبول في مكتبة شهيد على باشا برقم 1575 . وقد اقتبسنا النص السابق نقلا عن برنارد لويس في كتابه : اصول الاسماعيلية ص 183 .

(312) انظر : ابو زكريا : ورقة 49 وما بعدها .

(313) ابو زكريا : ورقة 115 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 43 ، السلاوى : ج 1 ورقة 116 ،

Bel : Op. Cit. P. 150, Farouhy : Op. Cit. P. 15, Basset : Recherches P. 336.

(314) اطيفيش : بعض تواريخ وادى ميزاب ص 116 ، Masqueray : Op. Cit. P. LXXV ،

(315) ابو زكريا : ورقة 32 ،

Lewcki : Melanges ... P. 270, Basset : Op. cit. P. 336.

بلاد المغرب لم « تنقطع آثار دعوتهم » — كما ذهب ابن خلدون (316) ، فقد ظل بنو برزال يدينون بمذهب النكار ويثرون العراقيل في وجه بن زيري لصالح أموى الاندلس (317) . وتمركزت فلولهم بين طرابلس وقابس ، كما أقامت جماعات منهم بجبال بجاية وتسنطينة وما ولاها ، فضلا عن بلاد الجريد ، وقد وصفهم التجاني (318) — في القرن الثامن — بسوء الخلق وحدة الطباع .

أما الخوارج الصفرية ، فقد ذوى شأنهم نهائيا من بلاد المغرب في أواخر القرن الرابع الهجرى (319) .

وهكذا — لم يرضخ الخوارج للحكم الفاطمى بسقوط دولتيهما فسى سجلماسة وتاهرت سنة 297 هـ ( 909 م ) وظلت ثوراتهم تقض مضاجع الفاطميين ابتداء من المهدي وانتهاء بالمعز ، وكادت احدى هذه الثورات أن تعصف بحكهم نهائيا من بلاد المغرب . لكن فشل هذه الثورات أفضى في النهاية الى انتهاء دور الخوارج السياسى في بلاد المغرب الاسلامى ، ذلك الدور الذى وجه احداث المغرب على مدار ترنين ونصف قرن من الزمان .

(316) المبر : ج 7 ص 17 .

(317) ابن حيان : المتعبس في ذكر بلد الاندلس ص 192 ،

Variedades : Op. Cit. P. P. 216, 217.

(318) رحلة التجاني ص 119 ، 120 .

Bel : Op. Cit. P. 169.

(319) ابن خلدون : ج 6 ص 1322 ،

انتهينا من ابراز دور الخوارج في  
الحياة السياسية في بلاد المغرب .  
لكن اثرهم كان عميقا في المجتمع  
المغربى بجوانبه المتعددة في نواحي  
الفكر السياسى ونظم الحكم فضلا  
عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية  
والثقافية .

وليس من شك في أن الخوارج  
بفكرهم الثورى الديمقراطى أحدثوا  
نقطة هائلة في تاريخ المغرب نتج عنها  
تطور واضح في نظمه السياسة ،  
وازدهار في الحياة الاقتصادية فضلا  
عن تغيير ملحوظ في جوانبه  
الاجتماعية ، وهو ما سنفصله فيما  
يلى :

الباب الخامس

---

أثر الحوار في المجتمع المغربي

## الفكر السياسي وتظم الحكم

لا شك ان نظرية الخوارج في الحكم اكثر نظريات الفرق الاسلامية ميلا الى الديمقراطية . فعلى خلاف السنة الذين تصروا احقية الامامة على تريش ، والشيعية الذين جعلوها في على بن ابي طالب واعتابه (1) ، اقر الخوارج مبدا جواز امامة اى مسلم عالم بالكتاب والسنة (2) ونادوا بالغائها اذا ما تحققت العدالة والمساواة (3) . ومن هنا نظر المحدثون (4) الى فكر الخوارج السياسى باعتباره فكرا جمهوريا بالمفهوم الحديث .

ونعتقد ان تصارع الاحزاب الاسلامية حول الزعامة السياسية وما نتج عنه من فتن ومحن الملت بالمسلمين ، زهد جماعة القراء الذين (5) أصبحوا فيما بعد زعماء الخوارج في منصب الامامة على أساس انها سبب البلاء والنكبات التى حلت بالجماعة الاسلامية على اثر مقتل عثمان . والواقع ان سماحة نظرية الخوارج في الحكم مستمدة من شدة تدينهم وحرصهم على مراعاة تعاليم الاسلام وما تدعو اليه من مساواة وعدالة . فقد ظهروا

- 
- (1) ابن حيون : شرح الاخبار ورقة 87 - مخطوط ، اساس التاويل ورقة 188 ، 189 ، 194 .
  - (2) النوبختى : فرق الشيعة : ص 31 ، الاسرائينى : التبصير فى الدين ص 46 .
  - (3) الشهرستانى : الملل والنحل : ص 67 .
  - (4) انظر : Biquet : Op. Cit. P. 35, Smith : Op. Cit. P. 279.
  - (5) ابن تلبية الامامة والسياسة : ج 2 ص 206 ، الدينورى : الاخبار الطوال ، ص 191 .

كفرقة سياسية دينية اثناء تفضية التحكيم بين على ومعاوية ، فأنكروا تحكيم الرجال ونادوا بأن « لا حكم الا لله » (6) ، ورفضوا امامة على ومعاوية ، وأنكروا احتكار قريش لها ودعوا الى الثورة على مخالفيهم باعتبارهم كفره مارثين (7) . وينفى هذا دعاوى البعض (8) بأن فكر الخوارج السياسى محصلة ظروف قبلية كامنة فى كونهم من بدو تميم الذين يقدسون الحياة البدوية ويرفضون الخضوع لسلطان الدولة السياسى. فلم يكن الخوارج جميعا من تميم ، انما انتشر مذهبهم بين قبائل بكر وهمدان والازد وغيرها من القبائل العربية الاخرى (9) .

ففكر الخوارج السياسى اذن مصدره الدين وليس العصبية وهو ما عبر عنه ابن خلدون (10) بقوله « .. الخوارج المستميتين فى شأن بدعتهم لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم امرهم لمزاحمتهم العصبية القوية » انما تولد عن. « خلاف اجتهادى فى مسائل دينية ظنية » (11) متعلقة بالامامة ، ذلك هو ما اجمع عليه جمهرة من الدارسين الثقات (12).

وكان الطابع الدينى سمة مميزة لنشاط الخوارج ونظمهم السياسية فى المشرق ، فقد التزموا بتعاليم المذهب فى اختيار الائمة ، وجباية الاموال والجهاد ومعاملة الخصوم .. الخ . كما كان التطرف الشديد من خصائص فكرهم السياسى ومن اسباب فشلهم ايضا حتى قيل بأن « سياستهم غير سياسية » (13) ، وليس ادل على ذلك من قولهم بالاستعراض ورفض التقية وتشددهم فى قبول المهاجرة (14) .. الخ .

الا أن الطابع الدينى وسمة التطرف فى فكر الخوارج السياسى خفت

- 
- (6) الرازى : اعتقادات فرق المسلمين ، ص 46 .  
(7) ابن الاثير : ج 3 ص 135 ، احمد امين : فضى الاسلام . ج 3 ص 330 .  
(8) راجع آراء بارنولد وكايتانى وماسينيون فى هذا الصدد بجملة عدد 1 سنة 1953 فى مقال لبرنارد لويس بعنوان :  
Some observations on the  
Significance of hersey in the history of Islam P.P. 47, 48.  
عمر أبو النصر : الخوارج فى الاسلام ، ص 18 ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية . ج 2 ص 78 .  
(9) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص 364 ، الدينورى : الاخبار الطوال . ص 197 .  
(10) انظر : المقدمة . ج 2 ص 69 .  
(11) انظر المقدمة . ج 2 ص 178 ، 179 .  
(12) راجع : لويس : اصول الاسماعيلية " ص 5 ، فلهوزن : الخوارج والشيعة : ص 29 ، طه حسين : الفتنة الكبرى " ج 2 ص 140 .  
(13) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص 372 .  
(14) قطعة من كتاب فى الاديبان والفرق ورقة 97 .



حدثهما في أواخر القرن الأول الهجري ، فاتخذت مبادئهم طابعا عمليا وجنحت نحو الاعتدال . وظهر ذلك بشكل واضح في عقائد الإباضية والصفيرية ممثلا في تجويز التقية (15) والتوسع في قبول المهاجرة عن طريق الدعوة والتنظيم السياسي (16) ، ثم معايشة الجماعة الإسلامية بترك فكرة تكفير المخالفين في المذهب (17) .

ووجد فكر الخوارج السياسي في شكله المتطور طريقته الى بلاد المغرب بانتشار مذهبي الإباضية والصفيرية بين البربر في أوائل القرن الثاني الهجري . والتزم خوارج المغرب بتطبيق تعاليم المذهب حتي السبعينات من القرن الثاني الهجري فيما قاموا به من نشاط سياسي وما اقروه من نظم في الحكم والادارة . فقد كانت تعاليم الخوارج تحض على « الثورة على ائمة الجور » (18) ، وتدعو أنصار المذهب الى العمل لاثامة « امامة الظهور » (19) ، اذا ما توافر ما يوجب التولية من العدة والعدد من الرجال (20) ، لذلك شرع خوارج المغرب في « المجاهرة بالعمل » (21) واصلوا الثورة على ولاة المغرب طوال نصف قرن من الزمان .

وتجلى التزام خوارج المغرب بفكرهم السياسي في عدة مظاهر ، فقد اختار الصفيرية ميسرة اماما لا لانه رئيس مطغرة وانما لعلمه وفقهه وسابقته (22) . ولم يقيم ميسرة بثورته الا بعد وقوفه على مسؤولية الخلافة عن مفاسد عمالها في المغرب (23) وتيقنه من ان خلفاء بني امية « ائمة الجور » . وضمت الحركة عناصر مستضعفة من غير البربر كالانفارقة (24) نطبقا لمبدأ اللاعنصرية . وخلق الصفيرية ميسرة لما اخل بشروط الامامة « وتغير عما كانوا بايعوه عليه » (25) .

ولعل من أهم آثار فكر الخوارج السياسي في المجتمع المغربي تطبيق

- 
- (15) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص 51 .  
(16) أبو زكريا : ورقة 6 ، الشياخي : السير ص 124 .  
(17) الشهرستاني : صفحة 123 .  
(18) البغدادي : صفحة 273 ،  
Provencal : Op. Cit. P. 41.  
(19) نصوص من كتاب متن عقيدة التوحيد . انظر :  
Motylinski : l'Aqida des Ibadites. P. 510 .  
(20) أبو زكريا : ورقة 5 .  
(21) مجهول : كشف الغمة ورقة 307 مخطوط .  
(22) ابن خلدون : ج 6 ص 150 ، السلاوي : ج 1 ص 97 .  
(23) الطبري : ج 2 صفحة 264 .  
(24) ابن عبد الحكم : صفحة 293 .  
(25) الرقيق : ص 110 ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص 259 .

مبدأ وجود امامين في وقت واحد ، فقد تولى الحارث بن تليد وعبد الجبار ابن قيس المرادي امامة الاباضية في طرابلس سنة 132 هـ ( 750 م ) احدهما للصلاة والآخر للحرب (26) على غرار المحكمة الاولى حين اقتسم المنصبين عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوق بن زهير . وفي احتكام امامى الاباضية الى السيف حين دب الخلاف بينهما حتى قتل كل منهما الآخر — لو صحت رواية البرادى (27) — ما يذكر بخلافات زعماء الخوارج في المشرق لاسباب فقهية . وفي انقسام جماعة المذهب بالمغرب واقتتالهم بسبب ما نسج حول الحادث من قضايا فلسفية وفقهية (28) ما يؤكد أثر الفكر السياسى للخوارج في نشاطهم ببلاد المغرب . ومن مظاهر ذلك ايضا اجماع الاباضية على امامة ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمع سنة 140 هـ ( 757 م ) على الرغم من كونه عربيا (29) وثوراتهم كانت ضد الحكم العربى ، وقد حرص ابو الخطاب على مراعاة اصول المذهب فيما استنته من نظم ادارية ومالية ، واسترشد في ذلك بمشورة ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة شيخ فقهاء المذهب بالبصرة (30) .

ونعتقد ان فكر الخوارج السياسى قد تأثر بنظرية الشيعة عن الامامة الظاهرة والامامة المستترة ، فقد فرق فقهاء المذهب (31) الاباضى بين امامة الدفاع وامامة الظهور . اذ حينما يتعرض الخوارج لمحن سياسية ، يختارون اماما في الخفاء تكون مهمته جمع شمل الانتصار وتسيير امورهم والفصل في قضاياهم واعداد العدة للظهور اذا ما واتت الظروف وانقشعت المحنة . هذا هو ما حدث بعد مقتل ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمع سنة 142 هـ ( 759 م ) وتعرض الخوارج لبطش الجند العباسى فاختروا ابا حاتم المزوزى اماما للدفاع في الوقت الذى كان فيه عبد الرحمن بن رستم يعد العدة لامامة الظهور (32) . وتكرر الامر بعد سقوط دولة بنى رستم وتنكيل الفاطميين بالخوارج فاجتمع الاباضية في نفوسة على ابنى يحيى الارجانى وبايعوه بامامة الدفاع على امل ان يلتئم شمل انتصار المذهب

- (26) ابن عبد الحكم : صفحة 302 .  
 (27) انظر : الجواهر المنتاة : ورقة 87 ،  
 (28) انظر : الشهاى : السير ١١ ص 125 .  
 (29) نفس المصدر والصحيفة .  
 (30) انظر ملحق رقم : (1)  
 (31) انظر : نصوص من متن عقيدة التوحيد —  
 Motylinski : L'Aquida des Ibadites, P. 510  
 (32) ابو زكريا : ورقة 11 .

في بلاد المغرب فيقيموا امامة الظهور (33) .

وظهر اثر فكر الخوارج السياسى فيما تام به الصفرية والاباضية من ثورات وما خاضوه من حروب التزموا فيها جميعا بتعاليم المذهب . فالخوارج الصفرية في المغرب كانوا يقتدون بأهل النهروان « في التحكيم ورفع المصاحف وحلق الرعوس » (34) في حروبهم . ونظر التطرف مبادئهم في معاملة الخصوم (35) ، اتسمت حروبهم بالعنف والقسوة (36) فكانوا « يقتلون الاطفال والولدان » (37) ويستحلون سبى النساء والذاري (38) . اما الاباضية فكانوا اقرب الى الاعتدال سواء في حوض الحروب أو معاملة الخصوم ، فكانوا لا يشهرون الحرب على أعدائهم الا بعد اعلامهم واخذ الحجة عليهم ، ولم يتبعوا المدبر أو يجهزوا على الجرحى ، كما لم يخربوا الزروع ولم يهدموا سوى الحصون والاسوار وتعففوا عن الغنائم من غير السلاح والعتاد ، ولم يقتلوا الاطفال أو يسبوا النساء ، تمسكا بتعاليم المذهب (39) . يظهر ذلك في حروب الحارث وعبد الجبار في طرابلس (40) ، ومعاملة أبى الخطاب عبد الاعلى بن السمح للثيروانيين (41) ، ومعاملة أبى حاتم المزوزى مع جميل بن صخر (42) .

وظل التزام خوارج المغرب بعقائد المذهب في سياساتهم ونظمهم خلال السنوات الاولى من حكم أئمة بنى مدرار بسجلماسة وبنى رستم بتاهرت ، اذ طغت تعاليم المذهب على دوافع العصبية والعنصرية .

فالخوارج الصفرية بايعوا عيسى بن يزيد الاسود من موالى العرب بالامامة سنة 140 هـ (43) ( 757 م ) انطلاقا من مبدأ جواز تولية غير العرب من المسلمين . وفي انشاء سجلماسة ما ينم على بروز العامل الدينى المذهبى ، اذ شيدت لتكون مجمعا للخوارج الصفرية « (44) من سائر

- 
- (33) نفس المصدر : ورقة 115 . Lewcki : Etudes Ibadites. P.P. 50, 98.  
(34) مجهول : اخبار مجموعة . صفحة 32 .  
(35) الشهرستاني : صفحة 121 .  
(36) Gautier : Op. Cit. P. 269.  
(37) اخبار مجموعة : صفحة 29 .  
(38) الرقيق : صفحة 117 ، 141 .  
(39) السوفى : شرح السؤالات ورقة 57 ، الشهرستاني : ص 121 .  
(40) انظر : ابن عبد الحكم : ص 301 .  
(41) أبو زكريا : ورقة 8 ، الشماخى : السير : ص 129 .  
(42) ابن الاثير : ج 5 ص 222 ، ابن خلدون : ج 4 ص 193 .  
(43) ابن خلدون : ج 6 صفحة 130 .  
(44) المقدسى : احسن التقاسيم ص 219 .

العناصر وكافة العصبية المغربية . ونفس الشيء يقال عن الإباضية ، فقد بايعوا عبد الرحمن بن رستم بالامامة - وهو من الفرس - لفضله وعلمه وسابقته وكفائته وسلامته حواسه وأعضائه (45) . لقد بويغ ابن رستم اماما للدفاع سنة 144 هـ ( 761 م ) - على اثر مقتل ابي الخطاب - في المغرب الاوسط في نفس الوقت الذي كان فيه ابو حاتم المزوزي اماما للدفاع أيضا في طرابلس وجبل نفوسة (46) . اذ ان الفقه الإباضى يجوز بيعة امامين في وقت واحد « ما وجد بين حوزتيهما عدو يخشى بأسه ، أو لشقة البعد بينهما » (47) . ولم يحل ذلك دون تعاونهما لانامة امامة الظهور التي تقلدها ابن رستم سنة 162 هـ ( 179 م ) ، فقد كان ابو حاتم يبعث الى عبد الرحمن بزكاة امواله (48) . وبيعة ابن رستم الثانية تمت بموافقة « أهل الحل والعقد » من مشايخ المذهب واجماع جمهور الإباضية (49) ، ووفقا لشروط الامامة في الفقه الاسلامى (50) .

وكما أسست سجل ماسة لتكون مقررا للخوارج الصفرية ، اقيمت تاهرت لتكون « حصنا وحرزا للمذهب الإباضى » (51) الذى كانت تعاليمه مرعية في سياسة الدولة ونظمها في عهد عبد الرحمن بن رستم حتى اطلق عليها بعض الدارسين (52) « مملكة الله » .

والواقع انه ليست لدينا معلومات عن النظم الادارية والمالية فى سجل ماسة ، لكن المصادر حفلت باشارات عن نظم الدولة الرستمية . ويتضح منها أن عبد الرحمن بن رستم راعى تعاليم المذهب الإباضى فى سياسته الداخلية . لقد استفاد عبد الرحمن من خبرة الفرس فى هذا الصدد (53) لكنه لم يسمح لهم بأى تفوق سياسى أو تمييز اجتماعى فى دولته (54) ، فكان يختار عماله وقضاته وأصحاب شرطته ومحتسبيه ممن يثق فى علمهم وصلاحتهم . وكان نظام الجباية والصدقات ونواحى انفاقها كل ذلك يجرى حسب شرائع المذهب ووفقا لتعاليمه . وليس أدل

(45) ابن خلدون : المقدمة ج 2 ص 522 .

(46) البردائى : الجواهر المنتتاة ورقة 88 .

(47) اطفيش : الامكان ص 107 ، 108 .

(48) ابو زكريا : ورقة 115 .

(49) نفس المصدر : ورقة 11 .

(50) الماوردى : الاحكام السلطانية : ص 6 .

(51) ابو زكريا : ورقة 13 .

(52) انظر : Mercier : l'Établissement des Arabes P. 133.

(53) ابن الصغير : ص 16 ، محمد بن تاويت : دولة الرستبيين ص 113 .

(54) Smith : Op. Cit. P. 279.

على ذلك من قول ابن الصغير (55) المالكى « . . . وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممثلة ، وأصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب ، وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون فى أوان الطعام فيقبضون أعشارهم فى كل هلال . . . ( هكذا بالأصل ) من أهل الشاة والبعر يقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون . فإذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعر ، فإذا صارت أموالا ، دفع منها الى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر فى باقى سائر المال ، فإذا عرف مبلغه ، أمر باحصاء من فى البلد وفيما حول البلد ، ثم أمر باحصاء الفقراء والمساكين فإذا علم عددهم أمر باحصاء ما فى الأهراء من الطعام ، ثم أمر بجمع ما بقى من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفيا وجبابا صوفيا وفراء وزيتا . ثم دفع فى كل أهل بيت بقدر ذلك ، ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين ، وما أشبه ذلك فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأمره ما يكتفيهم فى سنتهم ، ثم ان فضل فضل صرفه فى مصالح المسلمين . »

وفى تصرف عبد الرحمن بن رستم فى الاموال التى بعثها اليه خوارج المشرق مع بعثتهم الاولى اليه ، واجتماعه برؤساء القبائل وشيوخ المذهب فى المسجد الجامع وانفاقه هذه الاموال وفقا لنصيحة أهل الراى منهم « ثلث فى الكراع وثلث فى السلاح وثلث فى فقراء المسلمين » (56) ما يقيم الدليل على مراعاته تعاليم المذهب فى سياسته الداخلية . ولا غرو فقد حظى حكمه برضى الشراة فى المغرب وشيوخ المذهب فى المشرق « فوصلوه بكتبهم ووصاياهم » (57) .

على أن خوارج المغرب لم يلتزموا بالفكر السياسى عند الخوارج ، ولم يراعوا تعاليم المذهب وشرائعه بعد انتهاء حكم مؤسسى دولتيهما فى سجلماسة وتاهرت . ففى سجلماسة برزت النعرات العنصرية والعصبية وتحكمت فى مقاليد الحكم ونظم الادارة . اذ ان الامامة تحولت الى ملك وراثى احتكرته قبيلة مكناسة فى أسرة بنى مدرار (58) بعد صراع مع زنوج السودان وتنحية

(55) سيرة الائمة الرستبيين : ص 15 ا 16 .

(56) النسوبى : صفحة 91 .

(57) الشياخى : السير ، صفحة 141 .

(58) ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، Bel : Op. Cit. P. 167.

عيسى بن يزيد الاسود وقتله سنة 155 هـ (59) (772 م) . ومنذ ذلك الحين درج امراء البيت المدرارى على انتهاك تعاليم المذهب وتقاليده الامامة حتى ان احدهم خلع نفسه ليظفر احد ابناؤه بالحكم كيدا في ابنه الآخر (60) . وبلغ الخروج على المذهب مذاه بتولية الاطفال والنساء مقاليد الحكم ، فقد تولى المنتصر سمكو بن محمد الحكم سنة 332 هـ (945 م) ولما يتجاوز الثالثة عشرة من عمره تحت وصاية جدته (61) . ولعل مما يؤكد تحول الامامة في سجلامة الى ملك وراثى اتخاذ امراء سجلامة القبا على غرار العباسيين كالمنتصر والمعتز ، وتخليهم عن حياة الزهد والبساطة التى اتسم بها ائمة الخوارج واقبالهم على حياة البذخ والثراء واقتناء الاموال (62) والتشبه بالملوك والامراء .

وقد حدث في تاهرت بعد موت عبد الرحمن بن رستم نفس ما حدث في سجلامة بعد مقتل عيسى بن يزيد الاسود ، اذ تحولت الامامة الى ملك وراثى (63) واتخذ الائمة الوزراء والحجاب (64) . وغدت وظائف الدولة حكرا على عصبيات بعينها استاثرت بها من دون العناصر الاخرى .

والمصادر الاباضية (65) تحاول اظهار شرعية امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، فتذكر انه « اجمع عليه اهل الشورى ، ثم بويغ بعد ذلك بيعة عامة لم يتخلف عنها احد » التزاما بنصيحة والده الذى اشار قبل موته بجعل الامامة شورى بين سبعة اشخاص (66) يختارون الاصلح من بينهم على غرار ما فعله عمر بن الخطاب .

- (59) البكرى : صفحة 149 .  
(60) راجع : البكرى : ص 150 . ابن عذارى : ج 1 ص 216 .  
(61) البكرى : صفحة 151 .  
(62) ابن عذارى : ج 1 ص 216 ، ابن الخطيب : احوال الاعلام : ج 3 ص 143 .  
(63) ابن الصفيير : صفحة 16 ، 20 .  
(64) وزير لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم السبح بن ابي الخطاب ومزور بن عمران . انظر : النفوسى : ص 165 . وهذا ينفي زعم هوبكنز ان بنى رستم لم يعرفوا نظام الوزارة على اساس ان ابن الصفيير - حسب قوله - لم يشر الى ذلك . انظر Hopkines : Medieval Moslem government. P. 5 والواقع ان ابن الصفيير يذكر « . . . وقد ابتدر اليه ( يعنى احد الذين رشحوا لتولى القضاء ) اصحابه فاحاطوا به وقالوا له ان فلان بن فلان الناضى توفى ، وقد اجمع راي المسلمين ووزراء الامام عليك . . . » مما يدحض زعم هوبكنز . انظر : سيرة الائمة الرستيين . ص 47 .  
(65) انظر : ابو زكريا : ورقة 14 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 21 ، النفوسى : ص 99 .  
(66) وكان هؤلاء السبعة هم : مسعود الاندلسى وابو قدامة البيرنى وي زيد بن فنديين وعمران ابن واران الاندلسى وسعدوس بن عطية وشكر بن صالح الكتامى ومصعب بن سدمان . انظر : ابو زكريا : ورقة 14 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 21 .

والواقع أن اختيار عبد الوهاب لم يكن على سنة ما فعله عمر بن الخطاب ذلك أن عمرا أوصى قبل موته بأن يكون ابنه عبد الله حكما في مجلس الشورى دون أن يكون له أحقية تقلد الخلافة . أما عبد الوهاب فقد اختير للإمامة تسرا ، ذلك أن رأى أهل الشورى كان في جانب مسعود الاندلسي ، فقد « مال الاكثرون والعامّة الى تولية مسعود وبادروا الى مبايعته » (67) . لكن تعصب بنى يفرن وحرصهم على اختيار عبد الوهاب أفضى الى تنصيبه . ذلك أن أم عبد الوهاب كانت يفرنية ، واستطاع ابو تدامة اليفرنى أن يحول جماعة الشورى عن مسعود الاندلسي ليجعل الامامة من نصيب عبد الوهاب وما تسوقه المصادر (68) الاباضية من تبرير عدم اختيار مسعود الاندلسي بأنه اختفى زهدا في الامامة وهربا من مهامها ، أمر غير مقبول .

وقد اثار تنصيب عبد الوهاب حفيظة الجانب المتشدد في جماعة الشورى والذي مثله يزيد بن مندبين ، إذ اعتبر تولية عبد الوهاب انتهاكا لتعاليم المذهب وخروجا على سنن السلف . وبذلك لم يجمع جماعة الشورى على امامة عبد الوهاب « لان الاجماع الذي هو شرط الامامة معناه اتفاق مجتهدي الامة » كما تنص تعاليم المذهب الاباضى (69) . وقد مثل جماعة ابن مندبين الذين عرفوا بالنكار الفرقة المحافظة على تعاليم المذهب والملتزمة حدوده ، فنادوا بوجوب جماعة يسترشد الامام برأيها ولا يقطع أمرا الا بمشورتها وبذلك تكون الامامة « مشروطة » (70) كما نادوا بضرورة مراعاة اصول المذهب في اختيار الولاة والعمال ، وانكروا احتكار الفرس ونفوسة وظائف الدولة (71) . ودعوا الى اختصاص أهل الخبرة والحصافة بها من بين جمهور الاباضية دونما تفرقة أو تمييز عملا بشرائع المذهب (72) . وكان

- (67) الشماخى : السير : ص 145 .  
(68) أبو زكريا : ورقة 14 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 21 ، النفوسى : ص 99 .  
(69) الشماخى : مقدمة اصول الفقه . ورقة 64 .  
(70) أبو زكريا : ورقة 14 ، الشماخى : السير : ص 145 .  
(71) ابن الصغير : ص 22 ، النفوسى : ص 114 .  
(72) ذكر أبو غانم الصغرى في مدونته أنه سال أحد فقهاء المذهب الاباضى هذا السؤال : أى الرجلين أحب أن يستعمل ، الرجل الصالح الذى لا قوة له بالعمل ، أو الرجل الذى هو دونه في الصلاح وهو أقوى على العمل ، فأجابته القوى العالم بالعمل أحب أن يستعمل . ( انظر : مدونة أبى غانم ورقة 1 ) وهذا يفتد دعاوى مؤرخى الاباضية الذين حاولوا تبرير اختصاص عبد الوهاب ذويه واتباعه بوظائف الدولة « لانهم من أهل العلم والبصيرة في الدين » . انظر : أبو زكريا : ورقة 15 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 22 ، النفوسى : ص 102 .

انتصار الامام عبد الوهاب على جماعة النكار يعنى التغلب على الطابع الدينى فى نظم الحكم الرستمية وتحول الامامة الى سلطة مركزية اشبه ما تكون بالملكية المطلقة .

فقد آلت الامامة الى افلح بن عبد الوهاب بعد وفاة ابيه تلقائيا وقد حاول مؤرخو الاباضية (73) تبرير ذلك ، فذهبوا الى ان اهل الحل والعقد بادروا بتنصيب افلح اثر موت والده مخافة خطر العدو المتريص بتاهرت . وجدير بالتنويه انهم لم يذكروا شيئا عن هذا العدو المزعوم الا انه مقيم بجبال تاهرت . والواقع ان جماعة النكار التى كانت تسكن تلك الجبال كانت قد تشتت شملها وعادت فلولها الى مواطنها الاولى منذ عهد عبد الوهاب . كما لم يحدث فى آخر سنى حكمه سوى تمرد خلف بن السمع الذى لم يكن خطرا مباشرا على مركز الامامة فى تاهرت ذلك ان حركته اقتصرت على نواحي طرابلس وجبل نفوسة وقد فانت هؤلاء المؤرخون ان عبد الوهاب عقد ولاية العهد لافلح قبل وفاته ، وعقب انتصاره على بدو هوارة حيث قال « لقد استحق افلح الامامة » وبعدها « انقطع اليه المنقطعون ودارت الحوائج والعطاء من تحت يديه » (74) ، كما كان افلح صاحب السلطة فى تاهرت اثناء غياب والده بجبل نفوسة وصراعه مع الاغلبة حول طرابلس ، الامر الذى يؤكد ثبوت مبدأ التوريث فى الامامة الرستمية .

كما جرى افلح على سنة والده فى « استعمال العمال والجباية ومطالب بيت المال » (75) ، مما اثار حفيظة الفقهاء فثاروا بقيادة نفاث بن نصر لانتهاك الامام رسوم الامامة وتقاليدها (76) . الا ان افلح ارغم — امام ظهور خطر القبائل والعصبيات — على التراجع فى سياسته ، وعاد الى تطبيق مبدأ اللامركزية والمساواة — فآخذ بنصائح اهل الراى والمشورة من شيوخ القبائل فى تعيين الولاة والعمال (77) كما لزم عماله ضرورة مراعاة فقه المذهب فى نظام الجباية فى نفس الوقت الذى اتاح لهم فيه مزيدا من السلطات داخل عمالاتهم (78) . يتضح ذلك من رسالة له لاحد عماله

(73) انظر ابو زكريا : ورقة 26 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 32 . الشماخى : السرى ، صفحة 192 .

(74) ابن الصنير : صفحة 23 .  
(75) النسوسى : صفحة 195 .  
(76) ابو زكريا : ورقة 30 .  
(77) ابن الصنير : صفحة 23 .  
(78) النسوسى : صفحة 188 .



جاء فيها :

« وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلا وأطلق يدك ، وأن الحاضر يرى مالا يراه الغائب فلعمري أنه كذلك ، ولكن ليس في هذا ( يقصد الخراج ) ، إنما هي أسهم جعلها الله وأوقفها ، وهى وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهى الا على قدر الاجتهاد » (79) فاتباع أفلح هذه السياسة لا يرجع الى حرص منه على مراعاة تعاليم المذهب بقدر اضطراره الى الاخذ بالتقاليد والاعراف البدوية .

ومن مظاهر ذلك اضراره الى تعيين محكم الهوارى قاضيا على الرغم من « أنه انشأ في بادية ولا يعرف لذى القدر قدره ولا لذى الشرف شرفه » (80) وكان رؤساء القبائل هم الذين « أنزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء ، وأجروا عليه من بيت المال قوته » (81) .

لقد أخذت الامامة الرستمية منذ ذلك الحين توفق بين مطالب الحكم وبين الاعراف البدوية والتقاليد الفارسية وتعاليم الطوائف المذهبية المختلفة في تاهرت . وتجلى الاثر الفارسى في الاصرار على مبدأ الوراثة والاخذ بالنظم والرسوم الفارسية في الحكم والادارة . فبعد موت أفلح بن عبد الوهاب آلت الامارة الى ابنه أبى بكر رغم اعتراض الفقهاء (82) . وليس كما يذهب النفوسى (83) بأنه اختير نتيجة اجماع أهل الحل والعقد من رؤساء القبائل والعصبيات وشيوخ المذهب . كما تولى أبو حاتم يوسف الامامة بعد أن عهد والده اليه بولاية العهد (84) . ومن مظاهر التأثير بالتقاليد الفارسية أيضا تعويل أئمة بنى رستم على اتخاذ الكتاب والحجاب والحراس ، فضلا عن نظم السجلات واستخدام الخاتم وغيرها من النظم التى تأثرت بالتقاليد الفارسية في الادارة (85) .

ثم ازداد اثر الطوائف غير الاباضية في أواخر عصر بنى رستم . فاضطر أبو اليقظان محمد الى الانتقاص عن سلطات بعض القبائل التى

(79) نفس المصدر والمحيطة .

(80) ابن المنير : صفحة 24 .

(81) نفس المصدر صفحة 25 .

(82) نفس المصدر : صفحة 31 ، 47 .

(83) الازهار الرياضية : ج 2 ص 222 .

(84) ابن المنير : صفحة 50 .

(85) نفس المصدر : صفحة 42 ، 47 .

كانت تستأثر بالمناصب العامة (86) وجعلها مشاعا بين كافة الفرق والطوائف من غير الإباضية ، كما اتخذ مجلسا للمشورة يضم الى جانب شيوخ القبائل واعلام المذهب الاباضى ، كثيرين من الكوفيين والمالكية والواصلية (87) . ولا شك ان سلطان هذه الطوائف قد زاد ابان امامة يعقوب بن افلح الذى تولاهما بفضل رؤساء تلك الطوائف وخاصة الكوفيين (88) . كما اضطر ابو حاتم يوسف الى اشراك كافة رؤساء الفرق فى الحكم « اباضية وغيسر اباضية » (89) .

ومع ذلك لم تجد سياسة الرستمييين الاواخر فى التوفيق بين مطالب الحكم وبين مصالح القوى المختلفة فى تاهرت فى تحقيق الاستقرار السياسى، اذ ان القبائل البدوية طمعت فى تولي السلطة وقدر لها ان تحقق هدفها بنجاح محمد بن مسالة الهوارى فى اغتصاب الحكم فى تاهرت مدة ثمانية اعوام (90) كذلك تربص الفرس للاستيلاء على الحكم ابان الصراع بين الامام ابي بكر ابن افلح وبين الجند والعرب لكن خاب أملهم (91) . ولا يخفى دور الفرق والطوائف غير الاباضية فى احداث تاهرت فى العصر الرستمى الاخير من اجل « تبييت خبر الاباضية » (92) .

ووقف الرستمييون مكتوفى الايدى احيانا امام هذه المؤامرات ، اذ لم يكن للامامة جيش ثابت يتصدى لتلك المشكلات . ويذهب بل (93) الى ان افتقار بنى رستم الى مثل هذا الجيش يعزى الى انشغال الائمة بالمسائل العلمية والفقهية ، وميلهم للمسالمة وزهدهم فى اثاره الحروب « . والواقع ان السبب الحقيقى يكمن فى استحالة تكوين جيش موحد فى ظل عصبية وعناصر مختلفة ومتناحرة « فكان لكل قبيلة رجالها وخيلها وسلاحها وكراعها » (94) . لذلك كان « الاجناد هم بطانة السلطان واولاده وحشمه » (95) فضلا عن احلافه من القبائل وخاصة نفوسة التى كانت

- 
- (86) ابن الصغير : ص 41 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 91 .  
(87) ابن الصغير : ص 44 ، البرادى : نفس المصدر والصحيحة .  
(88) ابن الصغير : ص 56 ، النفوسى : ص 275 .  
(89) البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 103 .  
(90) ابن الصغير : ص 39 ، النفوسى : ص 236 .  
(91) ابن الصغير : صفحة 37 .  
(92) نفس المصدر : صفحة 51 .  
(93) انظر : La religion Musulmane .. P. 149 .  
(94) الشباخى : السير : صفحة 148 .  
(95) ابن الصغير : صفحة 27 .

موالية للإمامة وتوافق الأئمة بالامداد في أوقات الخطر والازمات (96) .

ثم تضاعف نفوذ اتباع الأئمة من « الرستمية والسحبية » (97) وانهارت قوة نفوسة بعد موقعة مانو سنة 269 هـ ( 883 م ) التي قضى فيها الاغلبة على خيرة الجند النفوسى ، فأصبحت الامامة الرستمية لعبة في ايدى يد القوى المتنازعة في تاهرت .

وبسبب افتقار أئمة بنى رستم الى جيش ثابت لجأوا الى وسائل مختلفة لمواجهة الثورات الداخلية ولو كان ذلك خروجا على الفكر الاباضى فقد درجوا على اصدار نداءات الى الرعية يدعون فيها الى الكف عن الفتن والتزام « سنة السلف الصالح » في نفس الوقت الذى كانوا فيه ينتهكون تعاليم المذهب ويخرجون على سنة أسلافهم من اقطابه .

فعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم رغم التزامه ببدا الوراثة في الحكم لنفسه ولابنائهم من بعده بعث نداء الى اهل جبل نفوسة وناحية طرابلس يحضهم فيه على « تقوى الله والاتباع لما أمر به » (98) وحرم عليهم ما استحله لنفسه ونهاهم عن طاعة خلف بن السمح الذى خلف والده في ولاية تلك النواحي .

وأفلح بن عبد الوهاب اقتفى اثر والده حين ثار عليه نفاث بن نصر لخروجه عن تعاليم الاباضية فكتب خطابا « الى سائر المسلمين في شأن نفاث » يخاطبهم فيه بقوله : « .. وانتم محتوتون باتباع آثار سلفكم والسلوك على مناهجهم ، وأن تفعلوا بهذا التائه المتخبط ما كان يفعله سلفكم بمن كان قبله » (99) . كذلك كان شأن محمد بن أفلح الذى وجه نداء الى رعاياه يحضهم فيه على « اتباع الماضيين من السلف والمتقدمين من الأئمة والصالحين من اهل الدعوة » (100) .

وضرب بنو رستم صفحا عن جوهر التعاليم الاباضية التى تدعو الى « الامر بالمعروف وبالنهي عن المنكر » ولجأوا الى الاساليب السياسية الملتوية كالتجسس وبذل الرشاوى والخداع فضلا عن الاغتيال السياسى . فعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حين اعيتته الحيل في قمع ثورة خلف

(96) الشماخى : السير : صفحة 155 .  
(97) ابن الصنير : صفحة 27 ، 36 .  
(98) انظر : ملحق رقم (3) .  
(99) النفوسى : صفحة 199 .

ابن السمح بث عيونه وجواسيسه للوثيقة بين خلف واتباعه (101) ، كما بعث سرا الى بعض رجال خلف يؤلبهم عليه ويمنيهم بالاموال والضياع (102) . واخذ ابنه افلح من بعده بهبدا « فرق تسد » فأرشى ما بين كل قبيلة ومجاورها (103) « والتقى موجبات التخالف بين كل مقدم واتباعه ، وبيث الجواسيس بطرق سياسية وتدبيرات باطنية كفته مؤونة القتال » (104) . وعول الرستميون الاواخر على « استعمال الدرهم والدينار بدل الرمح والسنان » (105) في كسب الانصار ومواجهة الخصوم . وشاع الاغتيال كأسلوب جديد اتبعه بنو رستم للتخلص من منسائهم ، واستشرى هذا الداء ولم يسلم منه افراد البيت الرستمي نفسه ، فقد اغتال ابو بكر بن افلح محمد بن عرفة صهره وساعده في ادارة شؤون دولته وسط سخط الفقهاء وتبرمهم (106) ، كما لقي ابو حاتم يوسف بن محمد حتفه على أيدي بعض المتآمرين من افراد أسرته من أجل الوصول الى الحكم (107) .

وهكذا اختلفى — تقريبا — اى اثر لفكر الاباضية في نظم الحكم الرستمية بعد موت عبد الرحمن بن رستم (108) مؤسس الدولة ، وتحولت الائمة الاباضية الى ملك وراثى غلب عليه الطابع البدوى ، وتأثر بالتقاليد الفارسية وتعاليم الفرق والمذاهب الاخرى غير الاباضية .

ومع ذلك فقد ترك الخوارج آثارا واضحة في الفكر السياسى ونظم الحكم ببلاد المغرب ، خاصة في الفترة ما بين اوائل القرن الاول الهجرى ومنتصف القرن الثانى .

- (100) انظر : ملحق رقم (5) .  
(101) يفهم ذلك من رواية للنفوسى تقول ان شخما من انصار الامام عبد الوهاب كان يندس بين اصحاب خلف ويكاتب الامام بكل ما يسعه . انظر : الازهار الرياضية ج 2 صفحة 155 .  
(102) الوسيانى : سير ابي الربيع ورقة 30 .  
(103) ابن الصغير : صفحة 27 .  
(104) النفوسى : صفحة 183 .  
(105) نفس المصدر : صفحة 278 .  
(106) ابن الصغير : صفحة 34 .  
(107) ابن مذارى : ج 1 ص 278 .  
(108) ابن الصغير : صفحة 56 .

ثانياً :

## الحياة الاقتصادية

أحدث الخوارج أثارا بعيدة المدى في أحوال بلاد المغرب الاقتصادية. والشائع أن هذا هذه الأثار كانت سيئة للغاية ، إذ تمخض عنها خراب وركود وكساد في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة . غير أن مسؤولية الخوارج في هذا الصدد مبالغ فيها ، ذلك أن أحوال المغرب الاقتصادية كانت سيئة ، منذ حكم البيزنطيين ، وزادت سواء نتيجة استنزاف طاقاته وموارده في الحروب الطويلة التي استغرقتها الفتوح العربية وما ارتبط بها من ثورات ضد الفاتحين ، كتلك التي قام بها كسيلة والكاهنة ، وما تمخض عن هذه الثورات من تخريب المزارع واحراق الأشجار ، فضلا عما أزهق فيها من أرواح (109) مما زاد في تفاقم أحوال البلاد الاقتصادية .

وليس من شك في أن سياسة بعض عمال بنى أمية في المغرب زادت الأمر سوءا (110) ، فقد أرهقوا الأهلين بالمغارم والجبايات ، وحفلوا باشباع نهم الخلفاء في دمشق ، وأهملوا سبل الإصلاح الاقتصادي . وحسبنا أن البربر اعتنقوا مذهب الخوارج لتخليصهم من جور بنى أمية وسوء سياستهم الاقتصادية (111) .

غير أن ثورات الخوارج زادت — دون شك — في تفاقم الأزمات

(109) ابن عذاري : ج 1 صفحة 83 .

(110) نفس المصدر : صفحة 52 .

(111) نفس المصدر والمصحفة .

الاقتصادية ، اذ استمرت تربة نصف قرن من الزمان أرهقت خلاله خزائن الولاية برواتب الجند وأعطياتهم (112) ، وخربت المزارع والمناجم ، وكسدت التجارة وتهددت الطرق بالخطر .

ومن الانصاف ان نذكر ان مسؤولية الولاية في هذا الصدد لا تقل عن مسؤولية الخوارج ، وان الصفرية من دون الاباضية (113) أسهموا بنصيب كبير فيما حل بالبلاد من تخريب ، فقد درجوا في حروبهم على نهب الاموال واحراق المزارع والضياع . وليس ادل على ذلك من تخريب الزروع على مسيرة يومين من طنجة اثناء حصارهم بلج بن بشر ورجاله بطنجة سنة 123 هـ (114) ( 741 م ) . وفظائعهم بالقيروان سنة 139 هـ ( 756 م ) سبق التنويه بها .

الا ان ثورات الخوارج عموما — صفرية واباضية — ، استنزفت جهود الولاية ومواردهم المالية ، فقد أنفقوا الكثير على اعداد الجيوش ومضاعفة الاعطيات لمواجهة هذه الثورات (115) . كما أسفرت عن هدم العمارات والاسوار مما جشم الولاية عناء ترميمها او اعادة بنائها . وفضلا عن ذلك فقد ازهقت اعداد من البشر اجمع المؤرخون على كثرتها ، فضلا عما كان يحدث من امراض واوبئة اودت بحياة الكثيرين نتيجة تعفن جثث القتلى (116) .

وأدى ذلك كله الى حدوث الازمات والمجاعات (117) ، حتى الف الناس اكل الاعشاب والدواب والكلاب (118) وخاصة اثناء فتبرات الحصار الطويل (119) .

وليس ادل على سوء احوال بلاد المغرب الاقتصادية آنذاك من استعانة ولاية المغرب باموال مصر لمواجهة خطر الخوارج ، فكانت ترد اليهم اعانة سنوية قدرها مائة الف دينار (120) . ومع ذلك لم يكن بوسعهم

- 
- (112) البلاذري : فتوح البلدان ص 275 ، ابن تغرى بردى : ج 2 ص 20 .  
(113) الدرجيني : ج 1 ورقة 14 .  
(114) مجهول : اخبار مجموعة : صفحة 35 .  
(115) الرقيق : ص 119 ، ابن عذارى : ج 1 ص 59 .  
(116) الرقيق : صفحة 125 .  
(117) نفس المصدر : صفحة 118 .  
(118) اخبار مجموعة : صفحة 37 ، 38 .  
(119) ابن عذارى : ج 1 صفحة 76 .  
(120) ابن الاثير : الكابل : ج 5 صفحة 63 .

القيام بأعباء الحكم والنهوض بأحوال البلاد الاقتصادية ، واقتصرت جهودهم على النواحي العسكرية كبناء الاسوار واقامة الحصون والقلاع (121) .  
وغنى عن البيان أنه لم يقدر لولاة القيروان الاهتمام بالنواحي الاقتصادية الا بعد ضعف شوكة الخوارج بها ، فلم نسمع عن جهود لهم في هذا الصدد الا في عهد محمد بن الاشعث اول من قمع حركات الخوارج في العصر العباسى ، لكن الازدهار الاقتصادى الذى أحدثه لم يستمر طويلا (122) اذ سرعان ما اندلعت ثورات الخوارج بعد رحيله الى المشرق .

وتتضح الآثار السيئة لثورات الخوارج على أحوال المغرب الاقتصادية من جهود يزيد بن حاتم في مواجهة المجاعات والازمات الاقتصادية ، فقد اهتم بزراعة الاراضى وجعل غلتها مباحة للناس (123) ، وكانت مراعية الخاصة ومراعى أسرته تقدم ذبائح الابل والغنم للرعية (124) .  
واليه يرجع الفضل في الاهتمام بالحرف والصناعات واقامة الاسواق ، وتنسيقها (125) للخروج بالبلاد من الكبوة الاقتصادية التى أحدثتها ثورات الخوارج . لكن هذه الجهود الكبيرة لم تحقق للبلاد النهضة الاقتصادية المرجوة ، وحسبنا على ذلك دليلا أن كثيرين من ولاة القيروان من بعده كانوا يعجزون عن دفع رواتب الجند واعطيائهم (126) .

كان التدهور الاقتصادى اذن يعزى الى الاضطراب السياسى ممثلا في ثورات الخوارج . فلما انتهت تلك الثورات واستقرت أحوال بلاد المغرب السياسية بقيام الدول المستقلة ، قدر للبلاد أن تشهد ازدهارا ملموسا في كافة النواحي الاقتصادية . ونحن في غنى عن رصد هذا الازدهار الاقتصادى في دولتى الاغالبة والادارسة ، انما نقرر ان هذا الازدهار شمل ايضا دولتى الخوارج الصفرية والاباضية .

لقد قامت دولتى الخوارج في مناطق صحراوية ، ومع ذلك واكب تيامها ازدهارا في الزراعة والصناعة ورواجا في التجارة . ففى مجال

- 
- (121) الرقيق : ص 24 ، البكرى : ص 24 ، 25 .  
(122) ابن عذارى : ج 1 صفحة 84 .  
(123) نفس المصدر ص 93 .  
(124) نفس المصدر والمصحفة .  
(125) الرقيق : ص 149 ، النوبرى : ج 22 ورقة 23 .  
(126) ابن عذارى : ج 1 صفحة 111 .

الزراعة ، استفاد بنور مدرار من مياه نهر ملوية (127) في تحويل البقعة التي أقاموا فيها عاصمتهم الى سهل فيضي (128) صيروا فيها الخلجان وشقوا القنوات لتوصيل المياه الى مساحة واسعة (129) قسموها الى حياض تشبه حياض البساتين (130) ومهدوها للزراعة . واستكثروا من الغروس فزرعوا اشجار النخيل والاعناب (131) على مساحة بلغت أربعين ميلا (132) . فاشتهرت سجلماسة لذلك بوفرة كرومها وفاكهتها (133) .

وفضلا عن ذلك زرعوا سائر المحاصيل « حسب زرع مصر » وربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا ما راع من زرعه وتواترت الشقوق بالمياه فكلما اغدقت الارض سنة في عقب أخرى ، حصدوا الى سبع سنين بسنبيل لا يشبه سنبيل الحنطة ولا الشعير ، بحب صلب المكسر لذيق المطعم ، وخلقه ما بين القمح والشعير « (134) . واشتهرت سجلماسة الى جانب ذلك بالحنطة والشعير والتطن والكمون والكراوية وغيرها (135) ، حتى لقد وصفها الادريسي (136) بأنها « كثيرة الخضر والنبات » . ولا شك أن اعدادا هائلة من البربر في سجلماسة تحولوا الى مزارعين (137) وان بقى بعضهم على حرفه رعى الماشية والابقار (138) .

كما اهتم ائمة بنى رستم بالزراعة أيضا ، فاخترأوا موضع عاصمتهم في مكان « جيد الهواء ، كثير المياه ، خصب الارض » (139) وقد توافرت المياه لاقليم تاهرت لوقوعه بين نهريين هما مينة وتاتش ويصبان في وادي شلف (140) . فضلا عن مياه الامطار التي اشتهرت بها تاهرت حتى

- 
- (127) البكري : صفحة 148 .  
(128) نفس المصدر : صفحة 149 .  
(129) ابن الخطيب : اعمال الاعلام . ج 3 ص 139 .  
(130) مجهول : الاستبصار : صفحة 201 .  
(131) نفس المصدر والصحيفة .  
(132) ابن حوقل : صفحة 65 .  
Julien : Op. Cit. P. 339.  
(133) الاستبصار : صفحة 201 ،  
(134) ابن حوقل : صفحة 90 .  
(135) الادريسي : صفة المغرب ص 60 ، ابن مقديش : ص 11 ، القلقشندي : ج 5 صفحة 164 .  
(136) الادريسي : نفس المصدر والصحيفة .  
(137) البكري : صفحة 148 .  
Fournel : Op. Cit. Vol I. P. 352.  
(138) ابن خلدون : ج 6 ص 120 ،  
(139) النفوسى : صفحة 6 .  
(140) البكري : ص 67 ، ابن خلدون : ج 6 ص 121 ،



صارت مضرب الامثال (141) . وقد عنى الرستميون بالاستفادة من هذه المياه فشقوا القنوات وأقاموا الطواحين على الأنهار (142) . فزرعوا الكتان والسهمس وسائر الحبوب على اختلافها ، الى جانب غرس الاشجار واقامة البساتين على مساحات رحبة (143) ، حتى عرفت تاهرت بأنها « بلخ المغرب » (144) . كما ازدهرت الزراعة أيضا في واحة وارجلان اعتمادا على مياه الآبار ، فاشتهرت بأشجار النخيل والزيتون والحبوب (145) . أما الزراعة في جبل نفوسة ، فقامت على مياه الأمطار ، لكن رعى الاغنام والماشية كانت الحرفة السائدة بين سكانه (146) . كما اشتهرت الدولة الرستمية بمراعيها الواسعة وكانت تاهرت منتجعا للقبائل الرعوية في شمالي الصحراء (147) . ولكثرة مراعيها وصفها ابن حوقل (148) بأنها « أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين » .

وقيام دولتي الخوارج في سجلماسة وتاهرت واحتوائهما عناصر غير مغربية كاليهود والاندلسيين والفرس والعرب المشاركة ، ووفرة المناجم وخاصة في درعة الغنية بالذهب والفضة (149) ساعد على استغلال مقدرات البلاد الاقتصادية استفلالا طيبا فقد أحسن اليهود استفلال تلك المناجم (150) . كما أن امرأ بنى مدرار حرصوا على الافادة من الاندلسيين في دعم دولتهم « واقامة المصانع والقصور » (151) .

ويخيل لنا أن الاندلسيين المقيمين بسجلماسة لعبوا دورا واضحا في هذا الصدد إذ كانت طوائف منهم تحتكر حرف الحدادة ، والصناعات المرتبطة بأعمال البناء (152) ، وقد شاركهم اليهود هذه المهن في العصر

- (141) ابن عذارى : ج 1 ص 280 .  
(142) ابن الصغير : صفحة 10 .  
(143) اليعقوبي : البلدان : ص 358 ، البكري : ص 67 .  
(144) الاصطخرى : المسالك والممالك : ص 34 ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص 228 .  
(145) الادريسي : صفحة 121 .  
(146) أبو زكريا : رتبة 26 .  
(147) الادريسي : صفحة 87 ،  
(148) المسالك والممالك : صفحة 86 .  
(149) ابن النقيبه مختصر البلدان ص 80 .  
(150) مجهول : الاستبصار ص 202 .  
(151) السلاوي : ج 1 صفحة 112 .  
(152) البكري : صفحة 149 ،
- Bernard : Op. Cit. P. 134.  
Fournel : Op. Cit, Vol I, P. 553.

الفاطمى (153) . وعرفت سجلماسة في عهد بنى مدرار بصناعة الثياب والازر الصوفية حتى كانت تضارع مثيلاتها المصرية كما يقول البكرى (154) هذا الى جانب الصناعات الاخرى كصناعة السكر وتكرير الملح (155) ، والاحذية (156) .

واستفاد بنو رستم من خبرة الفرس ، فاشتهرت تاهرت بالمنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية والقوارير الزجاجية وأوانى الخزف البراقعة، والتحف المعدنية والعطور (157) . وكانوا يسكنون النقود والذهب المجلوب من بلاد السودان (158) ، وان كنا نفتقر الى وجود عملات رستمية كتلك التى خلفها بنو مدرار ... وقد استعاض بنو رستم عن كثير من السلع المصنوعة باستيرادها من بلاد الاندلس (159) .

أما الدور البارز الذى لعبه الخوارج في حياة المغرب الاقتصادية ، فكان في مجال التجارة ، اذ قامت الدولتان المدراية والرستمية بدور الوسيط في التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . فلم تحل العلاقات السياسية غير الودية بين دولتى الخوارج وبين اعدائهم السياسيين والمذهبيين دون استمرار الصلات التجارية مع سائر دول المغرب والاندلس فضلا عن المشرق الاسلامى وبلاد السودان .

فكانت القوافل تترى من بغداد والبصرة الى بلاد المغرب مارا بالانبار وهيت والرقعة وحران والرها وتل موزن وحلب ودمشق وطبرية والرملة والفسطاط والاسكندرية ، ومنها الى برقة ثم الى الدولة الرستمية ودولة بنى مدرار (160) . كما كان الطريق البحرى بين موانئ دولة بنى مدرار على ساحل الاطلنطى وبين موانئ الاندلس كاشبيلية وشاطبة (161) غاصا بالسفن من الدولتين . اما دولة بنى رستم فكان اتصالها بالاندلس عن طريق مرسى فروخ (162) على البحر المتوسط الذى

(153) مجهول : الايبصار صفحة 202 .

(154) المغرب : صفحة 148 .

(155) القلقشندى : ج 5 صفحة 164 .

(156) الشباخى : ص 248 .

(157) النسوسى : صفحة 137 .

(158) نفس المصدر : صفحة 89 .

(159) البكرى : صفحة 81 .

(160) انظر : تدامة بن جعفر : الخراج : ص 227 ، 228 .

(161) الصبىرى : ص 21 ، ابن الدلائى : ص 18 ، 19 ،

Provençal : Op. Cit. Vol. I. P. 248.

(162) البكرى : ص 81 ، الادريسى : ص 100 .

يواجه موانئ شاطبة وتدمير ومرسى أثلة الاندلسية (163) .

لذلك ربطت دولتى الخوارج بين دول المشرق والمغرب والاندلس وبين افريقية جنوبى الصحراء عن طريق منافذها المنتشرة على حافة الصحراء والتي تعتبر محطات لرحيل القوافل الى بلاد السودان . فكانت سجلماسة همزة الوصل بين بلاد المغرب والاندلس وبين بلاد السودان الغربى كما قامت الدولة الرستمية بنفس الدور بين هذه البلاد وبين السودان الاوسط .

فعلى الرغم من سوء العلاقات السياسية بين تاهرت وسجلماسة وبين بغداد والقيروان وفاس ، فان قوافل التجار المشاركة كانت تجتاز بلاد المغرب الى سجلماسة التى غصت بالعراقيين من بغداد والكوفة والبصرة ، وكانت هذه القوافل تحمل سلع المشرق الى بلاد المغرب وتعود محملة بالمتاجر السودانية فى صحبة اهل سجلماسة (164) . كذلك اقام بتاهرت طائفة من التجار العراقيين كان لهم مساجدهم ومنازلهم وفنادقهم وأسواقهم الخاصة (165) . وقد اهتم ائمة بنى رستم بتجارة الشرق فشاركوا فيها وأشرفوا عليها بأنفسهم ، وأولوا التجار رعايتهم ، وكنلوا لهم الحماية والامان (166) .

وتوطدت الصلات التجارية بين القيروان وسجلماسة وتاهرت ، فكانت القوافل تخرج من تاهرت الى القيروان مارة بهاز والمسيلة وأدنة وطبنة وباغاية ومجانة ومرماجنة وسببية (167) وفى سجلماسة كانت القوافل تخرج الى تاهرت ومنها الى القيروان ، والمسافة بين سجلماسة وتاهرت تقرب من خمسين مرحلة ، وبينها وبين القيروان تبلغ نحواً من ثمانين مرحلة (168) . وعلى ذلك فقد كان فستق قفصة يباع فى أسواق سجلماسة (169) ، كما لاقت سلع سجلماسة — كالسكر والكمون والكرامية والاحذية — رواجاً فى أسواق القيروان (170) . وفقدت السلع

(163) اليعقوبى : البلدان : ص 354 ، البكرى : ص 18 ، ابن الدلائى : ص 18 .

(164) ابن حوتل : صفحة 43 .

(165) ابن الصغير : صفحة 13 .

(166) نفس المصدر : صفحة 50 .

(167) البكرى : صفحة 143 ، 146 .

(168) الاصطخرى : صفحة 37 ، 38 .

(169) البكرى : صفحة 41 .

(170) الادريسي : صفحة 61 .

السودانية الى دولة الاغالبية عن طريق تاهرت وسجلماسة . ولا غرو لمقد  
وفدت الى تاهرت جموع غفيرة من تجار القيروان حيث حظوا بحرية  
المتاجرة في أسواقها (171) وكان عدل الائمة الرستميين ، وترحيبهم بالتجار  
وشهرة تاهرت التجارية مما حجب كثيرين من هؤلاء التجار في الاقامة  
بتاهرت (172) .

ولم نعدم وجود صلات تجارية بين دولتي الخوارج والادارسة .  
حقيقة ان العلاقات التجارية بين تاهرت وفاس كانت في نطاق محدود ،  
لكن المصادر (173) تشير الى انتظام القوافل بين سجلماسة وفاس  
فالطريق كان ممهدا بين المدينتين ، ويبدأ من فاس الى صفرو فقلعة  
مهدي ، فتادلة ، فوادي شعيب الصفا ، ثم يمر عبر الجبل الكبير الى الجنوب  
حيث توجد سجلماسة (174) . وكانت القوافل ترتاد هذا الطريق ،  
فتخرج من باب الفوارة بفاس الى مدينة سجلماسة (175) . وقد وفد  
كثيرون من صفرية فاس الى سجلماسة عاصمة صفرية المغرب طلبا للعلم  
والتجارة (176) . كما كان للتجار المدينيين نشاط واسع في أسواق  
مدينة فاس (177) .

وكان طبيعيا ان تتوثق الصلات التجارية بين دولتي الخوارج  
والدولة الاموية بالاندلس لما كان بين الطرفين من علاقات سياسية ودية .  
وحسبنا ان غلال سجلماسة وتاهرت كانت تسهم في حل الازمات  
الاقتصادية بالاندلس (178) . وقد تبادل بنو مدرار مع اموى الاندلس  
السلع والمتاجر ، فكان المديريون يصدرون القمح والسكر والكرم  
والتمر (179) في مقابل الثياب والطرز القطنية والكتانية والحريية التي  
اشتهرت بها قرطبة (180) .

هذا فضلا عن التسهيلات الواسعة التي قدمها حكام تاهرت

- 
- (171) ابن الصغير : صفحة 13 .  
(172) الشماخي : السير : صفحة 158 .  
(173) ابن حوقل : ص 72 ، الادريسي : ص 76 ، ابن ابي زرع : ص 53 .  
(174) ابن ابي زرع : صفحة 53 .  
(175) ابن حوقل : صفحة 65 .  
(176) الادريسي : صفحة 60 .  
(177) الجزنائي : زهرة الاس : ص 29 .  
(178) جغرافية المامون : ورقة 197 ،  
(179) جغرافية المامون : ورقة 199 .  
(180) الحميدي : صفة جزيرة الاندلس : صفحة 21 .
- Conde : Op. Cit. P. 291.

وسجلامسة لتجار الاندلس أثناء رحلاتهم الى بلاد السودان (181) .  
وكثيرا ما آثر بعض التجار والحرفيين الاندلسيين الإقامة في تاهرت والعمل  
في أسواقها وجوانيتها (182) . بينما كان البعض الآخر يعمل في نقل  
المتاجر بين الدولتين ، اذ في مقابل القمح الذي كان يصدر الى قرطبة  
استورد الرستميون كثيرا من السلع والامتعة المصنوعة في بلاد  
الاندلس (183) .

أما عن تجارة الخوارج مع بلاد السودان ، فقد شكلت حجر الزاوية  
في نشاطهم الاقتصادي . وجدير بالذكر ان شعوب السودان كانوا أخلاطا  
شتى من العناصر الزنجية القاطنة بين البحر الاحمر شرقا والبحر المحيط  
غربا (184) ، وبين المناطق الصحراوية أو شبه الصحراوية في الشمال  
وبين نطاقات الغابات الاستوائية في الجنوب (185) . ويمكن التمييز بين  
هذه العناصر ، فمن الشرق الى الغرب توجد شعوب النوبة — جنوبى  
مصر — ثم زغاوة ووصو وكوكو — بالسودان الاوسط (186) — أما  
السودان الغربى ، فقد سكنه شعب التكرور واهل غانة . أما شعب  
التكرور فقد استوطن ضفتى السنغال ، بينما كان شعب غانة يتكون من  
عناصر متعددة . فعلى طول الضفة اليسرى لنهر النيجر نزل شعب سنغى  
وبين السنغى والتكرور تقع ديار الشعوب المتكلمة بلغة الماندى ، وبين  
السنغى في الشمال ونطاق الغابات في الجنوب عاش اجداد الشعوب  
المتكلمة بلغة الجور حاليا (187) . ويصف صاعد الاندلسى (188) هذه  
الشعوب بالفوضى والهمجية على الرغم من « وجود سياسة ملوكية  
تضبطهم وناموس الهى يحكمهم . فقد كانت هذه الشعوب تعيش في شكل  
جماعات يرأسها أكبر الرجال سنا . ولكل منها كهوته وطواطمه (189) .

- 
- (181) ابن الدلائى : صفحة 18 ، 19 .  
(182) ابن الغوطية : ص 110 ، ابن الفرضى : ج 1 ص 179 ، ابن بشكوال :  
الملة . ج 1 صفحة 76 .  
(183) ابن الدلائى : ص 19 ،  
(184) البكرى : صفحة 149 .  
(185) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية : ج 1 ص 218 .  
(186) اليعقوبى : تاريخه . ج 1 ص 156 ، المقدسى : ج 1 ص 241 ، ابن خلدون :  
ج 6 صفحة 199 .  
(187) انظر : حسن محمود المرجع السابق : ص 223 ، 224 .  
(188) طبقات الامم : صفحة 12 .  
(189) حسن محمود : المرجع السابق ص 225 .

اذ كانوا « على المجوسية وعبادة الدكاكير (190) .

تقع مواطن هذه الشعوب بمحاذاة الصحراء الكبرى ، ويفصلها عن بلاد البربر سلسلة من الفواصل الجبلية تتخللها بعض المفاوز التي تعد وسيلة الاتصال الوحيدة بينها وبين بلاد المغرب (191) ومن الطبيعي أن تتدعم العلاقات بين البربر والسودان بقيام دولة بنى مدرار فسى سجلماسة وبديهي أن تتوطد صلاتها خاصة ببلاد التكرور وغانة المعروفة ببلاد السودان الغربى (192) . وحسبنا أن عناصر سودانية أسهمت في اقامة هذه الدولة وتصدت لزعامتها حتى كان أول أمرائها سودانيا يدعى عيسى بن يزيد . واستقرت هذه العناصر في سجلماسة ، وكان لهم حصن خاص يعرف « بحصن السودان » (193) . ولا شك في أنهم ساعدوا على توثق الصلة بين وطنهم الام وموطنهم الجديد ، فكانت سجلماسة حلقة اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربى (194) . وجدير بالذكر أن القوافل كانت تقطع الطرق بين سجلماسة وغانة في زمن يتراوح بين شهرين (195) وثلاثة (196) ، وكان بربر زويلة ومسوفة وجدالة يصحبون هذه القوافل (197) بين سجلماسة وسائر بلاد السودان الغربى عبر المفاوز والقفار (198) . ومن المعروف أن درعة كانت مركز خروج القوافل من دولة بنى مدرار (199) ، بينما عرفت « أبو الاتن » بأنها أولى المراكز السودانية التي تنزلها هذه القوافل (200) .

وقد عقد بنو رستم الصلات مع شعوب السودان جميعا ابتداء

- 
- (190) مجهول : الاستبصار ص 217 .  
(191) الاصطخرى : ص 35 ، حامد عمار : علاقات الدولة المملوكية بالدول الافريقية : ص 7 ،  
(192) المامون : جغرافيته ورقته 198 ، سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان : صفحة 25 .  
(193) المقدسى : ص 219 .  
(194) الاصطخرى : ص 35 ، حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام في القارة الافريقية : صفحة 75 .  
(195) البكرى : ص 149 ، الاستبصار ص 200 ، 201 .  
(196) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص 87 .  
(197) ابن بطوطة : تحفة النظار ج 1 ص 295 : حسن محمود ، الاسلام والثقافة العربية في افريقية . ج 1 ص 222 .  
(198) اليعقوبى : البلدان . ص 360 .  
(199) البكرى : صفحة 149 .  
(200) ابن بطوطة : ص 298 ، وجدير بالذكر أن طريقنا آخر كان يصل بين مصر وغانة لكنه أهمل بسبب تعرض القوافل فيه لسواقي الرياح وقطاع الطرق وأصبح طريق سجلماسة لذلك أشهر الطرق وأكثرها ارتيادا . انظر : ابن حوقل : ص 42 .

من زغاوة ( الكانم ) شرقا حتى ساحل غانة غربا ، لكن هذه العلاقات توطدت بشكل أساسى مع شعوب السودان الاوسط وخاصة مع الكانم وساعد الامتداد العريض للدولة الرستمية على تعدد الطرق والمسالك الى السودان (201) ، فلم يعدم الرستميون وجود مدن عديدة متناثرة على حدودهم الجنوبية كزالة (202) ووارجلان (203) أو أجلة (204) وغدامس وزويلة (205) ، كانت مراكز لانطلاق القوافل الى هذه البلاد .

وزالة مدينة صغيرة تقع على عشرة مراحل غربى وارجلان ، أهلها من هواره ، معروفة بأسواقها العامرة (206) . وكانت مدخل القوافل الى ساحل غانة فيما عرف « بمملكة الدمدم » (207) أما وارجلان فمدينة صغيرة لكنها متحضرة ، اشتهرت بوفرة نخيلها وغلاتها ، وغصت بالاسواق والتجار ، ومنها توجه التجار الى بلاد كوكو (208) والتكرور (209) وغانة (210) . وغدامس ، بلد كبير كثير النخيل أيضا ، أهلها من الملمين كلمتونة ومسوفة ، وهى محطة للعبور الى بلاد السودان الاوسط حيث يربطها طريق مههد ببلدة تادمكة (211) . وكانت زويلة مركزا للتجارة مع بلاد الكانم ، واشتهرت بتجارة الرقيق حيث غصت أسواقها بالعبيد الزواغيين (212) .

من هذه المنافذ أو الموانئ الداخلية — ان صح القول — خرجت قوافل المدرارين والرستميين الى بلاد السودان محملة بالملح والنحاس والودع (213) ، لتعود بالذهب والابنوس وسن الفيل والجلود الشركية ، فضلا عن الرقيق الاسود (214) .

- 
- (201) ابن الصغير : ص 13 ، النفوسى : ص 88 .  
(202) الادريسي : صفحة 132 .  
(203) بونيل : الممالك الاسلامية في غرب افريقية ص 160 .  
(204) الادريسي : صفحة 132 .  
(205) اليعتوبى : البلدان : صفحة 345 .  
(206) الادريسي : صفحة 132 .  
(207) الاستبصار : صفحة 225 .  
(208) جغرافية المامون ورقة 201 ، ابن بطوطة : ص 318 .  
(209) الشهاخى : السير ص 273 .  
(210) الادريسي : صفحة 121 .  
(211) الاستبصار : صفحة 145 .  
(212) اليعتوبى : البلدان : صفحة 345 .  
(213) القلقشندى : ج 5 صفحة 164 .  
(214) ابن النقيع : 87 ، جغرافية المامون ورقة 198 ، الاصطخرى : ص 35 .

والى سجلها ستم وتاهرت كانت تفد القوافل وتخرج محملة  
بتلك السلع الى المشرق وسائر دول المغرب والاندلس (215) .

وجدير بالذكر أن أئمة بنى رستم شاركوا رعاياهم هذا الدور  
« فكان عبد الوهاب في أيام أبيه تاجرا » (216) ، وكانت قوافله تسافر  
الى بلاد كوكو (217) . ولدينا من الروايات ما يؤكد اشتغال أفلح بن  
عبد الوهاب وأبى اليقظان محمد بن أفلح (218) وأبى حاتم يوسف بن  
محمد (219) بالتجارة كذلك . كما رحب أئمة بنى رستم وعمالهم بتجار  
السودان ، ففتحوا لهم الأسواق وأحسنوا معاملتهم وقدموا اليهم  
التسهيلات التجارية ، فأعفوا بضائعهم وسلعهم من الضرائب  
والرسوم (220) . وعامل حكام السودان الرعايا الرستميين بالمثل ،  
فرحبوا بسفارات الأئمة وكفلوا الأمان للتجار . ويحدثنا ابن الصغير (221)  
أن الإمام أفلح أوفد سفارة من قبله الى أحد ملوك السودان ، وبعث اليه  
بالهدايا السنية حفاظا على مصالحه التجارية .

هذه الصلات التجارية دعمت علاقات المودة وشائج الصداقة بين  
الطرفين ، فكان رعاياهم يختلطون ببعضهم البعض ، ووجدت أقليات  
لكل منهما في بلاد الآخر (222) ، ويرجح لويسكى (223) وجود جماعات  
من السودان بجبل نفوسة في القرن الثانی الهجرى اعتمادا على نص  
أورده الشماخى ذهب فيه الى أن كثيرين من أهل الجبل أجادوا لغة الكانم .

ولا غرابة إذا ما أدركنا تسامح الخوارج مع أعدائهم السياسيين  
والمذهبيين ، وترحيبهم بالغرباء في بلادهم . وليس أدل على ذلك من وجود  
طوائف اليهود في سجلها سمة وتاهرت ففى دولة مدرار احتكر اليهود

Bernard : Op. Cit. P. 134. (215)

(216) الشماخى : السير : صفحة 158 .

(217) أورد الوسيانى رواية ذكر فيها أن أفلح بن عبد الوهاب أراد مرافقة توائل والده  
الى بلاد كوكو ، فأخذ الإمام عبد الوهاب يختبره فى الفقه وخاصة فى مسألة الربى ،  
فأجاب عن كافة الاسئلة فيها عدا سؤال واحد . فأمره أبوه بعدم السفر حتى تزداد  
خبرته بأمر التجارة . انظر : سيرة أبى الربيع . ورقة 25 .

(218) انظر : الدرجينى : ج 2 ورقة 136 .

(219) انظر : ابن الصغير : صفحة 50 .

(220) الشماخى : السير : صفحة 273 ، 274 .

(221) سيرة الأئمة الرستميين : صفحة 31 .

(222) الوسيانى : ورقة 4 .

(223) انظر : Etudes Ibadites. P. 96.



استغلال مناجم الفضة والذهب في درعة (224) وفي تاهرت عاش الرهادنة في احيائهم الخاصة - الجيتو - وهمنوا على كثير من مناشط التجارة (225) ولا غرو فقد ذكر ابن الصغير (226) أن عاصمتى دولتى الخوارج غصتا بجموع التجار من سائر أرجاء العالم الاسلامى على اختلاف مللهم ونحلهم.

ولا شك في أن الخوارج جنوا أطيب الثمار من التجارة ، فيخبرنا ابن حوقل (227) أن اهل سجلماسة حققوا ثراء عريضا بزوا به « سائر اهل المغرب » ولا غرو ، فقد كانت معاملاتهم التجارية تصل الى آلاف الدنانير (228) . كما ذكر ابن الصغير (229) أن « سكان تاهرت علت وجوههم سيماء الحضارة والرغاهية ، وبدت من محياهم آثار النعمة والغنى » .

وليس أدل على هذا الازدهار الاقتصادي من طيب العملة التى سكها أئمة الخوارج وجودتها (230) ، مما يؤكد أن الخوارج وان تسببوا في تفاتم أزمت بلاد المغرب الاقتصادية في عصر الثورات يعزى الفضل اليهم في انعاش احوالها الاقتصادية في عصر الاستقرار السياسى .

على أن سقوط دولتى الخوارج على أيدي الفاطميين سنة 297 هـ (909 م ) واندلاع ثورات الخوارج من جديد ضد الحكم الفاطمى أصاب الازدهار الاقتصادي الذى شهدته البلاد . وتفاقت الاحوال وازدادت سوءا بسياسة العسف الاقتصادي التى اتبعها الفاطميون . فقد انسابت جيوش أبى عبد الله الشيعى في تاهرت بعد فتحها ، « واهلكت الحرث والنسل » (231) ، ولما سقطت سجلماسة نهب الفاطميون اهلها واستولوا على أموال بنى مدرار (232) ، ثم أضرمو فيها النيران (233) وفرض

(224) الاستبصار : صفحة 202 .

(225) ابن الصغير : صفحة 46 ، 57 .

Farougy : Op. Cit. P. 14.

(226) سيرة الائمة الرستمين ص 16 ،

(227) المسالك والممالك . ص 42 ، ياتوت : ج 3 ص 46 .

(228) نقل الثلثندى عن ابن سعيد نسا يقول فيه « رأيت صكا لاحدهم على آخر مبلغه أربعون الف دينار » وذكر ابن حوقل انه رأى صكا كتب بدين على أحد التجار موع عليه بشهادة المدول ، قيمته اثنين وأربعين الف دينار . انظر : صبح الاعشى :

ج 5 ص 164 ، المسالك والممالك ص 42 .

(229) سيرة الائمة الرستمين : صفحة 13 .

La voix : Op. Cit. P. 402.

(230) السلاوى : ج 1 صفحة 119 ،

(231) أبو زكريا : ورقة 37 .

(232) اليبسانى : سيرة جعفر : صفحة 130 .

Biquet : Op. Cit. 71.

(233) ابن عذارى : ج 1 ص 210 ،

عمال الفاطميين سياسة مالية جائرة على البلاد التي فتحوها « فاستولوا على اموال الاحباس والحصون (234) » ، واشتطوا في فرض المغارم والجبايات فأنقلوا صفرية درعة بالاعباء ، كما لقي اباضية نفوسة عننا شديدا وأرغموا على دفع الاموال الباهظة والرشاوى لعمال القيروان (235) .

وكانت سياسة العسف الاقتصادي تلك من أسباب اندلاع ثورات الخوارج على الفاطميين . ولا شك أن هذه الثورات استنزفت جهود الطرفين معا ، ونتاج عنها مزيد من تخريب الطرق واحراق المزارع وتدمير المدن الى جانب ازهاق الارواح والدماء ، مما تسبب في حدوث المجاعات وانتشار الاوبئة التي أدت الى تفاقم الازمات الاقتصادية .

لكن ثورات الخوارج — برغم فشلها — أجبرت الفاطميين على التخلي عن سياستهم الاقتصادية الجائرة « مخففوا الضرائب والجبايات » (237) وجنحوا الى الاعتدال في حكم المغاربة .

وهكذا اثر الخوارج في احوال بلاد المغرب الاقتصادية تأثرا عميقا فبسببهم تفاقمت هذه الاحوال وازدادت سوءا في عصر الثورات ، ويفضلهم ازدهرت كافة النواحي الاقتصادية في عصر الاستقرار السياسي .

---

(234) سعيد بن مديش : نزهة الانظار ص 123 .

(235) ابن حيون : المجالس المسائرات ج 1 ورقة 28 .

(236) الشماخي : السير : صفحة 320 ، 323 .

(237) لويس : اصول الاسماعيلية : ص 183 . نقلنا من كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد

— بخطوط باسطنبول في مكتبة شهيد على باشا برقم 1575 .

## الحياة الاجتماعية

ترك الخوارج أثارا هامة في كيان المجتمع المغربي ، وحدثوا تطورات واضحة في مواقف قواه الاجتماعية ذلك لان فكر الخوارج السياسى قوامه المساواة بين كافة العناصر والاجناس دون تفرقة أو تمايز . وانتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب في النصف الاول من القرن الثانى الهجرى احدث انقلابا في موازين القوى الاجتماعية ببلاد المغرب ، اذ هوت بعض العناصر التى كانت تحتكر السلطة السياسية وصعدت عناصر كانت مغلوبه على امرها لتقف على قدم المساواة مع القوى الاخرى او نالت حظها في بعض الاحيان في قيادة الثورات وتولى مقاليد الحكم والسياسة .

لقد كان المجتمع المغربى قبيل انتشار مذهب الخوارج مجتمعا متمايزا غير متجانس . وكانت قواه وعناصره في صراع طائفى وعنصرى دائم ، فالعرب تمتعوا بوضع ممتاز باحتكارهم شؤون الحكم وهيمنتهم على السلطة . ومع ذلك دب الشقاق والصراع على الصدارة بين العرب اليمينية والعرب القيسية مما اضعف العنصر العربى عموما في اواخر العصر الاموى .

اما البربر — سكان البلاد الاصليين — فعلى الرغم من أنهم يمثلون السواد الأعظم من السكان لم يكن لهم وزن كبير في الحياة السياسية ورغم ما كان بينهم وبين العرب من عدااء لم يسلموا من آفة الخصومات القبلية كالصراع بين « بربر الوبر » و « بربر المدر » ، أى بين عنصرى البتر والبرانس ، وهو صراع قديم متوارث ظل قائما طوال العصر الاسلامى .

الى جانب العرب والبربر وجدت ببلاد المغرب اقلية ضئيلة من الافارقة والسودان واليهود ولم يكن لتلك الاقلية كبير وزن في الحياة السياسية في عصر السيادة الاموية والتعصب للعرب . فالافارقة اصلا من البربر الذين اختلطوا بالروم واعتنقوا ديانتهم ، او من الاجانب الذين طال استيطانهم في بلاد المغرب حتى اصبحوا « افارقة » . وقد اعتنق هؤلاء واولئك الاسلام على امل الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية المتميزة التي تمتعوا بها في العصر البيزنطي ، لكن بعض ولاة بنى امية اضطهدوهم وعاملوهم معاملة الموالي (238) .

أما السودان ، فكانوا يجلبون من افريقية جنوبى الصحراء عن طريق الغزوات العربية لاطراف بلادهم ، او يجلبون كرقيق عن طريق التجارة (239) . وقد اختلط كثيرون منهم بالبربر ، واعتنق بعضهم الاسلام.

وكانت ببلاد المغرب أعداد غفيرة من اليهود هاجروا اليها في العصر الروماني . وظل هؤلاء يعيشون عيشة العزلة عن المجتمع المغربى ، وشكلوا اقلية كان لها دور كبير في النشاط الاقتصادي . واذا كانوا قد تمتعوا بالحرية الدينية بعد الفتح الاسلامى باعتبارهم اهل ذمة ، فقد تعرضوا لكثير من مظالم الولاة الامويين (240) .

كسنت ثورات الخوارج في المغرب تمثل في بعدها الاجتماعى صراعا بين العرب والبربر بسبب سياسة بنى امية في التعصب للعنصر العربى ، ولهذا حرص ثوار الخوارج على « الفتك بأمر العرب » (241) عموما ، والقرشيين منهم بوجه خاص (242) . ولعل في قول هشام بن عبد الملك عقب هزيمة العرب في موقعة الاشراف سنة 123 هـ ( 741 م ) « والله لاغضببن غضبة عربية » (243) ما يشير الى ذلك الطابع العنصرى للصراع .

والذى تؤكد ان هذا الصراع تمخض عن اضعاف شوكة العرب ، فقد قتل كثيرون منهم في معارك الاشراف « التي فنى فيها حماة العرب

(238) انظر : البكرى : المغرب : ص 6 ، مؤنس : ثورات البربر ص 153 .

(239) انظر : اليعقوبى : البلدان ص 345 .

(240) Julien : Op. Cit. P. 203

(241) ابن خلدون : العبر ج 6 صفحة 111 .

(242) ابن عذارى : ج 1 ص 70 ، ابن خلدون : المرجع السابق ص 112 .

(243) الرقيق : ص 159 ، ابن عذارى : ج 1 ص 83 .

وغيرسانها وكماتها وابطالها « (244) وبقدورة التي كان فيها مصير الجيش العربي « ثلث مقتول وثلث منهزم ، وثلث مأسور » (245) والقيروان سنة 139 هـ ( 756 م ) التي أجهزت فيها ورفجومة « على كل من بالمدينة من القرشيين » (246) .

ثم كان سقوط الخلافة الاموية وقيام الدولة العباسية سنة 132 هـ ( 750 م ) واعتماد العباسيين على الجند الخراساني والفراسي في مواجهة ثورات الخوارج في البلاد (247) اذ الثابت أن أعدادا كبيرة من الجند الخراساني والفراسي وفدت الى بلاد المغرب في حملات محمد بن الاشعث سنة 142 هـ ( 759 م ) ويزيد بن حاتم سنة 154 هـ ( 771 م ) وهرثمة بن أعين سنة 179 هـ ( 765 م ) وقد نافس هؤلاء الجند العرب مكان الصدارة .

أما البربر فان اعتنائهم مذهب الخوارج ساعد على توحيد شملهم تحت لواء واحد . فقد جمعهم جميعا بترا وبرانس مبادئ الخوارج التي تحض على العدل والمساواة . واختفت - الى حين - نزعات الخصومة والتناحر بين بربر الوبر وبربر المدر واشتركوا جنبا الى جنب في الثورة على العرب (248) . وقيام دولتي الخوارج اكد هذه الوحدة للبربر ، فدولة بنى مدرار ضمت صفرية المغرب من البتر والبرانس على السواء ، وتكاثفت مكناسة وزناتة من البتر مع صنهاجة وزويلة ومسوفة ولتونة من البرانس على تأسيسها (249) . والدولة الرستمية عاشت في كنفها قبائل هوارة ولواتة ومكناسة ومزاتة ولماية وغيرها (250) .

كما أدى انتشار مذهب الخوارج الى ظهور عنصرى الامارقة والسودان بعد أن كانا على هامش الحياة السياسية من قبل . فاعتناق الامارقة المذهب الصفرى ، أهل زعيمهم عبد الاعلى بن جريج لتولى حكم طنجة من قبل ميسرة (251) وتغلغل المذهب ذاته بين السودان أفضى الى

- 
- (244) ابن عبد الحكم : ص 294 ، الرقيق : ص 111 .
  - (245) مجهول : أخبار مجموعة : صفحة 34 .
  - (246) المالكي : رياض النفوس : صفحة 107 .
  - (247) الرقيق : ص 159 ، ابن عذارى : ج 1 ص 83 .
  - (248) راجع : ابن عبد الحكم : ص 294 ، ابن الاثير : ج 5 ص 70 .
  - (249) اليعقوبى : البلدان ص 359 ، ابن خلدون : ج 6 ص 129 .
  - (250) ابن خلدون : ج 6 صفحة 121 .
  - (251) ابن عبد الحكم : ص 293 ، ابن عذارى : ج 1 ص 52 .

تقلد زعيمهم عيسى بن يزيد الاسود رئاسة دولة بنى مدرار سنة 140 هـ  
( 757 م ) ( 252 ) .

وقد أدى قيام دول الخوارج المستقلة في بلاد المغرب الى انشاء  
مدن أسهمت في تحقيق الاستقرار الاجتماعى والبشرى ( 253 ) .

فى واحة تافيلالت أسس الصفرية سجلماسة سنة 140 هـ ( 254 )  
( 757 م ) وأخذت المدينة الصغيرة التى لم تكن عند نشأتها سوى « مجمع  
للصفرية » تتسع ويزداد عمرانها شيئا فشيئا ، إذ أقبلت القبائل على  
سكنها ، فبنت الضواحي والارياض ( 255 ) ، وأعتادت حياة الاستقرار ،  
وترك معظمها حرفة الرعى الى الاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة .  
وأدى ذلك الى عمران اقليم تافيلالت بعد ان كان يعانى نقصا فى السكان .

فقد جذبت المدينة الجديدة بطون مكناسة الضاربة فى وادى  
ملوية ( 256 ) ونواحي تازا وتسول بالمغرب الاقصى ( 257 ) فهجروا مواطنهم  
واستقروا بها . كما وفدت اليها بطون من صنهاجة اللثام من مسوفة  
ولتونة ( 258 ) وزويلة ( 259 ) وغيرها . كذلك نزحت جماعات من الجنوب  
من بلاد السودان لتسهم فى عمران الاقليم وتقيم فيه بصفة دائمة . وقد  
اغرى ازدهار المدينة بعض العناصر الاندلسية ، فهجرت بلادها واقامت  
بسجلماسة ايضا ( 260 ) ونظرا لاهمية موقعها التجارى الممتاز ، ولوفرة  
مناجم الذهب والفضة باقليم تافيلالت ، فقد تصدها اليهود طمعا فى الثراء  
وطلبا للامن والاستقرار ( 261 ) .

ولا شك ان هجرة القبائل الى سجلماسة ادى الى تحولها من  
حياة البداوة الى حياة الاستقرار وغيرت الكثير من مظاهر حياتها الاجتماعية  
فى عاداتها وتقاليدها ( 262 ) واختلطت بعناصر أخرى وافدة كالسودان

- 
- ( 252 ) البكرى : صفحة 149 ،  
( 253 ) ابن خلدون : المقدمة : صفحة 112 .  
( 254 ) البكرى : صفحة 148 .  
( 255 ) الادريسي : صفحة 160 .  
( 256 ) اليعقوبى : البلدان : صفحة 359 .  
( 257 ) ابن خلدون : ج 6 ص 129 ،  
( 258 ) مجهول : الاستبصار ص 201 ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص 271 .  
( 259 ) المقدسى : صفحة 231 .  
( 260 ) أبو العرب تميم : صفحة 80 .  
( 261 ) الاستبصار : صفحة 202 .  
( 262 ) البكرى : صفحة 148 .

## والاندلسيين .

وقيام الدولة الرستمية سنة 162 هـ ( 779 م ) كان له آثاره الاجتماعية في حياة سكان بلاد المغرب الاوسط ، فقد تحول اقليم تاهرت من غابات وغياض وآجام للوحوش والزواحف (263) الى مدينة عامرة أهلة بالسكان مزدانة بالعمائر والزروع . كما تحولت غدامس ووارجلان وودان وزويلة من مجرد قرى مغمورة على حافة الصحراء الى منافذ وثغور داخلية أهلة بالحركة والنشاط بفضل تجارة بنى رستم مع بلاد السودان (264) . وترتب على ذلك انتقال السكان من حياة البداوة والترحال الى حياة الحضارة والاستقرار . فقبائل هوارة ومزاتة ولواتة وسدراتة ولماية أنفت معظم بطونها احترام الرعى وأتدمت على الاشتغال بالزراعة والتجارة وتركت مواطنها الاصلية لتستقر في تاهرت وما حولها « واتخذت العير والخيول ونالها من الكبر ما نال أهل المدينة » (265) . وما لبثت أن تطلعت الى السلطة فشاركت في الفتن والثورات على أئمة بنى رستم ، وقدر لبعضها الظفر بالحكم كما حدث بالنسبة لمحمد بن مسالة الهواري (266) .

ولما كان أئمة بنى رستم من الفرس ، فقد جذبت تاهرت كثيرا من العناصر الفارسية حيث شكلوا قوة اجتماعية لها وزنها حتى كانوا أشبه « بدولة داخل الدولة » وليس ادل على نفوذهم من أن زعيمهم ابنتى سوكا « لم يكن صاحب شرطة الامام أفلح ليجرا على دخوله أو ينخلله ، هيبه وخوفا » (267) .

هذا وقد احتوت دولة بنى رستم جماعات كبيرة من العرب نزحوا الى تاهرت لشهرتها التجارية ، او فرارا من الاضطهاد المذهبي أو هربا من افريقية بعد فشل ثوراتهم على الامارة الاغلبية . وكان لهم دور بارز في أحداث الدولة الرستمية في عصرها الاوسط (268) . الامر الذي أثر تأثيرا عميقا في حياة المجتمع الرستمي . ونعتقد أن العناصر الاباضية

- 
- (263) أبو زكريا : ورقة 13 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 99 .  
(264) انظر : الادريسي : ص 132 ، اليعقوبي : البلدان ص 345 .  
(265) ابن الصغير : صفحة 27 .  
(266) انظر : النفوسى : صفحة 336 .  
(267) ابن الصغير : صفحة 27 .  
(268) النفوسى : ج 2 صفحة 182 .

الوافدة لعبت دورا بارزا في هذا الشأن باعتبارها اكثر حضارة ورقيا من القبائل البدوية سكان البلاد الاصليين ، ومن مظاهر ذلك تحول البلاط الرستمي عن حياة الزهد والتقشف الى حياة الترف والدعة لقد كان عبد الرحمن بن رستم — أول أئمة بني رستم — ورعا زاهدا ، فبيته لم يكن به الا « حصيرا فوقه جلد ووسادة ينام عليها ، وسيفه ورمحه ، وفرس مربوط في ناحية من داره » (269) أما خلفاؤه فقد عاشوا حياة خلفاء المشرق وملوك الفرس ، فامتلكوا القصور والضياع والمنازل والحصون التي اقاموها بنواحي تسلونت خارج تاهرت (270) ، واقتنوا الجوارى والغلمان (271) والعبيد والحشم (272) وكان لخيولهم وخدمهم وعبيدهم منازل خاصة بحصن نماليت خارج المدينة (273) . وانصرف معظم الرستميين الى حياة الترف والدعة والولع بالفنون والآداب (274) كما تطرق الفساد الى « الرستمية » فكانوا يخاطبون العياريين والشطار وينادمون الفتيات ، ويعتدون على الحرائر (275) .

كما تشبه بنو رستم بالمشاركة في اقامة الاسمطة « والجفان » لاطعام الفقراء ايام الاعياد والمناسبات الهامة (276) . فكانت تقام الاحتفالات اننى يحضرها وفود من كافة انحاء الدولة ، وكان عمال الامام ورؤساء القبائل ينزلون في « دار الضيافة » ويعودون الى عمالاتهم او الى مضاربهم بعد ان تجرى عليهم الارزاق وتوزع عليهم الهدايا والالطاف (277) .

وفضلا عن ذلك كان اختلاط البربر بالعناصر الوافدة له حسناته كما كان له مساوئه أيضا ، فقد اقام البربر في ظل الحكم الرستمي « قصورا منظمة وابنية مبهجة وتبابا مرتفعة ، واسواقا مزدحمة ، ومساجد متعددة بمنارات عالية ، وحمامات متقنة . واتخذوا الفرش والستائر المزخرفة والخيل المسومة ، وتنوعت الالبسة وتعددت اللغات والازياء » (278) يقابل

- 
- (269) ابن الصغير : صفحة 11 .
  - (270) نفس المصدر : صفحة 48 .
  - (271) نفس المصدر : صفحة 25 .
  - (272) ابن الصغير : ص 34 ، النفوسى : ص 266 .
  - (273) ابن الصغير : صفحة 52 .
  - (274) نفس المصدر : صفحة 31 .
  - (275) نفس المصدر : صفحة 49 .
  - (276) نفس المصدر : صفحة 26 .
  - (277) نفس المصدر : صفحة 47 .
  - (278) نفس المصدر : ص 56 ، النفوسى : ص 85 .



ذلك تحلل المجتمع الرستمي وتفتشى الرذائل فيه « فقد ظهر المنكر ، وكثر  
الفسق وشرب الخمر » (279) وهو ما عبر عنه ابن الصغير (280) بقوله  
« فسد البلد وفسد أهلها . . فاتخذوا للمسكر أسواقا والغلمان اخدانا »  
وعجت الطرق بمناسر اللصوص وخاصة « من سفهاء زناتة » (281) وهذا  
هو الذى اثار ثائرة شيوخ المذهب فتمرموا بهذه المفاسد وأظهروا  
سخطهم عليها (282) .

وجدير بالذكر أن من أهم اثار الخوارج فى المجتمع المغربى بروز دور  
المرأة ، فكما اشتهرت بعض نساء الخوارج فى الشرق — كغزالة أم شبيب  
ابن يزيد الشيباني (283) — فى فنون السياسة والحرب ، واسهام بعضهن  
فى النشاط السرى الخاص بالتنظيم والدعوة (284) ، برزت كثيرات من  
نساء الخوارج فى المغرب فى نواحى السياسة والثقافة . فقد تولت جدة  
المنتصر سمكو بن محمد الوصاية عليه وامسكت بزمام السلطة فى سجلماسة  
حين كان قاصرا (285) . وأخت الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم  
بزته فى علم الفلك وتفوقت عليه فى قراءة الطوالع والنجوم (286) . وكانت  
غزالة زوجة أبى اليعتقان محمد « مالكة لامره » (287) حتى لقد أرغمته  
على تقليد ابنها أبى حاتم يوسف ولاية العهد (288) . ولا يخفى دور دوسر  
ابنة أبى حاتم يوسف فى احداث العصر الرستمي الاخير ، تلك التى أودت  
بالدولة الرستمية (289) .

- 
- (279) الشياخى : السير : صفحة 263 .  
(280) سيرة الائمة الرستيين : صفحة 55 .  
(281) نفس المصدر : صفحة 49 .  
(282) تأليف أحد هؤلاء الفقهاء من تبرج نساء تصطالبة قائلا « ما اكثر اماء هذا البلد » .  
انظر : الشياخى : السير : ص 281 .  
(283) الطبرى : ج 6 صفحة 275 .  
(284) الشياخى : السير : صفحة 108 ، 109 .  
(285) البكرى : صفحة 151 .  
(286) الشياخى : السير : صفحة 193 .  
(287) النبوسى : صفحة 264 .  
(288) ابن الصغير : صفحة 50 .  
(289) أبو زكريا : ورقة 36 .

## رابعاً :

### الحياة الثقافية

ترك الخوارج آثارا واضحا في الحياة الثقافية ببلاد المغرب . اذ ان مذهب الخوارج تضمن آراء خاصة تفرد بها عن سائر المذاهب الاسلامية النوافذة الى المغرب . ولما كانت هذه الآراء تمثل في جوهرها عودة الى تعاليم الاسلام الصحيحة ، فقد اقبل المغاربة على اعتناقها اكثر من اقبالهم على أى مذهب آخر . وقد سبق التعريف بدور دعاة الخوارج في بث مذهبهم بين شيوخ القبائل الذين تحولوا الى دعاة للمذهب بين قبائلهم حتى عمت الدعوة سائر بلاد المغرب في النصف الاول من القرن الثانى الهجرى .

وانتشار مذهب الخوارج استلزم تبصير المغاربة بفقهه وآرائه وعقائده ولم يقدر لدعاة الخوارج الاول كعكرمة مولى ابن عباس وسلمة بن سعيد وابن مغيطر ان يقوموا بهذا الدور . فاختر المغاربة بعض رجالهم وأوفدوهم فى بعثة الى البصرة للدراسة والتعلم والتعمق فى اصول المذهب وفروعه . واستمرت مهمتهم خمس سنوات عادوا بعدها الى المغرب « حملة للعلم » . ثم قاموا بتدريس ما حصلوه بالشرق فى حلقاتهم التى انتشرت فى جهات كثيرة من بلاد المغرب الادنى وافريقية . وفى تلك الحلقات تلقى الاتباع الاصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة وآراء الفرق

الى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات (290) ، فكانت بمثابة مدارس للعلوم العقلية والعقلية في آن واحو ، ومراكز لتعريب البربر ونشر الحضارة العربية أيضا .

ولم تنقطع الصلة بين خوارج المشرق والمغرب فكانت كتب فقهاء المذهب في الشرق وتصانيفهم تفد الى المغرب بشكل دائم (291) . كما دأب فقهاؤهم ومحدثوهم على القدوم الى المغرب للتدريس والافتاء (292) . وفي نفس الوقت لم تنقطع بعوث المغاربة الى المشرق للاخذ عن اعلام المذهب في العراق ومصر والحجاز (293) .

ولا شك ان ذلك الاتصال الثقافى بالمشرق اثرى الحياة الثقافية في بلاد المغرب . فظهر كثيرون من الاعلام المغاربة في العلوم الدينية والدينيوية . كالشيخ مهدي النفوسى المتكلم (294) وابن يانس ذائع الصيت في التفسير والفتحة وأبو حسن الابدلانى (295) وعبد العزيز بن الاوز (296) ، ويعتوب بن سيلوس قاضى وارجلان (297) وغيرهم ممن اثروا بتأليفهم ومصنفاتهم انحية الثقافة ببلاد المغرب وقد ألف هؤلاء بالعربية والفارسية ومنهم من ترك كتباً بلغة البربر كابن سهل الفارسى (298) .

ولا شك ان انتشار آراء الخوارج بين البربر أحدث ثورة فكرية في بلاد المغرب ، وساعد على ذلك التنافس الفكرى بين الخوارج وبين غيرهم

---

(290) الدرجينى : ج 1 ورقة 3 ، البرادى : الجواهر المنتتاة : ورقة 106 ، Masqueray : Op. Cit. P. IXI.

(291) ذكر مؤرخو الإباضية أن إباضية البصرة نسخوا لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم آلاف الكتب لتزويد المكتبة المعصومة بتاهرت . وأورد بعضهم أن ديوان نفوسة كان يحوى ثلاثمائة وثلاثين ألف جزء من مؤلفات المشاركة . انظر : الشماخى : السير . ص 162 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 26 ، البرادى : رسالة في بعض كتب الإباضية . ورقة 207 .

(292) الوسيانى : سير أبى الربيع . ورقة 2 .  
(293) نفس المصدر . ورقة 13 . كانت مواسم الحج فرصة مواتية لالتقاء الإباضية من كافة الاصهار الاسلامية ، وقد حرص المغاربة على الاستفادة من لقائهم بأعلام المذهب فيما يعين لهم من مسائل علمية وفقهية كان يفتى فيها مشاهير الفقهاء كشميب بن المعروف في مصر ومحجوب بن الرحيل بمكة والربيع بن حبيب وغيرهم من العراق .

(294) أبو زكريا : ورقة 20 .

(295) الشماخى : السير : صفحة 155 .

(296) النفوسى : صفحة 70 .

(297) نفس المصدر : صفحة 48 .

(298) نفس المصدر : صفحة 68 .

من اتباع المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى التي وفدت الى بلاد المغرب .  
وأهم الملاحم الفكرية التي جرت في هذا الصدد كانت مع السنة المالكية  
والمعتزلة ، ثم مع الشيعة الفاطميين .

فقد غلب مذهب مالك على افريقية وساد ما عداه من المذاهب  
الأخرى . الا أن مذهب الخوارج تسرب اليها بشقيه الصفرى والاباضى  
وتذكرت كتب الطبقات (299) أن حلقات الصفرية والاباضية كانت تعتد  
في مساجد افريقية ، بل في جامع القيروان ذاته . حيث داب فقهاء الخوارج  
على تدريس تعاليم المذهب ومناظرة مخالفه ومع ما عرف عن المالكية  
من تعصب وبغض لمخالفهم ، فقد سمحوا للخوارج بممارسة نشاطهم  
في افريقية حتى تولى سحنون القضاء فحظر عليهم ذلك ، وبدد حلقاتهم  
وشنت شملهم (300) . ودرج من جاء بعده من القضاة المالكية على  
اضهاد الخوارج في افريقية واذلالهم .

وعلى خلاف ذلك حظى المالكية في دول الخوارج بتسامح الى ابعد  
الحدود حتى ان بعض شيوخهم تولوا المناصب العامة في تاهرت في اواخر  
حكم بنى رستم (301) وليس ادل على هذا التسامح مما يروييه ابن  
الصغير (302) — وهو مالكي عاصر ائمة بنى رستم الاواخر — عن الحرية  
التامة التي تمتع بها المالكية في ممارسة شعائرهم في كافة مساجد تاهرت  
فيما عدا المسجد الجامع . ويحكى ابن الصغير (303) كثيرا عن محاوراته

(299) أبو العرب تميم : ص 120 ، الدباغ : ج 2 ص 55 .

(300) المالكي : ج 1 ص 409 ، الدباغ : ج 2 ص 192 .

(301) الشياخي : السير : ص 263 ، البرادى : الجواهر المنتقاة : ورقة 103 .

(302) سيرة الائمة الرستميين ص 57 .

(303) وهناك مثالا لمناظرة بين ابن الصغير مع ابي الربيع سليمان الهوارى الاباضى يقول  
ابن الصغير : « قال الاباضى : من اين زعمت وزعم اصحابك وغيرهم من الحجازيين  
والعراقيين ان الرجل اذا زوج ابنته البكر وهى صغيرة وأدركت ان لا خيار لها في  
نفسها ، وانتم تقولون ان الرجل اذا زوج امته وعتقت ان لها الخيار . ولا فرق بين  
الامة والصغيرة لان الامة لم يكن لها حكم في نفسها وانما كان الحكم لسيدها ، فلما  
عتقت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار ، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها  
وان الحكم لابيها ، فلما أدركت صار الامر اليها ، فلم منعتوها ما أجزتم للاسة  
والمعنى واحد »

فقلت له : انها اجزنا نكاح الصغار لان النبى (ص) تزوج عائشة بنت ابنى بكر  
بنت سبع وبنى بها وهى بنت تسع .

فقال لى : دعنى من هذا ، فانى لا اجامعك عليها ، ولكن كلمنى من القرآن او من  
باب النظر مع انى لو منيت لك الخبر ما كان لك فيه حجة لانك تعلم ان الله اهل  
لرسوله من النساء ومن عددن اكثر مما اهل لامته ، فان كان عندك حجة غير هذه  
ماذكرها ، ولا فلا تقم لك حجة =

ومساجلاته مع مشايخ الإباضية في كثير من المسائل الفقهية والمذهبية دون أن يتعرض لارهاب أو بطش .

ولما كان المذهب الإباضي أقرب مذاهب الخوارج الى مذهب اهل السنة ، فلم يجد فقهاء القيروان ما يحاولون التحالف مع الإباضية لناوئة المذهب الشيعي (304) . وقد ظهر هذا الائتلاف بشكل واضح في ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد .

أما المعتزلة أو الواصلية فكانت مضاربيهم بالمغربين الاوسط والاقصى حيث شكلوا اقلية لها ثقلها في دول الادارسة وبنى مدرار وبنى رستم . ففى سجنهم اقامت اعداد غفيرة منهم وتمتعوا بحرية وتسامح في رحاب بنى مدرار على الرغم من تطرف المذهب الصفرى (305) . وليس أدل على ذلك من سماح المدرارين لهم بأن « يبعثوا بزكاة أموالهم الى رئيسهم بتاهرت يصرفها حيث شاء » (306) .

و في تاهرت وما حولها كان يقيم ما يربو على ثلاثين ألف من

- 
- == قلت له : فان أوجدتك صحة عقدها من القرآن اترجع .  
مقال : فاذكر لى ذلك .  
قلت له : قال الله تبارك وتعالى : « واللأئى يئسن من المحيض من نسائكم الى اللأئى لم يحضن » .  
مقال لى : عجبا منك ، أنا أسالك عن عقد النكاح ونسخة وأنت تخبرنى عن عدد المويسات وعدة اللأئى لم يحضن .  
قلت : هيهات أبا الربيع غاب عنك المراد .  
وما غاب عنى من ذلك .  
قلت : أخبرنى عن هذه العدد الموضعات من طلاق أم من غيره .  
قال من طلاق .  
قلت : فهل يقع طلاق من غير أن يكون عقد نكاح ؟  
قال : لا .  
قلت : فى المويسات فمنهن اللأئى قد بلغن من السنين مالا يحضن مثلهن ؟  
قال : نعم .  
قلت : واللأئى لم يحضن من الصفر ؟  
قال : نعم .  
قلت : ما وجب الله عليهن عددا ؟  
قال : نعم .  
قلت : أمن طلاق أم من غير طلاق .  
قال : من طلاق .  
قلت : فيكون طلاق من غير عقد نكاح ؟ نسكت ولم يرد جوابا . انظر : سيرة الائمة الرستيين : صفحة 50 ، 51 .  
(304) سعيد بن مقديش : صفحة 125 .  
(305) البغدادي : صفحة 103 .  
(306) البهرادى : الجواهر ورقة 93 .

الواصلية (307) . وعلى الرغم مما قاموا به من دور معاد لائمة بنسى رستم وتمردهم في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، فقد حظوا بتسامح ديني الى ابعد الحدود . وحسبنا ما كان يحدث بين شيوخهم وزعماء الاباضية من محاورات على غرار ما كان يحدث بالشرق بين زعيمهم واصل بن عطاء وبين ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة شيخ اباضية الشرق (308) . ونستشف من المصادر الاباضية أن فقهاء المعتزلة بزوا مشايخ الاباضية في تاهرت ، وافحموا الامام عبد الوهاب ذاته في مساجلاتهم معه . فلم يستطع عبد الوهاب محاجاتهم في كثير من المسائل الجدلية المتعلقة بالعقائد والشرائع ، بدليل استعانتهم بمشايخ المذهب في جبل نفوسة في هذه المساجلات (309) . وكانت المعارك الجدلية بين الاباضية والمعتزلة لا تنقر أبدا (310) . ومع ذلك نعم المعتزلة في العصر الرستمي الاخير بتسامح كبير فكانوا يلتقون في مناظرات ومساجلات مشهورة مع مشايخ الاباضية على نهر مينة خارج تاهرت ، وكان قطب الاباضية المدافع عن مذهبهم ويدعى عبد الله بن اللطى له معهم مواقف مشهودة ، اشاد بها ابن الصغير المالكي (311) .

أما التشيع فقد أخذ سبيله الى دولتي الخوارج في عصرهما الاخير ، فالمذهب الشيعي وفد الى سجلماسة قبل وصول المهدي اليها (312)، ولم يعدم المهدي وجود انصار واتباع في سجلماسة كانوا يستفتونه في امور دينهم ودنياهم ابان وجوده بها (313) .

وتحدث أبو زكريا (314) عن وجود كثير من الشيعة في تاهرت في عصر الرستميين الاواخر . والحق — اننا لم نقف على اى نشاط فكري واضح للشيعة في تاهرت . وان كانت كتب الاباضية تحفل بكثير من

(307) البكري : ص 67 ، ابن خلدون : ج 6 ص 121 .

(308) الدرجيني : ج 1 ورقة 105 .

(309) الشماخي : السير : صفحة 155 .

(310) أبو زكريا : ورقة 20 .

(311) في احدى المساجلات سال شيخ المعتزلة عبد الله بن اللطى : هل تستطيع الانتقال

من مكان لست فيه الى مكان لست فيه ، فقال ابن اللطى : لا . فقال : هل

تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان أنت فيه ، قال : لا . فقال : هل

تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه ، فقال : خرجت منها . .

انظر : ابن الصغير : ص 45 ، الشماخي : السير : ص 223 .

(312) اليماني : سيرة جعفر : ص 120 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 42 .

(313) أبو زكريا : ورقة 36 .

(314) نفس المصدر والصحيحة .

المساجلات والمناظرات بين الاباضية والشيعة بعد سقوط دولة بنى رستم سنة 297 هـ ( 909 م ) ولعل من اكثرها طرافة ما حدث بين ابي نوح وسعيد بن زنفيل الاباضى وبين ابو تميم المعز لدين الله الفاطمى من مواقف تدل على حصافة الشيخ الاباضى من ناحية وتبجيل المعز للعلماء والفقهاء من ناحية اخرى (315) .

ولا شك ان المحاورات والمساجلات بين شيوخ تلك المذاهب وبين فقهاء الخوارج اثرت الحياة العقلية في بلاد المغرب بوجه عام . وهذا ما عبر عنه النفوسى (316) بقوله :

« .. وكثرت الآراء والاقوال ، وانتحل البحث في المذاهب وعظم الجدل حول مسألة الامامة ، فقام كل فريق يطلب الاختصاص بها ويدعى انه اولى واحق بها ، ويقيم على ذلك الحجج والادلة » . والفضل يعزى الى حكام الخوارج في اتاحة الحرية الدينية لتنافس تلك الطوائف وتصارع آرائها . وكان من اثر ذلك ان كثرت الفرق المنشقة على الائمة كالنكار والخلفية والنفائية ، لكن هذه الانشقاقات غدت فكر الخوارج ، وامدته بآراء واجتهادات جديدة . كآراء يزيد بن فندين في الامامة المشروطة ، واجتهادات فرج بن نصر (317) المعروف بنفاسات في تطوير العقائد الاباضية (318) .

(315) لما تبض على ابي نوح وجرى به الى المعز مكبلا بالاصناد ، قال المعز : ان القيود دخلت في رجليك بالعلم ولا تخرج الا بالعلم . قال ابو نوح : عسى الله ان يجعل ذلك كمنارة لذنوبى . فغضب المعز وقال : افنحن مسيونون فيك ، قال ابو نوح : قلت ليس في ذلك ما يدل على اساءتك ، الا ترى ان الله يبغى عباده فيصبروا فيؤجروا ، وليس في ذلك ما يثبت الاساءة لله . فزال غضبه . فطلبته الغفو ، فعفى . . . وقربه . . . وفي احدى مجالس المعز مع العلماء والفقهاء ومن بينهم ابي نوح ، سأل المعز : ما الدليل ان لهذه الصنعة صناعا ، ، واجاب جلساؤه بانجوبة غير مرضية . فقال ابو نوح ، فرأيت ابا تميم كانه يريد الجواب . وتادب ابو نوح وقال : جوابك منهوم من سؤالك ، لان الصنعة بنفسها دليل الصانع ، ولا صنعة بغير صناع . فاعجب المعز بلباقته . انظر الشماخى : السير ص 352 وما بعدها .

(316) انظر : الازهار الرياضية : ج 2 ص 115 .  
(317) وليس ادل على مكانة فرج بن نصر العلمية من رحلته الى بغداد ومواقفه ومحاوراته في بلاط العباسيين مع فقهاءهم وعلمائهم ومحدثيهم ، وظفروه لذلك برضى الخليفة ورعايته . عن هذه الرحلة انظر : ابو زكريا : ورقة 29 ، 30 . وجدير بالذكر ان نفاذا نسخ اiban وجوده ببغداد ديوان جابر بن زيد في الفقه وعاد به الى المغرب . انظر : ابو زكريا : ورقة 30 .

(318) راجع : النفوسى : الازهار الرياضية : ج 2 ص 195 .  
Lewcki : Melanges Berberes Ibadites. P. 280.

وكان أئمة الخوارج يقدرون العلم والعلماء ، فقد عرف عن حكام سجلماسة « حب العلم والرغبة في طلبه وتحصيله » (319) . كما كان البيت الرستمي « بيت العلوم جامعا بفنونها من علوم التفسير والحديث ، وعلم اللسان وعلم النجوم ، والاصول والفروع والفرائض » (320) . وعبد الرحمن بن رستم بويج بالامامة « لعلمه وفضله » وحسبه انه كان من « حملة العلم الخمسة » الى المغرب . وعبد الوهاب بن عبد الرحمن كان له خلواته العلمية الخاصة الى جانب مجالسه العامة التي كان يرتادها طلبة العلم من سائر ارجاء دولته (321) . وأبو بكر بن أفلاح عرف بشغفه بالآداب والتواريخ (322) وكان أبو اليقظان محمد « يدرس في حلقات ثلاث ثلاثة أنواع من العلم » (323) . وكانت مكتبة الاسرة الرستمية - المعروفة بالمعصومة تحوى امهات الكتب الدينية الى جانب مصنفات الفنون والرياضيات والصنائع (324) .

وقد اوضحت سجلماسة وتاهرت من المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب وأمها طلاب العلم من سائر انحاءه وخاصة تاهرت « التسي تعددت بها اللغات واللهجات (325) وجاب علماءها مدن الشرق والمغرب رغبة في طلب العلم وتحصيله (326) كما خرج منها أيضا طلاب العلم الى القيروان وقرطبة (327) .

والى الخوارج يعزى الفضل في وضع البذور الاولى لنشر الاسلام في بلاد السودان الواقعة جنوبي الصحراء ذلك أن الجهود السابقة التي بذلها عقبة بن نافع لم يقدر لها النجاح (328) ، كما أن غزوات عبد الرحمن ابن حبيب وعبيد الله بن الحبحاب لاطراف بلاد السودان لم تتمخض عن شيء

- 
- (319) اسماعيل حامد : نبذة في تاريخ الصحراء القصى . ص 7 .  
(320) الدرجيني : ج 1 ورقة 25 .  
(321) النفوسى : صفحة 197 .  
(322) ابن الصغير : صفحة 31 .  
(323) الدرجيني : ج 1 ورقة 136 .  
(324) أبو زكريا : ورقة 42 .  
(325) الشماخى السير : صفحة 263 .  
(326) من هؤلاء بكر بن حباد التاهرتي الذي سبغ بالشرق وساجل شعراء العراق كدعبل الخزامى وعلى بن الجهم ثم نزل القيروان وناس وناظر علماءها وترك أشعار تتم من علوم مكانته العلمية والادبية . انظر : النفوسى : ص 71 وما بعدها .  
(327) الضبى : بغية المتبس ص 364 ، ابن بشكوال : الصلة ج 1 ص 86 .  
(328) عبيد الله بن صالح : نص جديد : ص 218 .



سوى الحصول على المغنم (329) . كما قام أبو القاسم سمكو بن وأسول أمير سجلماسة بنشر الاسلام على المذهب الصفرى بين الجماعات السودانية التى كانت تعمل فى نقل التجارة عبر الصحراء ، ومعروف أن كثيرين منهم آثروا الاستقرار بسجلماسة بعد اسلامهم . وبفضل بنى مدرار انتشر الاسلام بين قبائل صنهاجة اللثام من مسوفة ولتونة التى كانت تضرب بنواحي سجلماسة على طول المفازة بينها وبين بلاد غانة (330). وقد ازدادت اعداد هؤلاء بسجلماسة حتى وصف البكرى (331) سكانها « بأنهم يلتزمون النقب » . ولما كان لهم دورهم الهام فى الوساطة بين بلاد المغرب من ناحية وبين اقاليم افريقية الغربية من ناحية اخرى تسرب الاسلام عن طريقهم الى تلك الجهات وانتشر لأول مرة بين جماعات التكرور واهل غانة (332) .

أما الاجزاء الوسطى من بلاد السودان — وهى بلاد الكانم أو زغاوة — فقد بلغت الدعوة الاسلامية عن طريق تجار بنى رستم ، إذ أن الرستميين كانوا على صلات تجارية وطيدة مع هذه البلاد ، ومن المحقق أن تلك الصلات أسفرت عن انتشار الاسلام بين بعض الزواغيين على خلاف ما هو شائع عن بقاء زغاوة على « الشرك » حتى قيام دولة المرابطين (333) وما ذهب اليه بعض الدارسين (334) من أن انتشار الاسلام فى بلاد الكانم كان على يد المصريين . والواقع أن بنى رستم وضعوا البذور الاولى لحركة انتشار الاسلام فى تلك النواحي (335) . ولدينا من الادلة ما يؤكد ذلك ، إذ نعلم أن تاضى جبل نفوسة — ويدعى عمرو بن ابن فتح — « بعث عالما كبيرا من أهل الدعوة » الى زغاوة استقر هناك

(329) ابن خلدون : ج 4 صفحة 189 .

(330) الاستبصار : ص 201 ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص 71 .

(331) المغرب : صفحة 148 .

(332) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص 128 ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص 221 . والواقع أن انتشار الاسلام لم يتم بصورة واسعة فى هذه الجهات الا فى عهد المرابطين . انظر : الاستبصار ص 217 ، حسن محمود : المرجع السابق ص 234 .

(333) المأمون : جغرافيته ص 204 .

(334) حامد عمار : علاقات الدولة الملوكية بالدول الامريقية ص 12 .

(335) اقليدس : بعض تواريخ أهل وادى ميزاب : ص 116 .

وطاب له المقام (336). كما أورد الشماخي (337) رواية تدل على اعتناق أحد ملوك زغاوة الاسلام على يد أحد مشايخ نفوسة . وقد أخذ لويسكي (338) بهذه الرواية وكذلك ماسكراي (339) الذي أكد أن الاسلام وصل حتى بلاد غانة عن طريق التجار الإباضية من رعايا الدولة الرستمية. ولعل من أهم آثار الخوارج في الحياة الثقافية في بلاد المغرب تصديهم لمواجهة حركة التشيع التي قام بها الفاطميون الذين حاولوا نشر مذهبهم بوسائل العنف والشدة .

يتضح ذلك من سياستهم في محاولة طمس معالم تراث الخوارج ببلاد المغرب كاحراق المكتبة المعصومة بتاهرت واهدار كتبهم بها (340) . وقد اشترك السنة مع الخوارج في محاربة التشيع وكان انتصارهم وشيكا لولا فشل ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد ، واخفاق حركة الشاكر لله بسجلماسة . اذ لو قدر نجاح هاتين الحركتين لزالت الدعوة الشيعية الاسماعيلية من بلاد المغرب . وبنهاية نفوذ الخوارج السياسي في بلاد المغرب انحصرت ثقافتهم وتراثهم ، وانحصر في بقاع مغلقة في جبل نفوسة وواحة وارجلان ووادي الميزاب .

واذا كانت المادة تعوزنا لدراسة اثر الخوارج في العمارة والفنون في بلاد المغرب ، فالراجح انهم تأثروا في هذا الصدد بمؤثرات شرقية (341)، واندلسية (342) . فكانت عمائر سجلماسة وأبنيتها على نمط أندلسي نتيجة جهود العناصر الاندلسية الوافدة اليها في تعميمها . وقد وصف ابن

(336) الوسياني : سير ابي الربيع : ورقة 4 .

(337) تنص هذه الرواية على ان « ابا يحيى النفوسى سافر الى بلاد السودان ، فالتقى ملكهم ناهل الجسم ضعيف القوى . فقال له : ما بك ؟ قال خوف الموت . قال فأخبرته عن الله وصفاته سبحانه والجنة والنار والصاب وما أعد الله للمطيع والعامى مكذبنى وقال : لو صح عندك ما تقول لما بلغت اليينا تطلب الدنيا . فما زلت اذكر نعم الله وآلائه حتى أسلم وحسن اسلامه » . انظر : الشماخي : السير ص 312 .

(338) Etudes Ibadites. P. 71.

(339) التقى ماسكراي باحد كبار مشايخ وادي ميزاب الإباضية واسمه الشيخ عبد الله . وقد أكد له الشيخ الإباضي تلك الحقيقة ، وأخبره ان جماعات من الإباضية لا تزال موجودة في غانة حتى الوقت الحاضر . انظر :

Chronique d'abou Zakaria. P. 279.

(340) ابو زكريا : ورقة 42 :

(341) Marçais, G : La Berberie musulmane .. P. 116.

(342) ابو العرب تميم : صفحة 80 .

حوقل (343) الكثير منها بأنها قريبة الشبه بأبنية الكوفة . وتفيض كتب الرحالة (344) بوصف روعة هذه العمائر من قصور وأسوار وحصون ومساجد .

كذلك تأثر فن العمارة الرستمي بمؤثرات فارسية (345) سواء في انشاء المدن وتخطيطها (346) ، أو في تشييد المساجد والعمائر والقصور (347) . بينما ظهر الاثر الاندلسي واضحا في القلاع والحصون التي انتشرت خارج تاهرت (348) ابان الصراع بين القبائل والعناصر المختلفة في العصر الرستمي الاخير ، ومن ناحية أخرى ذهب جورج مارسيه (349) الى أن بعض المؤثرات المغربية في العمارة انتقلت الى مصر عن طريق الحجاج المغاربة .

تم بحمد الله

- 
- (343) المسالك والممالك : صفحة 65 .  
(344) انظر : المتدسي : أحسن التقاسيم ص 219 ، سعيد بن مقديش : نزهة الانظار : صفحة 11 .  
(345) Farouhy : Op. Cit. P. 14 .  
(346) أبو زكريا : ورقة 13 .  
(347) ابن الصفيير : صفحة 26 . وقد كشفت اثار بناء يعتقد أنه مسجد في سدراته بصحراء الجزائر في عمر متأخر تدل على تأثر الرستمين بالفن الفارسي . انظر : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص 582 .  
(348) ابن الصفيير : صفحة 38 ، 39 .  
(349) انظر : La Berberie musulmane .. P. 116 .



## الخاتمة

تمخضت الدراسة عن عرض لتاريخ الخوارج السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى . ونعتقد انه بفضل المادة التاريخية الجديدة التى توافرت للبحث امكن دراسة الموضوع وجمع شتاته للمرة الاولى فيما نعلم .

فدعوة الخوارج فى بلاد المغرب لم تحظ من قبل بعناية الدارسين وقد تناولنا هذا الموضوع فى ضوء اعتبارين اساسيين ، أحدهما متعلق بالتطور السياسى الذى حدث للخوارج فى الشرق فى اواخر القرن الاول الهجرى والانتقال الى مرحلة الدعوة والتنظيم السرى فى اطراف العالم الاسلامى بعد فشل ثوراتهم وملاحقتهم فى قلب الدولة الاسلامية . والثانى يكمن فى ملائمة ظروف بلاد المغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لتقبل مذهب الخوارج وانتشاره بين البربر ، فقد كان الفكر السياسى للخوارج فى صورته المتطورة اواخر القرن الاول الهجرى متسقا مع ظروف بلاد المغرب وآمال البربر واهدافهم . وقد امكن الوقوف على طبيعة التنظيم السياسى لخوارج الشرق ونظامه وقياداته ودعائه وأساليب الدعوة والبلاد التى توجه الدعوة اليها . كما حددنا توقيت نزول دعامة الخوارج — الصفرية والاباضية — الى بلاد المغرب وتوضيح جهودهم فى نشر المذهب بين البربر ، مع اسباب التنافر بين الفرقتين وعدم تعاون دعائهم فى بلاد المغرب ، فالصفرية اتجهوا الى المغربين الاوسط والاقصى والاباضية مارسوا نشاطهم فى المغرب الادنى وافريقية .. ثم ابرزنا دور دعامة الصفرية فى نشر المذهب بين قبائل مطفرة ومكناسة وزناتة وبعض قبائل صنهاجة اللثام من مسوفة ولتونة وجدالة فضلا عن بعض العناصر

من غير البربر كالعرب والافارقة وزنوج السودان . كذلك اتضح دور دعاة الإباضية في بث دعوتهم بين قبائل نفوسة وهوارة وزناتة وسدراتة وزواغة ولواتة ومطماطة ، وجهودهم في تثبيت دعائم المذهب وتفقيسه معتنقيه والاستعانة في ذلك برأس تنظيمهم في البصرة . كما نوقشت آراء المستشرق جونييه في تفسير انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب وقد كشفنا عن نسبة تلك الآراء الى المستشرق اميل ماسكراى ، كما أوضحنا ما انطوت عليه من غلو واسراف .

أما عن ثورات الخوارج في عصر الولاة ، فقد تعرض بعض الدارسين لها ، غير انه تسنى لنا الوقوف على مادة جديدة لم يطلع أحد عليها من قبل سواء ما كان منها متعلقا بمصادر السنة أو ما كتبه مؤرخو الخوارج وفقهائهم ، وبفضلها ربطنا بين أسباب ثورات الخوارج في المغرب وبين فكرهم السياسى المتمثل في الدعوة « لامامة الظهور » من ناحية ، وبين تفاقم المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب من ناحية أخرى . وفي عرضنا لثورات الصفرية والإباضية ، أمكن سد كثير من الثغرات في تاريخ هذه الثورات فضلا عن تصويب العديد من التواريخ المتعلقة بتوثيق الوقائع والاحداث ، أو الخاصة بتسلسلها مع توضيح العلل وتنقضى الاسباب . وقد راعينا تتبع تطور هذه الثورات وفق منهج موضوعى دون اخلال بالاطار الزمانى والمكانى للاحداث . وأثبتنا النتائج التى تمخضت عن ثورات الخوارج مع تحليل عوامل نجاحها أو فشلها ، فربطنا بين هذه العوامل وبين موقف الخلافة في الشرق واهتمامها بشؤون المغرب أو انصرافها عنه . كذلك أمكن الربط بين تاجع هذه الثورات أو خفوتها وبين شخصية ولاة القيروان وسياساتهم وما كانوا عليه من قوة أو ضعف . وأوضحنا عوامل القوة والضعف في ثورات الخوارج فعرضنا لقياداتهم وخططهم وأسلحتهم ، كما تحدثنا عن خلافاتهم وتعليلها تعليلا اجتماعيا ومذهبيا ، وعدم التعاون بين فرقتى الخوارج وأسبابه ، ثم بين زعماء الفرقة الواحدة منها ، وبين كل منها وبين نظيرتها في الشرق وما ترتب على ذلك كله من نتائج وآثار .

أما عن دولتى الخوارج في بلاد المغرب فقد أمكن توضيح الظروف التى قامت فيها وقد استرشدنا بمنهج ابن خلدون في التاريخ لدولة بنى مدرار من حيث قيامها اعتمادا على عصبية ممثلة في قبيلة مكناسة ، مع ابراز العامل المذهبى الكائن في تجمع صفرية المغرب الاقصى تحت زعامة امام من

الزنج تطبقنا لمبدأ المساواة في فكر الخوارج السياسى . وعرضنا لانشاء سجلهامة ، وحققتنا الكثير من الروايات التى نسجت حول اختطاطها ، وكذلك اختيار الامام ودلالته المذهبية والاجتماعية . وعللنا سبب الثورة على الامام الاول وكيف انتقلت الامامة الى مكناسة ، واوضحت ان ذلك يمثل نقلة هامة في الفكر السياسى عند الخوارج وخروجنا على تعاليم المذهب ، وانتصارا لعامل العصية من جديد . ثم عرضنا لجهود ابي القاسم سيمكو ابن واسول المكناسى ثانى الائمة والمؤسس الحقيقى للدولة في تثبيت دعائم دولته .

وعالجنا سياسة بنى مدرار الداخلية في ضوء الصراع الاجتماعى من ناحية والمذهبية من ناحية اخرى ، اما اولهما فيمكن في الصراع بين مكناسة وزنوج السودان ، بينما تمثل الصراع المذهبى في ثورات الاباضية على آل مدرار الصفرية . وابرزنا كيف كان عهد اليسع بن ابي القاسم سيمكو يمثل العصر الذهبى للدولة المدرارية التى ظلت قوية بعد موته حتى بلغت شأوتها على عهد اليسع بن مدرار الذى حاول التوسع ومد رقعة دولته على حساب جيرانه الادارسة . لكن مشروعاته توقفت لظهور الخطر الشيعى الذى دهم سجلهامة سنة 297 هـ ( 909 م ) . كما ارخنا لعلاقات بنى مدرار الخارجية في ضوء طابع دولتهم الصحراوى الداخلى وظروفها السياسية ومذهبها الدينى ومصالحها الاقتصادية ، وكيف انتهج بنو مدرار سياسة عدائية مع العباسيين والاغلبة والادارسة ، وعقدوا اواصر الود والصدائة مع بنى رستم واموى الاندلس . وناقشنا عديدا من الروايات القديمة والآراء المستحدثة التى تعرضت بالاشارة احيانا الى علاقات بنى مدرار مع بعض هذه القوى بشكل مخالف لما ذهبنا اليه .

وفي تناول دولة بنى رستم اوضحنا ظروف قيامها في ضوء محنة الخوارج الاباضية في بلاد المغرب اذ ذاك ، وابرزنا دور عبد الرحمن بن رستم في تجميع اباضية المغرب الاوسط بعد تشتت شمل اباضية افريقية والمغرب الادنى على ايدى الولاة العباسيين . ثم جهوده في تأسيس تاهرت وما تضمنه تأسيسها من مغزى سياسى ومذهبى وحشينا مشككة امامة عبد الرحمن بن رستم التى اختلف حولها القدامى والمحدثون ، وانتهينا الى انه بوبيع بالامامة مرتين - استرشادا بفقہ الاباضية - الاولى على انه « امام دفاع » قبل اختطاط تاهرت ، والثانية « كامام ظهور » بعد اختطاطها . ثم عرضنا لجهوده في تثبيت دعائم دولته بتقرير نهج سياستها الخارجية القائم على سياسة المهادنة ، ومواجهة مشاكلها الداخلية من

حيث فرض سلطان الامامة على القبائل داخل حدودها ، وانمام عمران تاهرت ، وارساء نظم الحكم والادارة .

وفي دراسة سياسة بنى رستم الداخلية ، اوضحنا ما تفردت به من شيوع الفتن والثقل الداخلية بصورة اكثر بروزا من اية دولة من دول المغرب الاخرى المعاصرة لها . وارجعنا هذه الاضطرابات السياسية الى اسباب فقهية مذهبية ، او عوامل عنصرية وقبلية ، او نتيجة لموقف الفرق والطوائف المذهبية غير الاباضية وكلها تنطوى على اسباب اقتصادية . وانتهينا الى تحديد ادوار ثلاثة واضحة في تاريخ التطور السياسى لدولة بنى رستم ، كان الدور الاول فيها — ويشمل عهدى عبد الوهاب بن رستم وابنه افلح — يمثل سطوة الامامة وقوتها ، وقدرتها على احباط كافة الحركات المناوئة ذات الطابع المذهبى سواء بالقوة كما فعل عبد الوهاب ، او عن طريق السياسة كما فعل افلح . اما الدور الثانى ، فيشمل عهدى ابنى بكر بن افلح واخيه ابنى اليقظان محمد ، وهو يمثل الصراع العنصرى والقبلى . وفيه خفت صوت الامامة ووهنت قوتها ، ونجحت بعض العناصر فى اغتصاب السلطة فى تاهرت . ولم يحل دون سقوط الامامة سوى ضعف العصبية من جراء الصراع بينها واسلوب الموازنة الذى اتبعه ابو اليقظان محمد فى موقفه من هذه العصبية . اما الدور الثالث من حكم بنى رستم — ويشمل امامتى ابنى حاتم يوسف بن محمد واليقظان بن ابنى اليقظان — فيتسم بتداعى الامامة واضمحلالها وتحكم عامة تاهرت فى تعيين الائمة وعزلهم ، وانقسام الصلة بين عاصمة الدولة واتاليها الشرقية . كما زاد الحالة سوءا تفانم الخلافات داخل البيت الرستمى وقيام افراد البيت بتدبير المؤامرات والاغتيالات ضد بعضهم البعض لتولى الحكم . وقد تضافرت هذه العوامل جميعا على سقوط الدولة الرستمية سنة 297 هـ ( 909 م ) .

اما علاقات بنى رستم الخارجية فقد تأثرت — شأنها شأن بنى مدرار — بوضع الدولة الجغرافى ومذهبها الدينى وظروفها السياسية ومصالحها الاقتصادية وانتهينا الى ان سياسة بنى رستم الخارجية فى جوهرها سياسة دفاعية ، فلم يتناولوا على جيرانهم الا بما تقتضيه ضرورة الدفاع عن حدودهم بل تناقلوا فى بعض الاحيان عن رد خطر جيرانهم الادارسة . كما ان صلاتهم الودية لم تتعد مجرد تبادل السفارات والهدايا ولم تصل قط لدرجة التحالف او التعاون لمواجهة العدو المشترك . ومع



ذلك امكن تقسيم هذه العلاقات الى شئتين ، عدائية وودية . فعلاقات بنى رستم بالعباسيين والاغلبية والادارسة كانت ذات طابع عدائى . اما علاقاتهم مع بنى مدرار وبنى أمية بالاندلس واباضية الشرق ، فقد اتسمت بالطابع الودى . وقد ناقشنا الكثير من الروايات والآراء لقدامى المؤرخين ومحدثيهم فى هذا الصدد .

وقد امكن الربط بين ظهور الدعوة الفاطمية فى بلاد المغرب وبين سقوط دولتى الخوارج فى تاهرت وسجلماسة سنة 297 هـ ( 909 م ) . فأتضح ان التشيع وجد طريقه الى سجلماسة قبل قدوم المهدي اليها واقامته بها . وان المهدي عاش طليقا بالمدينة حتى يتقن امرها اليسع بن مدرار من ان أبى عبد الله الشيعى يدعو اليه ، فقبض عليه وأودعه السجن، على خلاف ما ذكره بعض المؤرخين من أن اليسع نفذ بذلك مشيئة الخليفة العباسى والامير الاغلبى فى القيروان . وقد فندنا هذا الزعم وأثبتنا أن اليسع فعل ما فعله بالمهدى خوفا من الخطر الشيعى على دولته . وتتبعنا الاتصالات بين أبى عبد الله الشيعى وبين المهدي بسجلماسة حتى فرغ الشيعى من القضاء على دولة الاغلبية ، وتوجه الى سجلماسة لتحرير المهدي . وقد عرضنا لروايات المتضاربة حول مصير المهدي فى ضوء المادة التاريخية المتاحة . ثم اثرننا الى تخريب الشيعة الفواطم لسجلماسة والقبض على اليسع بنى مدرار وقتله سنة 297 هـ .

وبعد ذلك تناولنا ثورات الصفرية على الحكم الفاطمى مع بيان اسبابها وأرجعناها الى عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ومذهبية وجغرافية . ثم سياسة الفاطميين فى مواجهة ثورات الصفرية وما انطوت عليه من تهديد وترغيب وفشل تلك السياسة فى دعم نفوذهم بسجلماسة . وعرضنا هذه الثورات ابتداء بالثورة على ابراهيم بن غالب المزاتى سنة 297 هـ وانتهاء بثورة الشاكر لله الذى توفى سنة 352 هـ . ولحملتى الفاطميين اللتين قمعتا الثورتين ، الاولى بقيادة مصالة بنى حبوس سنة 309 هـ ، والثانية بقيادة جوهر الصقلى سنة 347 هـ ، وما درج عليه الفاطميون فى الفترة ما بين الحملتين من اصطناع بعض أفراد البيت الدرارى ليحكموا سجلماسة باسمهم ، وفشلهم فى ذلك . وقد بينا ما وقعت فيه بعض الروايات من خطأ فى تحديد سننى حكم بنى مدرار فى العهد الفاطمى، واسمائهم والقابهم ودرسنا ذلك فى ضوء كتب السكة ، ومقارنة الروايات المتضاربة . ثم ناقشنا آراء البعض حول حركة الشاكر لله الدرارى وفندنا

الزعم بأنه لم يكن خارجيا صفريا ، واثبتنا أن ثورته تمثل رد الفعل الصفرى للسياسة الفاطمية في المغرب الاقصى . وأوضحنا كيف انتهى الامر في سجلماسة بضعف النفوذ الفاطمى ثم انقراض بنى مدرار بعد ذلك . كما تناولنا سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين سنة 297 هـ بعد أن أوضحنا بايجاز مظاهر الفوضى السياسية والاجتماعية والمذهبية في تاهرت في العصر الرستمى الاخير الامر الذى جعلها لقمة سائغة للشيعفة الفواطم ، فقد سقطت تاهرت على يد أبى عبد الله الشيعى دون قتال . الا أننا خطأنا بعض الروايات القائلة بفتح الشيعة تاهرت قبل سقوط دولة الاغلبة ، واثبتنا أن ذلك الفتح لم يتم الا بعد سقوط دولة الاغلبة نفسها . وخلال مناجزة الشيعى للاغلبة كانت الطوائف والفرق غير الاباضية وبعض العناصر الرستمية المعادية لحكم اليقظان بن أبى اليقظان دائبة الصلة بأبى عبد الله تستحثه القدوم لفتح تاهرت . وبالفعل عرج أبى عبد الله على المدينة فى طريقه الى سجلماسة وفتحها وخربها وقتل من وقع فى يده من بنى رستم . لكن جيوشه فشلت فى اسقاط بعض المعازل الاباضية الاخرى كوارجلان وجبل نفوسة .

وقد استرشدنا بفكر الخوارج السياسى فيما يتعلق بامامة الدفاع فى اوقات المحن والملمات فى دراسة الاباضية وثوراتهم على الفاطميين . وأوضحنا فشل هذه الثورات نتيجة تفتت شمل الاباضية من ناحية ، ومناهضة الفاطميين لنشاط الاباضية فى افريقية والمغرب الادنى من ناحية اخرى . ثم عرضنا للثورة الاباضية الكبرى التى تزعمها أبو يزيد مخلد بن كيداد وفسرنا دوافعها السياسية والاقتصادية والدينية ، وفندنا الروايات التى تنفى عن الحركة طابعها الاباضى . وناقشنا موقف أبى يزيد من الاباضية غير النكار والسنة ونجاحه فى ضمهم لحركته فى مقاومة الشيعة الفواطم . كما تناولنا نشأته وثقافته ورحلته الى الشرق واعداده للثورة وقيامه بها . وقد حددنا مراحل ثلاثة اساسية فى مسارها كانت المرحلة الاولى فى صالح أبى يزيد والثوار ، بينما كانت الحرب سجلا بين الفاطميين والثوار فى المرحلة الثانية . اما الثالثة فقد تبدد فيها شمل أبى يزيد وابنائهم الذين تصدوا لقيادة الحركة من بعده حتى قضى عليها بالفشل . ثم عرضنا لدوافع تحامل المؤرخين على أبى يزيد واتباعه سواء اكان هؤلاء المؤرخون سنة أم شيعة أم اباضية وهبية واثبتنا تعصبهم وتجنبيهم على الرجل وحركته . ثم تناولنا النتائج والآثار التى تمخضت عن ثورة أبى يزيد على سياسة الفاطميين فى المغرب وعلى مصير نشاط الخوارج . وانتهينا الى أن حركة

الشاعر للمدرارى الصفرى وثورة أبى يزىد مآلء بن كىءاء الإباضى النكارى كاننا آءر ءركاء الآوارآ البارزة فى ءارىء المآرب الإسلامى . واآءءمنا البءء بءراسة اءر الآوارآ فى المآءمع المآربى ، وقء أمكن ءءبع ءطور فكر الآوارآ السىاسى وآءره على ما قام به الآوارآ من نشاط فى مآالاء الءكم والاءارة . وانءهنا الى أن الآوارآ ءءزموا بءعالىمهم المءهبىة فى هءا الصءء ءءى منءصف القرن ءانى الهآرى ، ءم ءءولوا عن فكرهم السىاسى فىما بعء وآءآءء نظمهم ورسومهم وسىاساءهم طابعا ءىنوبى صرفا مءاءرىن بالانماط ءءرقىة العربىة والفارسىة والاعراف البءوىة والقبلىة المآربىة .

وفىما ىءعلق بأءرهم فى ءىاة بلاد المآرب الاءءصاءىة ، ناقءنا الرأى الشاءع عن مسؤولىة الآوارآ وءءهم عما ءءء ببلاد المآرب من آراب اءءصاءى ، وآواضءنا أن آءور ءفاقم الأءوال الاءءصاءىة فى المآرب ءرآع الى الءكم البىزنطى ، والفاء الإسلامى ءم سىاسة بعض الولاة الأموىىن . لكننا لم نءكر اسهام ءوراء الآوارآ فى سوء الأءوال الاءءصاءىة فى المآرب فى عصر الولاة . آبر أن قىام ءول الآوارآ أفضى الى ازءهار هءه الأءوال وانءعاشها فى نواآى الزراعة والصناعة والءآارة . ءم عرضنا لموقف الآوارآ من سىاسة الفاطمىىن المالىة وآءر ءوراءهم فى ءمل الفاطمىىن على انءهاآ سىاسة معءءلة .

أما عن آءر الآوارآ فى الءىاة الاآءماعىة فى بلاد المآرب فقء أبرزنا ءءءولات الكبرى ءى أءءءءها آراء الآوارآ فى المساواة وءءقىق العءالة الاآءماعىة من اءاعة ءءكىل مواقف القوى والعناصر المآءلفة فى المآءع المآربى من عرب وبربر فضلا عن الاقلىاء الأآرى كالانءلسىىن والافارقة وزنوج السودان والىهود ، ءم آواضءنا الآءار والءءاءآء ءى ءرءبء على قىام ءولءى الآوارآ من ءىء ءءءول من ءىاة البءاوة الى ءىاة الاستقرار ، وهآراء القبائل واءاعة ءوطنها ، وانشاء المءن وامتءاء العمران ، وقءوم عناصر ءرقىة وانءلسىة للاءامة فى كنف ءولءىن الءىءىءىن ، وما ءءآ عن ءلك من ءلاآم انماط الءىاة البءوىة فى المآرب واآءلاطها بالانماط الءضارىة الوافءة ، وانصهارها آبىعا فى بونءة مآربىة ، وما ءمآض عن ءلك كله من آءار طبىة أو سىئة فى المآءع المآربى .

وفىما ىءعلق بأءر الآوارآ فى الءىاة ءءافىة ببلاد المآرب ، فقء أفضى انءءشار مءهب الآوارآ بصورة واسعة الى نءاءآء ءءافىة آىاة نسى

الاهمية فقد وفدت مؤثرات اسلامية شرقيه لتسهم في دعم الاسلام والثقافة العربية في بلاد المغرب . واخذت هذه الافكار تتصارع مع التيارات الاخرى الوافدة ممثلة في فكر السنة والمعتزلة والشيعة ، ونجم عن ذلك اثناء الحياة الثقافية في المغرب . وقد عرضنا للمساجلات والمناظرات بين اقطاب هذه الفرق ووقفنا على كثير من نصوص تلك المساجلات بين فقهاء الخوارج ومشايخ الفرق الاخرى اثبتناها في الحواشي . كذلك عرضنا للانشقاقات المذهبية في فرق الخوارج نفسها في جوانبها الفكرية ووضحنا اثرها في اثناء افكار الخوارج ومعتقداتهم ، وما اضافته بيئة المغرب الى رصيد هذه الافكار والمعتقدات . كما عرضنا لاعلام المفكرين في صنوف العلم المختلفة ، ودور ائمة الخوارج في تشجيع النشاط الثقافي ، والصلات الثقافية بين عاصمتي دولتي الخوارج وبين مراكز الثقافة في المغرب والاندلس ، فضلا عن بلاد الشرق الاسلامي . ثم ابرزنا دور الخوارج في وضع البذور الاولى لحركة انتشار الاسلام في افريقية جنوبى الصحراء ، وهو امر لم يفتن اليه الدارسون من قبل . وعرضنا في ايجاز لدور الخوارج في مجال الفن والعمارة في المغرب ، وتأثرهم بمؤثرات شرقية فارسية واندلسية .

## الملاحى

ملحق رقم (1)

### رسالة ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة الى شيوخ الاباضية بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم (1) . صلى الله على سيدنا محمد النبي

الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

اتانى كتابكم تذكرون فيه ما من الله به عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف  
امرکم فى كثرة من حضرتکم من اهل الخلاف لكم . ولعمري ما اكثرتهم وان  
كثروا باكثر ممن كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم ، فاقتدوا بهم  
يهون عليكم كثرتهم على اخلافكم . نسأل الله العون والتوفيق فى جميع  
اموركم ، وان يكفنا واياكم باسهم ، وان يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين  
الدائرة عليهم ويشفى صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم . فلعمري لقد  
اسرنى ما انتهيتم اليه من امرکم ، وان كان ذلك لم يخف عنا ، غير اننا لم  
نظن الذى كتبتم به الى . والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه .

اتانا كتابكم بمسائل ، فمنها ما رايت ان اجيبكم فيها ، ومنها ما رايت

---

(1) أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة . رسالة فى احكام الزكاة . مخطوط بدار الكتب المصرية  
- رقم 21582 ب ورقة 114 .

الا نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير الا الذى رأيتـه أصلح لجماعتكم  
واقوم لشأنكم وأرفق لضعيفكم وأعطف فى الذى أجيبكم فيه ، فما كان  
من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ فى رواية أو خبر أو غير ذلك  
فمن نفسه .

استغفر الله من جميع ما ليس هو له رضى ..

ذكرتم فى كتابكم العشر وكيف جمعه ، واعلموا رحمكم الله انه (1) ..  
السخ .

### ملحق رقم «2»

#### رسالة حنظلة بن صفوان الى الخوارج الصفرية بطنجة

بسم الله الرحمن الرحيم .

من حنظلة بن صفوان الى جميع اهل طنجة :

أما بعد — فان اهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله  
عليه وسلم قالوا انه يرجع جميع ما انزل الله عز وجل الى عشر آيات :  
أمره ، وزاجره ، ومبشرة ، ومنذرة ، ومخبرة ، ومحكمة ، ومشتبهة ،  
وحلال ، وحرام ، وأمثال .

فأمره بالمعروف ، وزاجره عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة  
بالنار ، ومخبرة بخبر الاولين والآخرين ، ومحكمة يعمل بها ، ومتشابهة  
يؤمن بها ، وحلال أمر أن يؤتى ، وحرام أمر أن يجتنب ، وأمثال واعظة .

( 2 )

فمن يطع الأمرة وتزجره الزاجرة ، فقد استبشر بالمبشرة ، وأنذرتـه  
المنذرة . ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ، ويرو العلم فيما اختلف فيه الناس  
الى الله ، مع طاعة واضحة ونية سالحة ، فقد أفلح وأنجح ، وحيا حياة  
الدنيا والآخرة .

(1) يستطرد فى الإجابة على تساؤلاتهم وفقا لتعاليم المذهب الإباضى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (1) .

( 3 )

### رسالة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الى اباضية طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم .

من امير المؤمنين عبد الوهاب الى جماعة المسلمين بحيز طرابلس  
اما بعد — فاني آمركم بتقوى الله تعالى والاتباع لما أمركم به ،  
والانتهاء عما نهاكم عنه . وقد بلغني ما كتبتم الى به من وفاة السمع ،  
واستخلاف بعض الناس خلفا ، ورد أهل الخير ذلك . فان من ولى خلفا من  
غير رضى امامه فقد اخطأ سيرة المسلمين ومن ابى توليته فقد اصاب .  
فاذا اتاكم كتابي هذا ، فليرجع كل عامل استعمله السمع الى عمله  
الذى ولى عليه ، الا خلف بن السمع حتى ياتيه امرى . وتوبوا الى ربكم  
لعلكم تفلحون (2) .

( 4 )

### رسالة الربيع بن حبيب الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم

ويزيد بن فندين

بسم الله الرحمن الرحيم — وصلى الله على بنينا محمد وآله الطاهرين  
اما بعد — فقد بلغنا يا اخواننا ما كان تملككم ، وفهمنا ما كاتبتمونا به .  
اما ما كتبتم به من أمر الشرط ، فليس من سيرة المسلمين ان يجعلوا الشرط  
في الامامة ان لا يقضى امرا دون جماعة .  
ولو صح في الامامة شرط لما اقيم لله حق ولا حد ، ولعلت الحدود ،  
وبطلت الاحكام وضاع الحق . على أن الامام اذا قدم اليه سارق فلا يصيب  
ان يقيم عليه حدا فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرناها ، أو زنى  
أحد فلا يرحم ولا يجلد حتى تحضر أيضا ، ولا يجاهد الامام عدوا الا ينهى

(1) المالكي : رياض النفوس : ج 1 ص 67 .  
(2) انظر : ابو زكريا : السيرة واخبار الائمة : ورقة 25 . مخطوط بدار الكتب المصرية  
— رقم 9030 ح ، الشماخي : السير : ص 180 ، 181 ، الدرجيني : طبقات  
الاباضية : ج 1 ورقة 31 وجه — مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 12561 ح .

عن فساد الإحضرة الجماعة المعلومة ، والجماعة يتعذر اتفاقها ، فالإمامة  
صحيحة والشرط باطل .

وأما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين إذا كان فيهم من هو أعلم  
منه ، فذلك جائز إذا كان الثاني من القناعة والفضل . فقد ولى أبو بكر وزيد  
ابن ثابت أفرض منه ، وعلى بن أبي طالب أفضى منه ومعاذ بن جبل أعلم  
منه ، وهذا ليس فيه اختلاف ، لقول الرسول (ص) أفرضكم زيد وأفضاكم  
على وأقرأكم أبى ، وأعلم امتى بالحلال وأكرام معاذ بن جبل . وقوله (ص)  
معاذ بن جبل سيد العلماء سيحشر غدا يوم القيامة أمام العلماء وعليكم  
السلام ورحمة الله وبركاته (1) .

( 5 )

### رسالة محمد بن أفلح الى رعاياه

من محمد بن أفلح الى جميع من بلغه كتابنا هذا من المسلمين .  
سلام الله عليكم . فانى أحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو ، وأسأله  
الصلاة على نبي الرحمة وهادى الأمة صلى الله عليه .

أما بعد — فان أفضل ما يتوصى به العباد وتحاضوا عليه ، تقوى  
الله ولزوم طاعته والزجر عن معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من  
القول الطيب والعمل الصالح . وعليكم معاشر المسلمين بالتهىء للقدوم على  
الله والتأهب والاعداد ليوم تشخص فيه الابصار وتتغير فيه الالوان ،  
ويشيب فيه الولدان ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات  
حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله  
شديد . واعلموا رحمكم الله ان أهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة قد  
انقرضوا وثلث الخلوفا منهم ، فرحم الله امرىء مسلم احتسب نفسه  
وارصد لله فى طلب العلم ، والنقص على من حاد الله وعدل عن منهاج  
رسوله (ص) وطريق المحققين من عباده حتى تكون كلمة الله هى العليا  
والباطل زهوقا .

وعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضين من أسلافكم والمتقدمين من  
أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم ، فانتفوا آثارهم ، واهتدوا بهداهم ،

(1) أبو زكريا : السيرة واخبار الانبياء : ورقة 16 .



وأحذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن مهاجمهم ، وخالفوا أهل البسغ  
المضلة والاهواء المذلة . فمن أراد أن يبذل دينكم ، ويلبسكم شيئا ، ويلبس  
عليكم أمركم ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان ونبد ما جاء به القرآن ،  
فالبس على الضعفاء أمرهم وزين بدعته في قلوبهم فأخذع من لا بصيرة له  
ولا علم له بما مضى عليه الائمة الراشدون رحمة الله عليهم ، والسلف  
الصالحون من أهل دعوتكم ، فأضل كثيرا ، وضل عن سواء السبيل .  
ونحن ذاكرون لكم ما فيه الكفاية ان شاء الله . وبه نستعين وعليه  
نتوكل وما توفيقنا الا بالله (1) .

( 6 )

خطبة المعز لدين الله الفاطمي في مشايخ كتامة يحضهم على قتال  
الشاكرك لله الدراري .

« . . وهذا الذي كنت ذكرته لكم من غير مجلس ومقام انى لو ندبت  
من عسيت ان اندبه منكم لوجدت فيه ما أريده . . »

بارك الله فيكم وأحسن صحابتكم والخلافة عليكم ، فقد صدقتم ظنى  
فيكم وأملى عندكم وأنتم من معدن البركة وعنصر الخير . بكم بدأ الله اظهار  
أمرنا ، وبكم يتم ويصلحه بحوله وقوته . وقد علمت مسارعتم الى ما  
ندبتم اليه . وأجابتم لما أردتم له ، وأرجو ان تبلغوا من ذلك بحسب الأمل  
فيكم ، ويرفع الله عز وجل بذلك درجاتكم ويعلى به ذكركم . أنتم البنون  
والاخوة والاقربون ، ما يعد لكم عندي أحد ولا يبلغ مبلغكم من قلبى بشر ،  
وما ذلك الا للمالى في قلوبكم . وما نصر الله وليا من أوليائه قبلنا بمثل نصرتكم  
لنا ، على ذلك مضى أمركم ، وعليه أنتم على محبتنا ونصرتنا وموالاتنا  
تتناسلون وتنشؤون ، وبها غديتم وعليها فطرتكم ، فأبشروا بما قسم الله عز  
وجل من الفضل لكم ، فأنتم حزب الله وأنصاره وجنده وأحباؤه .

والله ما أردت بهذا البعث الذى بعثتكم فيه شرا استدفعه ، ولا  
دفع مكروه أخافه ولا استكثرارا من الدنيا أصيبها . أما المكروه ، فقد علم  
الخاص والعام والقريب والبعيد أن غاية أمانى من حولنا من أهل الارض  
بن المتغلبين ممن دان بملة الاسلام والمشركين ان يسلموا منا ، ويعانوا  
أمر بأسنا ، وما أحد منهم أمسى وأصبح اليوم — بحمد الله — يطمع في شيء

(1) البرادى : الجواهر المنتقاة في انعام ما اخل به كتاب الطبقات لابی العباس الدرجينى  
ورقة 93 ، 94 — مخطوط بدار الكتب المصرية — رقم 21791 ب .

مما عندنا . وأما اكتساب حطام الدنيا ، فهذا نحن نثفق من أموالنا على هذا البعث ما لا نرى نرتجع مثله ، وان مكنا الله وأيدنا ونصرنا . ولكننا أردنا بذلك وجوها منها : ما افترضه الله عز وجل علينا من جهاد من خالف أمرنا وتسمى بأسمائنا ، وادعى ما جعل الله عز وجل لنا . ومنها ان الله عز وجل قد امتحن عباده بالجهاد في سبيله معنا ، فنحن ننبذهم اليه لنعلم المجاهدين منهم والصابرين وليرفع الله عز وجل به درجاتهم ويجزل مآثرهم وينقل حالاتهم فكم منكم اليوم من ينفذ في هذا الجيش تابعا يعود متبوعا ، ومرعوسا يصير رئيسا . انما ترفعكم عندنا وعند ربكم نياتكم وأعمالكم ، وبها تتوسلون اليها والى بارئكم . لولا السنة التي أمر الله عز وجل باتباعها — التي لا يصلح العباد الا بها — ما قدمت عليكم أحد منكم ولا من غيركم ، اذ كل واحد منكم عندي يستحق ان يكون المقدم . ولكن لا يصلح الناس الا برئيس ، وقد قدمت عليكم من علمتموه . أتمته فيكم مقام نفسي ، وجعلته معكم كأذنى وعينى ، وكل امرئ منكم على نفسه بصير . وقد أمرت لكم بأجل العطاء ، أعطيته من قبلكم الى ابعد من مسافتكم ، وقد علمتم انه لم يعط من قبلكم أحد قبلى مثل ما أعطيتكم . ولا استكثرتم لكم ذلك ، بل استقله اقلكم والذي لكم عند الله وعندى في الذى تستقبلونه أجل واكبر .

فسيروا على بركات الله وبمنه وسعادته ونصره وتأييده . كونوا عندما رجوتكم له من العناء والكفاية وصلاح الحال بينكم . احسنوا عشرة بعضكم لبعض ، وعشرة من تصحبونه من غيركم . وانزلوا من ينفذ معكم من عبيدى منازل اخوانكم . واجمعوا معهم كلمتكم ، فهم لكم عضد ولحمة ، ومواليتى تجمعكم واياهم ، فلا تجعلوا بينكم وبينهم فرقا .  
 احسن الله لكم الصحابة وعليكم الخلافة . . « (1)

( 7 )

### حديث المعز لدين الله الفاطمى الى المنتصر لله الدرارى وشيوخ الصفرية بسجلماسة

« .. يا اهل سجلماسة ، فعلتم ما فعلتم فى أيام المهدي بالله واقترد

(1) ابن حيون : المجالس والمسائرات : ج 1 ورقة 27 — 31 مخطوط بجامعة القاهرة  
 رقم 26060 .

عليكم مرة بعد اخرى ، فعفا عنكم ، واحسن اليكم لحلوله فيكم ومجاورته اياكم مدة اقامته فيكم ، كما يراعه من أحله الله محله من كرم الطباع وحسن صنيع من غير يد كانت له عنده ، ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه . فصفح وأحسن ، وعفا وأجمل ، فما رعيتم ذلك حق رعايته ، ولا فهتم بشكره .

ثم لفق فيكم ناعق من الشيطان فلببتموه ، ودعاكم اليه داع فأجبتهموه قام فيكم دعى فيما ادعاه يتوثب على ما تولاه ، قد عرفتم نسبه ودرتيم سببه فتغلب على ظاهر امركم ، وتطلى بالرياسة والتصنع لكم ، وتسمى بأمر المؤمنين وامام المسلمين لكم . على علم لا تشكون ويفين لا تمترون ان ذلك لا يجوز ولا يحل تسليمه . فسلمتموه لمثله له وأطعمتموه وتوليتهموه وابتعثتموه ، ففارقتم جماعة المسلمين ، وخرجتم من حزب المؤمنين ، وحدثتم حدثا عظيما في الدين . وانتهى الينا من امركم وأمره ما لم يسعنا تركه والغفلة عنه ، لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في أرضه ، وجهاد من صدف عن دينه وعن سنة رسوله . وحل محلكم ومحل هذا الفاسق فيكم . فأنهضنا اليكم جيشا من اوليائنا وأنصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم وتقدمنا اليه في الاعذار والانذار اليكم في الانابة والتوبة قبل الوقوع بكم . فلم يزل مع طى المراحل نحوكم يتابع الكتب مع رسوله كيدا في الحجة عليكم ، مرة بالوعد ومرة بالوعيد ، وتارة باللين وتارة بالتشديد ، يدعوكم الى الطاعة والنزوع عما أنتم عليه من المعصية والضلال ، والقبض على عدو الله فيكم ان تمادى على ما هو عليه من الغى والضلال ان استطعتهموه ، والبراءة منه وتركه بجانب ان لم تتقدروا عليه . ووصلت كتبه اليكم ، وادى اليكم من اختار به منكم . وكل ذلك وأنتم على باطلكم مصرون ، وبالفاسق المضل لكم متمسكون . الى ان وصلت جيوشنا بقربكم ، وانتشرت عساكرنا ببلدكم ، وعادين من عاينكم من عيون عدو الله من جمعها وعتادها وقوتها ما أنهاء اليه ، وقد علم انه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عسكرها . فلما نزلت بداركم وأنتم مع الفاسق على ما أنتم عليه . نهض موليا وهاربا متسللا بين اظهركم ، وقد كتمتم تتدرون على أخذه لو أردتموه ، ويمكنكم منعه من ذلك ومن حصاره في داره متى أحببتهموه لو أخذتم بحظكم في ذلك ففعلتموه . لكنكم أتمتم مصرين على طاعته وتوليه الى ان نزع عنكم وأقدرنا الله بفضله واحسانه عليه كعادته الجميلة بلا صنع ولا لغيركم في ذلك ، وأقدرنا عليكم وامكننا منكم ، وأنتم على ما أنتم عليه من غيركم وضلالكم وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم . فسار عبدنا فيكم بما أمرناه

من العفو والصفح والرحمة وانصرف عنكم ، فأحدثتم بعده ما أحدثتم . فماذا تستحقون أن يفعل بكم ؟ فقال قائلهم : أن يعاقب أمير المؤمنين فنحن أهل العقوبة ، وإن يعفى فهو أهل العفو والفضل والرحمة . . فدعا منتصر بن أحمد بن المعتز فقربه اليه وأمره بالجلوس . فقبل الأرض مرارا وشكر لأمير المؤمنين . ثم عطف على الوفد فقال : قد كنتم تستحقون اليم العذاب والنكال ، ولكننا للذي جبلنا عليه من الصفح والعفو والرحمة قد عفونا ما سلف من ذنوبكم ما استقمتم وأصلحتم ، وقد استعملنا عليكم عبدنا هذا — وأومى الى منتصر — فقبل وقبلوا الأرض مرارا . . وأمر بصرفهم الى موضع أنزلهم فيه وخلع على منتصر ونعل كذلك بجماعة من وجوههم . . « (1)

---

(1) ابن حيون : المجالس والمسائرات : ج 1 ورقة 298 — 304 .

## المصادر

### ١ - المراجع العربية المخطوطة :

- 1 - ابن أبي كريمة : ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة ( تاريخ اوآخر القرن الثاني الهجرى ) : رسالة فى احكام الزكاة . مخطوط بدار الكتب - رقم 21582 ب .
- 2 - ابن حيون المغربى : القاضى ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور ابن حيون ( ت 363 هـ ) : شرح الاخبار فى فضائل النبى المختار وآله المصطفين الاخير من الائمة الاطهار عليهم السلام . مخطوط بدار الكتب رقم 7062 ح .
- 3 - ابن حيون المغربى : اساس التأويل الباطنى . مخطوط بدار الكتب رقم 24346 ح .
- 4 - ابن حيون المغربى : المجالس والمسائرات . ج 1 ، 2 . مخطوط بجامعة القاهرة - رقم 26060 .
- 5 - ابن العروى : ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى ( ت 543 هـ ) . القواصم والعواصم - مخطوط بدار الكتب - رقم 22031 ب .
- 6 - ابن فضل الله العمري : شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى ( ت 749 هـ ) . مسالك الابصار ج 5 - مخطوط بدار الكتب رقم 4376 ج .
- 7 - ابن وردان : تاريخ الاغالبه فى مملكة تونس - مخطوط بدار الكتب - رقم 2199 تاريخ - يتمورية .

- 8 - **أبو زكريا** : يحيى بن أبى بكر ( ت النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ) . السيرة وأخبار الأئمة - مخطوط بدار الكتب - رقم 9030 ح .
- 9 - **الانصارى** : أحمد بن الحسين النائب الانصارى : نفحات النسرين والريحاني فيمن كان بطرابلس من الاعيان - مخطوط بدار الكتب - رقم 1071 ح .
- 10 - **البرادى** : أبو القاسم بن ابراهيم البرادى ( ت 697 هـ ) . الجواهر المنتقاة فى اتمام ما اخل به كتاب الطبقات لابي العباس الدرجينى . مخطوط بدار الكتب . رقم 8456 ح .
- 11 - **البرادى** : رسالة فى ذكر كتب الإباضية . مخطوط بدار الكتب - رقم 21791 ب .
- 12 - **البياسى** : يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصارى ( ت 653 هـ ) الاعلام بالحروب الواقعة فى صدر الاسلام مخطوط بدار الكتب - رقم 8739 ح .
- 13 - **جعفر بن أحمد بن عبد السلام** : ( ت اواخر القرن الحادى عشر الهجرى ) . ابانة المناهج فى نصيحة الخوارج . مخطوط بدار الكتب - رقم 25499 ب .
- 14 - **الخرزجى** : جمال الدين أبو الحسن على بن ظافر ( ت 623 هـ ) اخبار الدول المتقطعة . مخطوط بدار الكتب - رقم 890 تاريخ .
- 15 - **الدرجينى** : أبو العباس أحمد ( ت منتصف القرن السابع الهجرى ) طبقات الإباضية ج 1 ، 2 . مخطوط بدار الكتب - رقم 2561 ح .
- 16 - **الشماعى** : أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد ( ت 928 هـ ) : شرح مقدمة اصول الفقه . مخطوط بدار الكتب - رقم 21587 ب .
- 17 - **السوفى** : أبو عمر عثمان بن خليفة المرغنى ( ت اواخر القرن السادس الهجرى ) : شرح السؤالات - مخطوط بدار الكتب - رقم 21789 ب .
- 18 - **الصغرى** : أبو غانم : مدونة أبى غانم الصغرى - مخطوط بدار الكتب - رقم 21582 ب .

- 19 - **العيسى** : بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد ( ت 855 هـ ) :  
عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان . ج 11 ، 13 ، 15 مخطوط  
بدار الكتب - رقم 1584 تاريخ .
- 20 - **القاضي عياض** : عياض موسى اليحصبي ( 544 هـ ) : ترتيب  
المدارك وتعريب المسالك لمعرفة اعيان مذهب مالك . قسم I من  
ج 2 . مخطوط بدار الكتب - رقم 96730 ح .
- 21 - **المأمون** : الخليفة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد : جغرافية  
المأمون . مخطوط بدار الكتب - رقم 1949 ط .
- 22 - **مجهول** : تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين والاندلسيين  
- مخطوط بدار الكتب - رقم 4419 ح .
- 23 - **مجهول** : قطعة من كتاب في الاديان والفرق . مخطوط بدار  
الكتب - رقم 22298 ب .
- 24 - **مجهول** : كشف الغمة لخبار الامة . مخطوط بدار الكتب -  
رقم 12968 ح .
- 25 - **مجهول** : محاوراة بنى شيعي وخارجي في شأن الشيخين ابي  
بكر وعمر وشأن الحكمين وما قيل في ذلك - مخطوط بدار الكتب  
- رقم 19882 ب .
- 26 - **محمد الشطي المغربي** : الجمان في اخبار الزمان - مخطوط بدار  
الكتب - رقم 1416 تاريخ .
- 27 - **النصوري** : ركن الدين بيبرس الدوادار ( ت 729 هـ ) : زبدة  
الفكرة في تاريخ الهجرة . ج 4 ، 5 - مخطوط بجامعة القاهرة  
- رقم 24027 .
- 28 - **الناصرى** : عثمان بن عبد العزيز بن منصور ( ت 1259 هـ ) :  
منهج المعارج لخبار الخوارج - مخطوط بدار الكتب - رقم  
2144 تاريخ - تيمورية .
- 29 - **النويرى** : شهاب الدين احمد ( ت 732 هـ ) : نهاية الارب في  
فنون الادب . ج 22 ، 26 - مخطوط بدار الكتب - رقم 549  
معارف عامة .
- 30 - **النيسابورى** : احمد ابراهيم ( ت اواخر القرن الرابع الهجرى ) :  
استتار الامام - مخطوط بدار الكتب - رقم 11497 ح .

31 - **الوسيانى** : ابو الربيع عبد السلام ( ت 471 هـ ) : سير أبى الربيع بن عبد السلام الوسيانى - مخطوط بدار الكتب - رقم 9113 ح .

### ب - المراجع العربية المطبوعة :

32 - **ابن الأبار** : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى ( ت 658 هـ ) : الحلة السراء ج 1 ، 2 القاهرة 1963 .

33 - **ابن أبى دينار** : ابو عبد الله محمد بن أبى القاسم القيروانى ( ت 1092 هـ ) ، المونس فى أخبار افريقية وتونس . تونس سنة 1350 هـ .

34 - **ابن أبى زرع** : ابو الحسن بن عبد الله بن أبى زرع الفاسى ( ت 720 هـ ) : الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ج 1 . الرباط سنة 1936 م .

35 - **ابن الاثير** : محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد النشيبانى ( ت 630 هـ ) : الكامل ج 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 . القاهرة سنة 1303 هـ .

36 - **ابن بشكوال** : ابو القاسم خلف بن مالك ( ت 578 هـ ) : الصلة فى تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم - ج 1 ، 2 . القاهرة سنة 1955 م .

37 - **ابن بطوطة** : محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى ( ت 1377 م ) : تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ج 2 .

38 - **ابن تغرى بردى** : جمال الدين أبى المحاسن يوسف ( ت 874 هـ ) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - ج 1 ، 2 ، 3 . القاهرة سنة 1963 م .

39 - **ابن حزم** : على بن احمد بن سعيد ( ت 456 هـ ) : جمهرة انساب العرب . القاهرة سنة 1962 م .

40 - **ابن حزم** : الفصل فى الملل والنحل . القاهرة سنة 1317 .

41 - **ابن حزم** : نقط العروس فى تاريخ الخلفاء . القاهرة سنة 1951

42 - **ابن حماد** : محمد بن على ( ت 628 هـ ) : أخبار ملوك بنى



- عبيد وسيرتهم . الجزائر سنة 1346 هـ .
- 43 - **ابن حوقل** : أبو القاسم بن حوقل ( ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ) : المسالك والممالك . ليدن سنة 1873 م .
- 44 - **ابن حيان** : حيان بن خلف بن حسين ( ت 469 هـ ) : المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس نشر منشور أنطونيا . باريس سنة 1937 م .
- 45 - **ابن حيان** : المقتبس فى أخبار بلد الاندلس تحقيق الحجر التونسى بيروت سنة 1965 م .
- 46 - **ابن خرداذبة** : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ( ت حول سنة 300 هـ ) المسالك والممالك . ليدن سنة 1889 م .
- 47 - **ابن الخطيب** : لسان الدين محمد بن الخطيب السلماني ( ت 940 هـ ) اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام . ج 2 . بيروت سنة 1956 م .
- 48 - **ابن الخطيب** : تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط . وهو الجزء الثالث من كتاب اعمال الاعلام . الدار البيضاء سنة 1964 .
- 49 - **ابن الخطيب** : رقم الحل فى نظم الدول . تونس سنة 1316 هـ .
- 50 - **ابن خلدون** : عبد الرحمن بن محمد ( ت 808 هـ ) : العبر ديوان المبتدا والخبر . المقدمة ، ج 3 ، 4 ، 6 ، 7 . بولاق سنة 1284 هـ ، القاهرة سنة 1957 م .
- 51 - **ابن خلكان** : شمس الدين أبو العباس احمد ( ت 681 هـ ) : وفيات الاعيان ج 1 القاهرة سنة 1910 م .
- 52 - **ابن الداية** : سيرة احمد بن طولون . برلين سنة 1894 م .
- 53 - **ابن الدلائى** : احمد بن عمر بن انس العذرى ( ت 478 هـ ) : نصوص من الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتفرغ الآثار ، والمسالك الى جميع الممالك . مدريد سنة 1965 م .
- 54 - **ابن رسته** : أبو احمد بن عمر : الاعلاف النفسية ج 7 ليدن سنة 1891 م .
- 55 - **ابن سعيد** : على بن موسى بن محمد ( ت 673 هـ ) : المغرب فى حلى المغرب ج 1 . القاهرة سنة 1964 م .
- 56 - **ابن الصغير المالكى** : انظر : Motylinski

- 57 — **ابن طباطبا** : محمد بن على . الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية . القاهرة سنة 1938 م .
- 58 — **ابن عبد الحكم** : عبد الرحمن بن عبد الحكم بن عين ( ت 257 هـ ) : فتوح مصر والمغرب . القاهرة سنة 1961 م .
- 59 — **ابن عبد ربه** : أحمد بن محمد ( ت 327 هـ ) : العقد الفريد ج 1 ، 2 ، 3 ، 4 . القاهرة سنة 1940 م .
- 60 — **ابن عذارى** : محمد بن عذارى المراكشى ( نهاية القرن السابع الهجرى ) : البيان المغرب فى أخبار المغرب ج 1 ، 2 بيروت سنة 1950 م .
- 61 — **ابن غلبون** : محمد بن خليل : التذكار فىمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخيار . القاهرة 1349 هـ .
- 62 — **ابن فرحون** : برهان الدين بن على ( ت 799 هـ ) : الديباج المذهب فى معرفة اعيان المذهب 1351 هـ .
- 63 — **ابن الفرضى** : عبد الله بن محمد بن يوسف ( ت 304 هـ ) : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ج 1 ، 2 . القاهرة سنة 1954 م .
- 64 — **ابن الفقيه** : ابو بكر أحمد بن محمد : مختصر كتاب البلدان ليدن سنة 1302 هـ .
- 65 — **ابن قتيبة** : عبد الله بن مسلم ( ت 276 هـ ) : الامامة والسياسة ج 1 ، 2 . القاهرة .
- 66 — **ابن قتيبة** : المعارف . القاهرة سنة 1960 م .
- 67 — **ابن القوطية** : محمد بن عمر بن عبد العزيز ( ت 267 هـ ) : تاريخ افتتاح الاندلس بيروت سنة 1957 م .
- 68 — **ابن كثير** : عماد الدين ابى الفدا اسماعيل بن عمر ( ت 774 هـ ) البداية والنهاية ج 9 .
- 69 — **ابن النديم** : محمد بن اسحق ( ت 385 هـ ) : الفهرست القاهرة سنة 1348 هـ .
- 70 — **ابو العرب** : محمد بن أحمد بن تميم ( ت 333 هـ ) : طبقات علماء افريقية . باريس سنة 1915 م .

- 71 - **أبو الفدا** : عماد الدين اسماعيل ( ت 732 هـ ) المختصر في أخبار البشر ج 1 ، 2 . القاهرة .
- 72 - **أبو الفرج الأصفهاني** : على بن الحسين بن محمد بن أحمد ( ت 356 هـ ) : مقاتل الطالبين . النجف الأشرف سنة 1353 هـ .
- 73 - **أحمد أمين** : ضحى الإسلام ج 3 . القاهرة سنة 1936 م .
- 74 - **أحمد مختار العبادي** : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - مجلد 5 - عدد 1 ، 2 سنة 1957 م .
- 75 - **الأدرسي** : الشريف محمد الأدرسي ( ت 558 هـ ) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر . ليدن سنة 1894 م .
- 76 - **ارثيبيبا لدلونسي** : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط . القاهرة سنة 1960 .
- 77 - **أرنولد** : سير توماس : الدعوة الى الإسلام . القاهرة سنة 1957 م .
- 78 - **الأزدي** : محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله ( ت 488 هـ ) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس . القاهرة سنة 1966 م .
- 79 - **الاسفرائيين** : أبو المظفر الاسفرائي ( ت 471 هـ ) : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . القاهرة سنة 1955 م .
- 80 - **اسماعيل حامد ( ناشر )** : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى . باريس سنة 1911 م .
- 81 - **الأشعري** : أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . بفرنسا سنة 1963 م .
- 82 - **أطفيش** : محمد بن يوسف ( ت 1304 هـ ) : الامكان فيما جاز أن يكون أو كان . الجزائر سنة 1304 هـ .
- 83 - **أطفيش** : بعض تواريخ أهل وادي ميزاب . الجزائر سنة 1326 هـ .
- 84 - **الاندلسي** : محمد بن محمد الاندلسي : الطل السندسية في الاخبار التونسية . تونس سنة 1287 هـ .
- 85 - **الانصاري** : أحمد النائب : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ج 1 . بيروت .

- 86 — **الباجي المسعودي** : محمد الباجي المسعودي ( ت 1253 هـ ) :  
الخلاصة النقية في أمراء افريقية . تونس سنة 1283 هـ .
- 87 — **باسيه : رينيه** : R. BASSET : مادة ادريس بدائرة المعارف  
الاسلامية . مجلد 1 .
- 88 — **برنارد لويس** : اصول الاسماعيلية . القاهرة سنة 1947 م .
- 89 — **البغدادي** : عبد القاهر بن طاهر بن محمد ( ت 429 هـ ) : الفرق  
بين الفرق . القاهرة .
- 90 — **البكري** : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ( ت 460 هـ ) :  
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب باريس سنة 1911 م .
- 91 — **البلاذري** : أحمد بن يحيى بن جابر ( ت 248 هـ ) : انساب  
الاشراف ج 11 . جريزفالد سنة 1883 م .
- 92 — **البلاذري** : انساب الاشراف ج 1 . القاهرة سنة 1959 م .
- 93 — **البلاذري** : فتوح البلدان ج 1 . القاهرة سنة 1956 م .
- 94 — **البلوي** : أبو عبد الله بن محمد المديني ( ت حول منتصف القرن  
الرابع الهجري ) : سيرة أحمد بن طولون دمشق سنة 1358 هـ .
- 95 — **البوعياشي** : أحمد بن عبد السلام . الريف بعد الفتح الاسلامي  
تطوان سنة 1954 م .
- 96 — **بوفيل** : الممالك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة  
الذهب عبر الصحراء . القاهرة سنة 1968 م .
- 97 — **التجاني** : عبد الله بن محمد بن أحمد ( ت 717 هـ ) رحلته  
تونس سنة 1958 م .
- 98 — **الجري** : محمد أبو راس ( ت 1222 هـ ) : مؤسس الاحبة  
في أخبار جربة . تونس سنة 1958 م .
- 99 — **الجزنائي** : علي الجزنائي ( ت اواخر القرن الثامن الهجري ) :  
زهرة الآس في بناء مدينة فاس . الجزائر سنة 1923 م .
- 100 — **حامد عمار ( دكتور )** : علاقات الدولة المملوكية بالدولة الافريقية  
— رسالة ماجستير .
- 101 — **حسن ابراهيم حسن ( دكتور )** : انتشار الاسلام في القارة الافريقية  
القاهرة سنة 1964 م .
- 102 — **حسن ابراهيم حسن ( دكتور )** : تاريخ الدولة الفاطمية . القاهرة

- سنة 1958 م .
- 103 — حسن ابراهيم حسن ( دكتور ) : تاريخ الاسلام السياسى :  
ج 1 ، 2 ، 3 . القاهرة سنة 1958 م .
- 104 — حسن ابراهيم حسن ( دكتور ) : عبيد الله المهدي . القاهرة  
سنة 1947 م .
- 105 — حسن أحمد محمود ( دكتور ) : انتشار الاسلام والثقافة العربية  
في افريقية . القاهرة سنة 1963 م .
- 106 — حسن أحمد محمود ( دكتور ) : قيام دولة المرابطين . القاهرة  
سنة 1957 م .
- 107 — حسن الباشا ( دكتور ) : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق  
والآثار . القاهرة سنة 1957 م .
- 108 — حسن حسنى عبد الوهاب : ورفات عن الحضارة العربية بافريقية  
التونسية ج 1 ، 2 . تونس سنة 1966 م .
- 109 — حسن على حسن عبد العواد : دولة الادارسة بالمغرب — رسالة  
مأجستير .
- 110 — حسين مؤنس ( دكتور ) : فجر الاندلس .
- 111 — حسين مؤنس ( دكتور ) : ثورات البربر في افريقية والاندلس —  
مجلة كلية الآداب جامعة مؤاد الاول مجلد 10 ج 1 . مايو  
سنة 1948 م .
- 112 — الحميرى : محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ( ت القرن التاسع  
الهجري ) : صفة جزيرة الاندلس القاهرة سنة 1937 م .
- 113 — الخشنى : محمد بن الحارث بن أسد ( 366 هـ ) : طبقات  
علماء افريقية . باريس سنة 1915 م .
- 114 — الدبباغ : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصارى ( ت  
696 هـ ) : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ج 1 ، 2 ، 3 .  
تونس سنة 1320 هـ .
- 115 — ديمومبين : G. Dymombyne : مادة بنى الاغلب بدائرة  
المعارف الاسلامية — مجلد 2 .
- 116 — الدينورى : أحمد بن داود ( ت 282 هـ ) : الاخبار الطوال .
- 117 — الرازى : فخر الدين الرازى ( ت 606 هـ ) : اعتقادات فرق

- المسلمين والمشركين . القاهرة سنة 1938 م .
- 118 — الرفاعى : عبد الله محمد سراج الدين ( ت 885 هـ ) : صحاح الاخبار فى نسب السادة الفاطمية الاخيار بمباى سنة 1306 هـ .
- 119 الرقيق : ابراهيم بن القاسم القيروانى ( ت النصف الاول من القرن الخامس الهجرى ) : تاريخ افريقية والمغرب . تونس سنة 1968 م .
- 120 — سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى رسالة ماجستير .
- 121 — سعد زغلول عبد الحميد ( دكتور ) : تاريخ المغرب العربى القاهرة سنة 1965 م .
- 122 — سعيد بن بطريق : البطريك افيتشيوس ( ت 328 هـ ) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . بيروت سنة 1905 م .
- 123 — سعيد بن مقديش : نزهة الانتظار .
- 124 — السلاوى : احمد بن خالد الناصرى ( ت 1319 هـ ) : الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى ج 1 . الدار البيضاء سنة 1954 م .
- 125 — سلفاتور كوسا ( ناشر ) : تواريخ مدينة فاس .
- 126 — سهر القلماوى ( دكتور ) : ادب الخوارج من العصر الاموى — رسالة ماجستير — القاهرة سنة 1945 م .
- 127 — السيد عبد العزيز سالم ( دكتور ) : المغرب الكبير . القاهرة سنة 1966 م .
- 128 — السيد عبد العزيز سالم ( دكتور ) : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس . القاهرة سنة 1962 م .
- 129 — السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ( ت 911 هـ ) : تاريخ الخلفاء . القاهرة سنة 1964 م .
- 130 — الشماخى : احمد بن سعيد بن عبد الواحد ( ت 928 هـ ) : السير . القاهرة — طبع حجر .
- 131 — الشهرستانى : محمد بن عبد الكريم ( ت 548 هـ ) : الملل والنحل ج 1 . القاهرة سنة 1956 م .
- 132 — صاعد الاندلسى : صاعد بن احمد ( ت 462 هـ ) : طبقات الامم . القاهرة سنة 1915 م .
- 133 — الضبى : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة ( ت 599 هـ ) : بغية الملتمس فى تاريخ رجال الاندلس . مدريد سنة 1884 م .

- 134 — الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا . القاهرة سنة 1963 م .
- 135 — الطبرى : محمد بن جرير ( ت 310 هـ ) : تاريخ الرسل والملوك ج 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 . القاهرة سنة 1963 م .
- 136 — طه حسين ( دكتور ) : الفتنة الكبرى ج 1 ، 2 . القاهرة سنة 1959 م . سنة 1961 م .
- 137 — عبد الرحمن بن زيدان : اتاحف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ج 1 ، 2 . الرباط سنة 1929 ، سنة 1930 م .
- 138 — عبد العزيز بن عبد الله : تاريخ المغرب ج 1 . الدار البيضاء سنة 1965 م .
- 139 — عبد المنعم ماجد ( دكتور ) : التاريخ السياسى للدولة العربية ج 2 القاهرة سنة 1957 .
- 140 — عبيد الله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمريد — مجلد 2 سنة 1954 م .
- 141 — عريب بن سعد القرطبى : ( ت 366 هـ ) : صلة تاريخ الطبرى . القاهرة سنة 1939 م .
- 142 — على يحيى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ ج 1 . القاهرة سنة 1964 م .
- 143 — عمر أبو النصر : الخوارج فى الاسلام . بيروت سنة 1956 م .
- 144 — فلهـوزن : يوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية . القاهرة سنة 1958 م .
- 145 — فلهـوزن : احزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الاسلام الخوارج والشيعة ، القاهرة سنة 1958 .
- 146 — قدامة بن جعفر ( ت 320 هـ ) : الخراج وصناعة الكتابة . ليدن سنة 1889 م .
- 147 — القلقشندى : ابو العباس احمد ( ت 821 هـ ) : صبح الاعشى فى صناعة الانشا . ج 3 ، 5 ، 13 . القاهرة سنة 1922 م .
- 148 — الكتامى : محمد بن ادريس الحسنى ( ت 1345 هـ ) : الازهار

- العاطرة الانفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس
- 149 - **الكرخى** : ابراهيم بن محمد الفارس الاطرخي ( ت النصف الاول من القرن الرابع الهجرى ) : المسالك والممالك . القاهرة سنة 1961 م .
- 150 - **كولين** : G. S. Colin : مادة سجماسة بدائرة المعارف الاسلامية .
- 151 - **الكندى** : محمد بن يوسف ( ت 350 هـ ) : الولاة والقضاة . بيروت سنة 1908 م .
- 152 - **لبنى ديلا فيدا** : G. Levi. Della Vida : مادة الصفرية بدائرة المعارف الاسلامية .
- 153 - **مارسيه** : G. Marcais : مادة بنى رستم بدائرة المعارف الاسلامية .
- 154 - **المالكى** : عبد الله بن ابي عبد الله ( نهاية القرن الرابع الهجرى ) رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقية ج 1 القاهرة سنة 1951 م .
- 155 - **الموردى** : على بن محمد بن حبيب ( ت 450 هـ ) الاحكام السلطانية والولايات الدينية . القاهرة سنة 1960 م .
- 156 - **مبارك الميلى** : تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ج 1 ، 2 . الجزائر سنة 1350 هـ .
- 157 - **المبرد** : ابو العباس محمد بن يزيد ( ت القرن الثالث الهجرى ) الكامل فى اللغة والادب والنحو والتصريف . ج 1 ، 2 ، 3 . القاهرة سنة 1936 م .
- 158 - **مجهول** : اخبار مجموعة فى فتح الاندلس . مدريد سنة 1867 م .
- 159 - **مجهول** : العيون والحدائق فى اخبار الحقائق ليدن .
- 160 - **مجهول** : ( ت القرن السادس الهجرى ) : الاستبصار فى عجائب الامصار . الاسكندرية سنة 1958 م .
- 161 - **مجهول** : ( ت القرن الثامن الهجرى ) : نبذ تاريخية فى اخبار البربر فى القرون الوسطى . الرباط سنة 1934 م .
- 162 - **محمد ابو زهرة** : المذاهب الاسلامية . القاهرة سنة 1959 م .



- 163 — محمد بن ناويت النطواني : دولة الرستميين أصحاب تاهرت —  
صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد مجلد 5 — عدد  
1 ، 2 — سنة 1957 م .
- 164 — محمد جمال الدين سرور ( دكتور ) : الحياة السياسية في الدولة  
العربية الاسلامية . القاهرة سنة 1960 م .
- 165 — محمد جمال الدين سرور ( دكتور ) : الدولة الفاطمية في مصر .  
القاهرة سنة 1965 م .
- 166 — محمد ضياء الدين الرئيس ( دكتور ) : النظريات السياسية الاسلامية  
القاهرة سنة 1967 م .
- 167 — محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج 1 . القاهرة  
سنة 1943 م .
- 168 — محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج 2 ، 3 . القاهرة سنة  
1963 م .
- 169 — محمد على السنوسي ( ت 1272 هـ ) : الدرر السندسية في اخبار  
السلالة الادريسية . ليبيا سنة 1349 هـ .
- 170 — محمد كامل حسين ( دكتور ) : في ادب مصر الفاطمية . القاهرة  
سنة 1963 م .
- 171 — محمود اسماعيل عبد الرازق : سياسة الاغلبية الخارجية —  
القاهرة سنة 1972 م .
- 172 — محمود على مكي ( دكتور ) : التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك  
الطوائف صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد —  
مجلد 2 — سنة 1954 م .
- 173 — المراكشي : عبد الواحد بن علي التميمي ( ت 647 هـ ) : المعجب  
في تلخيص اخبار المغرب . القاهرة سنة 1949 م .
- 174 — المسعودي : علي بن الحسين بن علي ( ت 346 هـ ) : مروج  
الذهب ومعادن الجوهري ج 2 ، 3 ، 4 . القاهرة سنة 1964 م .
- 175 — المقدسي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد ( ت 388 هـ )  
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . ليدن سنة 1909 م .
- 176 — المقرئ : أحمد بن محمد ( ت 1041 هـ ) : نفح الطيب من

- غصن الاندلس الرطيب ج 1 ، 4 . القاهرة سنة 1946 م .
- 177 — **المقريزى** : تقى الدين أحمد بن على ( ت 845 هـ ) : اتعاض الحنف بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء : القاهرة سنة 1948 م .
- 178 — **المقريزى** : المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج 1 ، 2 . بولاق سنة 1270 هـ .
- 179 — **نصر بن مزاحم المنقرى** : أخبار صفيين .
- 180 — **النفوسى** : سليمان بن عبد الله البارونى ( ت 1359 هـ ) : الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الإباضية ج 2 .
- 181 — **النوبختى** : الحسن بن موسى ( ت 288 هـ ) : فرق الشيعة . النجف سنة 1951 م .
- 182 — **النيسابورى** : أحمد بن إبراهيم ( ت أواخر القرن الرابع الهجرى ) استتار الامام . مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية مجلد 4 ، ج 2 — ديسمبر سنة 1936 م .
- 183 — **الورجلانى** : يوسف بن إبراهيم : الدليل لاهل العقول . ج 1 ، 2 ، 3 . القاهرة سنة 1306 هـ .
- 184 — **ياقوت الحموى** : شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى ( ت 636 هـ ) : معجم البلدان — مجلد 1 ، 3 . طهران سنة 1965 م .
- 185 — **اليقوبى** : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ( ت 284 هـ ) : انبلدان . ليدن سنة 1891 م .
- 186 — **اليقوبى** : تاريخه ج 2 ، 3 . النجف الاشرف سنة 1358 هـ .
- 187 — **اليمانى** : محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى ( ت حول أواسط القرن الخامس الهجرى ) : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة . القاهرة سنة 1955 م .
- 188 — **اليمانى** : محمد بن محمد : سيرة جعفر الحاجب . نشر ايفانوفنا تحت عنوان مذكرات فى حركة المهدي الفاطمى . مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية — مجلد 4 — ج 2 — سنة 1936 م .

## ج - المراجع الأوربية :

- 189 — **Basset, Rene** : Les sanctuaires du Djebel Nefousa. Journal Asiatique, Tome 13,14 Paris, 1899.
- 190 — **Basset, Rene** : Recherches sur la religion des Berberes. Revue de l'histoire des religions. Tome 61, Paris 1910
- 191 — **Bel, Alfred** : La religion musulmane en Berberie. Vol. 1, Paris, 1938.
- 192 — **Bernard, Augustin** : Les capitales de la Berberie. Recueil de memoires et de textes publie en l'honneur du 14e congres des Orientalistes. Alger. 1905.
- 193 — **Biquet, Faure** : Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane. Paris.
- 194 — **Bonet, Maury** : L'Islamisme et le Christianisme en Afrique Paris, 1906.
- 195 — **Brockelmann, Karl** : History of the Islamic people. London, 1949,
- 196 — **Brunschvig, R** : La tunisie dans le haut moyen age. Le Caire, 1948.
- 197 — **Cambridge Medieval** : history, Vol. 2.
- 198 — **Cherbonneau, M** : Documente inedits sur l'heretique Abou-Yezid Mokhalled Ibn Kaidad de Tademket Traduits de la chronique d'Ibn Hammad. Journal Asiatique, Tome 20 Paris, 1852.
- 199 — **Conde** ; History of the dominion of the Arabs in Spain Vol. I, London.
- 200 — **Dachraoui, Farhat** : La captive d'Ibn Wasul, Le rebelle de

- Sidjilmassa d'après le cadî An-Numan. Les Cahiers du Tunisie, 1956.
- 201 — **De goeje M.J.** : Memoires sur les Carmathes de Bahrin et les Fatimids Leiden, 1886.
- 202 — **Despois, Jean** : Le Djebel Nefousa. Paris, 1935.
- 203 — **Dozy, E.** Spanish Islam. London, 1913
- 204 — **Drague, G** : Esquisse d'histoire religieuse du Maroc. Paris, 1951.
- 205 — **Farouhy, Dr. A** : A Persian dunasty in North Africa ; The Rustamides.  
The Islamic review, April, 1952, England.
- 206 — **Fournel** : Les Berberes. Vols. 1, 2, Paris, 1895.
- 207 — **Gibb** : Mohammedanism. London, 1945.
- 208 — **Hassan Ibrahim** ; Relations between the Fatimids in North Africa and Egypt and the Omayyads in Spain during the 4 th century A.H. Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University. Vol 10, Part, 2 Cairo 1948.
- 209 — **Hitti, P. K.** : History of the Arabs. London, 1964.
- 210 — **Hopkins** : Medieval Moslem government in Barbary unitill the 6 th century of Hijra. London, 1958.
- 211 — **Houdas, O.** Essai sur l'écriture Maghrebine. Nouveau melanges Orientaux. Publications de l'école des langues Orientales vivantes, 2 serie, Vol. 19
- 212 — **Huart, C.** Histoires des Arabes. Vol. I. Paris, 1912
- 213 — **Idris, H.R.** : Contribution a l'histoire de l'Ifrikiya' Revue des etudes Islamiques, Année, 1935, Cahier 2 Paris, 1935.
- 214 — **Ivanovv, W** : Ismaili tradition concerning the rise of the Fatimids. Bombay, 1942.  
وبملاحق الكتاب نصوص من الجزء الخامس عشر من كتاب شرح الاخبار ،  
وكتاب اففتاح الدعوة ، وكتاب زهرة المعانى .
- 215 — **Julien, Andre** : Histoire de l'Afrique du Nord. Paris, 1931

- 216 — **Lammens, H** : Etudes sur le siècle des Omayyades. Beyrouth, 1930.
- 217 — **Lane-Poole, S** : Catalogue of the collection of Arabic coins in the British museum, Vol. 4. London, 1879.
- 218 — **Lane-Poole, S** : Catalogue of the collection of Arabic Coins presented in the Khedivial library of Cairo. London, 1897,
- 219 — **Lavoix, M.H** : Catalogue des monnaies Musulmane de la Bibliothèque Nationale. "l'Espagne et Afrique" Paris, 1891.
- 220 — **Le Tourneau, R** : La revolte d'Abou-Yazid au Xme siècle Les cahiers de tunisie, 1953 Tunis, 1953.
- 221 — **Lewicki, T** : Etudes Ibadites Nord Africaine. Warszaw, 1955.
- 222 — **Lewicki, T** : De quelques textes inédits en vieux Berberes provenant d'une chronique ibadites anonyme. Revue des etudes Islamiques, Année 1934, Cahier 3 Paris, 1934.
- 223 — **Lewicki, T** : Melanges Berberes Ibadites. Revue des etudes Islamiques Année 1936, Cahier 3, Paris, 1936.
- 224 — **Lewicki, T** : Une chronique Ibadites "Kitab-as-syar" d'as-Samachi. Revue des etudes Islamiques, Année 1934 Tome 8 Paris, 1937.
- 225 — **Mamour, P.H.** Polemics on the origin of the Fatimi Caliphs London, 1934.
- 226 — **Marcais, G** : L'Afrique du Nord Francaise dans l'histoire. Paris, 1937.
- 227 — **Marcais, G** : La Berberie Musulmane et l'orient au moyen age, Paris, 1946.
- 228 — **Marcais, W** : Comment l'Afrique du Nord a ete arabise Annales de l'institut d'etudes orientales, Année, 1938 Tome 4
- 229 — **Masqueray, E.** Chronique d'Abou Zakaria Alger, 1878.
- 230 — **Mercier, E.** Histoire de Constantine, 1903.
- 231 — **Mercier, E.** Histoire de l'Afrique septentrionale Vol. I, Paris, 1888.

- 232 — **Mercier, E.** Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique Septentrionale Constantine, 1875.
- 233 — **Motylinski, A. De. C.** : Chronique d'Ibn Saghir sur les Imams Rostimides de Tahert. Actes du 14 congrès international des orientalistes. Alger, 1905, Vol. 3, Part 2.
- 234 — **Motylinski, A. De. C.** : L'Aqida des Abadhites Actes du congrès international des orientalistes, Alger, 1905.
- 235 — **Muir, W** : The caliphates ; its rise, decline and fall. Beirut, 1963.
- 236 — **O' Leary. de lacy** : A short history of the Fatimid Khalifate. London, 1923.
- 237 — **Provencal, E.L.** : Histoire de l'Espagne musulmane Vol. I, Alger, 1950.
- 238 — **Scott, S.P.** : History of the Moorish empire in Europe Vol. 2, London, 1904.
- 239 — **Smith, P** : The Ibadites. The Moslem world, Vol. 12 July, 1922.
- 240 — **Van Berchem, Max** : Titres Califiens d'Occident. Journal Asiatique, Tome, 9 Paris, 1907.
- 241 — **Variedades** : Al-Hakam II y los berbers regum untexto inedito de Ibn Hayyan. Al-Andlus, Vol. 13, Madrid, 1948.
- 242 — **Vonderheyden, M** : La Berberie orientale sous la synastie de Benou' L'Arlab. Paris, 1927.
- 243 — **Zaki. M. Hassan** : Les Tulunides Paris, 1933.

# الفهرس

5 ..... المقدمة

## الباب الاول :

- 23 ..... دعوة الخوارج في بلاد المغرب  
1) احوال الخوارج في المشرق الاسلامى حتى اوائل القرن  
24 ..... الثانى الهجرى  
31 ..... 2) بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج  
42 ..... 3) انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب

## الباب الثانى :

- 59 ..... ثورات الخوارج في بلاد المغرب في عصر الولاة  
62 ..... 1) ثورات الخوارج الصفرية  
82 ..... 2) ثورات الخوارج الاباضية  
96 ..... 3) نتائج ثورات الخوارج في بلاد المغرب

## الباب الثالث :

- 109 ..... دول الخوارج في بلاد المغرب  
1) دولة بنى مذار الصفرية .  
112 ..... 1) قيام دولة بنى مدرار  
122 ..... ب ) سياسة بنى مدرار الداخلية  
128 ..... ج) علاقات بنى مدرار الخارجية  
2) دولة بنى رستم الاباضية .  
144 ..... 1) قيام دولة بنى رستم

- 154 ..... (ب) سياسة بنى رستم الداخلية  
183 ..... (ج) علاقات بنى رستم الخارجية

#### الباب الرابع :

- 209 ..... الخوارج والفاطميون في بلاد المغرب  
(1) الصفرية والفاطميون .  
210 ..... (أ) الفاطميون وسقوط دولة بنى مدرار  
219 ..... (ب) ثورات الصفرية على الحكم الفاطمي  
(2) الإباضية والفاطميون .  
229 ..... (أ) الفاطميون وسقوط دولة بنى رستم  
235 ..... ب - ثورات الإباضية على الحكم الفاطمي

#### الباب الخامس :

- 255 ..... اثر الخوارج في المجتمع المغربي  
257 ..... (1) الفكر السياسي ونظم الحكم  
271 ..... (2) الحياة الاقتصادية  
285 ..... (3) الحياة الاجتماعية  
292 ..... (4) الحياة الثقافية  
303 ..... الخاتمة  
311 ..... الملاحق  
319 ..... المصادر





مطبعة النجاة الجديدة  
الدار البيضاء





صدر عن :

الدكتور نجيب محمد البهيتي	تاريخ الشعر العربي
الدكتور نجيب محمد البهيتي	أبو تمام الطائي
الدكتور نجيب محمد البهيتي	المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ
الدكتور نجيب محمد البهيتي	المعلقات سيرة وتاريخاً
الدكتور عباس الجراري	من أدب الدعوة الإسلامية
الدكتور عباس الجراري	في الشعر السياسي
الدكتور عباس الجراري	صفحات دراسية
تحقيق الدكتور محمد حجي	زهر الأكم في الأمثال والحكم
تحقيق الأستاذة فاطمة خليل	رسائل أبي علي اليوسي
تحقيق الدكتور سامي النشار	كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة
تحقيق الدكتور سامي النشار	الشهب اللامعة في السياسة النافعة
الدكتور إبراهيم شحاتة	وقعة وادي المخازن
الأستاذ محمد بن تاويت	تاريخ سبتة
الأستاذ محمد الحمداوي	الروايات التاريخية لتأسيس سجلماسة وغانة
الدكتور محمود إسماعيل	قضايا في التاريخ الإسلامي
الدكتور محمود إسماعيل	سوسبولوجية الفكر الإسلامي
الدكتور حبيب الشاروني	فلسفة فرانسيس بيكون
تحقيق الدكتور محمد الكتاني	روضة التعريف بالحب الشريف
الدكتور محسن عبد الحميد	دراسات في أصول تفسير القرآن
الدكتور يونان لبيب رزق	تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية

مطبعة النجلاحة الجديدة  
الطرابلسية

الإبداع القانوني رقم 1985/597